

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صلاح الدين
كلية التربية

الشخصية في ضوء علم النفس

محمد محمود عبد الله الجبوري

ساعدت جامعة صلاح الدين على طبعه

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية التربية

جامعة صلاح الدين

الشخصية في ضوء علم النفس

محمد محمود عبد الجبار الجبوري

شكر تقدير

لقد اولت قيادة الحزب والثورة وعلى رأسها الرئيس القائد صدام حسين حفظه الثقافة القومية اهتماماً كبيراً وجعلها دعامة قوية من دعائم التنمية القومية الشاملة .وما القرار الحكيم الذي اختطته قيادتنا السياسية في تعريب التعليم الجامعي الا خطوة لربط ماضينا المشرق بمستقبلنا الوضاء واعادة الثقة بان اللغة العربية قادرة على العطاء والتفاعل مع باقي اللغات الحية في العالم. وكذلك ياتي القرار لدور الجامعات ومؤسسات البحث العلمي ولتوظيف العلم لخدمة الانسانية ولأهداف الثورة كما جاء على لسان القائد صدام حسين حفظه الله حين قال :

«مؤسسات البحث العلمي هي مختبرات ومطابخ مهمة لتحضير المعلومات والافكار الحيوية لخدمة الاهداف الستراتيجية لبناء الامة وبناء المجتمعات الحديثة»

وإني إذ أقدم هذا الكتاب آمل ان اسهم في وضع لبنة في البناء العلمي الذي بنته الجامعات العراقية للحصول على فهم افضل للانسان المثقف المدرك دوره في بناء صرح السلام للانسانية.

وانه ليسرني ان اقدم هذا الكتاب في الفترة التي يحتفل فيها العراق باعياد النصر دفاعاً عن البوابه الشرقية للامة العربيه...

محمد محمود الجبوري

الاهــداء

الى السيدة زوجتي،

ولدي،وبنـاتـي

أقدم هذا الكتاب

المؤلف

محمد محمود الجبوري

الفصل الأول
الشخصيــة

تتضمن الخصائص التي تكوّن الشخصية: بنية الجسم وقدراته العقلية والقدرات الاخرى والرغبات والاتجاهات والمعتقدات والقيم واساليب التعبير وفي تلك كلها يختلف بعضنا عن بعض. وليس هنالك ما يمكن أن تقول عن الشخصية المتوسطة[1]. فالشخصية لها من نوعية من الانفرادية إذ لايوجد شخص يمثل آخر تماماً. والشخصية حصيلة الوراثة [2] والبيئة. فالفروق الوراثية تلعب دورا كبيرا في الفروق الفردية في الشخصية شأنها في الخصائص الجسمية. وجهازنا الفسيولوجي يصنع ويفرز عوامل عدة كيمياوية تؤثر في السلوك. وان اختلال التوازن مهما يكن ضئيلاً في أفراز الهيرمون[3] فانه يحدث تغيرات في المظهر وبنية الجسم والمزاج وردود الفعل تجاه الضغوط. وتزوّد المتغيرات الفسيولوجية باسس تطور الشخصية واطارها. وفي كثير من ذلك لاتمتلك المهنة الاقليلا. وعلى عكس ذلك فان الادوار التي تلعبها البيئة تزودنا ببعض تدابير المهنة. ويتعلم الشخص خلال عملية التطبع الاجتماعي[4] ما عليه ان يقوم به وما عليه أن يدعه. وتتغير عوامل التطبع الاجتماعي كا ان الفرد يأخذ بالنضج. وأول ما يأخذ مكانه تأثير العائلة. وأظهرت الدراسات ان الجو البيتي غير الصالح ذا الخبرات والنشاطات المحدودة يضعف توافق أفراده [5]. حيث ان شخصية الطفل تعتمد على طريقة تفاعله [6] مع الاخرين كا تعتمد على نظرته لذلك التفاعل. فحينما يكتشف الطفل منذ البداية الفرق بين ما هو له وما هو ليس له، عند ذلك يبدأ يتعلم مفهومة [7] الذات. وفي العائلة يتعلم الطفل ردود الافعال التي ستصبح نموذجية في منحى الاسلوب الفردي.

وفي فترة الطفولةالمتأخرة، وفي المراهقة تصبح جماعة الأنداد والمدرسة ذات الاهمية، وفي بعض الاحيان طبعا، تتعارض هاتان مع الكيان العائلي.

ونحن الراشدين نميل الىمزاملة الناس الذين هم في أعمارنا والقريبين من مستوانا الاجتماعي. ومن حيث التأثير فان الطفل غالبا ما يجد في جماعة انداده اشخاصاً يحذو حذوهم ويماثلهم. وهولاء الناس لهم تأثير كبير في تشكيل تطور الشخصية.

ما الذي يؤثر في الشخصية:

إن التغير الحاصل وردود افعالنا تجاه هذا التغير يضطرنا الى اعادة تقويم مفهومة ذاتنا. وهنالك اشياء مهمة اربعة بهذا الصدد:-

الاول : الناس يستجيبون بنسب مختلفة للتطبيع الاجتماعي. فأية استجابة مميزة للشخص، تستمر خلال فترة حياته ولكن بنسبة متناقصة فحينما نكون صغارا لايعنينا سبب التغيرات الاجتماعية اومصدرها. ولكننا كراشدين، حين تزداد المؤثرات البيئية[8] على اسلوب حياتنا فاننا تكون لنا افكار اخرى كثيرة جدا. ويبدو علينا وكأننا قد وقعنا في شرك كل من العمل والأنظمة الاجتماعية.

ثانيا: تختلف الفرص التي تتاح للافراد،ولهذا تأثير كبير في تطور شخصيتنا

ثالثا: اننا نتعلم من الخبرة. اننا لانتعلم مايجب ان نعمله وما يجب ان لانعمله فحسب بل، كذلك ما يغلب عليه أنه مرغوب فيه أو أن هجره افضل. وبذلك نكون قد الممنا مسبقا بما يؤثر في سلوكنا.

رابعا : المؤسسات العامة (المدارس، الكليات، الصناعات، الدوائر الحكومية) تزود بمصادر تؤثر في شخصية كل فرد منا.

تصور الفرد لجسمه [9]: ان اجسامنا ذات اهمية جوهرية فيما نحن عليه من حيث الشخصية. فاننا ننظر الى أيدينا من حيث علاقتها بما تستطيع ان تقوم به ـ كما ننظر الى عيوننا ولغتنا من حيث استقبالها للاحساس والتعبير السلوكي، والى جلودنا [10] من حيث ردود الفعل التي يمكن ان تثيرها الآخرين. اننا لنشعر بتعب الجسم ونفهم الجسم من حيث الصورة والشكل، وعلى الاقل نظريا، نحن نصنّف الناس حسب ذلك (سيرد تفصيل هذا في نظريات الشخصية في هذا الفصل .

ان ادرا كاتنا الحسية تنزع الى ان تبقى مرتبطة باجسامنا بدرجات متفاوته حيث ندرك انفسنا كأن نكون متصفين بالجمال او القبح، او بقلة رشاقتنا في الحركة والتعبير او

ان ادرا كاتنا الحسية تنزع الى ان تبقى مرتبطة باجسامنا بدرجات متفاوته حيث ندرك انفسنا كأن نكون متصفين بالجمال او القبح، او بقلة رشاقتنا في الحركة والتعبير او اللباقة وحسن الشمائل، او بكوننا متفوقين او أدنى درجة من غيرنا، كل ذلك بدرجات متفاوته. ونرى في بعض الاحيان بكل جلاء كيف اننا نؤثر في الناس الاخرين. وفي احيان اخرى يتلون هذا الادراك بالتفكير[11] الرغبي، وربما هنالك سبب واحد يبين لماذا يوّد بعض الناس ان يروا انفسهم على شاشة التلفاز او يصغون الى اصواتهم المسجلة على شريط التسجيل، إن هذا يتيح لهم لبفرصة ليروا انفسهم كما يراهم الاخرون. وللطريقة التي يدرك فيها الفرد جسمه نتائج نفسية. فالمراهق الذكر قد يصيبه شعور نفسي غير مريح حين تتجسم له بصورة كبيرة حركاته التي يعوزها التناسق والاتزان. والفتاة الحسناء قد تندفع الى ان تصبح ممثلة لمجرد ان تجد إن لها المؤهلات الاخرى للنجاح. ولكوننا نشعر كيف نبدو، وندرك كيف تكون ردود الاخرين لنا ولو جزئيا بسبب مظهرنا الجسمي،

فان لشكل جسمنا نصيباً مهماً لمفهومتنا لانفسنا خلال الحياة. وتظهر الدراسات ان بين طلاب وطالبات الكليات كثيراً ماتستند الصدقات في بادئ الامر على بنية الجسم.ولكن كاان لشكل الجسم اهمية بالنسبة لنا فان العلاقات المستمرة بين الافراد تعتمد بصورة اكثر على جانب الشخصية المتعلق بالكيف[١٢] (او مايسمى مزاج الساعة) وعلى التغيرات التي تحصل له والى السبل التي نستفد فيها طاقتنا وبكلمة اخرى على المزاج[١٣].

المزاج: Temperament

اننا نعلم جيدا ان بعض النـاس انفعاليون [١٤] اكثر من غيرهم. وبعض النـاس صبورون وبعضهم الاخر ينفجرون ولاتمكن تهدئتهم ومنا من يصدر عنه احد هذين في مواقف[١٥] مختلفة. ولكن ما الذى نفعله في أغلب الاوقات؟ هذا أحد الاسئلة التي أدت الى ايجاد معيار مزاج كلفورد ـ زمرمان. والان لنلق نظرة على هذا المعيار .

من حيث ابعاده التسعة. وربما تود ان تجيب عن عيِّنات من الاسئلة المدرجة في أدناه حسبما تخصك او تخص شخصا اخر. ومن الطبيعي ان معيار المسح الشامل يشتمل على عناصر كثيرة عن كل جانب من هذه الجوانب التسعة وهنا سنبين فقط قليلا لنظهر ان المزاج جزء من الشخصية:

١ ـ هل تميل الى ان تصرف النظر وتغض الطرف عن امر أصبت به بخيبة أمل؟ ان هذا البعد يدعى «النشاط العام». والناس يدرجون طوال معيار من البليد الى ذى الطاقة الفعالة. فالناس الذين تقديرهم مرتفع في المعيار يمتلكون مقدارا كبيرا من الطاقة للتحرر ويظهرون خصومتهم بلغة عدائية او بعمل او بطرق اخرى ظاهرة.

٢ ـ هل تقوم بمحاولة لضبط نفسك واللجوء الى الهدوء ؟ وهذا البعد يدعى الكبت ويقاس بمعيار «اندفاعي» الى «المكبوت» . والتقدير Score الواطئ يشير الى نقص في المهنة يتعلق بالسلوك الاندفاعي وخطة تصاميم تستند على العاطفة. والتقدير العالي جدا من الكبت قد يعني انك مفرط في المهنة وتصورك الاعمال الذاتية والتلقائية مع الاخرين.

٣ ـ هل تشعر انك تتمتع بالاكتفاء الذاتي؟ وهذا [illegible] Scale of ascendance) والتقدير Score المنخفض في الدرجة المنخفضة يشير الى التهيب (Timidity) اما التقدير العالي فيشير الى الثقة في العلاقات الشخصية.

٤ ـ هـل تفضل ان تكون لك علاقات قوية مع الاخرين ام انك تفضل العزلة في اغلب الوقت؟ هذا النوع من السؤال يقاس بمعيار القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية. والمؤشر يمتد طوال خط المعيار الخالط ذى النزعة الاجتماعية الى الانعزالى. والتقدير Scoreالعالى يعنى الرغبة في العلاقة الشخصية. والتقدير الواطئ يشير الى الرغبة في العمل الانفرادى والاحتفاظ بالمشاعر والافكار بد اخله أغلب الوقت.

ب ـكم تظهر من رحابة الصدر او البساطة حين تصيبك رجّة عنيفة تثير مشاعرك؟ وهذه تقاس بمعيار الثبات او الاستقرار الانفعالى وتصنف من القلق البسيط الذى لايؤبه له الى الانفعال الثابت المستمر. ويظهر الاتجاه العقلى الصحى بتقدير عال يشير الى انك متحرر من النزعات العصابية، neuroticوالتقدير الواطئ يشير الى عجز في ضبط الانفعالات والى عدم الاستقرار الانفعالي كما يشير الى الكآبة moodiness .

٦ ـ مامقدار حساسياتك تجاه مشاعر الاخرين ؟ وهذاالبعد يدعى الموضوعية ويصنف من الحساسية المفرطة الى الموضوعية . ويشير التقدير الواطئ الى الشخص الشديد الحساسية السريع الغضب والذي ينزعج بسهولة . والتقديرات العالية المتطرفة قد تشير الى نقص في الحساسية تجاه مشاعر الاخرين .

٧ ـ هل أنت شخص ودود / تطبع في النفس الرضى والابتهاج ؟ في معيار المودة والمشاعر الطيبة تجاه الاخرين قد يشير التقدير العالى الى رغبة اكيدة الى المسرة ، والتقدير الواطئ يشير الى استجابة التوقى والموقف الدفاعي او الاستجابة العدائية تجاه الاخرين .

٨ ـ هل تستجيب دائما من دون تفكير ؟ فيمعيارالتفكيرالعميق الذي يركزعلى الانتباه ومراعاة حقوق الاخرين ومشاعرهم يشير التقدير الواطئ الى انك لست ممن يصلح لحل المشاكل . بينما يشير التقدير العالي الى انك قد تكون صالحا في التفكير التحليلي وانك تراعي مشاعر الاخرين وحقوقهم .

٩ ـ هل انت ممن يشكّون في حسن الطبائع البشرية الى حد كبير ؟ والمدى بين الناقد الى «الواثق» يتبين في مجال العلاقات الشخصية . فالتقدير العالي يبين التسامح مع الاخرين . والتقدير الواطئ يشير الى اتجاه الشك .

الاستجابات الانفعالية

هنالك شئ مهم يجب ان نضعه على بالنا هو ان السيطرة على الانفعال لا يمكن ان تحصل بسهولة : اولا ، يتعلم الطفل الشعور بالطمأنينة .
ثانيا : يمكن ان توضح الاشياء الى الطفل بعد ان تكون الدموع قد انقطعت من عينيه . ولنتوسع الان في بعض النقاط .

كيف نتعلم الهيمنة على الانفعال : حينما يرفع احد الوالدين طفله من الارض ليحمله لغرض تهدئته يحصل امران : الاول يتعلم الطفل الشعور بالاطمئنان .
الثاني : يمكن ان توضح الاشياء الى الطفل بعد ان تكون الدموع قد انقطع انسكابها من عينيه . وبالتدريج يتعلم الطفل أن النظم والقواعد التي تفرض بلطف وحزم وبصورة ثابتة تساعد في التعامل مع الاحباط[16] (الخيبة) والصراع (التصارع او التضارب)

واننا كراشدين نوسع هذا التعلم من السيطرة الانفعالية ملاحظين قبل كل شئ أن بدء الاضطراب الانفعالي لا يخضع كليا لنطاق سيطرتنا . وكذلك نتعلم بعد قليل من الوقت انناالا نستطيع ان نسيطر على الانفعال بسهولة . بأن نخطط لانفسنا اننا دائما نعمل ما هو صحيح او إن نبتعد عن مصادر المثيرات الانفعالية المحتملة جميعها .

فالهيمنة على الانفعال تتضمن معرفة الواقع والتسليم به . وتتأثر الهيمنة احياناً بكوننا لانمتلك مجالا معينا للاختبار أى ان البدائل الموجودة لدينا محدودة . وعلى سبيل المثال ، قد يكون الاختبار بين إثارة طويلة وبين مواجهة صدمة ضرر سريع للذات . قد يكون الاختبار بين علة الحنين الى الوطن والرجوع اليه وبين مواجهة مغامرة غامضة غير معروفة النتيجة . اننا نتعلم ان ننظر الى الهيمنة الانفعالية من وجهة نظر عاداتنا التي اعتدناها في حياتنا اليومية وليس بالدقة من وجهة نظر الهيمنة على شذوذ حاد من السلوك . وكذلك نتعلم ان نتوقع الاستجابات الانفعالية تحت وطأة مواقف معينة . وكذلك نتعلم ان نهين على الانفعال بان نكون متوافقين الى المنبه الذي يحدثه . ولما كان الانفعال يعوق التفكير السديد فانه من حسن الحظ ، إنه لمن الصحيح ان التفكير السديد يعوق الانفعال . وبقدر ما نحسن القيام بالامور ينعكس ذلك على شخصياتنا .
تحرير الانفعال : ان الشخص الذي يود ان يحرر مشاعره مواجهة أمام الناس يختلف بكل تأكيد من حيث الشخصية عن الفرد الذي يجاهد نفسه في كبت مشاعره لئلا تظهر . ولنلق الان نظرة على تدريب الحساسية لاولئك الاشخاص الذين يرغبون في أن يعبّروا عن مشاعرهم بكل وضوح بين الناس ومن ثم نتكلم عن لا يرغبون في ذلك .

والغاية من تدريب الحساسية او «جماعات المواجهة»[17] كما تدعى احياناهي جعل الناس اكثر دراية في كيف يفسر الاخرون سلوكهم .

ويتضمن التدريب جماعات صغيرة من ١٥ ـ ٢٠ شخصا يعرفون مثلا «مجموعات أ» يأتي هؤلاء الاشخاص سوية ليشاركوا في خبرات وليقولوا ما يشعرون به حقيقة متحررين من التمسك بدقائق العرف وقواعد السلوك المرعية ، وتخطط لهم دورات فنية حتى لو بدا عليهم مظهر كونهم غير مقيدين بالشكليات . واغلب الجماعات تبدأ بصمت مربك تتلوه محادثات مشتتة غير مترابطة خلال الفترة التي يبدأ فيها التعبير عن المشاعر والاعراب عن ردود افعال الاعضاء .

وكارل راجرز Carl Rogers الذي قام بدراسات واسعة لجماعات المواجهة يقول ان الجماعة تمر في اربعة مراحل خلال سير دورة التدريب . الاولى : هنالك نزعة للارتباك بل حتى التثبيط وذلك عندما يدع المدرب الجماعة تعلم انه سوف لايدبر شؤونهم بصورة مباشرة . وتظهر بعض المقاومة للتعبير عن المشاعر في هذه المرحلة الاولية . والفرد الذي يبدأ بالتعبير عن مشاعره حقا ربما يتوقّف بسبب الاخرين . وقد يكون هنالك تساؤل من قبل الاعضاء عن مناسبة من هذا التعبير .
الثانية: ان اعضاء الجماعة يبدأون يتكلمون على مشاكل واجهتهم خارجا قبل اجتاعهم، وتدريجيا يبدأ تعبير واقعي عن المشاعر بالظهور. المشاعر الاولى في التعبير عن الذات أو عن عضو في الجماعة تكون عادة سلبية. ثالثا: يبدأ جو من الثقة بالظهور كلما ارتضيت المشاعر المعبر عنها. رابعا: تبدو الدورة واضحة للعيان: ففي هذه الظروف تصر الجماعة على ان كل فرد انما يكون هو نفسه متحررا من المواقف الدفاعية. وتطّرح كل الاحاديث ذات الحساسية وكل تكلف. وحينما يستعمل تدريب الحساسية كملاج جماعي، حيث تُطرّح المظاهر الكاذبة ويعبر عن الانفعالات وتقتلع النزعات العدائية الجارحة للمشاعر، عند ذلك يحصل من الامور ما هو غير متوقع. فقد يتذكر شخص ما اتجاهات نقدية اخرى بعد فترة طويلة من الزمن بصورة سلبية، وقد ينتفع شخص اخر من النقد الذى يبين له كيف يظهر للناس الاخرين. وفي بعض الاحيان قد يجد صديق لاحد الطلاب او مشارك في العمل او الحياة كالزوج والزوجة، بل حتى الشخص المنتفع جدا، تحرر اضطرابات انفعالية جديدة.

والمؤيدون لتدريب الحساسية يعتقدون انه من النافع جدا أن تعرف كيف يراك الاخرون. ومن الناحية الاخرى فان منتقدى التدريب على الحسلسية فانهم يعتقدون انه من الضرر ان يكشف انسان ما نفسه الى هذا الحد. وبعض المراقبين حدد مجالا هو انه حيثما كان هنالك ناس كثيرون يواصلون المحات النقدية، فان هنالك بعض الشخصيات

للمجتمع طريقة في منعنا من التعبير عن انفسنا بصورة تامة، كيف نحرر المشاعر المكبوتة التي تكشف شيئا ما من شخصيتنا واسلوب حياتنا. فالالعاب الرياضية والهوايات، وحتى الواجبات الروتينية، والمعمل والعمل العائلي المألوف تساعد على تحرير المشاعر. يستطيع بعض الناس ان يعبروا عن انفسهم عن طريق القراءة والكتابة او حتى بواسطة الهتافات المسموح بها في الالعاب. وانتقاداتنا اللفظية التي نوجهها للاخرين قد يكون لها قدر من تحرير المشاعر باعتبارها وسائل لافساح المجال للشخص الاخر ان يتعرف على تقويماتنا.

وبامكان الكبت الانفعالي ان يضرنا وان ينفعنا. فكبت الغضب في النقاش الفكرى يمكن ان يكون مفيدا احيانا، ولكن كبت المشاعر كلها في جميع الاوقات يمكن ان يؤدى الى صعوبات التوافق. فالاشخاص الذين لايسمحون لانفسهم ان تتحسس الاشياء بعمق يعانون من فتور عقيم في حياتهم. وغالبا ما يعجبون ممن يبدو عليهم المرح الكثير. ومن الناحية الاخرى فالاستغراق او الانغمار الانفعالي مع الناس وقضاياهم تأييدا او خلافا ومع المنظمات او حتى مشاهدة الالعاب الرياضية يستلزم ارتباط انغمارنا هذا بمحاذير محتملة. ومن خلال عدة تحررات من الطاقة باسلوب لاضرر فيه، نصبح لحد ما في حصانة من الاحباط (الخيبة) والصراع. واذا ماوجه الانفعال على نحو موافق وكما ينبغي فاننا نتعلم تدريجيا ان نشارك في امزجة الناس الاخرين، وان نشارك في انفعالات الجماعة في الاستماع الى الموسيقى وممارسة الفنون البصرية وان نسهم معهم في الشعائر الدينية.

ألادوار التي تقوم بها:

اننا نكشف عن شخصيتنا باساليب متعددة عن طريق الادوار او الوظائف التي تقوم بها. ومن المحتمل انك حينما تفكر في كلمة «دور» انما تفكر في ممثل.
فالكلمة استعيرت من المسرح وبسبب معقول. فللممثل مسرح قائم ونصوص مسطرة عليه ان يتكلم بها عند عرض المشاهد. وفي الحياة الحقيقية، اننا ايضا نؤدى اوضاعا معينة، ومع ان النصوص مفقودة، فان الكلمات والمشاهد معينة ومقررة في الغالب وكما هو الحال عند الممثل، فالشخصية التي نضعها في دور تحدد الى درجة كبيرة الطريقة التي تؤديها. ويبدأ تعلم الادوار بصورة مبكرة ويستمر خلال الحياة ويكتسب التعليم بكلا الحالتين، الاولى من خلال التعليمات المقصودة عن اساليب السلوك، والثانية عن طريق الادوار التي نجد انفسنا فيها. فالطفل الذكر يتعلم «ان يكون رجلا» والبنت تتعلم ان تكون «سيدة». ان القيام بالدور الذى غالبا ما يتضمن صراعات بين ما يريد الاخرون وما نريده نحن يمكن

ان يسبب اضطرابا انفعاليا يلفت النظر. فالمرأة التي تشعر برغبات واهتمامات الذكورة، مثلا، تتعلم ذلك منذ سن مبكرة وطريقة حلنا للصراع هو بحد ذاته جزء من الشخصية.

الشخصية والابداع:

الابداعية شأن تجدر ملاحظته والالتفاف له. فقد نكون نحن ابداعيين انفسنا ونتحسس ذلك، وربما نجد الابداعية في غيرنا من الناس. فالاشخاص المبدعون،المخترعون، الكتاب، الفنانون المختصون بالعلوم الرياضية، العلماء، المهندسون المعماريون ـ قد درسوا دراسة واسعة. ففى وصف الشخصية المبدعة علينا ان نلاحظ ان خصائص معينة من الابداعية قد تؤدى اما الى النجاح او الى صراعات وتثبيط العزم. ولنا ان نشير ايضا ان اغلبنا ربما لم يصنف نفسه كمبدع، على ان مهارات ومواهب خاصة تؤثر في الشخصية.

الشخصية المبدعة: غالبا ما نلاحظ الابداعية في فترة الطفولة. فالذى في السنة السابعة من عمره مثلا، والذى لايستطيع ان يتابع بسهولة ما تتطلبه حاجات الفصل، ويبدو انه يتجنب المعلم او يجهل التعليمات قد يكون مبدعا أصالة وحينما يستطيع فرد ما ان يلاحظ مثل هذه الردود فانه قد يخلق مشاكل ليس للطفل فحسب بل للوالدين كذلك. ان الشخص الابداعي يندفع(١٨) ذاتيا.

فحينما يمارس الفرد بهجة الاكتشاف الذى يمكن ان يأخذ مداه بدءاً من اصلاح ماكنة او اعداد تنظيم موفق لحادثة فانه يعقد النية اويصمم اكثر من ذى قبل ليرتادسبلا جديدة ويحاول ان يقوم باشياء اخرى. وان الابداعية تمد ذاتها وتعززها. وكما هو شأن اية سمة من سمات الشخصية، فان الابداعية تظهر الفروق الفردية. ومع ذلك فاغلب الناس الابداعيين يشتركون في اشياء كثيرة.

بعض الاشياء المشتركة:

١ ـ الاشخاص الابداعيون اقل من غيرهم تمسكا بالعرف والتقاليد وبعبارة اخرى اقل من سواهم محافظة.

٢ ـ لكونهم اقل تمسكا بالتقاليد فان الاشخاص الابداعيين يظهرون استقلالية، في احكامهم وقراراتهم.

٣ ـ الاشخاص الابداعيون ينظرون الى السلطة على انها محافظة اكثر من كونها منفتحة منطلقة.

٤ ـ الاشخاص الابداعيون غالبا مالايعرفون الى اين تؤول بهم نتائج جهودهم. ويكون ابتهاجنا بكوننا ابداعيين او محافظين يعتمد على نوع شخصيتنا. فالناس الابداعيون يرغبون في التعامل مع الاشياء المعقدة حتى ولو اصبحوا معرضين للاتهام بالسذاجة.

ونحن نستطيع ان نعرف الكثير عن شخصيتنا الذاتية حينما نختبر المسؤوليات والمغامرات التى نريد ان نمارسها او ان نتجنبها كقاعدة، ان الادوار التى نرغب في القيام بها او لانرغب فيها تخبرنا الكثير عن شخصيتنا

الشخصية ونظرياتها

لايوجد موضوع في ميدان علم النفس يسحر الالباب اكثر من موضوع الشخصية. وقد اجريت بحوث كثيرة في هذاالعنوان ولكن لم تستخلص استنتاجات نهائية بخصوص طبيعة الشخصية ـ فلو سألت رجلا عن معنى اصطلاح الشخصية فانه لن يكون مقتدراً ان يقدم جوابا عن هذا السؤال البسيط في اصطلاحات واضحة محددة وذلك لان الشخصية الانسانية ظاهرة معقدة الى حد يمكن تفسيرها باساليب مختلفة.

وقد عرّف اصطلاح الشخصية بطرق مختلفة من قبل علماء النفس الذين اشتغلوا في مشكلة الشخصية وفي المتغيرات التي تؤثر في تطورها.

معنى الشخصية: ان تعريف اى اصطلاح وتحديده امر تعسفي. وهذا يصدق ايضا في حالة كلمة الشخصية. فبالوصول الى معناها علينا ان نتتبع الجذور التاريخية للكلمة. لقد انبعث اصطلاح الشخصية من الكلمة اللاتينية. (persona)التي كانت مرتبطة بالمسرح الاغريقي في العصور القديمة. وكانت كلمة (persona) تعني القناع الذى اعتاد الممثلون الاغريق ان يلبسوه فوق وجوههم حينما يمثلون على خشبة المسرح.

فالقناع الذى كان يلبسه الممثلون كان يدعى (person) واستنادا الى مفهوم القناع، فالشخصية، كانت يعتقد انها الاثر والتأثير الذى يتركه الفرد الذى يلبس القناع، على المشاهدين. وحتى في هذا الزمان، بالنسبة للرجل الاعتيادى تعني الشخصية، الاثر الذى يتركه الفرد في الناس الاخرين. وبالضبط، نحن نستطيع ان نقول ان قناع الممثل (persona) ضمنياً هو غطاء للشخص الحقيقي الذى يختفي وراءه. وقد نشأ على اساس فلسفة افلاطون المثالية الذى كان يعتقد ان الشخصية هى مجرد واجهة لمادة ما اوجوهرها.

بعض التعاريف:

١ـ الشخصية من حيث هى منبه: يعرّف بعض علماء النفس الشخصية من حيث قيمتها كنبه اوباعث اجتماعي. كيف يؤثر الفرد في الاشخاص الذين يحتك بهم ويتعامل معهم سواء كان قادرا على التأثير فيهم او انه ثقيل المعشر، سواء أكان ذا شخصية قوية متسلطة او انه مذعن مستسلم. والشخصية، من وجهة النظر هذه تصبح مطابقة للسمعة والانطباع وفي الغالب من حيث المظهر الجسمي، واللباس والحديث والذوق الاجتماعي واداب المعاشرة والسلوك واداب الرسميات. وبصورة عامة نحن نستعمل هذه المفهومة للشخصية في انتقاء المتقدمين للمهن المختلفة فالمقابلات تأخذ بنظر الاعتبار الصورة الكاملة للسلوك المنظم للفرد.

(٢) الطريقة الكية: والطريقة الثانية لتعريف الشخصية تؤكد على اهمية المجموع الكلى للعمليات المختلفة ونشاطات الفرد مثل الميول الفطرية والعادات والدوافع والانفعالات وغير ذلك . وقد تعرضت هذه الطريقة للنقد من قبل علماء نفس الهيئة الذين اعترضوا على فكرة المجموع او الكية الكلية للاجزاء دون اعطاء مفهومة التنظيم وتكامل الاجزاء في وحدة متكاملة كلية .

(٣) الطريقة التكاملية . ان تحديدات هذا الصنف يضع التأكيد على الجانب التكيلي للشخصية ونمطها التحديدي للتنظيم . وقاموس (warren)١٩٣٤ يعرف الشخصية كا يلي: الشخصية هي التنظيم التكاملي لجميع المرفة والتأثير والرغبات والخصائص الجسمية للفرد لما تكشف نفسها في تميزها واختلافها الواضح عن الاخرين .

ويعرف هارتمان (G. w. Hartman)الشخصية بقوله « الشخصية تنظيم متكامل لجميع الخصائص العامة الشاملة للفرد كا تظهر ذاتها في وضوح متميز عن الاخرين»

(٤) المرأى الكلى: ان هذا المنطلق في تحديد الشخصية يضع تأكيدا اعظم على التكامل من المقولة السابقة في التحديدات التي ذكرت آنفا: انها تنفل عن الجزء. واستنادا الى هذه النظرة فان الوصف العام او نمط السلوك الكلى للفرد هو شخصيته. فشخصية الانسان هي الصورة التامة لسلوكه المنظم وبصورة خاصة كا يمكن ان تتميز بين زملائه بطريقة ثابتة.

(٥) الشخصية من حيث هي توافق : الفرد، منذ ميلاده، يحاول ان يتوافق مع بيئته.

وسلوك أي شخص يمكن أن يعرف على انه توافقه مع بيئه . وكل فرد يتخذ طريقته المتفردة الخاصة به في توافقه مع مجتمعه . واستنادا الى هذا المنطلق، فالشخصية هي النمط السلوكي المميز للفرد. والفرد، خلال ردود افعاله المستمرة يحاول ألُيوافق نفسه مع بيئته. ونستطيع ان نقول ان مجموع نشاطات الفرد حين يكيف[١٩] نفسه الى البيئة هي شخصيته .

لقد وصفت الطرائق المختلفة في تحديد اصطلاح الشخصية. وفيما يلي نختبر تعريفات مهمة للشخصية:

يحاول Fredenberqفي كتابه «علم نفس الشخصية والتوافق» ان يلخص التعريفات المختلفة في تعريف واحد حيث يقول«الشخصية هى نظام ثابت من الخصائص المعقدة الذى عن طريقه يمكن ان تتمين هوية نمط حياة الفرد»

وان G. W. Allport(١٩٦١) الذى كرس اغلب وقته للبحث في الشخصية يعرفها«الشخصية هى التنظيم الديناميكى[٢٠] داخل الفرد لتلك الانظمة النفسية التي تحدد توافقه المتفرد به الى البيئة».

والتعريف الذى قدمه البورت allport شامل جدا ويتضمن جميع جوانب شخصية الفرد. وان بعض التعريفات المستعملة تحتاج الى توضيح. فالشخصية الديناميكية تعني انها تخضع لتغير متواصل ولكنها تبقى منظمة. انها تشكل نوعين من الانظمة نفسى: (عقلى) وجسمى، وهذان النظامان يتفاعلان مع البيئة الداخلية والخارجية. وكلمة «تحديد» تضع التأكيد على ان النظام النفسي هو الذى ينشّط الكائن الحى للعمل. والتوافق الخاص بالفرد (الذى يتفرد به) لبيئته يعنى ان كل فرد يستخدم طرائق مختلفة من التوافق تنتهى الى توافق يتفرد به.

ويعرّف كلفورد J.P. Guilford (١٩٥٩) الشخصية بقوله «شخصية اى فرد، عندئذ، هى نمطه المتفرد به من الصفات ... والصفة اية طريقة متميزة ثابتة نسبيا يختلف بها الفرد عن الاخرين».

وهكذا، فاننا نرى ان الطرق المختلفة قد وضعت لتعريف الشخصية ولكن ليس هنالك اتفاق على تعريف واحد للشخصية. لذا فهنالك تباين في وجهات النظر ولكن على الرغم من ذلك فان جميع علماء النفس يتفقون على خصائص عامة اساسية معينة. ومن الحقائق الاساسية هى أن الشخصية متفردة اى عديمة النظير وحيدة في ذاتها UniQue فلايوجد شخصان (حتى التوائم المتماثلة) متماثلين فى شخصيتهما. والحقيقة الاساسية الثانية، التي تخص الشخصية هى انها نتاج تأديتهاعملهاالخاص بها . فما نعمله اليوم يعتمد على خبراتنا المتجمعة من الماضى. فالخبرات تتجمع يوما بعد يوم وتشكل شخصيتنا عن طريق تفاعل مستمر مع المحيط الخارج

نظريات الشخصية :-

لقد وضع علماء النفس نظريات الشخصية جميعها ، لذا سنعرض باسلوب الايجاز (وارجوا ان لايكون مخلا).

في التعريف للنظريات. والنظريات التي سيتناولها العرض هي:

١ - نظرية الطراز او النموذج the Type theory
٢ - نظرية السمة او الخاصة Trait theory
٣ - التحليل النفسى او الطريقة التركيبية
٤ - النظريات الظاهراتية phemomenological theories
٥ - نظرية التعلم للشخصية learninq theory of personlity
٦ - نظرية السلوك الاجتماعى social behaior theory

نظريات الطراز او النموذج

لقد كانت طبيعة الانسان منذ الازمنه القديمة ان يسمي او يصنف الاشياء الموجودة في بيئته والكائنات الانسانية، الى اصناف تدعى الطراز او النموذج Type. والنظام القديم لعلم النماذج هذا بقي مستمرا حتى في العصور الحديثة. وقد وضع علماء النفس نماذج شخصية مختلفة سنشرحها بعد قليل... وكان الاطباء الاغريق الاوائل في القرن الخامس قبل الميلاد قد صنفوا الناس الى اربعة اصناف واسعة على اساس الخصائص الانفعالية والمزاجية. واحد تلاميذ ارسطو وضع نظرية مفادها ان الجسم الانسانى يشتمل على اربعة سوائل. وشخصية اى فرد تتعين حسب سيادة احد تلك الاربعة في الجسم.
والنماذج الاربعة هي كما ياتي

الرقم	الخلط البدنى	المزاج	الخصائص
١	الدم	متفائل	نشط، مفعم بالامل
٢	الصفراء	حاد الطبع	سرعة التهيج،سرعة الغضب
٣	البلغم	تبلُّد الشعور	الهدوء، الكسل والركود
٤	السوداء	مكتئب	الحزن، التوانى والتشاؤم

وقد ذكرت محاولات عديدة في علم نماذج الشخصية لتبيان النماذج التكوينية والمزاجية والسلوكية من قبل فلاسفة وعلماء نفس في المؤلفات القديمة والحديثة. ومن غير الممكن ان نشرح كل تلك النماذج الشخصية هنا ولذا فسوف نتبع أسلوب العيِّنة

النموذج التكوينى:

لقد صنف ارنست كريشمر Ernest kretschmer طبيب الامراض العقلية الالمانى(١٩٢٦) الكائنات الانسانية على اساس التكوين الجسمى. وقد حاول ان يوجد علاقة بين خصائص الشخصية وبناء الجسم.

الرقم	النموذج	الخصائص
١	البدين pyknic	قصير ممتلئ الجسم، ممتلئ المصدر، شعبي
٢	النحيل ashenic (leptosomic)	ضعيف، طويل، حساس ونحيف
٣	النمط الرياضي athletic	قوى
٤	مشوه البنية dysplastic	نموذج مختلط السمات

النموذج الجسدى

لقد قسم الدكتور شلدن william h. sheldon الجراح الامريكى جميع الكائنات الانسانية الى ثلاثة اصناف واسعة من الابعاد الجسمية وخصائصها المزاجية المتماثلة: فقد اعتقد ان التركيب الطبيعي للجسم هو الذى يحدد خصائص الشخصية.

الرقم	الخصائص الجسمية	المزاج
١	النمط الحشوى (ناعم، مستدير)	اجتماعى، منبسط، يألف ويؤلف يحب الراحة الجسمية
٢	النمط العظمى (عضلى وقوى)	ذو حيوية ونشاط وروح رياضية ويحب المغامرات
٣	النمط الرخو (الطويل النحيف)	متخوف، يتذوق الفن. منطو على نفسه. مكبوت

علم الا نموذجات الشخصية عند سبرنجر: spranGer's type

لقد قسم الفيلسوف الالمانى E. spranger الكائنات الانسانية على اساس الرغبات الى الاصناف التالية:

١ ـ النظرى (غير عملى) theoretical هو الشخص النظرى في طبيعته ويتحاشى المشاركات في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٢ ـ الاقتصادي Economic: وهؤلاء هم الافراد المهتمون في جمع المال.
٣ ـ الجماليون او البديعيون aesthetic: وهؤلاء هم الاشخاص الذين يعشقون الجمال المشغولون بالإرضاء الحسي.
٤ ـ الاجتماعيون: وهم الاشخاص الذين يهتمون بالنشاطات الاجتماعية.
٥ ـ السياسي political: الراغبون في القوة وسياستها.
٦ ـ الديني ReleGious: وهم الاشخاص الذين كرسوا انفسهم للنشاطات الدينية والصوفية Mysticism.

علم نماذج يونك : JunǴs typology

حاول طبيب الامراض العقلية السويسري JunG ان يصنف الكائنات الانسانية الى بعدين سلوكيين: المنبسط(٢١) والمنطوي(٢٢).

وعلم نماذج الشخصية عنده معروف الى حد واسع وهو الاكثر نفوذا وتأثيرا بين العاملين المهنيين. والخصائص الرئيسة للنموذجين كمايلي:

١ ـ الانطوائي: وهو الشخص الذي يميل الى الانكفاء على نفسه بخاصة، حينما يفاجأ بصراعات انفعالية وضغط في بيئته والشخص الانطوائي خجول، ويتجنب الناس ويرتاح للوحدة. والعلماء والفلاسفة يمكن ان نطلق عليهم بأنهم من الانطوائيين

٢ ـ الانبساطي: وعلى عكس نموذج الانطواء هو نموذج الانبساط. وتوجه الشخص الانبساطي الى العالم الخارجي، ويعامل الناس بذكاء في المواقف الاجتماعية (٢٣) وهو يتمسك بقواعد السلوك المرعية وغير متهيب واجتماعي وودي وخال من المخاوف. والعاملون في المجال الاجتماعي والسياسيون ومدراء المؤسسات التجارية ورؤساء دوائرها الكبار يمكن ان يوضعوا في هذا الصنف. ان هذين الصنفين الواسعين صنفا الى حد كبير على اساس العمليات العقلية وغير العقلية .ان تصنيف junG للكائنات الانسانية ذو ثمانية اجزاء وليس ذا جزءين كما هو من المعروف الشائع. فالشخص استنادا الى JunG قد يكون انبساطيا في عمل مثلا، الوجدان، والشخص هو ذاته قد يكون انطوائيا في البديهة (الحدس) وجميع الاشخاص يمكن ان ينقسموا الى ثمانية نماذج تستند الى سيادة احد العوامل السابقة.

والكتاب المعاصرون قدموا (المتكافئ الشخصية) في الانبساط والانطواء (شخص يجمع في ذات نفسه خصائص كل من الانبساط والانطواء) يقع بين القطبين المتطرفين من الانبساط والانطواء. فتكافؤ الشخصية (انطواء ـ انبساط) يشير الى اولئك الاشخاص الذين يمكن ان يصنفوا بحيث لايكونون مع الانبساطيين ولامع الانطوائيين (ambivert)(متكافئ الشخصية)

علم نماذج الشخصية عند فرويد : freuds typology

ان فرويد على اساس نظرية التطور[٢٤] النفسي الجنسي، شخّص ثلاثة نماذج من الشخصية. والانموذج يعتمد على تركيز الطاقة الجنسية في مرحلة معينة من التطور الجنسى. والنماذج الثلاثة كما يأتي:

١ ـ نموذج الشهوة عن طريق الفم: استنادا الى فرويد، ان الجنس في مرحلة الطفولة المبكرة[٢٥] يتخذ موضعه بالفم. والشخصية من أنموذج الشهوة عن طريق الفم تظهر درجة كبيرة من الابتهاج مرتبطة بالنشاط الفمى.

فالمص والعض او وضع اى شئ في الفم يرضى الجنس في مرحلة الطفولة المبكرة. والتركيز على المرحلة الفمية تنتهى الى نموذجين من الشخصية في الحياة التالية

(أ) النموذج الفمى السلبي: والشخص من هذا النموذج يعتمد على غيره ومتفائل وغير ناضج في تفكيره ونشاطاته فهو كالطفل. ويترقب العون من الاشخاص الاخرين

(ب) ـ النموذج الفمى السادى[٢٦]: وهذا النوع متشائم، نزاع الى الشك والارتياب وعدائى في تصرفه. وغالبا ما يكون قاسياً في تعامله مع الاخرين.

(٢) النموذج الشرجي: والمرحلة الثانية من التطور الجنسي هي شرجية، حينما يحصل الطفل على الرضى او الاشباع عن طريق نشاطات الشرج. وهذه النشاطات بصورة عامة تتعلق باخراج المواد البرازية من خلال الشرج او الاحتفاظ بتلك المواد استجابة للمطالب الاجتماعية في التدريب على استعمال المرحاض. وبعض سمات يكوّن الشخصية تعزى الى تركيز[٢٧] الطاقة الجنسية في هذه المرحلة. وتلك السمات تتضمن العناد والبخل والمحافظة على النظام وماشاكل ذلك في الحياة التالية:

٣ ـ المرحلة القضيبية: والمرحلة الثالثة للتطور النفسى الجنسى تتعلق بالقضيب (عضو الذكورة). وهذا النموذج من الشخص يظهر حب الذات وكشف العورة[٢٨] وهو يحاول ان يجذب انتباه الاخرين. ان تلك الخصائص توجد في فترة المراهقة المبكرة.

تقويم طريقة النموذج او الطراز

ان تصنيف الكائنات الانسانية الى نماذج انتقدت بصورة عامة من علماء النفس على اساس ان علوم نماذج الشخصية تميل الى ان تضع التأكيد على جانب او اخر من التطور. فهم يتعاملون مع الجوانب المتطرفة اكثر من تعاملهم مع التوسط والاعتدال في الطبيعة الانسانية. وانه لمن الصعب جدا ان نضع الافراد بمراتب تحت احد النماذج كما عرضها علماء نماذج الشخصية. كما ان نموذجين او ثلاثة نماذج غير ملائمة تماما لتصنيف الكائنات الانسانية. وانه لافراط في التبسيط يؤدى الى حد التشوية او الخطأ او سوء

الفهم للشخصية بالزام انواع مختلفة كثيرا من السلوك في مراتب قليلة محدودة. والانتقاد الثانى لعلم نماذج الشخصية هو ان النماذج غير متواصلة وليست قابلة للقياس. وهنالك عدد كبير من نظريات النماذج من الصعوبة جدا ان تطبق عمليا

والنقد لايعنى ان علم نماذج الشخصية خال من الفائدة، فعلم نماذج الشخصية له قيمة تاريخية اذ انه كان المحاولة الاولى لتجسيد الخصائص الاساسية للناس والذى ادى الى عدد كبير من البحوث.

والاسهام المهم الثانى لعلم نماذج الشخصية هو انه يحاول ان يقوّم الشخصية وحدة متكاملة فهو لايدرس الشخصية، بصورة اجزاء من السمات. وطريقة النوذج نافعة جدا لعلماء النفس الذين يحاولون ان يفهموا شخصية الفرد باعتبارها وحدة متكاملة.

والميزة الثالثة لعلم نفس النماذج هو ان النماذج نافعة وذات قيمة، من وجهة نظر التجارب في العلوم الطبيعية حيث الانتباه الى عملية معينة يتطلب شكلا نقيا نسبيا غير مشوب بالعوامل العارضة والمربكة .

وفي النهاية نستطيع ان نقول انها تخدم وظيفة واحدة مهمة جدا باعتبارها نقاطا يرجع اليها او توجه لفحص ابعاد الشخصية من قبل علماء نفس مختلفين.

٢ ـ نظرية السمة(٢٩) trait theory

ان طريقة نماذج الشخصية وطريقة السمة trait على علاقة متبادلة الواحدة مع الاخرى حيث ان علم نماذج الشخصية يتضمن مجموعة واسعة من السمات في تصنيف الكائنات الانسانية في نماذج رحبة بينما نحن في طريقة السمات نصنف اوننظر الى الشخص حسب منوال معين من السلوك، ذلك المنوال الذى يظهره في ظروف متنوعة جدا.

وفي علم النفس الحديث، لاتستعمل طريقة النوذج بصورة واسعة كما هو الحال في طريقة السمة لفهم تطور الشخصية. وفي حياتنا اليومية نحن نصنف السمات عند اصدقائنا او الاشخاص الاخرين مثل، الخلق الفاضل والعداء وشدة الخوف والاعتماد على الغير والكسل والكآبه... الخ. وفي ابسط المعانى نحن نعني منوالا من السلوك يبدو في مواقف متعددة من الحياة بصورة متواصلة. انه أيّ اسلوب يمكن تمييزه ثابتا نسبيا، والذى يختلف فيه أى فرد عن الاخر. ويمكن ان تعرف السمة بانها خصيصة مميزة في الفرد تشير الى فرديته من حيث انها ردود فعل ثابتة نسبيا الى البيئة.

وتعريف ولترميشيل walter michel في كتابه «مقدمة في الشخصية»:
السمة هي البعد المتواصل الذى يمكن ان تنتظم بموجبه الفروق الفردية بصورة كمية من حيث مقدار الخصائص التي يمتلكها الفرد

والان نوضح عملية(٣١) تطور السمة .

السمة في الحياة اليومية، تستعمل تماما كوصف، مثل حاتم يسلك بطريقة سخية في مواقف متعددة، ومن ثم فهذا الوصف هو تعميم من سلوكه الى هذا الشخص المسمى حاتما ، فنحن نقول ان حاتما سخي، فالسخاء اصبح سمة شخصية، المنوال الذى اصبح خصيصة لسلوكه.

تطور الصداقة

المنبهات	السمة	الاستجابات
١ ـ لقاء الاصدقاء		١ ـ المساعدة
٢ ـ لقاء الغرباء	الصداقة	٢ ـ الاستئناس
٣ ـ التعامل مع الاطفال الفقراء العاجزين		٣ ـ الرعاية والاهتمام

بعض خصائص السمات

١ ـ قدرتها على ان تقاس: فالسمات يمكن قياسها وتقاس من حيث الكية.

٢ ـ يستدل عليها من السلوك: سمات الشخصية لايمكن ملاحظتها بصورة مباشرة ولكنها تنكشف في عدد من النشاطات والتعابير الشفوية. فنحن نستدل على السمة من سلوك الفرد.

٣ ـ المرونه: السمات ليست متحجرة في طبيعتها. انها مرنة في الطفولة، وتصبح ثابتة مع نضج(٣٢) . الفرد في تقدمه في السن ولكن دائما يبقى هنالك بعض المتغيرية(٣٣)

٤ ـ العمومية او الشمولية: Universality:

هنالك سمات عامة عند النضج مثل الطول والوزن .

٥ ـ الانسجام الوظيفي: فالسمة يجب ان يكون لها فائدة وظيفية، وهذا يعنى يجب ان تكون هنالك دلالات مختلفة يمكن ان تتفاوت او انها تظهر باستمرار في سلوك الفرد.

٦ ـ السمات هي طراز على مستوى عال من العادات الشخصية(٣٤) Habits ويعتقد كاثري Guthrie (١٩٤٤) ان السمة طراز عال من العادات الشخصية التي تتكرر في السلوك في الغالب.

٧ ـ السمات انظمة عقلية: يعرف بعض العلماء السمة على انها نظام عقلي. إنها استعداد للاستجابة لاى موقف من المواقف المختلفة بطريقة ثابتة.

٨ ـالسمات هي اطـار للعلاقـات : فشخصيـة الفرد كلٌ متكامـل منظم من العقـائـد والانفعـالات وغيرهـا نحـو البيئـة. وفي هـذه العلاقـة فـان السمات هي الاطـار المنظم للعلاقات.

٩ ـالسمات مكتسبـة: السمات تكتسب من التفـاعل مـع المنبهـات البيئيـة. انهـا تحددٌ من الناحيـة البـايولوجيـة على انهـا عصـابيـة ومن السمات الاخرى التي تعتمـد على النزعـة والامكانات الفكرية للفرد.

تصنيف البورت جوردن.والبورت g. w. allport

ان البـورت allportمن علمـاء النفس المبرزين في السمـة. وتصـوره وبحثـه عن طريق السمة في الشخصية كان ذا تأثير كبير في علماء النفس وقـد عرف السمة بـانهـا نظـام عصبيـنفسي معمم(٣٥) ومتمركـز مـع القـابليـة على الرد على كثير من المنبهـات وظيفيا بشكل متساوٍ، وأن يصدر ويوجه اشكـالا وان يتابع ويوجه اشكالا ثابتـة من السلوك التكيُفي المعبر.

ان التعريف الذى قدمه g. w. allport تعريف شـامل. وهو يؤكـد ان السمات غير مرتبطة مع عدد قليل من المنبهات ولكنهـا عـامـة وثـابتـة في طبيعتهـا . وقـد صنف جميع السمات الانسانية في مراتب ثلاث واسعة كما يأتي:

١ ـالسمة الاساسيـة: ان السمات التي تظهر في اغلب سلوك الكائن الحي تـدعى الاسـاسيـة والرئيسـة. ويمكن ان توضح بمثـال «الانجـاز(٣٦) او التحصيل» في الحيـاة. ومن النـاس من يكرس نفسه للانجاز بحيث ان هذه الصفة تستغرق جميع حياته.

٢ـ السمة المركزية: ان السمات المركزية اقل استغراقا للحياة من السمات الاساسية ولكنهـا ميل معمم تماماً.

٣ـ النزعة او الميل الثانوي : ان هذا الميل او الاستعداد الثانوي انمـا هو سمات خـاصـة في نطاق ضيق وتدعى الاتجاهات.

واستناداً الى البورت Allport تختلف السمات في قوتها واهميتها بين الناس بصورة عـامـة من فرد لفرد . ولا يوجـد شخصـان متشـابهـان في سلوكهما . وكل واحـد يعمل حسب طريقته في البيئة. قال تعالى « قل كلٌ يعمل على شاكلته ». وكل فرد انمـا هو فذ (متفرد) في توافقه.

تصنيف كاتل R. B. Cattell

ان ريموند كاتل Raymond Cattell هو احد المتحمسين الذين عرضوا لنظرية السمة في الشخصية والعنصر الاساسي عنده هو السمة . وقد عرفها بقوله ان السمة هي تركيب الشخصية يستدل عليه من السلوك في مواقف مختلفة . وقد صنف السمات الى اربع مراتب:

١ـ السمات العامة : هنالك سمات معينة توجد بوفرة متوزعة في عامة الناس اوبين الناس او بين الجماعات ، تدعى السمات العامة . فاللطف والعداء والتعاون يمكن ان ندعوها سمات عامة.

٢ـ السمات الفذة (المتفردة): ان تلك السمات يمتلكها بعض أشخاص مثل سمات المزاج والردود الانفعالية والطاقة وماشاكل ذلك.

٣ـ السمات الخارجية: وهي السمات التي يمكن تمييزها بسهولة بالمظهر الخارجي للسلوك وتدعى السمات السطحية مثل حب الاستطلاع والنزاهة والاستقامة واللباقة والاتكالية.

٤ـ السمات الاولية: وهذه السمات تتضمن التراكيب او المصادر التي تحدد سلوك الفرد . ويستدل عليها من السلوك . فالتسلط والانفعالية من السمات الاولية التي تعتبر مصدراً. وان كاتل من خلال طريقة تحليل العامل حدد مساهمة عوامل الوراثة والتعلم في نشوء السمات في الفرد . وقد أكد على اهمية التفاعل بين تأثيرات الوراثة والبيئة في نشوء الشخصية.

تصنيف ج آيزنك H. J. Eysneck

هذا العالم النفسي البريطاني كرّس الكثير من دراسات بحوثه لتحري واستكشاف ابعاد الشخصية. وقد اجرى بحوثا على بعد السمة عن طريق تقنية مقدارية (كمية) من تحليل العامل

لقد اجرى بحثا على عشرة الاف جندى وعن طريق التحليل الاحصائي فصل بعدين في الشخصية : (أ) الانطواء او الانبساط (ب) ـ العصابية.

وفيما بعد ، فصل بعد شخصية آخر وهو الذهانية [٣٧]، واستنادا الى إيزنك Eysneck : الذهانية هي بعد مستقل من الشخصية. وهي تختلف تماماً عن بعد الانبساط والانطواء ، لقد وجد Eysneck ثلاثة ابعاد اساسية وهي :

١ـ الانطواء وعكسه الانبساط
٢ـ السوية Normality (الاسوياء) وعكسهم العصابيون.
٣ـ الذهانية Psychoticism

البعدان المذكوران في الفقرة الاولى يمكن أن يؤخذا كجزء للشخصية السوية وعلاقتهما يمكن ان تظهر كمايلي:ـ

الحالة السوية
الانطواء ⟵|⟶ الانبساط
الحالة العصابية

وقد قام آيزنك Eysneck بجرد الشخصية ليختبر سمات الشخصية وقد انتجت معطياته نشاط بحث من قبل علماء نفس كثيرين . واسهامه القيم جداً انه حاول أن يثبت أن الشخصية نتيجة اسباب وراثيه. فقد عزا الحالة العصابية الى الجهاز العصبي اللاارادي وعزا الانطواء والانبساط الى الجهاز العصبي المركزي. فقد اكد على اهمية الوراثة في تكوين سمات الشخصية على عكس مفهومة علماء النفس الامريكيين الذين يتحيزون الى جانب البيئة.

تصنيف السمات الاساسية
حسب البحث الذي اجراه نورمان Norman في سنة ١٩٣٦

بعد السمة	الوصف	مايقابله
١ـ الانبساط	مهذار	قليل الكلام
	الصراحة	كتوم
	القابلية الاجتماعية	نفور
٢ـ القدرة على الانسجام	حسن المزاج	سريع التهيج
	غير حذر	حذر
	اللطف	عنود
	متعاون	سلبي

بعد السمة	الوصف	مايقابله
٣ـ الضمير الحي	دقيق وشديد العناية بالتفاصيل	مهمل
	يشعر بالمسؤولية	لايمكن الاعتماد عليه
٤ـ الرزانة الانفعالية	الاتزان	عصبي
	الهدوء	قلق
	غير وسواس	وسواس
هـ الثقافة	الحساسية الفنية	غير حساس
	استعمال الفكر	غبي
	مهذب	ساذج
	بارع في الخيال	مغفل

الملامح العامة لنظريات السمة:

مع ان واضعي نظريات السمات لم يتفقوا فيما يتعلق بالمحتوى الخاص والتركيب للسمات التي يحتاج اليها لوصف الشخصية الا أن هنالك اتفاقا على مفهومات عامة عن السمات.

١ـ ثبات السمات: جميع واضعي النظريات يتفقون على أن السمات ثابتة ومتماسكة في سلوك الفرد. انها ليست قضايا وقتية ولكنها خصائص ثابتة في الفرد.

٢ـ أبعاد السمة: هنالك اتفاق فيما يتعلق بالأبعاد المختلفة للسمات مثل السمات الاولية والسمات الخارجية الظاهرية والسمات العامة والفذة الفريدة والسمات الواسعة والمحدودة والسمات تختلف من حيث اتساعها وشموليتها.

٣ـ السمات استعدادات وميول:

السمات تتقلب او تتغير في وضع الشخص حسب استعداد او ميل. وكل عالم نفس يتجه للبحث عن سمة واسعة ثابته.

٢ ـانها طريقة واسعة لفهم الشخصية الانسانيـة: انهـا لاتقسم الشخصيـة الى سمات خـاصـة معينة: وانها تضع الاهمية الكبرى الى قيام الفرد بوظائفه باعتباره كُلاً متكاملا

٣ ـانها تقدم حرية اكثر للفرد للاستجابة في شكل التداعي الحر(٥١).

٤ ـ النظرية تقر باهمية الدوافع اللاشعورية في تكوين نماذج السلوك.

فقد بحثت واكتشفت ظاهرات تحتية اساسية للشخصية عبر مشاهدات واسعة للمرضى.

٥ ـوفي التعليق على اسهـام نظريـة التحليل النفسي في الشخصيـة اشـار (Inkeles)بقـولـه« الكثير، وربما الاغلب، من نظرياتنا عن الشخصية لايتعامل مع الشخصية باعتبـارهـا كُلاً متكاملا، وانما مع بعض الجوانب أو العمليات التي تختارهـا. ولكن نظريـة فرويـد احتفظت بالشخصية كلها مرأى كُلٍّ متكامل ـ وقد قدم فرويد هذه النظريـة العـامـة ليس من باب ربـط العنـاصر الموجودة ولكن الى حـد كبير بسبب تبصرات Insiqhts خلاقة جديدة. ولهـذا السبب فـان نظريتـه ذات سعـة وانسجـام وترابـط منطقي مما جعلها ليست بذات نظير في علم النفس

٦ ـونظريته في وجهاتها السببية والتأكيد على خبرات الطفولة المبكرة كعوامل مهمـة قـد ارتضاها السلوكيون باعتبارها اسهاما مهما في علم النفس.

المآخذ عليها: هنالك علماء نفس لايوافقون على المفاهيم الاساسية وعلى المنهج المستعمل من قبل فرويد. وكثير من الباحثين العلميين قد اجروا دراسات على طريقـة التحليل النفسي في الشخصيـة واشـاروا الى ضعف النظريـة في دراسـاتهم. ونستطيع أن نلخص نقاط الضعف التي أشاروا اليها فيمايلي:

١ـ لقـد انتقـد بعض علمـاء النفس النظريـة على اسـاس التـدابير المنهجيـة فوقـائـع data التحليـل النفسي تتـألف من تقـارير المرضى دون اي تحقـق او تثبت من أي مصـدر اخر. وليس هناك اجراء نظامي اتبعـه في جمع الوقـائع data وتسجيلهـا. ولم يُثبت او يؤيد فرضياته بالمقابلة مع أي معيار.

٢ـ ان طريقة التحليل باعادة تاريخ المريض على اساس مايقوله المريض انما هي مصـدر للمعلومات لايمكن الاعتماد عليه او ان نثق به في الدراسـة العمليـة للسلوك. فـالتحليل النفسي هو شرح للسلوك. انه ليس تعليلا للسلوك.

٣ـ لقد وضع تأكيداً كبيراً على الجنس Sex كتعليل لسلوك الانسان ، وهذا ماتنصل منـه علماء النفس.

٤ـ لقد استعمل فرويد عددا من المفاهيم في نظريته التي لم تحدَّد بوضوح. انهـا مبهمـة في معـانيهـا . ولغـة النظريـة غير واضحـة بحيث ان البـاحثين قلمـا اتفقـوا على معـاني

(مصطلح) ، وعلى سبيل المثال لقد استعمل فرويد كلمتي الكبت[٥٢] repression واللبيدو (الطاقة الحيوية) Libido لمفاهيم مختلفة وفي فترات مختلفة.

٥ـ هنالك نقص من حيث القياس الكمي والتحليل الاحصائي للوقائع data. انه لم يحدد مقدار نتائج بحثه (معطياته) Findings انها من حيث الدقة نظرية وصفية . ولم يُقم التثمينات الكمية للعلاقات بين المفاهيم المختلفة. فالنظرية مربكة ومن الصعب اختبارها

٦ـ واحدى نقاط الضعف المهمة والرئيسة في النظرية هي النقص في قدرتها على التنبؤ. .فالنظرية لاتزوّد باي تدبير نظامي للتنؤ عن سلوك الفرد تحت ظروف مختلفة. فالنظرية لم تكن تثبت او تقيم الدليل حسب التدابير العلمية الجديرة بالاحترام في بحث السلوك الانساني. فالحقق الموضوعي من الوقائع DATA مستحيل من الناحية العملية وادعاء فرويد بانه يدرس الظاهرات الذاتية بطرق موضوعية يبدو أن يكون لا أساس له .

٧ـ تعطي النظرية الأهمية للتنظيم الداخلي للسلوك وللخبرات السابقة في تطور الشخصية. إنها تقلل من اهمية الخبرات الحاضرة والبيئة الاجتماعية التي على الفرد أن يتوافق لها . ان نظرية فرويد تستند على مفهومه الغرائز التي أطُرحت الان.

٨ـ لقد كتب مكدوكل Mc-Dougall أن النظرية ذات الحتمية الصارمة التي وضعها فرويد لاتدع مجالا للابداعية والارادة لجانب الكائنات الانسانية. ان النظرية قد دُرست قبل جيل من قبل رجال علم وفلاسفة بثقة عقائدية في العصر الحاضر لم يعد لها رصيد حسب اسس البحوث العلمية الحديثة.

نـقــد نظـريــة السمــات

لقـد نقـدت نظريـة سمات الشخصيـة من قبل علمـاء النفس في السنـوات الاخيرة. والنقاط الرئيسة في النقد هي كما يلي:

١ـ عدم وجود اتفاق بين علماء النفس فيما يتعلق باستعمال الاصطلاح.

٢ـ هنالك وجهة تقول بان السمـة هي استعـداد او ميل سلوكي ثـابت ولايتغير من موقف الى موقف. وفي المشاهدات اليومية نحن نجد انه اذا كان الشخص يتصف بـالمودة كسمـة فيـه ، فـانـه لايسلــك بـاسلـوب ودي في جميـع مـواقف حيـاتـه. فـالسمـة ليست دائمة وخصيصة ثابتة في الفرد لان الشخصية تخضع لتغير مستمر.

٣ـ والصورة الاخرى هي قياس او تحديد مقـدار السمات الانسانيـة . اذ ليست هنـالـك اشارة للصفر ومساواة وحدات في قياس السمة. اذ ليست هنالك اداة منـاسبـة لقيـاس ابعاد السمة. وبصورة عامة، ان السمات تقـاس بمسـاعـدة اختبـارات الورقـة والقلم التي يمكن ان يكتبهـا بيـده الشخص الـذي يخضع للقيـاس عن طريـق اعطـاء معلـومـات زائفة.

٤ـ واثر الهالة (٣٨) (خطأ الهالة) (halo Effect) يؤدي دوره حينما يقدّر شخص مـا احـدا بمستوى عال في سمة معينة . وقد يكون تقـديره للشخص ذاته في سمات اخرى بنفس المستوى.

٥ـ وسلوك الفرد لايمكن التنبؤ عنه على اساس احراز نقاط في جرد الشخصية . فـالسمات هي مجرد نقطـة للـدلائل او للرجـوع اليهـا . واختبـار السمات الشخصيـة لشخص مـا يمكننا لمجرد وضع عبارات محتملة عما يمكن ان يفعله الشخص .

٦ ـ والنقد الاخير الموجه لنظرية السمة هو فيما اذا نظر الى السمـة كعمليـة داخليـة Inner تسبب الفروق الفرديـة بين اعضـاء الجمـاعـة او انهـا الموقف الـذي يجتـذب الى العمل ميولا (٣٩) تنظيمية معينة تكون السبب في صياغة السلوك .

نظرية التحليل النفسي للشخصية

والان ندرس نظريات الشخصية التي تضع اهمية على ديناميكيات (٤٠) السلوك الاجتاعي وسنصف اولا وجهات المحللين النفسيين الكلاسيكيين ومن ثم وجهات نظر الفرويديين الجدد الذين انحرفوا ولكن يدّعون بانهم محللون نفسيون .

المفاهيم الاساسية

الغريزة : لقد كان فرويد اول عالم نفس وضع اهمية عظيمة على الغريزة باعتبارها المحدد للسلوك الانساني . وقد عرض غريزتين :

(أ) الحب Eros [41] وحفظ الذات . (ب) غريزة الموت Thanatos[42] باعتبارهما السبب الاقصى لجميع النشاطات الانسانية

التركيب النفسي : الطاقة النفسية بالنسبة الى فرويد تأتي من «اللبيدو»[43] وهو يدل على الطاقة الجنسية . وحينما عدّل فرويد نظريته التي تتضمن مجموعتين من الغرائز ، حدد اللبيدو بأنه طاقة جميع غرائز الحياة . واللبيدو الجنسي كان ينظر اليه كبعث لقوى الحوافز الاولية للشخصية . وان ديناميكيات الشخصية بدت بأن نهيمن عليها الى حد كبير لحاجة الامتاع او اشباع اللبيدو .

الهذا (الهو) ID[44] وهو الجهاز الانعكاسي الفطري . ووظيفته الرئيسة تصريف الطاقة النفسية التي حينما تكبت تحدث توترا يتخلل جهاز الشخصية . وال(هو) يؤدي عمله على المستوى الحيواني ولا يستطيع التفريق بين الصالح والرديء ويعمل حسب عامل اللذة .

العملية الاولية : تفسر العملية الاولية سلوك ال (هو ID) كنتيجة من التوترات[45] المكبوته التي وصفها فرويد بأنها إحباط . وتحاول العملية الاولية ان تحرر التوترات بجذبها الى الذكريات الشعورية مرتبطة بمصدر الاحباط (الخيبة) .

الانا (الذات) Ego

ان ال(هو ID) يعرف الواقعية الذاتية للعقل فقط . والمفهومة الثابتة لفرويد هي الانا (الذات Ego) التي تميز بين الواقعية الذاتية والاشياء في البيئة الخارجية ، انها تؤدي عملها حسب مبدأ الواقع[46] . ويدعى الانا (الذات Ego) بأنه التنفيذي للشخصية . انه يذعن لمبدأ الواقع ويقوم بعمله عن طريق وسائل ذات عملية ثانوية . ويُعنى مبدأ اللذة[47] فقط بالخبرة ان كانت مؤلمة او سارة . ومبدأ الواقع يعنى فيما لو كانت حقيقية او زائفة . ويشكل (الانا) خطة لارضاء الحاجة وينفذها آخذ بنظر الاعتبار مبدأ الواقع. وهو غالبا يُوحّد او يكامل متطلبات صراع الـ (هو ID) والانا الاعلى Super Ego والعالم

خارجي. والانا) جزء الـ (هو) المنظم الـذي عُدّل بـالاتصـال بـالـواقـع الخـارجي وبالخبرة ويظهر للوجود ليعزز اهداف الـ (هو ID).
حيث يضع الحل الموفق الصالح بين دوافع الـ (هو ID) الغريزيـة وبين قوى البيئـة الخارجية . وقد اشار فرويد الى وظيفـة الانا بقولـه «الانـا المسكين ... عليـه ان يخـدم ثلاثة اسياد عنيفين، وعليه ان يسعى جهده للتوفيق بين جميع مطالب الثلاثة).

الانا الاعلى Super Ego:

والمفهومة الثالثـة هي الانـا الاعلى . وهو القوة التي تضفى تـأثيرات الوالـدين ومُثل المجتمع على الفرد خلال خبرات الطفولـة المبكرة. وهي تصور المُثل اكثر مما تمثل الـواقـع والنضال لاجل الكمال . انه يؤدي عمله استنادا الى المستويات الاخلاقية التي تفرضها قوى المجتمع.
والان نوضح هذا بمثال : افرض ان هنالـك دميـة جميلـة في الغرفـة والطفل يراهـا ويركض اليها، فهذا مستوى الـ (هو ID) والمرحلة الثانية ان الوالدين يحذّران الطفل بـان لايمس الـدميـة، فـالطفـل ينظر الى الـدميـة ولكن لايمسهـا خـوفـا من العقـاب بحضـور الوالدين . والمرحلـة الثـالثـة من التطور هي حينمـا تكون الـدميـة في الغرفـة ولايوجـد هنالك الابوان او احـدهمـا ولكن الطفل لايمس اللعبـة . انـه هو في الانـا الاعلى (Super Ego) فالانا الاعلى يتضمن تذويت الهينة الوالدية في الطفل في شكل الضبط الذاتي[٤٨]
اننـا نستطيع ان نقول ان الـ (هو ID) بيولـوجي وينشـد اللـذة والمسرة، وأن الانـا (Ego) هـو نفسي ويختبر الـواقـع . وان الانـا الاعلى (Super Ego) هـو الـذات الاجتماعي Social Self وينشد الكمال.
ان تطور الانا الاعلى تدريجي عن طريق الثواب [٤٩] والعقـاب قـدر مـاتقـدم الى الطفل من الوالدين في تدريبه في الطفولة المبكرة. فالعقاب والثواب الابويـان يتخـذان مكان الضبط الذاتي . والفرد وإذا ما اتخذ سبيل تطور الان الأعلى الوجهة الحسنـة يحجم عـن الاغـراءات الرديئة والخبيثة مثل السرقة والكذب ومـاشكل ذلـك ، حتى في غياب القوة المعاقبة. وان عملية اتخاذ مستويات العائلة والمجتمع الخلقية والادبيـة تـدعى عملية التشرب الفكرى او الامتصـاص. [٥٠] وهي تمثيل الانـا او الانـا الاعلى اي موضوع واي شخص.

ديناميكيات الشخصية: بالنسبة لفرويد، ان الكائن الحي الانساني جهاز طاقة معقد يستمد طاقته من الطعام الذي يتناوله. وتتكون الطاقة من طريق عوامل بيولوجية يمكن أن تتحول الى طاقة نفسية. والاقسام الثلاثة للتركيب النفسي، الهو (ID) والانا Ego والانا الاعلى super Ego في صراع دائم. وديناميكيات الشخصية تتضمن تفاعلات مستمرة وتصادما بين دوافع الهو (ID) التي تنشد التحرر والانطلاق وبين المنع المفروض عليها من قبل الانا الاعلى. والفرد يبحث عن ارضاء مباشر للاندفاعات ينشد اللذة ويتجنب الالم لاجل ان يخفف التوتر. والسعي لتأمين المتطلبات الفريزية تطمينا مباشرا يرجع الى التصادم المبكر بين الفرد والبيئة. فالصراعات التي تنشأ حينما يفرض الوالدان او اعضاء اخرون قيودا او سيطرة على التعبير، وهنالك صراع دائم بين ضغط البيئة وبين متطلبات الهو (ID) والانا الاعلى. والانا Ego لاجل ان يتوافق مع البيئة الاجتماعية يستفيد من عدد من الميكانيكيات العقلية mental mechanism لغرض التوافق لمطالب الهو (ID) والانا الاعلى لتخفيف التوترات عند الفرد.

تطور الشخصية: لقد نظم فرويد نظريته في الشخصية حسب مراحل جنسية نفسية التطور. ولذة الجسم او المناطق الحساسة جنسيا Erogenous تنتقل من جزء من الجسم الى جزء اخر كلما تقدم الطفل في العمر مثل الفم والشرج واعضاء التناسل. وهنالك اربعة مراحل متميزة من التطور الجنسي النفسي. المرحلة الفمية (oral) والمرحلة الشرجية والمرحلة القضيبية والمرحلة التناسلية ويسميها البعض مرحلة العورة genital stage حيث يتحرك الطفل خلالها. وبالنسبة لفرويد فان خبرات الفرد في كل مرحلة تترك انطباعات متميزة وبصمات تؤثر في تطور شخصيته في المستقبل. وخبرات الجنس الخاصة في اية مرحلة سواء في صورة الانغماس الذاتي في اطلاق المرء العنان لاهوائه ورغباته وشهوته او في صورة الحرمان يمكن ان يسبب تجمدا يعني ايقاف الاندفاع الجنسي في اية مرحلة مبكرة من مراحل التطور الجنسي النفسي.

تقويم نظرية التحليل النفسي: ان نظرية فرويد في الشخصية احدثت ثورة وتغييراً

تقويم نظرية التحليل النفسي : ان نظرية فرويد في الشخصية احدثت ثورة وتغيراً

اساسيا في التنظير والتطبيق في علم النفس واسهمت كثيرا في فهم ميكانيكيات الشخصية وقد اثرت بصورة واسعة في جميع العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بطرائقها الى السلوك الانساني. وقد اجريت بحوث عديدة لاختبار نظرية التحليل النفسي. وفيما يلي نتطرق قليلا الى مواطن القوة ونقاط الضعف في هذه النظرية:

١ - المزايا الحسنة: انها نظرية شاملة للسلوك الانساني الذي يشتمل على جميع جوانب الشخصية وتعقيداتها.

علم النفس التحليلي ليونك: (Jung)

لقد كان Jung (١٨٧٥ ـ ١٩٦١) صديقا حميما لفرويد حتى سنة ١٩١٢م . وقد كان عضوا مرموقا حيث جعل رئيس رابطة التحليل النفسي العالمية في سنة ١٩١٠ م. وبعد سنة ١٩١٢ بدأت العلاقة الشخصية بين فرويد ويونك تفتر. واخيرا انفصل كل واحد منهما عن الاخر. وانه لمن الصعب ان نخمّن اسباب الانفصال في علاقتهما مع بعضهما ، ولعل من أحد الاسباب الرئيسة المحتملة لهذا الاحتمال هو التأكيد الكبير الذي وضعه فرويد على الجنس Sex باعتباره القوة الدافعة الرئيسة في الحياة.لقد رفض يونك Jung «اللبيدو» باعتباره القوة الوحيدة في الحياة وقد وضع نظامه الخاص به في علم النفس الذي يدعى «علم النفس التحليلي» والعوامل الرئيسة لنظريته هي كمايلي:

١ـ اللاشعور: لقد قبل يونك Jung وجهة نظر فرويد بان العقل الواعي جزء من النفس الانسانية . وهو يشتمل على جميع المشاعر Feelings[٥٣] الواعية والافكار Thoughts والذكريات .... الخ. وقد اعتقد كذلك في العقل اللاواعي ولكنه قسمه الى فئتين:

أـ اللاشعور الشخصي: وهو يشتمل على خبرات الفرد المكبوته والمقصاة[٥٤] (المقموعة) التي هي سهلة الوصول الى الشعور. والشعور اللاشخصي منفرد جداً بطبيعته اي في نهجه نهجاً مستقلا الى حد بارز . وتنوع الخبرات التي عند الافراد في بيئتهم هو الذي يشكل اللاشعور الشخصي.

ب ـ العقل الباطن الجماعي[٥٥]: ان المفهومة ذات الاهمية الكبرى والخلافية التي تثير الجدل في علم النفس التحليلي ليونك هي مفهومة العقل الباطن الجماعي. انه بدائي Primitive في طبيعته ويتكون من المادة التي لم تكن قط شعورية، فكل فرد قد وهب العقل الباطن الجماعي الذي هو مستودع يشتمل على التاريخ العرقي Racial للانسان، وماقبل الانسان وسلسلة النسب الحيواني في شكل انماط عصبية موروثة. فهو يعتقد ان الناس جميعاً لهم عقل باطن جماعي متشابه وذلك لتشابههم في التركيب الفطري والخبرات العرقية. فهو غير شخصي حيث انه عام شامل وقديم.

وهو يشتمل على كل ماهو صالح ورديء، ورفيع ونبيل ودنيء . واستنادا الى يونك Jung ان العقل الباطن الجماعي هو المستودع والذخيرة الذي تنشأ منه جميع الاجهزة الاخرى.

النموذج الاول (الاصلي)[٥٦]: ان العقل الباطن الجماعي متكون من فكرات (Thoughts) عامة (اشكال افكار Thoughts) يدعى النموذج الاول أو المثال الاصلي. وعلى

سبيل المثال، ان النموذج الاول الذي دعوناه المثال الاصلي للأم هو فكرة عامة موروثة من جيل لجيل والطفل منذ ميلاده يرث مفهومة الأم مسبقا ومفهومة الأم هذه تتحور حسب الخبرات التي يكتسبها الطفل مع امه.

٣ـ الـ Persona

تعني هذه الكلمة القناع الذي نلبسه لمواجهة الادوار الاجتماعية والاعراف والتقاليد في المجتمع دون الالتفات الى شخصياتنا الحقيقية . فالقناع اوما يسمى Persona يمثل الادوار التي حددها المجتمع لفرد ما. والاصطلاح من اللاتينية وهو كما يبدو من استعماله ان يونك استخدمه للشخصية الزائفة. يتخذها الفرد قناعاً لاخفاء حقيقته.

٤ـ ألـ Anima وألـ Animus

المقصود بكلمة anima في علم النفس التحليلي عند يونك Jung هو التصور الانثوي او الكمال الانثوي الموجود في اللاشعور ، عند المرأة . والكلمة وضعها Jung لتكون مصطلحا للوجود الداخلي او الشخصية في مغايرتها لصفات الشخصية الخارجية الظاهرة او الشخصية الزائفة Persona .

كما ان المقصود بكلمةAnimus التصور الذكرى او كمال الذكورة الموجودة في اللاشعور عند الرجل .

ان مفهومة الـ Anima والـ animus تُقِرُّ بالجنسانية الحياتية Biosexuality للنوع الانساني . فللرجل Anima تعيّن الخصائص الانثوية وللمرأة animus تمثل جانبها من الذكورة . فالمفهومة تبين ان كلا خصائص الانثى والذكر موجودة في المرأة والرجل واستنادا الى يونك Jung فان نشوء العقل الباطن الجماعي من ال animus والـ anima يعزى الى الخبرات العرقية Racial للجنسين الواحد مع الاخر . فالرجل يعيش مع امرأة منذ زمن مغرق في القدم يصبح الى حد ما انثى والمرأة تعيش مع الرجل تصبح الى حد ما تصبح ذكرا .

ونلاحظ في مدنيتنا الحديثة ان العقل الباطن الجماعي لل anima وال animus يؤدي دوره . فالاولاد يلبسون ملابس الاناث والبنات يلبسن ملابس الذكور . كما انهما يتماثلان في كثير من نشاطات الحياة .

٥ ـ الظل او الاثار الباهته Shadow

ان العقل الباطن الجماعي للظل يتضمن الغرائز الحيوانية التي ورثها الانسان من اشكال الحياة السفلى . انه الجانب الحيواني للشخص . وهي بالضبط مثل الهو(ID) عند فرويد .

٦ ـ النفس : يضع يونك Jung اهمية لمفهومة النفس Self باعتبارها العامل المنظم للشخصية . فقد تصور ان النفس تلعب دورا مهما في تطور الشخصية . فالنفس تعطى الوحدة والثبات لخصائص الشخصية .

٧ ـ النماذج الشخصية او علم نماذج الشخصية Psychological Types or Typology

لقد اشتهر يونك jung في أنموذجين نفسيين ـ الانبساط والانطواء، فالاتجاه الانبساطي يمثل تكيُّفاً وفقا للظروف، او الاوضاع او الحقائق تجاه العالم الخارجي . والاتجاه الانطوائي يتضمن توجها نحو العالم الباطن الذاتي . وكلاهما بصورة اعتيادية موجودان في شخصية الفرد ولكن احدهما سائد وشاعر (واعى) وهو يصبح اساس تصنيف الشخصية .

ومن هذين النموذجين ، وسّع يونك Jung التصنيف الى اربعة نماذج من كل نوع على اساس الوظيفة النفسية التي تتفوق في التفكير والوجدان والبديهة والاحساس ، فكل شخص يمتلك هذه الوظائف الاربع .

وقد وصف يونك Jung الشخصية من حيث الميول او النزعات المحورية Polar التي من المحتمل ان تكون غير متصارعة الواحدة مع الاخرى.

والتضاد او التعارض موجود في كل مكان في الشخصية. على سبيل المثال، بالنسبة للوظائف النفسية الاربع ، قد تكون واحدةسائدة اكثر من الاخرى وتلعب دور المهيمن في الشعور.

* ان مفهومة الطاقة النفسية عند فرويد ويونك Jung سواء.

فالطاقة النفسية تنشأ من عملية الجسم الايضية(٥٧) metabolism وقد استعمل يونك Jung مصطلح اللبيدو وبصورة قابلة للتبادل مع الطاقة النفسية ولكن مفهومته عن اللبيدو اوسع من مفهومة فرويد . انها شاملة بكل مافي الكلمة من معنى وتنسجم الى حد بعيد الى حماس Bergson المفعم بالحيوية. انها فطرية ولكنها تجري في مدار النمو. انها مصبوبة جنسياً ولكنها اكثر من الجنس. والتعبير الجنسي هو شكل من عملية توالدية تكوينية(٥٨). انه يرتضي مفهومة تثبيت الجنس كمصدر لعملية تنافر في التطور. فالطاقة النفسية تنساب من الاهمية الضعيفة الواهنة الى الاهمية العظمى وتحافظ على توازن الشخصية.

الانسان اكثر من مخلوق يرغب في القوة وارضاء دوافعه الجنسية. انه عضو في مجتمع معين انه يحاول ان يكتسب تحقيق ذاته التي هي هدفه الاقصى. والسلوك باجمعه متوجه نحو الهدف الذي يضعه الفرد لنفسه والحاضر لايحدده الماضي فقط بل حسب توقعات المستقبل. والانسان دائما يناضل من اجل هدف أعلى ومن اجل التطور. والفرد مشغول في حل المشاكل الكثيرة التي تعترضه باسلوبه الخاص به.

وفي اواخر الثلاثينيات او اوائل الاربعينيات تبدأ القيم الروحية والثقافية تسود حياة الفرد. وقد وضع يونك Jung نظاماً كاملاً عن العلاج النفسي ليعالج المرضى عقليا. وليس من شك في أن يونك Jung قد سبر الابعاد الجديدة للشخصية، وأن نظريته مشهورة بسبب مفاهيمها الجديدة في الانبساط والانطواء وفي النفس وفي سلوك الفرد المتوجه نحو هدف مقصود وقد قبلها علماء النفس المعاصرون، ولكن الانتقاد الذي وجه اليه كان بسبب مفهومته في النموذج الاول (المثال الاصلي) Archetype واللاشعور العرقي والتأمل المبهم او اللاعقلاني Mydticism .

ان مفهوماته لايمكن التأكد منها بواسطة الطرق العلمية. وتؤكد نظريته اهمية الدين وحضارة العرق ومفاهيم نظم غيبية ((ميتافيزيقية). ولم تستطع نظريته ان تحدث دراسات بحوث، ولكن الان قد تبذل جهود لانعاش الاهتمام بنظريته عن طريق نشر ابحاثه الاصلية بشكل كتاب.

علم النفس الفردي لادلر Individual Psychology of adler

لقد كان ادلر عضوا في جماعة فرويد ايضا. وقد قام باسهام قيّم في التحليل النفسي في بداية هذا العلم. ولم يتفق مع فرويد في بعض القضايا ومن ثم فصل نفسه عنه. وشكل جماعته الخاصة به من الزملاء. وقد وضع نظاماً من الفكر يدعى «علم النفس الفردي».

المفاهيم العامة: لقد كان ادلر أول محلل نفس قلل من اهمية مفهومة الغرائز الموروثة ووضع التأكيد الكلي على العوامل الاجتماعية في تطور الشخصية. وقد وضع ايضا مفهومة ان شخصية اي فرد متفردة وفذة Unique وان الشخص مدرك اسباب تصرفاته.

وتصوره عن الانسان بأنه مقتدر على التخطيط الواعي ويوجه تصرفاته نحو تحقيق ذاته . وهو يتصور ان ارادة السيطرة (Will to Power) على انها القوة الرئيسة في سلوك الفرد. ويشير الى ثلاثة انواع من التوافق الذي يقوم به الفرد في حياته للمجتمع وللمهنة وللحب. وبالقيام لهذه المواقف فان الفرد يُعاق او يُعاق استنادا الى خبرات الطفولة. ويؤكد ادلر الحرمان او البؤس الذي يعانيه كل طفل يولد. وهنالك دافع متأصل في كل طفل هو أن ينمو ويسيطر وأن يكون متفوقاً

النضال من اجل التفوق

يعني ادلر بكلمة التفوق Superiority النضال لاجل الكمال او تحقيق الذات[٥٩]. وفي كتاباته الاولى اكد على «ارادة السيطرة» بكونها دافعاً ولكنه في كتاباته المتأخرة احل محل «ارادة السيطرة» النضال من اجل التفوق. ان كل انسان يُدفع بدافع للتطور الى مستوى اعلى . ان هذا النضال لاجل التفوق فطري. فالنضال من اجل التفوق فطري في الطفل . واحيانا يضطر الشعور بالنقص الطفل ان يعوّض عن نقصه في هذا المجال او أي مجال اخر ، وفي كتاباته الاولى قدم مفهومة التعويض للنقائص الجسمية. وقد اقتطف ادلر مثال بتهوفن Beethoven الذي كان يشكو من طرش طفيف منذ طفولته واصبح موسيقياً عظيماً و Demosthenes الذي لم يرتح حتى تغلب على فأفأته ليصبح واحدا من اعظم الخطباء في التاريخ. لقد نظر الى الشعور بالنقص على أنه عام شامل وان الفرد يقوم بمحاولات ليعوض عن الشعور بالنقص وعدم الملاءمة التي ولد معها . ان الشعور بالنقص يساعد الشخص على تحسين ظروفه.

الغائية (٦٠) الخيالية : Fictional Finalism

لقد اعتقد أدلر أن الانسان يندفع حسب توقعاته عن هدف المستقبل . والغائية الخيالية تعني أنّ تصرفات الانسان تستند الى أفكار خيالية لاتثبت بالضرورة الى الواقع .

وبعض امثلة من تلك الخيالات هو الاعتقاد بالحياة الاخرة بعد الموت او ان التصرفات الشريرة لابد ان يعقبها عقاب وان تلك الخيالات حينما يعتقدها الانسان يبدو انها تساعده على الكفاح في الحياة بمستوى اعلى من النجاح. انه يعتقد ان التوقعات للمستقبل يوجه الانسان اكثر من حوادث الماضي.

ان اهـداف الانسـان المستقبلية تؤثر في سلوكـه الحـاضر، وفي حيـاتنـا الحـاضرة في قطرنـا هـذا نجـد أن الايمـان الحقيقي بـالله ، ذلـك الايمـان الثـابت في القلب والذي تصدقه الجوارح له تـأثير كبير في السلوك الكلي في تصرفات من يمتلك مثل هـذا الايمان .

نمط اواسلوب الحياة[٦١]: اسلوب الحياة فكرة تجريدية تتضمن كل شيٌ من الحياة في نطاق بعض الخطط المميزة او وسائل الوصول الى الهدف ، انها النوعية الفريدة للشخصية التي تجعل كل فرد يختلف عن الاخر. واستنادا الى ادلر ان الاهداف الانسانية متشابهةٌ من حيث الاسـاس وانهـا تنضـوي في الميـل الى الكفـاح من أجـل التفـوق. انهـا طرق متشعبة للوصول الى هدف الحياة فشخص ينشدها عن طريق العلاقات الاجتماعية واخر عن طريق التربية والعلم واخرون بطرائق متعددة اخرى . ان هـذه الطرق المتعـددة التي تحاول الوصول الى هدف الحياة تمثل اسلوب الحياة الفريد للشخص . انها المسلك الذي به ينشد الهدف. وجميع جوانب حياة الفرد وتفصيلات سلوكة تنظم حول اسلوب الحياة.

وتشكيل اسلوب الحياة يبدأ من سن الرابعة او الخامسة ، والخبرات الاخيرة تمتص وتستوعب وتمثل في اسلوب الحياة هذا . وانه لذلك ، لمن الصعب ان تغير اسلوب الحياة عند فرد في اواخر حياته. فاسلوب الحيـاة يتشكل على اسس خبرات الطفولـة فكل طفل يعالج مشاكله بطريقة مختلفة، والطرق والوسائل التي يستخدمها تشكل اسلوب حياتـه . لقد اوجد ادلر مفهومة النفس الخلاقة Creative Self (الابداعية ـ المبتكرة) فـالجهود التي يبذلها الفرد لحل مشاكله الاساسية تنشأ عن جهود الفرد الخلاقة. والنفس الخلاقـة تشكل الشخصية في تركيب فذ فريد على اساس القابليات الموروثة وخبرات الحياة . انـه يؤكـد اهمية التربية في تطور اسلوب الحياة.

الاهتمامات الاجتماعيـة: يضع ادلر التـأكيـد على الاهتمامـات او الرغبـات الاجتماعيـة وعلى علاقـات الشخص. وفهمـه للعـلاقـات الاجتماعيـة يتضمن التعـاون، والعـلاقـات بين الاشخاص والاندماج في الجماعـة انـدمـاجـا ينشـأ عنـه ارتبـاط عـاطفي وثيق ومشـاركـة وجـدانيـة. ان المشـاركـة الاجتماعية للفرد تعني انـه يسـاعـد المجتمع للوصـول الى الكـمال. فالرغبات والاهتمامات الاجتماعية، بالنسبة الى ادلر، خصيصة الانسان الكامنـة والفطريـة. ان هـذا الاستعـداد الفطرى سـوف لايظهر ولايتطـور تلقـائيـا من دون تـوجيـه البيئـة الاجتماعية وخبراتها . وفي العُصابيين نجد ان السيطرة الانانيـة تفضي الى رغبـات اجتماعيـة واهنة ضئيلة الاهمية قليلة الشأن.

وقـد اكـد عل دور العوامل الثقـافيـة التي تؤثر في تطور الشخصيـة في نمط فريـد Unique Pattern.

لقد اعطت نظرية ادلر الانسان صورة ذهنية واسعة لفهم حياته فهما كاملاً فقد اكد على الابداعية والايثار الطبيعي[٦٢]. لقد اكد على اهمية الشعور وهذا هو السبب في أن نظريته اكثر قابلية للفهم واكثر تقبلاً عند الرجل الاعتيادي . وقد بين اهمية حالة الولادة لفهم تطور الشخصية.

•

وقد كان له وجهة ضئيلة نسبياً في تثبيت ممارسة التحليل النفسي ولكن كان له تأثير كبير في الفكر السايكولوجي بالنسبة للمعلمين والاطباء والرجل الاعتيادي. انه اكد على اهمية العوامل الاجتماعية في تطور الشخصية وقد اعطى وجهة نظر ظاهراتيه[٦٣] وطريقة اجمالية[٦٤] للشخصية.

ان نظريته غائية Teleological في طبيعتها. ولكن هنالك من علماء النفس من لم يقبل افكاره في الغائية بسبب فقدان السند العلمي. ان نظامه شخصي وذاتي الى حد كبير. لقد رفض فصل الشكل الشعوري واللاشعورى للعقل . وتقودنا نظريته للاستنتاج بان الشخصية، لاتحدد بالبيئة بطريقة ميكانيكية ولا بالوراثة .

واسهامه المهم هو مفهومة اسلوب الحياة. وقد انتقدت نظريته على أنها بسيطة جداً اي لاتعقيد فيها . ان وجهة نظر ادلر لاتمثل نظاما نشطا من الفكر Thought ذي الانصار والاتباع الكثيرين. وتشكيلاته النظرية لاتمثل مدرسة فكرية واضحة المعالم والحدود.

نظرية اوتورانك Otto Rank

كان اوتورانك ايضا في البداية زميلاً حمياً لفرويد. وقد فصل نفسه عن فرويد في سنة ١٩٢٤ عند نشر كتابه « صدمة الولادة او رضة الولادة[٦٥]». وعوامله الاساسية هي

١ـ قلق الانفصال: فهو يعتقد ان كل طفل يمارس قلقاً اولياً عند ولادته حينما ينفصل من رحم الام. وهذا الذي دعاه صدمة الولادة Birth Trauma يعانيها الاطفال جميعاً وتلعب دوراً مهما في التطور المستقبلي للطفل. انها ليست جسمية فقط بل هي ايضا نفسية، في طبيعتها. انها تخلق صدمة انفعالية تؤدي الى نمط من الحصار (القلق الشديد) قابل لان يثير قلقا شديدا عند اية خبرات انفصال تالية في حياة الفرد. ان الحصار يمكن ان يحصل حينما تترك الام طفلها وحيداً في البيت ، وحينما يترك

الطفل البيت الى المدرسة، وحينما يترك الشاب البيت ليتزوج واخيراً يكون الانفصال عند الموت.

٢ـ الافتراض[٦٦] الفلسفي: لقد وضع نظرية في تطور الشخصية التي اكد فيها اهمية الخبرات الحاضرة ونظرية في التحليل النفسي تستند الى افتراض فلسفي

٣ـ نماذج الشخصية : انه الى حد ملوحظ، يختلف في نماذج الشخصية التي وضعها. لقد فسر الشخصية في سياق الظواهر الاجتماعية منفصلة الى حد ملحوظ من الحتمية البيولوجية التي قال بها فرويد. وبالنسبة له يعتمد تطور الشخصية على ثلاثة عوامل : (١) سحرى (٢) عقلى (٣) بيولوجي. وان هذه المراحل الثلاث متصلة بثلاثة انواع من المدنية : البدائية واليونانية والرومانية.

٤ـ نظرية النفس وعامل الحب: لقد اعترف رانك Rank في نظريته بالدور الحاسم للحضارة[٦٧] Culture والتغير الاجتماعي. والعامل الاخر الذي يشكل الاساس لبنية الشخصية والذي ينشأ عنه مستقلا عن التأثير الاجتماعي، هو تطور الذات الذي ينشأ من خلال عوامل الحب.

وقد انتقدت نظرية رانك Rank من قبل زملائه لتقصيره في تقديم اللوازم العيادية (السريرية) لاسناد وجهات نظره. ان نظريته لم تجد لها من يسندها من علماء النفس الآخرين . ومفهومته عن صدمة المدينة كان لها تأثير كبير على النظريات الفسلفية.

الفرويديون الجدد

لقد عرضنا بصورة مختصرة لنظرية الشخصية لفرويد و Jung وأدرلرو Rank في مقدمة هذا الفصل . والان سنذكر نظرية الشخصية عند الفرويديين الجدد الذين انحرفوا عن فرويد ولكن فسروا نظرياتهم من منطق التحليل النفسي.

ان جميع الفرويديين الجدد رفضوا نظرية (اللبيدو) وجانب الجنسية عند فرويد . وقد اكدوا على اهمية الحضارة والخبرات الاجتماعية في تطور الشخصية . وسنذكر فيما يلي بصورة مختصرة طرق إرج فررم Erich Fromm وسليفان Sullivan وهورني Horney واركسون Erikson لنهم الشخصية.

فكرة ارج فروم Erich Fromm

ان ارج فروم Erich Fromm (ولد سنة ١٩٠٠) هو أول عالم نفس دافع عن طريقة علم الاجتماع في الشخصية. وموضوعه الرئيس في مشاعر الانسان بالوحدة والانفصال. ان هذين الشعورين اوجدا حاجات قلائل في الكائن الحي.

١- الحاجة الى الاتصال : استنادا الى فروم Fromm، الانسان على غير انسجام مع الطبيعة. فلقد فصل نفسه عن الطبيعة وقوانينها القاسية ليتمتع بالحرية ، ولكن هذا قاده الى متاعب. فهنالك حاجة كبيرة لخلق علاقات جديدة بين الانسان والطبيعة nature.

٢- الارتفاع بمستواه عن الطبيعة الحيوانية ويمكنه ان يحقق ذلك عن طريق الحب والكره.

٣- الحاجة الى الانتماء : فكل انسان له رغبة في ان تكون له جذور تصله بالمجتمع

٤- اثبات الشخصية : كل انسان بحاجة الى اثبات هويته. انه يود ان ينظر اليه على أنه له شخصية خاصة به.

٥- الحاجة الى اطار من العلاقات والصلات. فكل انسان ينشد علاقات ثابتة.

فكرة كيرن هورني Karen Horney

ان كيرن هورني (١٨٨٥ - ١٩٥٢) شأنهاشأن الاخرين من الفرويديين الجدد اكدت اهمية العوامل الحضارية في تطور الشخصية وهي تختلف، الى درجة ملحوظة عن الفرويديين الكلاسيكيين في نظرية الشخصية من حيث نظرتها الى الانسان باعتباره

بنّاء منّ حيث الاساس اكثر منه عاملا هداما وترفض جميع الجنسانية عند فرويد. وقد وضعت خمسة عوامل لتطور الشخصية.

١ـ التفاؤلية ـ الايجابية: لقد كانت هورني محللة نفسية، وقد عالجت عددا من المرضى انها وجدت ان الانسان يمتلك عددا من النوعيات الايجابية(الثقة واليقين).

٢ـ التفاعل الحضاري الاجتماعي : ان التأثيرات الحضارية الاجتماعية ذات اثر كبير في تطور الشخصية.

٣ـ بناء الاخلاق: ان هورني ، على عكس الفرويديين الكلاسيكيين ، تصنع الاهمية على العوامل الوراثية والتأثيرات الاجتماعية الحضارية في تطور الخلق .

٤ـ فهم الذات : لقد اعتقدت ان فهم الذات هو القوة الموجهة في الحياة.

٥ـ الصراع : تشكل الصراعات جزءا مهما من نظريتها للشخصية وقد وصفت ثلاث تقنيات رئيسة للتوافق مع الاخرين.

أ ـ التحرك نحو الناس.

ب ـ الابتعاد.

جـ ـ التحرك نحو التضاد.

انها غير راضية عن نظرية فرويد كتفسير للعُصاب(٦٨) neurosis انها اكدت على اهمية العمليات الحضارية.

فكرة سوليفان Sullivan

الدكتور هاري ستاك سوليفان Harry Stack Sullivan (١٨٩٢ـ ١٩٤٩) من الفرويديين المتأخرين ايضا، وقد اوجد جهازاً واسعاً للشخصية . لقد اكد على اهمية العوامل الاجتماعية في تطور الشخصية.

وسوليفان، شأنه شأن فرويد، اكد على اهمية الطاقة في تطور الشخصية. وكذلك فبالنسبة لسوليفان أن هذه الطاقة تظهر في الغالب كتوتر يحدثه الفرد، وبزيادة الطاقة يشعر حينما يواجه باختبار احد امرين ليس بينهما مايوافقه تماماً.

فالطفل يوجه طاقته نحو العلاقة الاجتماعية مع امه. والتفاعل الاجتماعي الباكر مع الام يشكل النمط الاساسي للشخصية . والشخصية بالنسبة له ، هي تفاعل الفرد مع مجتمعه . والشخصية، في الواقع هي كيف نرى انفسنا وكيف يرانا الاخرون. والتفاعل الاجتماعي في الطفولة الباكرة مع الأم مهم .

وحينما يكون الطفل قادراً على أن يترك بيته، فانه يبدأ بتشكيل علاقة اجتماعية مع الاطفال الاخرين وخلال المراحل التطورية يعتمد تطور شخصيته على التفاعل

الاجتماعي مع الاخرين وتـأثيرهـا على نوع الكائنـات الانسـانيـة، وتـلاؤم الفرد والتطـور المستقبلي يعتمد الى حد كبير على الخبرات الباكرة للطفل ، وكيفية اتصالـه مع الاخرين طول مسيرتـه يعتمـد على الحُصـار anxiety الـذي يحـدثـه مثل هـذا التفـاعل . فـاذا شعر شخص بأنـه منتقَص في علاقتـه مع الاخرين فـان هـذا سيولـد لـه الكثير من القلق لان النـاس قـد يرفضون الاتصـال بـه . وان اسلوبـه حسب مفهومـة «انـه منتقَص» هـذه قـد يلازمة طيلة حياته. واكثر من ذلك فانه قد يشعر بأن نظم المجتمع ومقـاييسـة قيود قـاسيـة وان تلك النظم التي يفرضها المجتمع او الوالدان غالبا ماتقود الى مشاكل الشخصية . واذا لم يجد المراهق نمواً ذاتياً كافياً خلال هذه الفترة ولم يمنح المناسبة المعقولة فـإنـه من المحتمل أن يصبح منحرفاً جنسياً نحو جنسه . إذا أن هذا يبـدو لـه أنـه علاقـة آمن مما لو كانت مع الجنس الآخر .

فكرة اريكسون nozdi1 I

أن اركسون كغيره من الفرويـديين الجـدد يؤكـد على اهميـة العوامـل الاجتماعيـة في تطور الشخصية. لقـد وضح مفهومـة« المراحل التطوريـة» التي تعني تلـك الوظـائف التي تتفـاوت في الثبـات والاستمرار خلال الحيـاة ولكنهـا توفر استقرارا منتظماً في مستـويـات العمر المختلفـة. فهو يعتبر العنـاصر الثـابتـة في الشخصيـة حينمـا تحـدث تطوريـاً بصـورة تغيرات ذاتيـة في الطـفـل تـأخـذ مكانهـا كنتيجـة لنمـوه. انــه يرى ان مـواقف التحـول المفـاجيء (الازمـات) تحـدث في فترات حرجـة)٦٩(مختلفـة في حيـاة الطفـل، وبسبب تلك التغيرات يظهر للعيـان انتهـاء المراحل التي تتحكم في السلوك المستقبلي. والصراعـات في مختلف المراحل يتقرر حلها استنـاداً الى قوة او ضعف البـدائل الاسـاسيـة الموجودة في البيئة.

واركسون يلتزم بالاسس البايولوجية والجنسية sexual للشخصية مثل فرويد وعلاوة على ذلك فقد وسّع او طبّع |socialized قائمـة فرويـد في التطور. وقـد قـدم ثمـاني مراحل من التطور، وقد اكد فيها اهمية التفاعل بين العوامل البيولوجيـة والعوامل الاجتماعيـة في تطور الشخصية.

مراحل التطور الجنسي النفسي

المرحلة	العمر	الصراع
١ـ الفم	الحضانة (قبل السنتين)	الثقة وعكسها عدم الثقة
٢ـ الشرج	سنتان	الاستقلالية وعكسها الخجل (٧٠)
٣ـ العورة	٣ سنوات الى خمس سنوات	روح المبادرة وعكسها الشعور بالذنب
٤ـ الكمون (٧١)	من ست سنوات الى ١٢ سنة	النشاط الصناعي وعكسه النقص
٥ـ المراهقة	من ١٣ سنة ـ ١٨ سنة	الذاتية، وعكسها الارتباك
٦ـ اوائل الشباب	من ١٩ سنة ـ ٢١ سنة	الالفة وعكسها الانعزال
الرشد Adulthood	من ٢٢ـ٥٠ سنة	الانتاج وعكسها الركود
٨ـ النضج	بعد الخمسين	الكمال وعكسها القنوط

ومن القائمة المذكورة، يبدو من الواضح ان في عملية تطور كل مرحلة يواجه الفرد صراعات (أزمات) تُحَلّ حسب قبول التغيرات والتكيف لها.

وقد حاول اركسون في نظريته ان يعبر الثغرة بين نظرية فرويد للتطور الجنسي النفسي والمعرفة المعاصرة عن التطور الجسمي والاجتماعي عند الاطفال ·لقد اعترف بثلاثة عوامل تمثل الشخصية والجسم او ما يتعلق بالجسم ، والانا (الذات) او النفس ،والناحية الاجتماعية او تاثير الحضارة · واستنادا الى اركسون تتكون الشخصية عن طريق التاثيرات النسبية لتلك العوامل الثلاثة · ونظريته توحد العوامل الاجتماعية والانثروبولوجية البيولوجية ضمن الشخصية· ان نظريته نظامية شاملة في تصرفها ·

مراجع وقراءات اضافية

١ـ «تطور الشخصية لمؤلفه هاربلاك الموطبوع في نيودلهي سنة ١٩٧٤
٢ـ «تركيب الشخصية الانسانية «لمؤلفه آيزنك Eysenck طبع لندن ١٩٧٠ .
٣ ـ «الشخصية ، التقويم النظري والبحث» لمؤلفه برفين لورنس ـ الناشر جون ولي وأولاده طبع نيويورك ١٩٧٠.
٤ ـ « النمط والنوفي الشخصية » تأليف البورت طبع نيويورك ١٩٦١
٥ ـ سيكولوجية الشخصيه تأليف سترونكر طبع نيويورك ١٩٦١
٦ـ سايكولوجية التفاعل والشخصية » تاليف اندلر وزملائه طبع نيويورك ١٩٧٦ .
٧ـ «النماذج السايكولوجية» لمؤلفه يونك Jung طبع نيويورك ١٩٣٣
٨ـ تاريخ حركة التحليل النفسي لمؤلفه فرويد طبع لندن ١٩٥٧
٩ـ «دراسات في علم النفس التحليلي» لمؤلفه ادلر طبع نيويورك ١٩٤٨
١٠ـ «نظريات الشخصية» لمؤلفه هول ولندزي طبع نيويورك ١٩٧٠.

هوامش الفصل الأول

١) Average: المتوسط، ويقال له«المتوسط الحسابي» وهو حاصل قسمة مجموعة من قيم متحول معين على عدد القيم .

(٢) Heridity : الوراثة : المؤثرات البيولوجية التي تنتقل من الوالدين الى الطفل والتي تحدد خصائص الطفل المتنوعة.

(٣) Hormone : الهورمون : مادة كيماوية تفرز من قبل عضو في الجسم، وهو حينما ينتقل الى عضو اخر يحدث هنالك تأثيراً خاصاً.

(٤) Socialization : تطبُّع اوتنشئة احتماعية او تثقيف اجتماعي.

ويعرفه نيوكمب Neucomb في كتابه «علم النفس الاجتماعي المطبوع في لندن سنة ١٩٥٢» عمليــة الــتفاعل الاجــتماعي التي يتم من خلالها تشكيل الوليد البشرى. ومن خلالها يمتص المعايير الاجتماعية ويتخذ مكاناً معيناً في «نظام الادوار الاجتماعية» ويكتسب شخصية.

ويعرفه دريفر Drever في قاموس علم النفس «المطبوع في لندن سنة ١٩٥٢» العملية التي يتم من خلالها تكيّف الفرد مع بيئته الاجتماعية، ويصبح عضوا معترفا به ومتعاوناً مع الآخرين».

ويعرفه وارن Warren في «قاموس علم النفس» المطبوع في نيويورك سنة ١٩٣٤ بأنه «العملية التي بواسطتها يكتسب الافراد عادات مقبولة اجتاعيبة ويصبح عضوا معترفاً به متعاوناً مع الآخرين».

وقد جمع اسعد رؤوف في كتابه «موسوعة علم النفس» في طبعته الاولى في بيروت سنة ١٩٧٧ التعاريف الثلاثة دون الاشارة الى قائليها.

(٥) Adujustment : التوافق : العلاقة بين الفرد وبيئته التي تلبيّ فيها حاجاته وفقا للمطالب الاجتماعية.

(٦) Interaction : تفاعل وهو بصورة عامة سير الأشياء او الاحداث سوية، ومن الناحية الاحصائية، العلاقة المتبادلة والمتضادة بين متغيرين او اكثر استناداً الى قيمهم ونمط عمل المتغيرات الاخرى.

اما وارن warren فقد عرفه في قاموسه السابق الذكر بأنه «علاقة بين وحدتين او نظامين من اي نوع بحيث تجد ان نشاط احدهما يتحدد - جزئياً - تبعا لنشاط الاخرج

(٧) Concept : مفهومة : وهي استنتاج يستند الى ملاحظة خصائص مشتركة في مجموعة او احداث.

(٨) Enivronment المحيط : كل الاحوال الخارجية للكائن الحي والتي يمكنها التأثير فيه. او انها المجموع الكلي للاحوال التي تقوم باثارة السلوك او التصرف لتحدث تعديلاً او تحويراً في السوك.

(٩) Body Image الصورة الذهنية للفرد عن جسمه وتشمل تركيب الوجدانات Feelings والاحاسيس التي يمتلكها الفرد في جسمه من حيث طبيعتها وحدودها.

(١٠) يغلب تأثير لون الجسم في البلاد التي يسودها التعصب العنصري ضد السود.

(١١) Wishful thinking التفكير الرغبي او القائم على التمني : وهو القبول من جانب المرء بالفكرة القائلة ان الظروف هي كما يتمناها ان تكون، ورفضه للفكرةالقائلة بأن تلك الظروف هي خلاف مايرغب فيه ويتمناه. فيه شيء من ارادة ذلك لكنه يتجاوز ذلك الى النظر بمنظار التمنيات واسباغ الرغبات على واقع الاشياء.

(١٢) Mood الكيف او مزاج الساعة وهو ميل شعوري وقتي يتخلل الخبرة الذاتية والسلوك، اي انه التعبير الشعوري المؤقت الذي يتخلل الخبرة الذاتية والشعور.

(١٣) Temperament المزاج وهو الحالة الاستجابية الانفعالية العامة للفرد اما عوامل هذه الحالة الإستجابية (وتسمى المستجيبة اي كون الشئ مستجيبا) العامة فهي الصفات الشخصية التي تصف الاسلوب الذي يعمل به الفرد على نحو مميز ٠

(١٤) نسبة الى الانفعال Emotion والانفعال حالة معقدة من الشعور تتضمن خبرة واعية واستجابات داخلية وظاهرة وقوةلتدفع الكائن الحي للتصرف،وتعريف أخر أن الانفعال حالة شعورية معقدة مصحوبة بنشاطات سلوكية واحساسه مميزة. وتعريف اخر هو حالة اضطراب او تهيج في الكائن الحي مع مكوّنات مميزة من الخبرة والناحية الفسلجية والناحية السلوكية ٠

(١٥) Situation: يقول عنه هرمان Harriman في «القاموس الجديد لعلم النفس المطبوع سنة ١٩٤٧ في نيويورك» انه نمط مركب من المنبهات ، جميع العوامل التي تحدد سلوك الفرد في لحظة ما ٠

اما لڤين Lewin في «اصول علم النفس الطوبولوجي» المطبوع في نيويورك سنة ١٩٣٦ فيعرفه بانه حيّز الحياة Life Space. او جزء منه حيث مضمونه، اي من حيث معناه. (ويلاحظ أن حيّز الحياة مفهوم يستخدمه لڤين للإشارة الى جميع العوامل التي تحدّد سلوك الفرد في لحظه ما. اي انه يشتمل على الشخص والبيئة). ويشير مفهوم احياناً الى موقف الحياة بوجه عام او الى الموقف الراهن .

والبيئـة). ويشير مفهوم الموقف احيـانـاً الى موقف الحيـاة بوجـه عـام او الى المـوقف الراهن.

امـا وارن Warren في كتـابـة «قـاموس علم النفس المطبوع في نيويـورك سنـة ١٩٣٤ فيقول عنه بأنه :

١ـ النمط المنبه الذي يؤثر في فرد ما في لحظة او اثناء فترة استقبال المنبه.

٢ـ البيئة والكائن الموجود في هذه البيئة في لحظة معينة.

ويلاحظ ان كوفكا Koffka يستخدم مفهوم «المجال» للدلالـة على المعنى الثـاني لمفهوم الموقف اي البيئة والكائن الموجود في هذه البيئة.

(١٦) Frustration الاحباط، الخيبـة : اعـاقـة نشـاط موجَّه الى هـدف وكـذلـك الحـالـة الانفعالية المنبعثـة بسبب مثل هـذه الاعـاقـة، كما يعرفهـا كلاي لنـدكرين Heenry clay Lindgren وزملاؤه في كتـابهم علم النفس : المدخـل في علم السلوك الطبعـة الثـانيـة ص ٥١٥، والمطبـوع في الـولايـات المتحـدة. ويعرفهـا فلويدرك FloyedL.Ruch وزميلـه فيليب ج زمبـاردو Philp G Zimbardo في كتـابها علم النفس والحياة المطبوع في امريكا ص ٥١٥» رفض او اعاقـة الـدوافع بسبب عقبـات تقع بين الكائن الحي والهدف» ويزيد اسعد رؤوف في قاموسه» موسوعـة علم النفس ص ١٢ «بقوله» سواء اكان السعيّ نحو الهدف سعياً واعياً او غير واع. وتطلق لفظـة الاحبـاط مجـازاً على كل نـوع من العراقيـل التي تحـول دون بلـوغ الهـدف المنشـود والاقتراب منـه. يمكن لهـذه العرقلـة ان تعـاش على صـورة اخفـاق مبـاشر او دون مشاركة من جـانب الوعي وتقتصر ابحـاث السلوك في استخـدامهـا لهـذا الاصطلاح على عملية محددة تعوق الانسان او الحيوان عن اضهار استجابة معينة.

(١٧) Encounter Groups : جماعات المواجهة : علاج نفسي طفيف او نمو جماعي شخصي صمِّم لتزويد خبرة واسعـة تجري بين الاشخـاص يركز على التفـاعلات والمشـاعر التي تنشأ ضمن الجماعة في جو الحساسية الانفعالية الفاضلة المستقبة.

(١٨) يتصل الدافع (الداخلي) و (الخارجي) بنـا جميعاً. فحينمـا ينـدفع الفرد ذاتيـا للقيـام بفعالية ما، انه يقوم بها لانـه يحب مـايقوم بـه، والفعـاليـة ذاتهـا تكون الثمن الـذي يناله. وحينما نندفع بسبب خارج عن ذاتنا للقيام بعمل مـا فـاننـا نقوم بهـا لانهـا تؤدي الى منحـة خـارجيـة مثل النقود او الثنـاء من شخص اخر وربمـا تجـذبنـا الى امر نرغب في اجتنابه.

فمـا الـذي يمكن ان يحصل لشخص (وغـالبـا مـايحصل) يشرع في عمـل مـا لانـه اندفع ذاتياً من حيث الاساس ومن ثم يتسلم اجرا خارجيا؟

والدراسات في كلا المجالين المختبري ومواقف الحياة الحقيقية، تظهر انه حالما يناك الاشخاص مبلغاً من المال في القيام بنشاط ظريف فان اندفاعهم الذاتي في قيامهم بالنشاط يجنح للنقصان.

من الناحية النظرية، ان هيمنة الدافع يمكن ان تنتقل من الصميم الذاتي الى المنحة الخارجية، ولكن بطريقة اخرى، حينما يصبح السلوك المندفع ذاتياً معتمداً على هيمنات خارجية، فقد يكون من الصعب ان يرجع الى دافع «داخلي» فقد يأتي الفنان ليعتمد على مبلغ من المال في استمراره في التصوير، والمكانيكي قد يجد ان المكسب في بناء هيكل سيارة سباق بالصورة الاعتيادية، [illegible] اكثر من السرور الذي يغمره من القيام بعمل فني في الماكنة يتناسب ونحو [illegible] الذهني الخلاق. ومن الطبيعي اننا احياناً نجد تلك النشاطات التي تحددها [illegible] الدافعين.

(١٩) adapation تكيّف : تغيرات في اعضاء الحس في الاستجابة الى الاحوال البيئية. (١) بصورة عامة هي التوافق للبيئة. (٢) اما التغير الحسي فيكون في النوعية أو شدة المنبه (مثال : التكيف البصري، توافق العين الى مستوى الضوء).

(٢٠) dynamics دينـاميكيات : ميكانيكيات الدفاع والدوافع الاخرى التي تؤثر في السلوك.

(٢١) Extroversion وتكتب ايضاً Extraversion الانبساط والكلمة [illegible] Extroversia من Extra وتعني الخارج outside وكلمة vertere وتعني ان تتحرك الى To turn. واسم العامل المنبسط Extrovert.

(٢٢) introvert المنطوي اسم الفاعل من الفعل ينطوي والمصدر الانطواء [illegible]ersion من الكلمة اللاتينية Entro وتعني ضمن اوداخل في باطن Within والكلمة اللاتينية versio التي تعني التحرك الى a Turning : شرح الكلمة

١ـ التحرك الخارجي لعضو ما الى الداخل بصورة تامة او اقل.

٢ـ التحرك نحو داخل اللبيدو وعند ذلك فان الرغبات لاتتحرك نحو الهدف، [illegible] ترجع الى داخل النفس.

(٢٣) Social situation موقف اجتماعي : يعرفه وارن Warren في كتابه المذكور سابقاً والمطبوع سنة ١٩٣٤ بأنه «مجموع او نمط المنبهات كما تواجه فرداً معيناً في وقت معين، بقدر ما تتعلق هذه المنبهات بافراد اخرين من النوع نفسه.» اما المركز الاجتماعي Social status فهو كما يعرفه دريفر J. Drever في كتابه الذي سبق ذكره والمطبوع سنة ١٩٥٢ بانه «وضع الفرد في الجماعة» كما يتحدد من خلال اتجاهات سائر

الاعضاء نحوه» اما نيوكمب M.Newcomb في كتابه الذي سبق ذكره ايضاً والمطبوع في سنة ١٩٥٢ فيقول في صفحة ٢٧٧ـ٢٧٨ عن المركزالاجتماعي انه «ابسط عناصر البناء الاجتماعي. اذ يمكن للجماعات على اختلاف انواعها ان تتألف من شبكة من المراكز، ويرتبط كل مركز بوظيفة (اي بخدمة) يؤيدها للجماعة ويمكن اعتبار الدور الاجتماعي هو المركز في حالة اداء للوظيفة المتوقعة. وللمركز الاجتماعي خاصيتان :

أ ـ أن المركز يرتبط بهدف النظام الذي يضمه.

ب ـ انه يرتبط بكل مركز اجتماعي نمط معين في السلوك المتوقع نحو الاشخاص الذين يشغلون مراكز متصلة بذلك المركز»

ثم ان وارن Warren في كتابه السابق يعرفه بأنه «وضع الفرد او وظيفته الخاصة في جماعة ما، كما يتحدد من خلال اتجاهات اعضاء الجماعة نحوه».

(٢٤) Development تطور ، ارتقاء : يعرفه هريمان Ph. L. harriman في كتابه (قاموس علم النفس الحديث» الذي مر ذكره بما يلي: عملية النضوج كما تتم في الكائن، وتفصح عن نفسها في التغيرات المتلاحقة التي تقع منذ الحمل حتى اكتمال النضوج. ويميز بعض الكتاب بين هذا المفهوم وبين مفهوم النمو Growth ويرى اخرون ان النمو يشير الى نطاق اضيق من الظواهر. فالنمو يعني تغيرات كمية، بينما يشير الارتقاء او التطور الى تغيرات كيفية متدرجة ثابتة في المظاهر الجسمية والذهنية.

ويقول درور J.Dreuer في كتابه الذي سبق ذكره عن الارتقاء انه «التغيرات المطّردة في الكائن الحي، المتجهة دائماً نحو نهاية معينة (مثل التغيرات المطّردة من الجنين الى اليافع في اي نوع حيوان).

ثم ان وارن H.C.Warren في كتابه الذي سبق ذكره يعرفه بأنه «التغيرات التي تطرأ على البناء والصورة، تلك التغيرات التي تحدث اثناء انتقال الكائن من بداية العمر الى اكتمال النضج. (يطلق هذا المفهوم على التغيرات التي تطرأ على الصورة نتيجة لظهور عضو او نسيج، ومايترتب على ذلك من تغيرات وظيفية، كما يطلق على التغيرات التي تنتاب جماعة من الافراد كالمجتمع، والنوع والجنس والرتبة).

(٢٥) Infancy : الطفولة المبكرة «الكائن الانساني من الميلاد او اربعة الاسابيع الاولى من الحياة الى مابين ١٢ـ١٤ شهراً. ويرى البعض انها الى السنتين».

(٢٦) Sadism : السادية : يختصرها هنري كلاي لندكرين Henry clay lindgren وزميلاه في كتابهم «علم النفس: المدخل في علم السلوك» الذي سبق ذكره «الميل الى الاستشعار باللذة او الارضاء الجنسي بايذاء او الحاق الضرر بالشخص المقابل».

امـا اسعد رؤوف في قـاموسه «موسوعة علم النفس» الـذي مر ذكره **فيفصّل الاصطـلاح** تفصيلاً واسعاً فيقول «السـاديـة : ضرب من الانحراف الجنسي يتميز بـالحصول على اللـذة الجنسية والاستمتـاع الشهواني من جراء اساءة معـاملـة الافراد الاخرين من الـذكـور والاناث. تستخدم هذه اللفظة احياناً بشكل عـام للـدلالـة على حب القسوة والفضـاضـة والتلـذذ بتعـذيب الطرف الثـاني. وهي مشتقـة من اسم المركيز الفرنسي دي سـاد الـذي كتب مطـولاً في هـــذا المـوضـوع وارتكب العـــديـــد من جرائم الجنس ثم يتعرض الى السـاديـة الفمية فيقـول انها «مصطلـح من مصطلحـات التحليـل النفسـاني وتفسير للميل الملاحـظ عنـد الاطفـال اذ يعمـدون الى ادخـال الاشيـاء في الفم او مصهـا وعصهـا على نحو يوحي ببـذور النزعـة السـاديـة في طور مبكر. ويعتبر اربـاب التحليل النفسي هذه الظاهرة ضرباً من السادية الجنسية التي تستمتع باللذة عن طريق الـدغـدغـة الفمية»

(٢٧) Fixation : التثبيت ، تركيز الاستغراق، التجمد، توطيد في كتـاب «المـدخل في علم النفس: المشـاكل والتـدابير والاصـول». لمـؤلفــه ملفن Melvin H.Marn جــاء تفسير الكلمـة في صفحـة ٧٢٠ (في التحليل النفسي) تـأخر تطور الشخصيـة السـوي الـذي فيه يحتفظ بارتباط مواضع الجنس النفسية بمرحلة مبكرة (مثل الام).

يوضح اسعد في قاموسه السابق الذكر التعلق بمرحلـة مبكرة من مراحل النمو، فيقول حيث يجري تفسير التعلق على صعيـد جنسي نفسي او هو تعلق بشيء يجعـل من الصعب تكوين اهتمامات جديدة او تكيفات.

امـا التعلـق بالأُم الـذي ضربه مثـلاً ملفن Melvin فيقـول عنـه اسعـد «هـو تعلـق مفرط من جانب الولد بأمـه، لجهـة الحب او البغض. يمثل على مرحلـة شـاذة من التعلق العاطفي بالأُم متى تطاول مـداه واستمر الولـد في الاعتماد على امـه حتى بعـد تجـاوزه سن التصور، حيث يصبح اعتماده عليها في الشبـاب او الرجولـة شبيهـا تمـامـا بتعلـق الاولاد الصغار بامهاتهم واعتمادهم عليهن.

(٢٨) Exhibitionism : استعراء، تخـــايـل (افتضـــاحيـــة، كشف العـــورة) : الاستعراء بمعنـاه العـام هـو كل تصرف او عمـل يتسم بـالافراط من اجـل جـذب انتبـاه الغير وبغيـة حب الظهـور. وفي معنـاه الخـاص على صعيـد التحليـل النفسي هـو اظهــار طفـولـة للجنس يتبـدى كانحراف جنسي فيما بعـد من خـلال السلـوك الـذي يعتمـد استثـارة الـدوافـع الجنسيـة ويخرج عن اصـول اللياقـة. حتى انــه يـؤدي الى تـوفير

الاشباع والامتاع الجنسي عن طريق عرض الجسم او بعض اعضائه بصورة غير لائقة.

(٢٩) Trait : السمة خصيصة مميزة ثابتة في الشخصية عن طريقها يختلف الافراد الواحد عن الآخر.

(٣٠) Theory : نظرية : قاعدة عامة تستند على وقائع data تعرض لتفسير ظاهرة معينة.

(٣١) Process : عملية : يقول عنها لالاند A. lalande انها «تتابع الظواهر تتابعا يكشف عن وحدة ما او تتابعا منتظما .ويرى بعض المفكرين وجوب التفرقة بين العملية والظاهرة. فالعملية هي الوظيفة الفعالة، والظاهرة هي النتيجة الناجمة عن هذه الوظيفة.

أما H.C. Warren فيضع لها تعاريف ثلاثة هي :

١ـ تغير او تحول في النشاط الصادر عن شيء او عن كائن في مقابل جبلّته او بنائه.

٢ـ الطريقة التي يتم بها تغير ما.

٣ـ اي احساس او مضمون نفسي آخر نلاحظه من حيث هو حدث فقط دون الرجوع الى معناه او قيمته (تشنر Titchner).

(٣٢) Maturation النضج : التغيرات الارتقائية التي تأخذ مكانها في جميع اعضاء الانواع الاسوياء حينما تتهيأ لهم البيئة الناسبة.

(٣٣) من كلمة Variable التي تعني المتغير، فكلمة Variable هي مصدر صناعي كما ندعوه في العربية من كلمة متغير التي تعني «اية خصيصة يمكن ان تظهر بكمية متغيرة او نوعية متغيرة في الظروف المختلفة، هكذا ورد تعريفها في كتاب «علم النفس المدخل في علم السلوك» لمؤلفه لندكرين Lindgren وصاحبيه المار ذكره اما الكلمة Variable كما وردت في كتاب «المدخل في علم النفس لمؤلفه ميبكن هـ . ماركس Mebicn H. Marx فكما يلي «شرط او عامل خاضع للدراسة ويفضل عن طريق المعالجة باليد او الوسائل الميكانيكية، والقياس والهيمنة في تجربة. اما كلمة Variability ذاتها فقد ورد لها بيان في كتاب «علم النفس والحياة لمؤلفيه فلوريد ل .رك floyd L. Ruch وزميله فلب زمباردو Philip G. Zimbardo الذي سبق

ذكره كما يلي «انتشار او انحراف، غالبا مايستعمل كوسائل لتحديد مقدار الارتفاع او الانخفاض عن مستوى معدل الفرد عن زملائه في سمة معينة.
والمقياس العام او الشائع للمتغيرية هو الانحراف المعياري Standared Deviation.

(٣٤) Habit : العادة الشخصية : سلوك مكتسب متتابع ويكون ثابتاً نسبياً.

(٣٥) Generalized : معمم من كلمة Generalization التي تعني «عملية عقلية - فكرية على مستوى التصور الذهني بحيث يتم من خلالها تكوين المفهوم العام، استخلاص نتيجة عامة من عدة حالات خاصة.

(٣٦) Achievement : الانجاز، التحصيل ويعرفها لندكرين Henry clay Lindgren وزميلاه في كتابهم «علم النفس المدخل في علم السلوك» بما يلي «حافز للعمل بنشاط وفاعلية. ومثابرة في انجاز الاعمال وطلب اعمال اخرى لغرض انجازها».

(٣٧) Psychoticism : الذهانية : كما يتعلق او يتسبب او يتميز بالذهان Psychosis. والذهان هذا اصطلاح عام لكل اضطراب عقلي رئيس عضوي او انه ظهور انفعالي يتميز بتشويش الشخصية وفقدان الاتصال بالواقع. ويلازمه عادة اضطراب شديد الخطورة في سلوك الفرد وشخصيته.

(٣٨) Halo Effect : اثر الهالة (او خطأ الهالة) وهو العملية التي يتأثر بها الفرد حسب انطباع سابق في معلوماته او اعتقاده عن شخص حينما يصدر حكما عن ذلك الشخص في جانب اخر من الجوانب، فيكون في حكمه تحيز.

(٣٩) Tendency ميل، اهتمام، وهو اتجاه ممدد في تصاعد الحركة او الفكر صوب هدف او غاية. وقد يكون الميل فطريا او غريزيا لدى المرء، او ميلا مكتسباً بالخبرة والتعلم. على انه يشير دوما نحو هدف او يسير في وجهة معينة.

(٤٠) Dynamics لقد ورد ذكر هذا الاصطلاح في الحاشية برقم (٢١) بصورة موجزة جداً قد لاتفي بالمرام والان نذكره بشيء من التفصيل Dynanic ديناميكي وقد قال عنه لالاند A. Lalande في كتابه الذي مر ذكره «يستخدم هذا المفهوم بمعنيين : يستخدم احياناً باعتباره مضاداً لمفهوم «ثباتي» Static ومعناه حينئذ مايتضمن التحول والصيرورة. واحياناً اخرى يستخدم

باعتباره مضاداً لمفهوم «آلي» Mechanical ومعناه حينئذ مايتضمن مجموعة من التغيرات المترابطة فيما بينها تبعا لقوانين حتمية كما يتضمن زيادة على ذلك معنى القوة الدافعة ونوعاً من الغائية».

اما اوفاروف وجابمان E.B. Uvarov and D.R. Chapman في ... «قاموس في العلوم» المطبوع سنة ١٩٥١ فيقولان» ونحن نستخدمه بمعنى التغير داخل نظام. وعندئذ لايقف التغير عند حدود جزء معين من اجزاء النظام، وانما يشمل النظام كله ... به الى مستوى ... من ... وليس في هذا الاستخدام مجال للمعاني الميتافيزياوية واللاهوتية للغائية.

... الطبيعية بكثر استخدام مفهوم «اتزان دينامي» dynamic equilibrium: وذلك اذا كنا بصدد عمليتين متضادتين داخل نظام واحد تجريان بسرعة واحدة بحيث تحولان دون تغير النظام. مثال ذلك حالة الاتزان بين سائل وبين بخاره المشبع، فان سرعة التبخر من سطح السائل تكون مساوية لسرعة تكثف البخار».

وقد ذكر لفين R Lewin في كتابه «اصول علم النفس الطبولوجي المطبوع سنة ١٩٣٦ في نيويورك فقال «ويرى ليفين أن مفهوم «دينامي» يشير الى مجموعة الوقائع او المفاهيم التي تتعلق بالتغير وشروطه ويلاحظ ان الحقائق الدينامية لايمكن تعيينها الا بطريق غير مباشر.

...

الاجتماعي ومشاكله» المطبوع سنة ١٩٤٨ في نيويورك يستخدمان هذا المفهوم للاشارة الى مجموعة التغيرات الكيفية التي تحدث في بناء الجماعة ككل ... ي جزء

... المطبوع سنة ١٩٣٤

والذي مر ذكره فيقدم اربعة استعمالات لهذا المفهوم على النحو التالي :

١- فهو يستخدم في علم النفس للاشارة الى ما للسلوك والحالات الذهنية من علل ونتائج، مع الاشارة الى الحوافز بوجه خاص.

٢- كرادف لما يتضمن القوة او القدرة او التحريك والتغيير.

٣- للاشارة الى السلوك الصادر عن مجالات الطاقة الموجودة تبعاً لما تقضي به مبادىء الاتزان، حيث تحدث انواع النشاط المختلفة نتيجة للفوارق او التغايرات.
٤- يستخدم في التحليل النفسي للاشارة الى العمليات الذهنية اللاشعورية من حيث هو فعالة او مشحونة بالطاقة (اللبيدو) وبوجه عام يستخدم في البحوث السيكولوجية في مقابل مفهوم «ثباتي» وهذا المفهوم الاخير يشير الى البناء الذهني، الى وصف مرحلة معينة من مراحل التنظيم الذهني.

(٤١) Eros «غريزة الجنس» او غريزة الحياة» احد الحافزين اللذين يظهران عند الميلاد بالنسبة الى فرويد : وتشمل النضال كله للتركيب الخلاق، لذا فهي اكثر سعة من حافز الجنس sex وحده.

(٤٢) Thanamus الغريزة العدوانية او غريزة الموت احد الحافزين اللذين يظهران عند الولادةبالنسبة لفرويد. وتتضمن النضال كله نحو الانتحار او تدمير الوضع.

(٤٢) تصور واسع للقوى الجنسية Sexual انه طاقة الحافز الخلاق عند فرويد.

(٤٤) ID الهنا (الهو) : في نظرية التحليل النفسي هو الجزء البدائي من اللاشعور، يتكون من الرغبات العضوية الغريزية ويتميز بالدوافع المطلقة في نشدان اللذة.

(٤٥) Tension التوتر : حالة من الاحساس العام باختلال التوازن على الصعيدين البايولوجي او النفسي يصحبها تأهب واستعداد من جانب المرء لتغيير سلوكه بغية التصدي لعامل يتهدده في وضعية حقيقية او متخيلة. فالتوتر ينطوي على تصعيد في مدى استجابة الشخص، فيزيولوجيا او نفسياً، حيال وضعيات تواجهه وتهدده احياناً ومن اعراضه ومظاهره فوران الدم والتهيج العام وسرعة التنفس» هكذاوردالكلام عنه في» موسوعة علم النفس لاسعد رؤوف».

اما لفين K. Lewin في كتابه الذي سبق ذكره فيقول عنه انه«حالة منطقة من مناطق» المجال بالنسبة لسائر المناطق. وتنشأ هذه الحالة عن وجود قوى تضغط على حدود المنطقة. وتتجه الى احداث تغيير من شأنه ان يقلل من فوارق التوتر بين مناطق المجال».

ويصفه دريفر J. Drever في كتابة«قاموس حقيقيةعلم النفس»بأنه«شعور

بالشد strain او شعور عام باختلال الاتزان والاستعداد لتغيير السلوك لمواجهة عامل يتهددنا في موقفنا».

اما كريج وكراجفيلد D. Krech & R. S. Crutchfield في الصفحة ٣٩٦ و ٤٠ في كتابها «نظرية علم النفس الاجتماعي ومشاكله» المطبوع في نيويورك سنة ١٩٤٨ فيقولان «وقد استخدم فونت Wandt هذا المفهوم في اواخر القرن التاسع عشر. وذلك بان قرر ان «التوتر - والارتخاء» من الابعاد الرئيسة للوجدان.

ويستخدم كريج وكرنشفليد مفهوم التوتر كذلك بالنسبة للجماعات (Group tension) ويكون التوتر في الجماعة دليلاً على اختلال التوازن بين قوى الجماعة. وينتج عنه حدوث تغيير في بنائها في الاتجاه الذي يؤدي الى خفض التوتر بتحقيق اتزان جديد بين القوى.

ويعالج الباحثان هذا المفهوم ايضاً بالنسبة للشخصية بتوسع، ويقرران ان «التوتر» يتخذ عدة اشكال شعورية منها :

(أ) مشاعر غامضة بالقلق وعدم الرضى والحصر دون اشارة واضحة الى جانب معين في مجال السلوك.

(ب) مشاعر بالرغبة او الحاجة موجهة نحو اهداف معينة في المجال.

(جـ) مطالب معينة على اساس انها صادرة عن جوانب معينة من المجال.

فاذا لم يكن الفرد يدرك تماما نتائج التوترات التي يعانيها فنحن هنا نتكلم عن دوافع لاشعورية. ويمكن القول بوجه عام بان مفهوم التوتر يقوم وراء ذلك الجانب من جوانب السلوك الذي نسميه «بالدوافع» اما لالاند Lalande فيقول «استخدم الفلاسفة الرواقيون هذا المفهوم بمعنى الجهد الباطني الذي يبذله كل موجود للاحتفاظ بوحدته الطبيعية وتماسكه .

كما استخدم بير جانيه P. Janet مفهوم «التوتر السيكولوجي» للاشارة الى الحقيقتين الرئيستين اللتين تميزان الدرجات العليا في سلم الوظائف العقلية وهما :

١ـ الوحدة والتركيز.

٣ـ الكثرة او مجموعة الحالات السيكولوجية التي توحد بين هاتين الحقيقتين وهي التي تسمى «بالتوتر السيكولوجي».

ويستخدم هذا المفهوم في الدراسات الطبيعية. (وربما تأثر لفين بهذه الحقيقة في محاولة إشاعتها في البحوث السيكولوجية الحديثة».

فيشار «بالتوتر السطحي» (Surface tension) الى درجة التجاذب بين جزيئات السائل الواقعة عند سطحه، وتكون اعلى مما هي بين سائر جزيئاته. ولذلك تكون جزيئات السطح مايشبه الغشاء المطاط المتعرض لدرجة عالية من الشد.

كذلك يستخدم هذا المفهوم في الدراسات الفيزيولوجية. «فالتوتر العضلي» يشار به الى درجة الشد الواقعة على عدد معين من الالياف العضلية.

ويعتبر هذا المفهوم ممثلاً لطراز جديد من المفاهيم السيكولوجية. وذلك من حيث اتساع مضمونه (اذ يمكن استخدامه بدلا من عدد مفاهيم معا، مثل: حاجة ورغبة ودوافع وحوافز ... الخ). كما انه يشير الى حقيقة دينامية اكثر مما يشير الى حقيقة شعورية، (ولذلك فهو من هذه الناحية افضل من مفهوم الرغبة، وبالتالي فلسنا بحاجة عندما نستخدمه الى تحديد موضعه بالنسبة لمستويات الشعور . أضف الى ذلك إنه يستخدم في الدراسات الفيزيقية والفيزيولوجية والسايكولوجيه والاجتماعية . وهو بذلك يمثل محاولة يتمثل في كونها يمكن أن تستخدم استخداماً مائعاً دون ترتبط لمحدّد ، وهذا ممايعرقل البحث العلمي .

نستخدمه الى تحديد موضعه بالنسبة لمستويات الشعور).

(٤٦) Principle of reality مبدأ الواقعية في علم الاصطلاح الفرويدي يعني النشاط العقلي الذي ينشأ ليهيمن على عوامل اللذة تحت ضغط الحاجة او مطالب الواقع.

(٤٧) Pleasure principle مبدأ اللذة وهو الميل او النزوع المتأصل لدى جميع الدوافع والغرائز الطبيعية او «الرغبات» نحو البحث عن اشباعها وارضائها بمعزل عن كافة الاعتبارات الاخرى. وتعتبره النظرية الفرويدية بمثابة المبدأ الذي يتحكم عند البداية ويبقى دائما على صورة المبدأ الهادى في العقل الباطن او اللاشعور. وهذاما جاء في موسوعة علم النفس لاسعد رؤوف.

اما مليفن هـ. مارلس Meliven H. Marles في كتابه «المدخل في علم النفس» الذي مر ذكره فيقول عنه انه عند فرويد هو الحافز الفطرى نحو ارضاء حاجات

الجسم. وبصورة رئيسة الناحية الجنسية Sexual المفروض ان تكون المركز الى اللبيدو الموجه المؤثر للهو (ID).

(٤٨) Self control الضبط الذاتي : السيطرة التي يمارسها الفرد على مشاعره ودوافعه وافعاله، بحيث يكون قادرا على التحكم بها وتوجيهها وفقا لارادته كما يتسنى له ان يدرس عواقبها ويتحسب للمضاعفات التي قد تنجم عنها.

(٤٩) أ Reward ثواب ، مكافأة : المكافأة هي كناية عن حالة من التجربة السارة التي يسفر عنها نمط معين من السلوك يصدر بفعل عوامل خارجية وداخلية ومن شأن هذه الحالة ان تكون عامل تشجيع على معاودة النمط السلوكي الذي ادى الى بعض الرضا والسرور في نفس المرء، وقد يجري اعتماد المكافأة كلما نجح الشخص في اعطاء الاجابة الصحيحة بغية تشجيعه على المضي في الجد والنجاح.

ب ـ Punishment العقاب : اثارة اذى او ضرر يطبق عمليا بعد سلوك غير مرغوب فيه.

(٥٠) Introjection من اللاتينية، (من كلمة Intro التي تعني (في) او ضمن) + Jacere التي تعني يقذف) وتعني هذه الكلمة في علم النفس عملية عقلية عن طريقها ينتحل الشخص حادثة او خصيصة ويجعلها جزءاً من نفسه، او يثير في نفسه خصومة يشعر بها تجاه آخر.

(٥١) Free association التداعي الحر تتابع من الكلمات والافكار تكون فيه كل استجابة مثيرة لاستجابة اخرى من دون فرض اي تنظيم او توجيه.

(٥٢) Repression الكبت. وهو ماتطلق عليه كتب علم النفس النسيان اللاشعوري وهو عملية نفسية لاشعورية تتم في نطاق اللاوعي وتحول دون خروج الافكار الخائبة والرغبات المؤلمة او المحرّمة الى مجال الشعور والطفو على صفحة الوعي رغم بقائها على قيد الحياة والفعل في نطاق اللاشعور.

(٥٣) Feeling لهذه الكلمة معنيان الاول هو «الوجدان» والثاني الاحساس بالارتياح او عدمه اي يرادف كلمة Affection فالكلمة تعني الشعور. والشعور اصطلاح عام للدلالة على الناحية الانفعالية في التجربة مثل تجربة اللذة ونقيضها والاهتمام وماشابه ذلك. ويشمل عادة التجربة العاطفية. ويستخدم على صعيد شعبي

بمعنى غير محدد للدلالة على أية تجربة ولاسيا للاحساسات اللسية. وعلى صعيد الانفعال هو بمثابة الحالة النفسية او التوتر النفسي المصاحب لهياج العاطفة.

(٥٤) Suppression (الاقصاء ، القمع» وهو العملية الشعورية التي تكبح فيها الافكار والمشاعر والدوافع غير المرغوب فيها عن التعبير.

(٥٥) Collective Unconsciuos في نظرية يونك. اللاشعور العرقي او مستودع ذكريات العرق التي يعتقد ان كل فرد تصل اليه فهو يدل على العناصر في العقل الباطن لدى الفرد او في اللاشعور والمستقاة من خبرات العرق وتجاربه.

(٥٦) Archetype نموذج اول او متالي (مثال اصلي)

في نظرية الشخصية ليونك هو الرموز العامة والاستعدادات الموروثة في اللاشعور الجماعي. ويقول يونك بأن النفس الجماعية هي الاساس او القاعدة التي يرسو عليها كل تمايز او تفاوت شخصي والعقل البشري يحوي بقايا اصلية من تاريخ الانسانية وتطورها البعيد.

(٥٧) metabolism الأيض وهو مجموعة العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازم ودثورها، وخاصة التغيرات الكيمياوية (في الخلايا الحية) التي بها تؤمن الطاقة الضرورية للعمليات والناشطات الحيوية والتي بها تمثل المواد الجديدة للتعويض عن المندثر منها. هكذا ورد ذكرها في القواميس اللغوية التي استقتها من علوم الاحياء. ويعرف فلوبيلد وزمبارد في كتابها علم النفس والحياة هذه الكلمة بقولها انها «عملية كيمياوية تأخذ مكانها في جميع الانسجة الحية حيث بواسطتها تزود بالطاقة للاستمرار في عمليات الحياة.

(٥٨) genetic تولدى ـ تكويني : وهو مايتصل بالكائن العضوي لجهة المنشأ والارتقاء والتطور والنمو. فالتولدي له علاقة المنشأ الظاهرة او الحالة وبطلائع نمو تلك الظاهرة. كما ان التولد يشير الى الوراثة ولاسيا المورِّث المعروف بـ «الجين» والذي يحمل في ثناياه عوامل الوراثة.

٥٩ ـ **تحقيق الذات Seif actualization نضال الانسان المستمر لتحقيق امكاناته الفطرية كاملة،** وبالنسبة الى كولدستين Goldstein وروجرز Rogers وماسلو Maslow وآخرين على أنها الهدف الأساس الأكثر أهمية لشخصية الانسان .

٦٠ ـ الغائية Finalism تفسير فلسفي أو تعليل وتأويل للعمليات الحياتية على أساس غاياتها وأهدافها وأغراضها . وبهذا المعنى ينتقل الاصطلاح الى سيكولوجية المدارس التحليلية ، فيشير الى الغائية أو نهاية المطاف والحسمية بالنسبة للسعي والنزوع وسائر ضروب النشاط لدى الانسان .

٦١ ـ Pattern of life, Style of life نمط الحياة :

(عند ادلر) عبارة استخدمها أدلر ومدرسته للدلالة على طريقة فردية أو اسلوب فردي يتبناه المرء في مرحلة الطفولة المبكرة ثم لايلبث أن يدخل تعديلات على مجرى حياته اللاحق ويحدث تغييرات فيه . هذه الطريقة يستعملها الشخص لمعالجة مشاعره بالدّونية والنقص ولتحقيق التفوق واحرازه .

وللتوسع في معنى النمط Pattern ان هذا الاصطلاح كما ذكره كرج D.Krech وكروجفيلد R.S.Crutchfield في الصفحة ٣٧٧ من كتابها « نظرية ومشاكل علم النفس الاجتماعي » المطبوع سنة ١٩٤٨ « يستخدم للاشارة الى خطة العلاقات القائمة بين الأجزاء داخل كلّ معين ، فيمكن التفرقة بين عدة أنماط من العلاقات السوسيومترية بين الأفراد داخل جماعة ما أو عدد من الجماعات ، فهناك نمط السلسلة ونمط النجمة ونمط الشبكة انتهى .

ويلاحظ أن هذا المفهوم على درجة عالية من التجريد . فهو لايشير مباشرة الى ظواهر معينة ، ولكنه يشير الى مفاهيم أخرى أقرب منه الى الظواهر . فالـ (Monogamy) الزواج بين رجل واحد وامرأة واحدة) .

والـ (Polygamy) (الزواج بين رجل واحد وعدة نساء) والـ (Polyandry) (الزواج بين امرأة واحدة وعدد من الرجال) أنماط مختلفة لبناء الأسرة البشرية كما أن الانطواء والانبساط نمطان مختلفان لبناء الشخصية ، و « الثنائي الجدران Diploblastic » و« الثلاثي الجدران Triploblastiec نمطان مختلفان لبناء أجسام الكائنات عديدة الخلايا . والبلورات الجزئية (التي تتركب من جزيئات) والبلورات الأيونية (التي تتركب من أيونات موجبة وأخرى سالبة) نمطان مختلفان لبناء الأجسام الصلبة .

وورد في « تاج العروس » القاموس اللغوي المعروف مامؤداه :

١ ـ النمط الطريقة ، يقال الزم هذا النمط اي هذا الطريق .

٢ ـ والنمط النوع من الشيء

٣ ـ والتنميط الدلالة على الشيء . يقال من نمطك على هذا ؟
وقد ورد في دوزي R.Dozy ان لفظ «النمط » استخدم بما يقابل اللفظ اللاتيني Ordinare أي التنضيد .

(٦٢) ـ Altruism لفظ وضعه اوغست كونت للدلالة على الشعور بالحب نحو الآخرين ، وكمقابل للاثرة أو الأنانية (Egoism) .

فاعتقد ان الايثار هو المبدأ الذي سوف يحرز السيادة التامة مع تقدم الانسانية ثم جاء هربرت سبنسر فجعل الايثار مرادفا للخلقية، وقال انه حصيلة الارتباط بين المنفعة الذاتية الشخصية ومنفعة الغير.

(٦٣) الظاهراتية Phenomenology : وجهة نظر نظرية Therotical تعد الظاهرات Phenomena الوقائع data الاساسية لعلم نفس الحواس التي تؤخذ باعتبارها المعنى الظاهري. كان(هوسرك) اول من أطلق هذه اللفظة على مذهب فلسفي علمي قوامه وصف الظواهر بكل دقة وترتيبها بصورة محكة للغاية، يقصد تعريفها وتوضيها واستشفاف ماهيات المعرفة بخصائصها الثابتة. ويعتبر علم الظواهر بمثابة الطريقة الصحيحة لتناول علم النفس.

(٦٤) النهج الكلي molar approach : طريقة تنظر الى السلوك باعتباره كلا موحدا او على انه وحدة متكاملة Totality ومن هذا المنطلق يعرف السلوك او يوصف من حيث الاهداف والغايات اكثر من تحديده بكونه منبها واستجابة والتفسيرات الاجتماعية النفسية تفضل على التفسيرات الفسيولوجية، ويدرس السلوك على النطاق الواسع اكثر مما يدرس على النطاق الضيق.

(٦٥) Trauma الصدمة (او الرضة او الجرح) : كل اذى او جرح او رض ذي صفة جسمية او بنيوية في غالب الاحيان، وذي طابع عقلي ذهني ايضا، يتخذ صيغة الصدمة العاطفية ويؤدي الى احداث خلل او اضطراب مستديم تقريبا في الوظائف العقلية.

(٦٦) افتراض Assumption هو اعتبار قضية ما صحيحة استنادا الى الادلة المتوافرة لدينا، او الاخذ بعكس المبادىء المقبولة والمسلم بها. ثم التذرع بذلك من اجل اثبات قضية او ابطالها. والافتراض الاساس هو كناية عن مقدمة او قضية تبدو للباحث معقولة في ضوء الادلة فيجعلها اساسا للتدليل على نتائجه المنشودة يتميز بكونه ضروريا للنظرية التي تكتسب صحتها متى ثبتت صحة الافتراض.

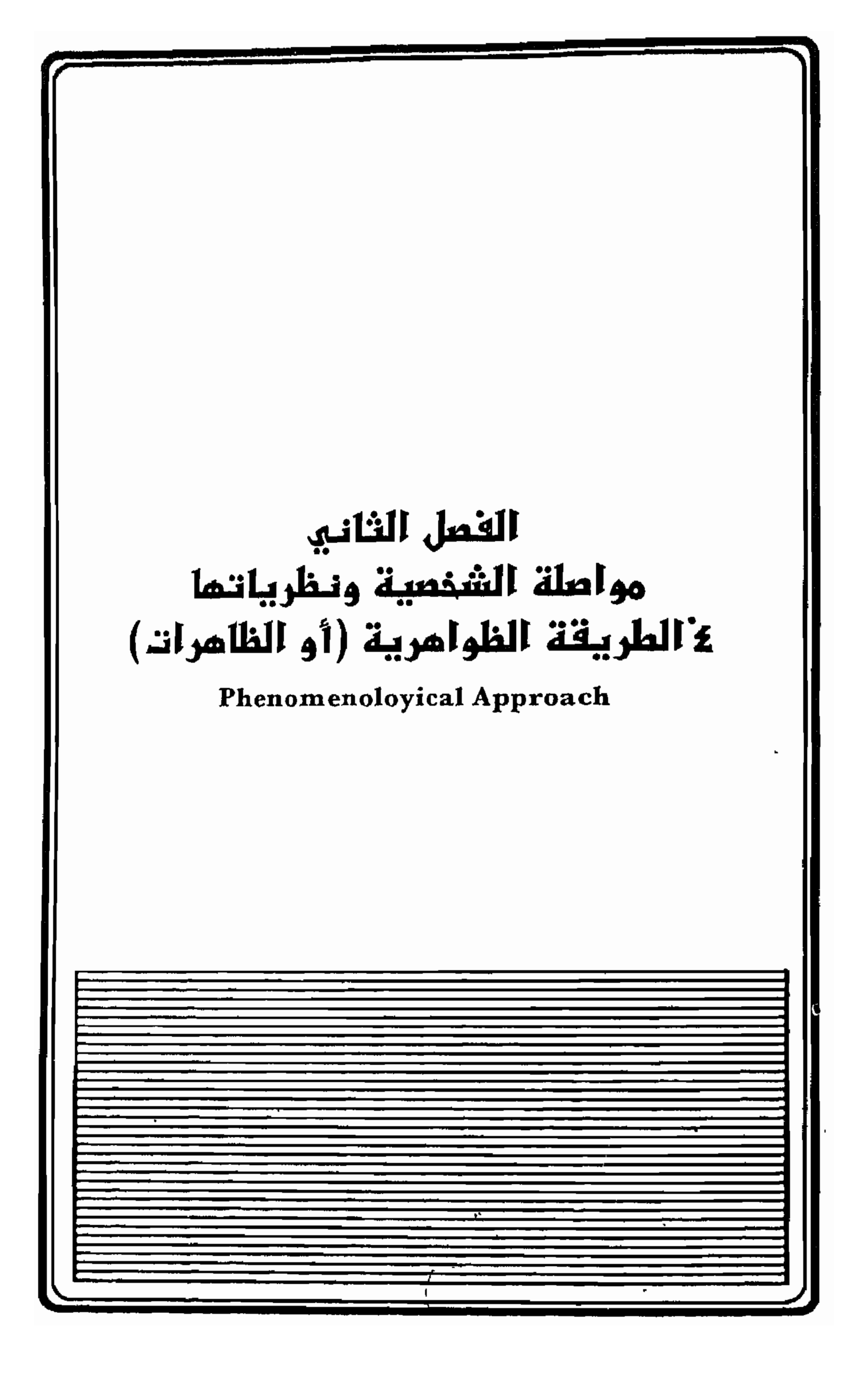
(٦٧) Culture الحضارة(أ) الطريقة التي يقرر بها المجتمع كيف سيؤدي اعضاؤه وظائفه. (٢) الجوانب المادية لذلك المجتمع وتتضمن الحضارة المعاهد الاجتماعية والمعرفة الحقيقية والمعتقدات والابداعات الفنية والاداب والعادات العامة والعادات الشخصية المشتركة والانجازات المادية لمجموعة من الناس.

(٦٨) neurosis : العُصاب : اضطراب انفعالي يتميز بفقدان المتعة بالحياة والافراط في استعمال ميكانيكيات الدفاع ضد الحَصار (القلق الشديد).

(٦٩) critical period : الفترة الحرجة والمقصود بها مرحلة النمو او وقتا محددا تحصل فيه خبرات معينة الحرجة في النمو الاعتيادي للطفل فان لم تحصل هذه الخبرات فان نمو الطفل يبقى ناقصا او قاصرا الى سن البلوغ وقد يمتد فترة طويلة من حياة الانسان.

(٧٠) Shame: الخجل(الخزي) : حالة عاطفية او انفعالية معقدة تنطوي على شعور سلبي بالذات او على شعور بالنقص والعيب لايبعث على الارتياح والاطمئنان في النفس. ويقول مكدوكل ان تجربة الخجل لايمكنها ان تتم الا متى مايكون قد نشأ لدى المرء احساس بقيمة ذاته فتولد عنده احترام لهذه الذات.

(٧١) Lateney Period : فترة الكُمون جاء تفسيرها في موسوعة علم النفس من اعداد الدكتور اسعد رؤف بانها «اصطلاح يستخدم في كتابات التحليل النفسي للدلالة على مرحلة من مراحل النمو الجنسي تمتد من سن الرابعة او الخامسة من العمر حتى بداية المراهقة. وتنفصل بين الجنسية الطفولية والسوية. وجاء تعريفها في كتاب»«مقدمة في علم النفس» لمؤلفة ملفن هـ. ماركس melvin H Marx في الصفحة ٧٢٣ والكتاب مطبوع في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٦ «الوقت الذي يقضي بين منبه(مثل ، منبه شرطي) والاستجابة الناتجة(مثل ، الاستجابة الشرطية). مقياس واحد لقوة الاستجابة.



الفصل الثاني

مواصلة الشخصية ونظرياتها في الطريقة الظواهرية (أو الظاهرات)

Phenomenoloyical Approach

لقد شرحت الشخصية على اساس عدد من النماذج[1](المناويل) للسلوك البشري وضعت من قبل الفلاسفة. بتطور علم النفس العلمي في بداية القرن الحاضر، وضع علماء النفس بعض النماذج الجديدة مثل النموذج السلوكي للانسان والنموذج الانساني والنموذج الوجودي والنموذج الظواهري. والمناويل الثلاثة الاخيرة قريبة الصلة من بعضها البعض. وفي هذا الفصل سندرس النظريات النموذجية تحت العنوان الواسع للمنوال(النموذج) الظواهري للسلوك الانساني مع ان هنالك فروقاً في الرأي من حيث الطريقة والمفاهيم للشخصية.

ونتكلم باختصار عن طريقة كارل روجرز Carl Rogers و(كلي) G. Kally وكيرت لفين Kurt Lewin.

الخصائص العامة لنظريات الظواهر:

١- النظرية الظواهرية باعتبارها تضاد الطريقة الموضوعية لنظرية التعلم للشخصية تؤكد على اهمية الخبرات الذاتية للشخص.

٢- انها تؤكد على اهمية الادراك وتنظيم الخبرات وتركيبها. فالعملية الادراكية هي المحدد الرئيس للسلوك الانساني.

٣- تضع تأكيدا اكبر على مفهومة الذات في تطور الشخصية.

٤- انها تؤكد على الخبرات الحاضرة. وان الطريقة التي يدرك بها الفرد عن طريق حواسه الاحداث في بيئته هي التي تحدد مزاجه في العمل .

نظرية كارل روجرز : Carl Rogers

لقد وضع كارل روجز طريقة مختلفة تماماً لفهم الشخصية الانسانية. فقد قدم في سنة ١٩٤٧ نظرية عرفت بنظرية النفس للشخصية، وهي تستند من حيث الاساس على علاجه المرتكز على العليل. وقد وضع الثقل على اهمية الفرد الذي يقرر مصيره الخاص

به. وقد تأثرت نظريته الى حد كبير بتدريبه المبكر كطالب للاهوت وباتجاهه العلمي في الحياة. لقد نقد كارل نظرية التعلم للشخصية على انها ميكانيكية. فلقد اعتقد ان السلوك لايستند من حيث البداية على الحاجات الفسيولوجية والدوافع وسلوك التباعد Avoidanec behavior، ولكن بدلا من ذلك على قوة دافعة عليا داخل الكائن الانساني وهي تدفعه الى انماط الشخصية المعقدة، اي ان الفرد يختار «شكلا» من تعزيز القوة الروحية او الثواب(٢) الروحي في احساس ديني ولكنه في احساس انجاز ذاتي.

تركيب الشخصية :

هنالك مفهومتان اساسيتان تشكلان القاعدة لنظريته في الشخصية: (أ) الكائن الحي (ب) ـ النفس(الذات). فالكائن الحي هو مركز، جميع الخبرات التي تأخذ مكانها داخل الفرد في وقت معين. والمجموع الكلي للخبرات يدعى((المجال الظاهراتي)) Phenomenal Field، وهو يكون المظهر الفريد او اطار(٣) الإسناد(اطار البحث). وهذا المجال الظاهراتي للفرد يتضمن المجموع الكلي للخبرات. والنفس(الذات) كجزء من المجال الظاهراتي ربما من الافضل ان ننظر اليها على انها مفهومة ((I)) ((أنا)) و ((Me)) ضمير المتكلم في حالتي النصب والجر، ونفسي My Self وبالاضافة الى مفهوم النفس هذه التي تدعى النفس الحقيقية، فهنالك نفس مثالية وهي تمثل مانود ان نكون عليه.

واستناداً الى روجرز ، فأن كلا» منا يمتلك (امكانا potentiaL لتحقيق الذات) . وتحقيق الذات عند روجرز يعني مجموعة من العوامل الموجهة ، والامكان المستقر فينا من الطفولة مثل البذور والموجود دائما ولكنه يحتاج الى ماء . والامكان الاساس موجود في الفرد ، ولكن يجب على الفرد ان يكون عارفا به . والفرد في ممارساته وخبراته يتأثر بميدان ادراكه كواقع وككل منظم حينما يسعى لتحقيق ذاته واثباتها وتعزيزها . والسلوك بالنسبة له ، من حيث الاساس جهود الكائن الحي الموجهة نحو هدف لتطمين حاجات كما جرت ممارستها في الميدان .

ديناميكيات الشخصية :

استناداً الى روجرز ، ان الكائن الحي يناضل بصورة مستمرة لتطوير النفس وتفتحها . ويركز الدافع على الكفاح الى هدف تحقيق الذات . وهنا في هذا الجانب من تحقيق الذات ، انه يشبه نظرية تحقيق الذات لماسلو Maslow . ولاجل ان نوضح الالتباس بين هاتين النظريتين نحاول الآن ان نتحرى الفرق بينهما .

التمييز الاول : هو ان روجرز يعتقد ان الشخص يمتلك إمكاناً لتحقيق الذات منذ بداية حياته ويسعى نحوه . وفي نظام ماسلو Maslow ان تحقيق الذات ممكن فقط بعد ان يواجه الفرد كثيراً من الحاجات الاساسية .

التمييز الثاني : هوان في نظام روجرز يكون الفرد محققاً لذاته اذا ما شعر بالارتياح ببيئته وذلك بالحصول على نتائج مرضية في حياته ويمتلك مفهومة نفسية سامية ، بينما في نظام ماسلو ، فأن تحقيق الذات يعني الوصول الى القمة في مجال منتقى من الحياة . ان ماسلو يعنى اكثر بالاهداف التي تلبي الحاجات الخاصة .

وليست هناك مراحل خاصة في تطور الشخصية بالنسبة الى روجرز . فان الكائنات الانسانية وقد ورثت ميلاً لتطوير ذاتها في عملية التفاعل ما بين الافراد والخبرات الاجتماعية المتيسرة لهم في البيئة . والحقيقة الناصعة للتطور هي كيف يرى الفرد نفسه ويقوّم قيمته في وقت معين . انه يؤكد اهمية الخبرة الحاضرة . ولغرض الحصول على تحقيق الذات ، هنالك أربعة شروط ضرورية :ـ

١ ـ يجب ان يكون الفرد محترماً ومحبوباً من قبل الأخرين .

٢ ـ على الفرد ان يمتلك الاحترام والثقة في نفسه وقدراته للحصول على اهدافه .

٤ ـ يجب ان تكون الفرص المتيسرة للفرد مفهومة بصورة واضحة . واذا لم يكن الفرد عارفاً بالفرص فأن نمو الذات يعاق .

٤ ـ يجب ان يرمز الى الفرص بصورة واضحة . فعلى الفرد ان لا يكون عارفاً بالبدائل فحسب بل يجب عليه ايضا أن تكون لديه اوصاف واضحة المعالم وفهم تام للفرص .

ان روجز لم يقدم نظاما«ثابتا» من المراحل في تطور الشخصية، مثل فرويد، وهو ، من الناحية الثانية، يؤكد على استرارية النمو، فالشخص باستمرار يكافح من اجل تكوين ذات، ويمتلك الفرد خبرات متعددة، فهو يدمج تلك الخبرات ضمن اطار اسناده(اطار البحث) اذا كانت ملائمة له، وفي عمله هذافهو يكوّن «ذاتا»، قد تكون ذاتا منبسطة Outgoing اومنعزلة ، وقد تكون ودية او غير ودية، وحينما تكون مفهومة الذات قد تشكلت فبعدئذ يجيز الفرد للاشياء الخارجية التي تلائمه في عالمه الخارجي بالدخول الى شعوره ويرفض تلك التي لاتلائمه. ان روجرز يدعو هذه العملية التكلم بالرموز او الاشارة بالرموز Symbolization ويعني اننا نميز او ندرك اشياء معينة على انها ملائمة لنا ونصفها في رموز لانفسنا،

ان تطور الشخصية علاقة متبادلة بين السبل او وجهات نظر الشخص الى خبراته وبين خبراته الاجتماعية الحقيقة وتعاملهن مع الافراد. وتطور الشخصية نمو مستمر يحدث بسبب النزعة الوراثية لنمو الذات، من جانب، وخبراتنا البيئية والاجتماعية من جانب اخر. وتركيب النفس (الذات) يتشكل بصورة خاصة كنتيجة للتفاعل التقويمي مع الاخرين وللقيم التي تكون من الذات والخبرات. واغلب سبل السلوك التي يختارها الكائن الحي هي تلك التي تكون متساوقة مع مفهومة الذات. فالشخص المتطور الناضج بصورة سليمة يجب ان يمتلك قيما متساوية مع سلوكه وعارفا بمشاعره واتجاهاته ودوافعه.

ولابد من وجود مرونة في تطور شخصية الفرد تقوده الى الابداعية والانتاجية حينما تواجهه مشكلة تتطلب الحل. والشخص السوي يزداد مرونة وابداعية وسماحة كلما ازداد نضجا .

ويؤكد روجرز على اهمية فردية دافع كل انسان في تطور الشخصية. وقد وضع نظاما «من العلاج النفسي يعرف بالعلاج غير المباشر او العلاج المرتكز على العليل(٤).

نظرية الا دراك لواضعها(كلي) Kelly Cognitive Theory

ان نظرية الادراك للشخصية وضعت من قبل George Kelly كردّ فعل للتحليل النفسي والنظريات الظواهرية للشخصية. وافتراضه الاساس هو ان اغلب سلوك الانسان يتأثر بالتفكير والحكم والحدس اكثر من تأثره بالغرائز والحوافز والنمو وقوى الدوافع المماثلة. وهو يرى تركيب الفرد في تفسير حادثة وموقف او المجتمع الانساني ،ن انه التأثير الاول في السلوك . وبالنسبة له، ان الفرد يتوقع الحوادث عن طريق تفسير مماثلاتها(٥). فالشخص يمارس الاحداث ويفسرها. وهو يضع تفسيرا ومعنى للاحداث. ان نظامه عقلي وتعليلي على مستوى عال في منظوره. ويستند على قناعته الراسخة بأن كل انسان قادر على ان يكون عالم وان يفسر نظريته الخاصة به ومن ثم انه يعتقد انسان يستطيع الى حد بعيد ان يهمن على حياته الخاصة به وان يتنبأ عنها.

تركيب الشخصية

ان تركيب الشخصية عند كلي Kelly بسيط. انه يتضمن نوعاً واحداً من العناصر((التنسيق الشخصي)). فالتنسيق الشخصي طريقة في بناء او تفسير المجتمع البشري يستند على تقويمه لنفسه وتقويمه للاشياء التي تؤثر في حياته ومشاعره والتي سيجيء بها المستقبل كنتيجة لتلك التقويمات. ويعتمد التنسيق الشخصي على علاقة الشخص مع اشخاص من ذوى الاهمية في حياته.

ان تفسيره للمجتمع البشرى وكذلك تفسيره لنفسه يعتمد على انعكاسات علاقته مع هؤلاء الاشخاص القريبين منه. وتلك التفسيرات كذلك تساعد في تحديد سلوكه الحاضر والمستقبل.

وعلى ذلك يبدو ان اول خطوة في تشكيل التنسيق(٦) هي تفسيره الشخصي لخبراته، والخطوة الثانية، هي تنظيم تلك التفسيرات ضمن اتجاهات attitudes على مستوى عال من التركيب لتصبح نظريات شخصية Personal عن المجتمع البشري. وبالنسبة لكل الناس ينسقون نظرياتهم الشخصية. ولما كان الانسان يواجه بصورة مستمرة بحل المشاكل، وبما ان ليست جميع التنسيقات ذات اهمية متساوية في حل تلك المشاكل فقد وجد كلي Kelly انه من المفيد ان نتكلم عن التنسيقات التي هي اساسية في قيام المرء بوظائفه :ـ

(أ)ـ التنسيقات الجوهرية والتنسيقات الخارجية : كمثال للتنسيق الجوهري الذي يشكله الفرد هو الاتجاه attitude تجاه حزب سياسي او منصب اجتماعي. فالفرد في هذه الحالة عرضة الى ان يكون متأثرا بالاشخاص من ذوي المكانة في حياته او بجوانب مهمة من مجتمعه مثل خلفيته الاجتماعية الاقتصادية. وعلى العكس، فالتنسيقات الخارجية تتضح في افضلية الطعام للانسان.

ديناميكيات الشخصية وتطورها :

بسبب الرفض البات لضرورة مفهومة الدافع للغريزة والحافز، او الحاجة، اخذ كلي Kelly موقفا «فريدا» في نظرية الشخصية. فقد احس بان مفهومة الواقع تدل على ان الانسان كان ماكنة عديمة الحركة تتطلب قوة داخلية لتحركه. ولتجنب تعقيدات الدوافع فقد افترض ببساطة ان الانسان يمتلك الطاقة الضرورية ليكون

الكائن الحي النشط الذي هو، كما وصفه كلي Kelly((الكائن الحي ولد مفعما بالنشاط في عالم نفسي زاخر بالحيوية والنضال))· وهكذا في ايماءة واحدة كبيرة دفع كلي Kelly بقوة مسألة كانت قد عجزت عن تقدم نظرية الشخصية لفترة طويلة من الزمن· لقد احسّ بذلك|نظراً|لاننانستطيعان نحل مسألة الدافع· لقد قام بذلك ببساطة بتقريره بأن الدافع مفترض وان الكائنات الحية من حيث التعريف مندفعة ·

لقد وصف كلي Kelly ((نظريات الدافع بأنها يمكن ان تقسم الى نظريات دفع ونظريات سحب· وفي نطاق الدفع Push نجد الحوافز والدوافع او المنبهات· ونظريات السحب تستعمل الغرض والقيمة والحاجة· ومن الناحية المجازية المعروفة انها نظريات المذراة Pitchferk من ناحية ونظريات الجزر Carrof· ولكن نظريتنا ليست من اي من اولئك))· ان كلي Kelly مثله مثل روجرز لم يكن له وصف واضح عن كيفية تطور الشخصية وبصورة أدق يبدو انه يجعل الافتراضات ثابتة عندما تبدو التنسيقات الشخصية على انها من عمل الخبرة· والتطور هو التنقية التدريجية المستندة على خبرات الفرد اي على التنسيق الشخصي· وعلى هذا، لما كانت التنسيقات تستند على الخبرات، فلذا كلما تنوعت خبرات الفرد وازدادت كلما تعقّد وتنقّى جهاز تنسيقاته والإسهام الرئيس الذى قدّمه كلي kelly هو تأكيده على العقلانية Rationality او الادراك في تطور الشخصية. وقد وضع دوراً ثابتا للعلاج يستحث فيه المريض للسلوك في سبل جديدة، وان يفكر في نفسه في سبل جديدة ومن ثم يصبح شخصية جديدة .

نظرية كارت لفين: Kurt Lewin's Theory

لقد كان كارت لفين في البداية مرتبطا بعلماء نفس الهيئة الكلاسيكيين· ومع انه لم يدّع انه كان عالما من علماء نفس الهيئة فقد استنشق نفسا من نظرية الهيئة في علم النفس· إنه لايمكن ان يدّعى عالما من علماء نفس الهيئة لانه يختلف بصورة ملحوظة في مفهومته للارادة (٧) والشخصية والعوامل الاجتماعية· وقد وضع نظريته الخاصة به والتي اكثر ماتعرف بنظرية المجال(٨)· وفي وضعه لنظريته كان متأثرا بمفهومات فيزياوية ورياضية· قبل ان نشرح نظريته في الشخصية التي هي اغلب

نظرية ظاهراتية في الشخصية من حيث فرديتها وتأثيرها، نحاول الان ان نتفهم بعض المفاهيم الاساسية التي وضعها في بناءِ نظريته:ـ

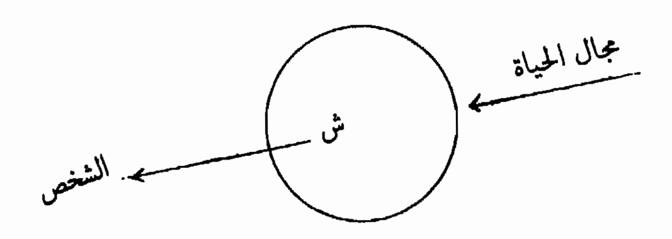
(١) التركيب البنيوي: لقد استعار كورت لفين لتكوين نظريته مفاهيم معينة من الهندسة اللاقياسية. فقد اعتقد ان الهندسة الطوبولوجية(الهندسة اللامقدارية او اللاكمية) يمكن ان تمثل بصورة ملائمة علاقة الجزء والكل. وتعرف الطوبولوجيا بانها فرع من الهندسة يدرس خواص الاشكال التي تبقى ثابتة في ظل تحولات مستمرة. وتلك الخواص هي لاكمية او لامقدارية، ولاقيمة للحجم والهيئة في الهندسة الطوبولوجية، وعلى سبيل المثال، الدائرة والمثلث والسطح المتعدد الزوايا والاضلاع Polygon متكافئة طوبولوجيا».

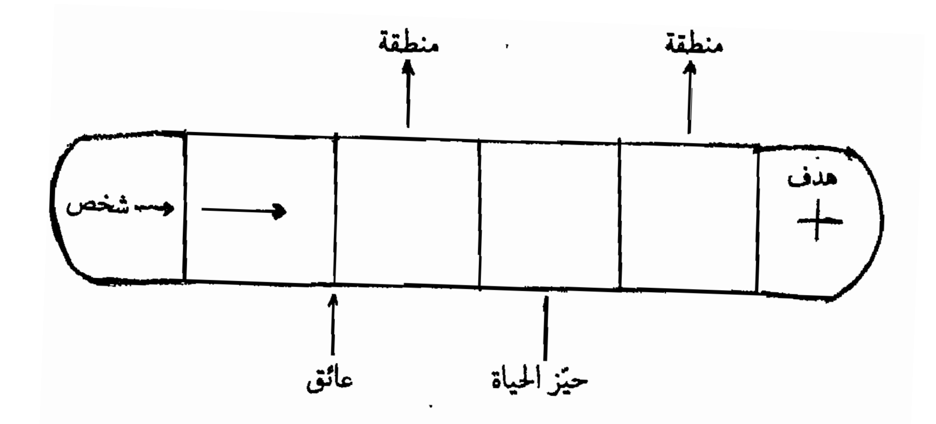
(٢) ـ العائق : كل شيء يبدي مقاومة الى تحرك نفسي يدعي عائقا Barrion.

(٣)ـ حيز الحياة، انه مجال نفسي يتضمن مجموع الحقائق التي تحدد السلوك في وقت خاص. ان الشخصية والبيئة في علاقتها يدّعوان حيز الحياة. والسلوك يمكن ان يمثل بالصورة التالية:ـ

السلوكية = تأدية عمل(الشخص، البيئة) = تأدية عمل (حيز الحياة). فالسلوك هو تأدية عمل الشخص والبيئة في حيز الحياة. وحيزالحياة يعرف من قبل كارت رايت Carturight بما يلي((حيز الحياة محدد، ولذا فأنه في اي وقت معين يتضمن جميع الحقائق التي لها وجود ويتضمن تلك ليس لها وجود بالنسبة للشخص او الجماعة التي تخضع للدراسة)). ان علامة حيز الحياة يمكن ان يمثّل بيانيا كما يأتي :ـ

(٤)ـ المناطق ان كل جزء من حيّز الحياة يمثل بمنطقة تعني ان يكون الفرد اكثر حرية في منطقة ما. ومفاهيم حيز الحياة والمنطقة يمكن ان تفهم بمساعدة الرسوم البيانية التالية:





(٥)ـ القوة الموجهة Vector: ان مفهومة القوة الموجهة استعيرت من الفيزياء والقوة الموجهة تمثّل المقدار والاتجاه. والانتقال والتغير يتطلب القوة الموجهة

(٦)التكافؤ Valence: اذا كانت احدى المناطق جذابة فيكون لهاتكافؤ إيجابي واذا كانت بغيضة مثيرة للاشمئزاز فعند ذلك يكون لها تكافؤ سلبي. والشكل التالي يبين علاقة القوة الموجهة والعائق والتكافؤ:

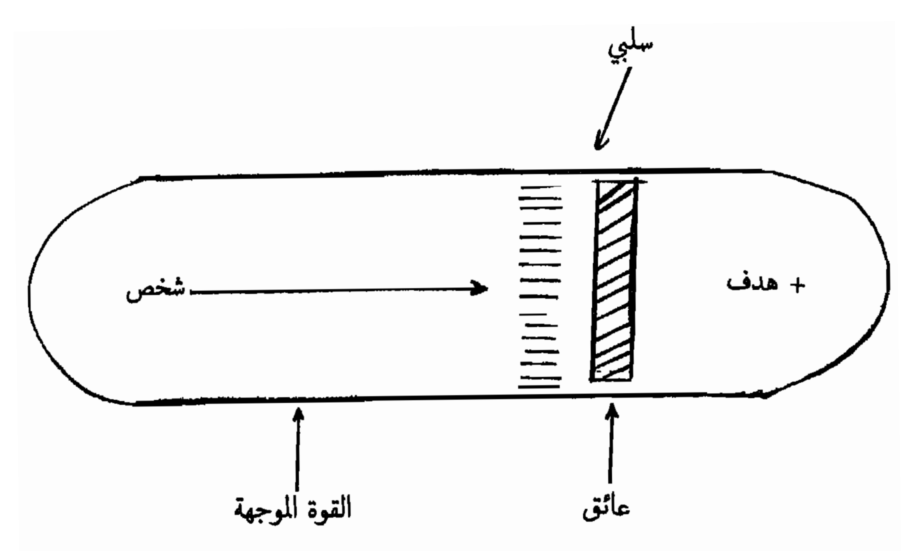
(٧)ـ الصراع: يوجه سلوك الكائن الحي نحو الاهداف ذات التكافؤ الايجابي الاقوى ويبتعد عن مناطق التكافؤ السلبي. ويمكن ان يحصل الصراع حينما يكتنف عمل ما كلا التكافؤين الايجابي والسلبي.

أ ـ صراع الاقتراب الاقتراب (اونيل الرضى) Approach – Approach Conflict انه صراع بين هدفين ايجابيين كلاهما جذاب. هنالك مواقف اجتماعية متعددة تمارس فيها هذا النوع من الصراع. فالولد الذي يرغب في الذهاب الى السينما والى المشاركة في منهج ذي فعاليات اجتماعية في آن واحد، يمارس هذا الصراع.

ب ـ صراع الاقتراب والاحجام: Approach – Avoidance Conflict

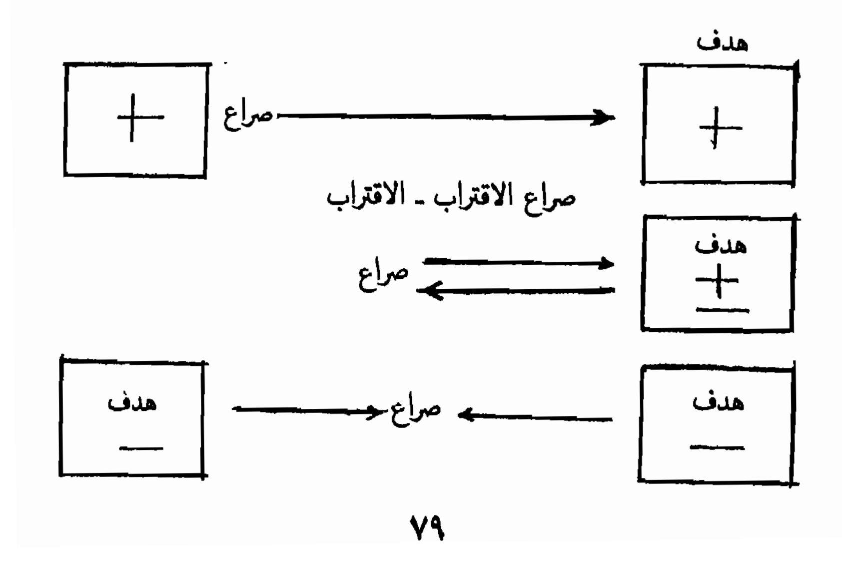
ج ـ صراع الاحجام الاحجام:

والشكل التالي يوضح عمليات ثلاثة انواع من الصراع:



لقد عرض كورت لفين النظام الدينـاميكي لتطور الشخصيـة ٠ فـالفرد دائم التغير بسبب القوى الداخلية والخارجية في توجيه الشخصية. فـالحـاجـات تولـد التوتر، والفرد، لاجل ان يقلل التوتر، يتحرك تجاه الهدف. وهو يحـاول ان يرجع الى التوازن من خلال عمليـة الطاقة النفسية.

ومفهومته المهمـة في تطور الشخصيـة هي التوتر الـذي يقلّل من قبل الفرد. فـالتوتر يستحث الفرد للحركـــة في حيز الحيـــاة ومقـــدار التـــوتر يختلف ممـــا فرد لاخر ومبعثه الرئيس حوافز فسيولوجية. ففي نظامـه ان الشخصيـة لاتتصف بـايـة اوجـه من التطور. فحياة الفرد تبدأ في حيز نفسي غير مختلف، وان نشاطه ينتقل من البسيط الى المعقد.



وشخصية اي فرد تتطور بسبب تفاعل مستمر في البيئة. والدافع يدرِّب او ينظم السلوك في علاقته مع الهدف. فحينما تكون هنالك حاجة يحصل توتر ويحاول الشخص ان يقلل التوتر. ففي نظامه ان التوتر لايتصل بالعوامل الفسيولوجية فحسب بل هو كذلك نفسي في طبيعته. لقد وضع نظاما للصراعات. وفي موقف صراع التكافؤات الايجابية والسلبية، يجد الفرد نفسه عاجزا عن حل التوتر. ان نظريته مهمة في فهم تطور السلوك لانه يضع التأكيد على قوى المجال Field forces وعلى البيئة الاجتماعية والادراك الحسي للمجال. والفرد إنما هو حصيلة تفاعل حيز الحياة.

نظرية التعلم للشخصية Learning Theory of Personality:

انه لمن الحقائق البديهية أن نقول ان عدداً ضخماً من البحوث قد ظهرت في الكتب والمؤلفات في الخمسة والاربعين سنة الاخيرة في علم نفس التعلم على اسس الدراسات التجريبية التي اجريت في المختبرات على الحيوانات والاطفال الصغار. وقد وضعت نظريات عديدة في التعليم من قبل علماء النفس تفسر الشخصية من زوايا مختلفة وتحاول ان تؤكد على جانب اكثر من جوانب اخرى. وبأمكاننا ان نتعرف على بعض القيم من كل طريقة لفهم السلوك.

فالعلماء المبرزون بافلوف Pavlov وواطسن Watson وكاثرى cuthrie وثورندايك Thomdike وسكنر Skenner ودولارد Dollard وميلر Miller وباندورا Pandura ووالترز Walters يعتبرون دراسة الشخصية فرعاً من حقل ميدان التعلم العام. وقد اشتغلوا في مشاكل تغيرات السلوك من خلال الخبرات وحاولوا ان يدمجوا تلك الخبرات في تطور الشخصية. وفي الصفحات الاتية من هذا الفصل عرض لوصف نظريات دولارد ميلر وباندورا ووالترز الذين فسروا تطور الشخصية من حيث عوامل التعلم ولكن من زوايا مختلفة تماما.

يتفق جميع علماء نظريات التعلم تقريبا على افتراضين اساسين في تفسير الشخصية. الاول هو ان جميع السلوك مكتسب من قبل الكائن الحي في عملية تفاعل مستمرة مع المنبهات الخارجية. وهذا الافتراض يتطلب ان يدرس علماء النفس عملية التعليم التي يُكتسب السلوك عن طريقها في البيئة. والافتراض الثاني إنّ على علماء النفس ان يؤكدوا على الموضوعية في دراسة السلوك. ان نظرية التعلم للشخصية. طريقة تختلف تماما عن نظريتي التحليل النفسي والظواهرية من حيث كونها تضع التأكيد على اهمية التعلم والموضوعية لفهم الشخصية. وعلماء علم النفس التجريبي مقتنعون بأن نظرية التعلم

افضل طريقة من حيث الموضوعية والثقة بها لفهم الشخصية · وقد اكد لاندن Lundin (١٩٦٣) على اهمية التعلم في تطور الشخصية بقوله((ليس هناك سبب لان نفترض ان دراسة الشخصية تقد اي مشكلة جديدة او فريدة لعلم النفس ويمكن ان نعتبر دراسة الشخصية بأنها فرع من الميدان العام للتعلم الذي يبحث بصورة خاصة تلك العمليات المهمة لتوافق الانسان))·

نظرية التعلم المنبه ـ الاستجابة التي وضعها دولاردو ميلر:ـ

S.R Learning Theory by Dollard and Miller

وضع ((دولارد))و ((ميلر)) نظرية الشخصية في معهد العلاقات الانسانية في جامعة ييل .Yale ونظريتها تُدعى تعلم المنبه ـ الاستجابة او نظرية التعزيز للشخصية· لقد استعارا افكاراً رئيسة من التحليل النفسي وحولاها الى نظرية التعزيز لهول Hull· وبالنسبة لهما((نظرية التعلم في شكلها الابسط هي دراسة الظروف التي تصبح بموجبها الاستجابات والمنبهات مرتبطة ببعضها، الاستجابة والمنبه مرتبطان وية بصورة يكون فيها ظهور المنبه يثير الاستجابة ويحدث التعلم استنادا الى عوامل نفسية معينة· والممارسة لاتوصل الى الكمال دائمًا· فالاتصال بين الاثارة والاستجابة يمكن ان تقوى فقط في ظل ظروف معينة. يجب ان يحفَّز المتعلِّم الى ان يقوم بالاستجابة ويكافأ لكونه مستجيبا في حضور الاستثارة ، ويمكن ان يُعبَّر عن هذه بصورة اعتيادية بالقول بانه لاجل ان يتعلم الفرد عليه ان يريد شيئا وان يلاحظ بعض الاشياء وان يقوم بعمل وأن يحصل على شي. وللدقة فان تلك العوامل هي الحافز والمثير والاستجابة والاثابة. ان تلك العناصر قد بحثت بعناية واكتشفت تعقيدات كثيرة .

ان نظرية التعلم التي وضعها((دولارد))و ((ميلر)) وُصفت بانها اعظم إسهام قيِّمٌ الى علم النفس· والسبب الاول هو انها حاولا ان يوحدا طريقتين مختلفتين في نظريتها ـ طريقة هول Hull في السلوك التي شرحها في كتابه (نظام السلوك مقدمة في نظرية السلوك التي تعُنى بالكائن الحي الفرد)) طبع مطبعة جامعة Yale ١٩٥٢ وبين طريقة التحليل النفسي· وهنالك كثير من الاشتراك في التحليل النفسي ونظرية التعلم الموضوعة من قبلها· والثاني انها نشأت من الدراسات التجريبية التي اجريت في المختبر· انها حاولا ان يفرغا في صيغة ثانية عوامل معينة من التحليل النفسي في علاقات متبادلة تساعد بصورة افضل على التجريب· واخيرا انها وضعا نظرية للتعلم لتفسر المدى الواسع للسلوك الذي يشمل كلا تطوري الشخصية السوي وغير السوى·

اسس التعلم : استنادا الى دولارد Dollard وميلر Miller

هنالك عوامل اساسية اربعة ذات اهمية في عملية التعلم هي :ـ

١ـ الحافز .... الدافع

٢ـ الاثارة......... المنبه

٣ـ الاستجابة ...... العمل

٤ـ التعزيز .... المكافأة

(١)ـ الحافز : انه اي منبه Stimulus(سواء كان داخليا او خارجيا) يبادر او يفرض عملا او تصرفا من قبل الكائن الحي. وتختلف الحوافز في قوتها في تنشيط السلوك.وهنالك ترابط ايجابي بين العمل الواقع والمنبه. فكلما ازداد الحافز قوة، كلما كان السلوك الذي يزوده هذا الحافز بالطاقة اكثر نشاطا او استمراراً. وكلما ازدادت قوة المنبه شدة كلما ازداد عمل حفزه، وحينما تُتبع استجابة مابتعزيز(مكافأة) فأن الاتصال بين المثير(المنبه) والاستجابة سيكون مقوىً ومن المحتمل ان تحدث الاستجابة نفسها. وتقوية الاتصال بين المنبه والاستجابة هي المشكلة الرئيسة للتعلم الذي يعتمد على التعزيز. فقوة بقية المنبه ـ الاستجابة تزداد مع عدد المناسبات التى حصل بها المنبه ـ الاستجابة سوية. والحوافز تصنف الى فئتين واسعتين كما يأتي:ـ

(أ)ـ الحوافز الاولية او الفطرية: وهي التي تنشأ من الحاجات الفسيولوجية للفرد (الجنس Sex، العطش،الجوع،الاوكسجين وما شاكل ذلك).

وهي ضرورية لبقاء الكائن الحي. وهي اكثر قوة في وقع الكائن الحي للعمل.

(ب) ـ الحوافز الثانوية او المكتسبة: انها ليست فطرية ولكنها مكتسبة من خلال عمليات التعلم الاجتماعي. وهي تنشأ بترافق متين مع الحوافز الاولية. وهي تتضمن التحبيذ approval، المال، الانفعال، الهيبة والتحصيل(الانجاز).... الخ.

وهي ايضا تدعى دوافع اجتماعية.

(٢) ـ المثير: المثير هو المنبه الذي يقود استجابة الكائن الحي حسب توجيه اوتحديد الطبيعة الحقيقية للاستجابة. واستنادا الى نظرية التعلم الشخصية فان المثيرات(المنبهات) هي اساسية في التعلم. فقد تكون داخلية او خارجية وتحدث استجابات من التعلم. والمثيرات مميزة في طبيعتها ومختلفة في المتعلمين في مواقف مختلفة في البيئة. والقدرة على التعلم عند الفرد تستند الى ادراك الخصائص المميزة للمثيرات. والمثيرات تحدد متى يستجيب الكائن الحي واين يستجيب واية استجابات سيقوم بها.

(٣)ـ الاستجابات: ان حالة الحافز التي تحصل بسبب الحاجات الفسيولوجية تستحث الكائن الحي للعمل. والعمل استجابة اساسية للتعلم. وأحداث استجابة ملائمة هو مرحلة حاسمة في التعلم فإذا لم يقم الكائن الحي بالعمل فلا يحصل تعلم.

(٤)ـ النعزيز : التعزيز مقوّم مهم في عملية تكوين بنية المنبه ـ الاستجابة. ويحصل التعزيز في وجود حافز. وقد يستعمل في برامج مختلفة لتشكيل سلوك الكائن الحي. والتعزيز المباشر، بعد الاستجابة اكثر فعالية من التعزيز المتأخر لان التعزيز المباشر يساعد في ترسيخ المكافأة مع العمل الذي يجب ان يتعلم الكائن الحي انجازه. فاذا ماكوفيء طفل مباشرة بعد استجابة صحيحة فعندئذ سيكون مقتدرا على ان يقرن المكافأة مع العمل الذي يجب عليه انجازه. ونحن نستعمل تقنية التعزيز في تعديل او تحويل سلوك الحيوانات والاطفال. ويحتاج التعزيز الى معالجة مفصلة ومن شاء ان يتوسع في معرفة ذلك فليرجع الى فصول التعلم الواسعة التي عرضتها كتب علم النفس.

خصائص اضافية للتعلم:

الى جانب العوامل الاساسية الاربعة للتعلم المشار اليها قبلا فان دولارد و ميلر شخّصا عددا من العوامل الاخرى الضرورية في عملية التعلم.

الانطفاء (الاخماد) Extinction: الانطفاء هو عملية إضعاف او إبعاد استجابات التعلم السابقة. لقد درسنا ان التعزيز يقوى الاتصال بين المنبه والاستجابة وحينما لاتكافأ استجابة ما فأن الاتصال بين المثير (المنبة) والاستجابة تضعف. والاستجابة التي تحصل عند فقدان التعزيز تقل في قوتها. ونستطيع ان نقول ان الانطفاء هو عملية ابعاد الاستجابات، وعملية الانطفاء لاتُبعد الاستجابة بصورة تامة.

ففي بعض الاحيان نجد ان العادة المطفأة تظهر ثانية بعد فترة من الوقت تدعى((الاسترداد التلقائي)).

تعميم المنبه: Stimulus Generalization

ان تعميم المنبه عملية تكون فيها الاستجابات المكتسبة من موقف واحد منقولة الى مواقف متشابهة متعددة. ومقدار تعميم المنبه يعتمد على التشابه بين موقفين، كلما زادت المشابهة ازداد تعميم المنبه، وكلما قل تشابه المواقف كلما كان تعميم المنبه اقل.

وتعميم المنبه مهم جدا في التعلم، اذ انه خلال هذه العملية تمتد الاستجابات المكتسبة من المثيرات الخاصة الى المثيرات التي تشبهها. وينزع تشابه المثيرات الى اظهار الاستجابات الصحيحة في موقفين مختلفين. وعمل درجة التشابه يدعى تدرج التعميم Gradient of Generalization

عادة تسلسل الاستجابة:

انها مفهومة اخرى وضعاها. وهذه المفهومة تزعم ان الكائن الحي يمتلك الامكان للقيام بأي عدد من الاستجابات لكل موقف منبه. ويمكن ان تنظم تلك الاستجابات من حيث احتمالات حدوثها في الموقف المنبه والسنوات المبكرة من الحياة مهمة اذ خلال تلك السنوات يكوّن الطفل تسلسلات استجابات متنوعة جدا بين قرائن لمنبه.

واعمالنا التي اتخذت صفة العادة الشخصية، التي تعلمناها من موقف واحد تعمم من موقف الى موقف ويمكن ان تحصل في قرائن متنوعة.

فاذا تعلم الطفل الذي يبلغ عمره العاشرة العدوان في بيئته البيتية فأنه يستطيع ان يسلك مسلكا عدوانيا في المدرسة او مع من يجاورونه والاتجاهات تجاه الوالدين يمكن ان تعمم على اشخاص اخرين مثل المعلمين والاصدقاء. واغلب سلوكنا ينشأ على عوامل التعميم.

وكلما كان الحافز قويا كان حدوث تعميم المنبه اكثر. وكلما ازداد شبه المثير (المنبه) بالمثير الاصلي، كلما زاد احتمال تعميم الاستجابة له.

التمييز:(٩) Discrimination

التمييز عملية مهمة في التعلم . ففي هذه العملية، تحصل الاستجابات المكتسبة بسبب مثيرات خاصة مناسبة في البيئة وليس لاخرى غيرها. فالطفل يميز قنينة ارضاعه من بين الاشياء الاخرى الموجودة في البيت. والطفل يتعلم التمييز بين اشياء كثيرة موجودة في البيئة مثل الكتاب والمنضدة والكرسي وغير ذلك.

ولا يؤكد دولارد Dollard وميلر Miller على اهمية اي تركيب جامد متحجر (استاتيكي) للشخصية. انها يؤكدان على تكوين العادة عن طريق التعلم بأعتبارها المفهومة الرئيسة في نظريتها للشخصية. فالعادات تتكون من اتصالات المنبه ـ الاستجابة عن طريق التعلم. فالعادات ليست متحجرة جامدة (ستاتيكية) ولكنها تتغير على اساس

الخبرات التي يحصل عليها الفرد في بيئته الاجتماعية. انها تحققا من اهمية الدوافع مثل الحصار(القلق anxiety) في ديناميكية تطور الشخصية. وتأثير حافزما مشتبك بحوافز مكتسبة مختلفة. وفي عملية التطور تنشأ عدة حوافز في قرائن اجتماعية. تلك الحوافز المتعلمة التي تكتسب على اسس حوافز اولية تمثل توسيع تلك الحوافز وتؤدي عملها كواجهة تختفي خلفها وظائف الحوافز الفطرية الاساسية، فالقلق والخجل والرغبة في الاستحسان تحرك اغلب تصرفاتنا في الحياة.

ولا يأتي التعزيز من المكافآت المباشرة ولكن عن احداث محايدة اكتسبت قيمة المكافأة فابتسامة الام تصبح مكافأة فعالة للطفل.

وقد وصفا تطور الشخصية من الحوافز البسيطة الى العمل المعقد. فالطفل عند الميلاد مزود بنوعين من العوامل الاساسية: الافعال الانعكاسية وتسلسلات من الاستجابة الفطرية، ومجموعة من الحوافز الاولية التي هي منبهات داخلية ذات قوة عظيمة ومرتبطة بعمليات فسيولوجية معروفة تحركه للعمل ولكن لاتوجه النشاط. ونظرية التطور تتضمن:

أ ـ تكوين استجابة جيدة.

ب ـ توسيع الاستجابات الحاضرة الى منبهات جديدة.

جـ ـ تكوين دوافع جديدة او متفرعة.

د ـ انطفاء (أخماد) أو ابعاد التداعي Association الموجود بين المنبه أ الاستجابة .

نقد وتقويم :

ان نظرية التعلم، المنبه ـ الاستجابة للشخصية تختلف عن جميع الطرق الاخرى. فقد اثرت في جميع مجالات علم النفس بتقديمها طريقة موضوعية تامة لتفسير السلوك الانساني. انها نشأت عن الدراسات التجريبية التي اجريت في المختبر على الحيوان بأساليب علمية. انها تؤكد على دور التعلم منذ الطفولة فصاعدا في تطور الشخصية. انها ترفض مفهوم الانا(الذات Ego) والأنا الاعلى (الذات العليا (Super Ego) التي وضعها فرويد. ومن دونما ريب ان نظرية التعلم، المنبه ـ الاستجابة، طريقة علمية وموضوعية لفهم تطور الشخصية. وقد نقدت بصورة عامة في النقاط الاتية:ـ

١ـ لقد نقد بعض علماء النفس هذه النظرية بأن اسس التعليم انبعثت من بحوث اجريت على الجرذان تحت ظروف مهيمن عليها . وهنالك شك فيما يتعلق بقابلية استعمالها على الكائنات الانسانية.

٢- ان هذه النظرية افرطت في تنشيط التعلم الانساني الى حد كبير. انها تتجنب التعلم الانساني المعقد. فعلماء النفس يدرسون السلوك البسيط في شكل علاقات. منبه - استجابة انها اهملا اهمية السلوك المعرفي. وقد اهملت الجوانب الحدسية Intuitive والذاتية اطلاقا.

٣- لقد افرطا في اهمية المحددات البيئية للشخصية واهملا جوانب وراثية وداخلية مهمة- . وهدفها الاساس ارتباط. المنبه - الاستجابة.

٤- تتكلم النظرية قليلا عن تركيب او عملية اكتساب acquisition الشخصية.

٥- انها متهمة بكونها طريقة جزيئية وذرية ومشضاة.. ان السلوك لايمكن التنبؤ عنه على اساس نظرية التعلم، المنبه - الاستجابة للشخصية. فالعمليات الادراكية للغة والفكر لم تفسر بصورة ملائمة عن طريق التعلم(المنبه - الاستجابة) للشخصية.

نظرية السلوك الاجتماعي لبندورا ووالترز

Bandura and Walter

لقد وضع بندورا ووالترز نظرية تعلم قائم على المشاهدة(نظرية التعلم الاجتماعي) للشخصية، وهي تختلف تماما عن نظرية التعلم، المنبه - الاستجابة لدولاردو ميلر التي تكلمنا عنها سابقا. ونظريتهما. دون شك، مثل النظريات الاخرى تستند على فرض ان السلوك مكتسب ويمكن ان تفسر الشخصية من حيث تراكم المؤثرات لسلسلة من الخبرات التعلمية. وأصول Principles التعلم تكفي لتفسير تطور الشخصية. ولكن طريقتهما تختلف عن نظريات التعلم الاخرى بصورة خاصة عن نظرية دولاردو ميلر في النقاط التالية:-

١- ان نظرية دولارد وميلر للشخصية مبنية على طريقة هول Hull الجديدة التي كانت قد رفضت من قبل باندورا ووالترز اللذين اكدا دور التعلم المبني على المشاهدة (المعرفة والادراك) في تطور الشخصية على عكس ارتباطات، المنبه - الاستجابة الضيقة.

٢- لقد استعار دولادو ميلر مفهومات اساسية من نظريات الفرويديين والفرويديين الجدد وحاولا ان يفسراها من حيث ارتباطها المنبه - الاستجابة. لقد حاولا ان يضعا طريقة بين نظرية التعلم للشخصية ونظرية التحليل الشخصي للشخصية ومن الناحية الثانية فان والترز وباندورا هما ضد الفرويدية ورفضا نظرية التحليل النفسي باعتبارها تفسير قاصر للسلوك.

٣- لقد اجرى دولاردو ميلر تجارب على الحيوانات في ظل ظروف مهين عليها في المختبر ووضعا قواعد اساسية للتعلم قدراها استقرائيا اي استنتجا من سلسلة من الملاحظات احوالا او تطورات محتملة الوقوع ولكنها غير ملاحظة Extrapolated اي استنتجا احتمال وقوعها في مواقف حياتية للانسان وقابلياتها للاستعمال والتطبيق مشكوك فيها. وعلى عكس رجال النظريات الاخرى فان باندورا ووالترز اجريا تجارب على الاطفال، وان استناجها التقديري لسلسلة مما اجرى في المختبرات لاحوال وتطورات محتملة الوقوع مما لم يكن مبنيا على الملاحظة امر زائف بالنسبة للحياة الواقعية.

٤- ان علماء النظريات الاخرين لم يأخذوا بحسابهم دور التعلم المبنى على المشاهدة(النماذج) في تطور الشخصية، بينما اكد باندورا ووالترز على الدور الرئيس للتعلم المبني على المشاهدة في تطور الشخصية.

وقد امدا بأساليب اكثر ثباتا من علم النفس المعرفي مع اسس تغيير السلوك وتعديله· وبالنسبة لباندورا وصاحبه ان قيام الانسان بالاعمال الرمزية المعرفية اكثر اهمية في اكتساب سلوك جيد·

القواعد الاساسية للتعلم الاجتماعي:

استنادا الى باندورا ووالترز، ان العامل الاساس جدا الذي هو في غاية الاهمية والتأثير في التعلم الاجتماعي انما هو التعزيز· وان اغلب سلوكنا في المواقف الاجتماعية يكتسب من خلال عامل التعزيز ومدى الاستجابات المكتسبة من خلال التعزيز غير محدود· والان سنحاول ان نتبين كيف ان السلوك العدائي يكتسب عند الاطفال· لقد اجريت تجربة على هذا التأثير، أجراهاكوان Cowan ووالترز Walters سنة(١٩٦٣)· لقد اجريت التجربة على عدد قليل من الاطفال الذين عرض عليهم مهرج مع علامة تقول((اضربني)) بلون واضح كتبت على المهرج· وقد لاحظ القائمون بالتجربة ان تقدير الاستجابات(الضرب) كان يزداد كنتيجة للتعزيز· وان هذه التجربة اكدت الحقيقة بان التعزيز الجزئي يؤدي الى مقاومة للانطفاء اكبر من التعزيز المتواصل·

وقد اكد باندورا ووالترز على اهمية التعزيز في مواقف يلاحظ فيها الشخص تصرفات شخص اخر(نموذج) شُجع او عوقب على تلك التصرفات، وقد استخلصا نموذجا مهما من التعزيز يعرف بالتعزيز البديلي Vicarious ويشير الى تغيير سلوك الشخص المشاهد عن طريق تعزيز مدبر الى نموذج(منوال Model) اقيم للمشاهدة· والايضاحات المستخلصة من الدراسات التجريبية التي اجراها باندورا ووالترز ستجعل مفهوم التعزيز البديل اكثر وضوحا· فأطفال رياض الاطفال الذين عرضت عليهم افلام عن الراشدين الذين يسلكون مسلكا عدوانيا او عرض امامهم راشدون احياء يتصرفون تصرفا عدائيا مع الدمى البلاستيكية وجدا ان هولاء الاطفال قد ظهر منهم سلوك عدواني مع كثير من دماهم dolls اللدنه· انها وجدا ان الاطفال الذين شاهدوا افلاما يتصف اشخاصها بالعدوان ينزعون الى السلوك العدواني تجاه دُماهم بالاسلوب نفسه، واظهروا عددا كبير من الاستجابات المماثلة تماما، ان مثل هذه الاستجابات قلما تظهر عند الاطفال الذين لم تعرض عليهم نماذج تسلك مسلكا عدوانيا، ان هذه التجربة تبين ان الاطفال يكتسبون استجابات جديدة عن طريق التعزيز البديل من خلال مشاهدة سلوك النماذج· ان عملية التعلم هذه عن طريق التقليد تتأثر بطبيعة التعزيز المعطى للنموذج· ولو حللنا بكل دقة سلوك الاطفال والمراهقين بل حتى الراشدين فاننا نجد ان اغلب السلوك ينحو الى مماثلة سلوك النماذج ويمكن أن نصنف النماذج الى فئتين واسعتين :-

١ـ نماذج الحياة الحقيقية : ويمكننا ان نضع تحت هذه الفئة الوالدين والمعلمين وابطال الافلام والاصدقاء والابطال الرياضيين، واغلب الاشخاص الناجحين في المجتمع او في البيئة المباشرة.

٢ـ النماذج الرمزية : وتتضمن النماذج التي نذكرها لفظيا، والمواد المصورة والمعروضة(الصور المتحركة والتفلزيون) والمواد المكتوبة والكتب والمجلات والاعمال الفنية. وكلا النوعين من النماذج متسمان بالتأثير في التعلم.

ومن الخبرة الشائعة ان مايراه الاطفال ومايصفون اليه في التلفزيون والصور المتحركة يحاولون ان يقلدوه في حياتهم الحقيقية. فتصفيفات الشعر والملابس والجنوح واساليب الكلام قد شاهدنا المراهقين يقلدونها في السنوات الاخيرة عن الافلام السينمائية والتلفزيون.

وقد استعمل باندورا وولترز اصطلاحا اخر، انه التعزيز النفسي او الذاتي Self - Reinforcement الذي يؤدي عمله في التعلم المبني على المشاهدة. فالاطفال والمراهقون. يميلون الى ان يستعملوا مستويات من التعزيز النفسي تناسب مستويات النماذج التي عرضت عليهم.

والتعزيزات الايجابية والثواب والمكآفات تلعب دورا كبيرا في التعلم الاجتماعي. انها تقوّى استجاباتنا وتنمي الميل الى اعادة الاستجابات ذاتها في المستقبل. وقد درس باندورا عددا من العوامل التي تؤديء عملها في التعلم الاجتماعي(التعلم المبني علىالمشاهدة). وفيما يأتي بعض المتغايرات Veriables :-

ا . خواص منبه النوذج (المنوال Model).

(١) ـ عمر النوذج وجنسه Sex والحالة الاجتماعية والاقتصادية كل ذلك يختلف بالنسبة للشخص. فالنماذج ذات المكانة الرفيعة تستأثر بمحاكاة اكثر من غيرها.

(٢) ـ مشابهة النوذج للشخص المقلّد: فكلما زادت المشابهة مع الشخص المقلد زاد حصول التقليد.

ب ـ نوع السلوك الذي يقدمه النوذج باعتباره مثلا يتشبه به الاخرون.

(١) المهارات الجديدة.

(٢)ـ الاستجابات من حيث كونها عدائية او مغامرة.

(٣)ـ مستويات المكأة الذاتية.

جـ ـ نتائج سلوك النوذج المقتدى به: فالسلوك الذي يحضى بالمكافأة والاثابة يكون احتمال التشبه به كثيرا.

ا.اور، الدوافع المقدمة للقائم بالمحاكاة:-

١- الارشادات التي تقدم لمن يقوم بالتشبه قبل ان يشاهد النموذج تزوده بدوافع قد تكون عالية. وقد تكون منخفضة بالنسبة لجلب الانتباه الى النموذج ولتعلم سلوكه.

٢- الارشادات الدافعة يمكن ان تقدم بعد ان يشاهد الشخص القائم بالتشبه النموذج الذي يعرض له وقبل ان يؤدي الاختبار. ان هذا يساعد في ان نميز التعلم، من انجاز استجابات المحاكاة.

ميكانيكيات التعلم القائم على المشاهدة:-

لقد درس بندورا Bandura وزملاؤه التعلم القائم على المشاهدة دراسة واسعة واجروا تحليلا لعملية التعلم بكاملها. وقد اكدوا على اربع عمليات فرعية متداخلة في التعلم القائم على المشاهدة وهي:-

١- العمليات الانتباهية: ان الانتباه الى النموذج هو اول عملية في التعلم القائم على المشاهدة. فالشخص القائم بها الخاضع للتجربة، عليه ان ينتبه الى النوذج لاجل ان يتعلم منه. ويتأثر الانتباه بعدد من المتغايرات Variables تتضمن القيمة الوظيفية السابقة للنموذج.

٢- عمليات الحفظ Retention: فالخاضع للتجربة لاجل ان تكتمل عنده المحاكاة لابد من حفظ مايتعلمه.

٣- الاعادة المطابقة للاصل للمهارات المحتذى بها بصورة حركية: فالطفل او الراشد قد يعرف بصورة ادراكية او بوجه التقريب ماذا يجب عمله ولكن مع ذلك يكون غير ماهو نسبيا في حالة القيام بها ذاتها. ولذا وجبت الحاجة الى ممارسة حركية وافية مع التغذية الاسترجاعية Feedback للنتائج لتتخذ المهارات شكلها. انه لمن المعروف ان بشيء من المهارات الحركية مثل كرة السلة ورفس الكرة والسياقة ورمي السهم نلاحظ ان التمرين المعرفي الكامن او الممارسة التخيلية يمكن ان تنتج تحسنا مهما في الانجاز الحقيقي.

٤- دور التعزيز: لقد بحث باندورا توقع التعزيز باعتباره عاملا دافعا يحدد اسلوبا من الادراكات والتصرفات كان قد تعلمها الفرد بصورة مبكرة.

عوامل التعلم الاجتماعي والشخصية :-

ان عوامل التعلم المبني على المشاهدة كان قد طبق من قبل باندورا ووالترز في تطور الشخصية. وان الطفل منذ حياته المبكرة جدا يتعلم عددا من النشاطات من

خلال مشاهداته لسلوك الاخرين. فالطفل الذكر يحاكي سلوك والده، كما تحاول الطفلة ان تحاكي سلوك والدتها. والنموذج الذي يشاهده الطفل في بيئته يلعب دورين مهمين في التعلم الاجتماعي. الاول : ان سلوك النموذج المشاهد قد يقوم باظهار بعض الاستجابات عند المشاهد مما هو في ذخيرته Repertoire دائما وهذا يحصل حينما يكون السلوك مقبولا اجتماعيا. وقد لوحظ ان الاطفال يمكن ان يحاكوا بشخصياتهم الاشخاص الذين لايحبونهم ان كان سلوكهم ناجحا.

لقد درس باندورا ووالترز اكتساب انواع مختلفة من السلوك عند الاطفال والمراهقين. وبالنسبة لميلر Miller يعبر عن العدوان بصورة غير مباشرة او انه يحصل خارج البيت، ولكن باندورا على عكس هذا الرأي، فقد اشار الى ان الاطفال العدائيين الذين يعاقبون في البيت ولكنهم يكافأون في خارجه يتعلمون العدوان. والاتجاه الى التخلق بالعدوان خارج البيت انما هو مثال لاكتساب تمييز يستند، على تاريخ التعزيز لهؤلاء الاطفال. انهما يرفضان نظرية ميلر Miller القائمة على اساس ان النقل العاطفي قد يحدث او لايحدث وإذا ماحصل فأن الهدف الدقيق للتعبير عن الميل يختار كنتيجة لتاريخ تعزيز محدود توجه فيه الاستجابات بصورة مباشرة نحو ذلك الهدف الذي عزز بصورة مباشرة او بصورة بديلة.

ان التعلم القائم على المشاهدة يلعب دوراً مهماً في تطور الشخصية. اننا نستطيع ان نحصل على مجموعة متنوعة من الاستجابات الجديدة مثل الاعتداء والجنس والاعتماد... الخ من نموذج ما. ان تقوية واضعاف استجابات غير مشبعة مثل اكتساب، خوف اعظم او اقل من خلال مشاهدات سلوك نماذج اوضح باندورا في تجربة ان تقنية المشاهدة استطاعت ان تقلل رهاب (خوف Phobia)(١٠) الافعى، وتثير المشاهدة ايضاً الاستجابات الموجودة حالياً في ذخيرة الفرد اي التي سبق ان اكتسبها. وحينما نلاحظ المراحل في تطور الشخصية، نجد انهما لم يدّعيا الاستمراريات وعدم الاستمراريات في تطور الشخصية. مثل الفرويديين وآخرين من واضعي النظريات. انهما يؤكدان ان هنالك فروقاً واضحة بين الاشخاص في تاريخ تعزيزهم. ولتلخيص المفهومات الرئيسة في نظريتهما، نستطيع ان نقول انهما أكدا على دور التعلم القائم على المشاهدة والذي من خلاله يحاول الفرد ان يحاكي سلوك النموذج الذي شوهد سلوكه. وقد اعطيا اهمية كبيرة للمحاكاة في التعلم وقد حددا الشروط التي في ظلها سيعيد الطفل سلوك النموذج. وقد ذكرا ان الاطفال يميلون الى محاكاة سلوك الراشد الذي امتلك التعزيزات ووضعها قيد التنفيذ اكثر من الراشد النموذج الذي تنافس للحصول على التعزيز.

ان نظرية التعلم للشخصية التي وضعها باندورا ووالترز يبدو انها ملائمة تماماً لتطور الشخصية ولكنها نقدت من ناحيتين مهمتين الاولى ان النظرية طريقة ضد السمات وضد الوراثة بالنسبة للشخصية. انها تضع التأكيد على تاريخ التعلم الخاص للفرد الذي يؤدي الى ان يسلك بطريقة خاصة في موقف خاص. ان هذه الطريقة تؤكد على اهمية كل موقف خاص في اظهار نموذج سلوكي خاص لكل موقف خاص. انها لاتسمح لتأثير البنية الوراثية او الطراز العرقي في تطور الشخصية. إن تأثير البنية الوراثية والطراز العرقي هي تلك التأثيرات الموجودة قبل عملية التعلم الاجتماعية ومنفصلة عنها. والنظرية تتجاهل او تقلّل من قيمة اي محدّد داخل الكائن الحي للسلوك الذي لا يمكن ان ينبعث من تاريخ تعلم الشخص الاجتماعي. وتأثيرات البنية الوراثية او ما يسمى الطراز العرقي تلعب دوراً مهماً في تطور الشخصية التي تجاهلها باندورا وزملاؤه. والنقد الثاني هو الذي وجهه أبستن Epstein وفرنز Frenz اللذين اجريا تجارب على ردود الفعل على رياضي الهبوط بالمظلة على صراع الاقتراب والاحجام الذي يحدث من القفزة الآتية قريباً. ان هنالك ادلة عديدة تبين ان القافزين في المظلة المبتدئين خائفون جداً حينما يقتربون من موقف القفز الذي هو مناقض لعوامل التعلم الاجتماعي الذي وصفه باندورا ووالترز. إن نظرية التعلم الاجتماعي تحتاج الى تعديلات معينة في ضوء البحوث الحديثة التي اجريت من قبل علماء النفس.

مصادر وقراءات اضافية

١ ـ (التوافق والشخصية) طبع سنة ١٩٦١ لمؤلفيه ريجارد ولازاروس.

٢ ـ (سيكولوجيا الشخصية والتوافق) طبع سنة ١٩٧١ لمؤلفه فرانز.

٣ ـ (الشخصية والعلاج النفسي) طبع سنة ١٩٥٠ لمؤلفيه دولارد وميلر.

٤ ـ (نظريات الشخصية) طبع سنة ١٩٦٨ لمؤلفيه هول ولندزي.

٥ ـ (سيكولوجيا التنسيقات الشخصية) طبع سنة ١٩٥٥ لمؤلفه كيلي.

٦ ـ (نظريات المجال ا لعلوم الاجتماعية) طبع سنة ١٩٥١ لمؤلفه لفين.

هوامش الفصل الثاني

(١) ـ Model نموذج، منوال، وهو تنظيم حدسي من العناصر والعمليات، عادة يؤخذ من بعض الحقول الاخرى (الرياضيات او الفيزياء، مثلاً) ويستعمل كتحليل اولي للعمليات او الحوادث التي تنقصها بعض المعلومات (الوقائع data) الكاملة في الوقت الحاضر. فالكومبيوتر مثلاً اقترح كمنوال ليفسر وظائف الدماغ.

(٢) ـ Reward ثواب، مكافأة، تعزيز القوة ويقصد بها كناية عن حالة من التجربة السارة التي يفسر عنها نمط معين من السلوك يصدر بفعل عوامل خارجية او داخلية. ومن شأن هذه الحالة ان تكون عامل تشجيع على معاودة النمط السلوكي الذي ادى الى بعث الرضا والسرور في نفس المرء.

(٣) ـ Frame of reference اطار الاسناد (اطار البحث): يقال له ايضاً اساس الاسناد او الاطار المرجعي. وهو في علم النفس صفة مميزة لكل الخبرات والسلوك حيث يوجد مجال لاصدار الحكم او التقويم، اذ يأتي الحكم او التقويم بالرجوع او الاسناد الى سلسلة من المعايير والمبادئ او بنية من المقاييس والمفاهيم الاساسية، وكل من السلسلة والبنية قائمة في تجربة الفرد ومتطورة معها. وتتجلى هذه الصفة على كافة المستويات، من الادراك الى الاستنتاج، كما على جميع مستويات الشعور والفعل، ولاسيما في ميدان علم النفس الاجتماعي.

(٤) ـ Client–Centered tharapy: العلاج المرتكز على العليل: وهو منحى في العلاج لا يقوم على التوجيه وبأصدار التعليمات للعليل ولا ينجم عنه خلل في العلاقة بين المعالج والعليل. قام بتطويره على نحو رئيسي كارل روجرز، وهو يستند الى نظريته في الشخصية.

(٥) ـ Replication: اعادة تجربة في ظل ظروف مماثلة لرؤية ماذا اعطت نفس النتائج.

(٦) ـ Construct: التنسيق: مفهومة قدمت لاجل ان تمثل علاقات علمية معينة او حظت علمياً او التناسقات في السلوك ويمكن ان تتخذ كأساس للتنبؤ لاجراء بحوث اوسع.

(٧) ـ Will الارادة: عملية جهد اختياري تجاه هدف او بعض الاهداف.

(٨) ـ Field Theory نظرية المجال: استعمال العوامل المترابطة المتعددة في نظرية نفسية تستند على مماثلة مع قوى المجال (مثل المجالات المغناطيسية) في الفيزياء، وغالباً ماترتبط بعمل كورت لفين.

والحقيقة ان هذه التسمية تطلق على نظريتين: نظرية الهيئة في انطلاقتها من الافتراض القائل بأن العمليات والحالات الواعية لدى الفرد يمكن ارجاعها الى

انظمة مجالية في الطاقة، وان السلوك والخبرة في تنظيمها الكشتالتي (الهيئي) مصحوبان بعمليات فيزيولوجية تتجلى على صورة تغيرات في طاقة ذات طابع كشتالتي (كوفكا وكوهلر). ونظرية كورت لفين في بحوث الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، حيث لاتؤخذ العناصر الفيزيولوجية بعين الاعتبار، بينما ترجع حالات الفرد الى قوى المجال النفسي الفاعلة آنياً. ويعرفها هنري كلاي لندكرين ودون بيرن ولويس بترينوفيج في كتابها (علم النفس، مقدمة في علم السلوك صفحة ٥١٤) بأنها طريقة وصف الاحداث النفسية بجعلها مفاهيم كما تنتج عن خصائص وظروف المجال التي هي جزء منه.

(٩) ـ Discrimenation التمييز: والمقصود به ان يستجيب الفرد بصورة مختلفة للمنبهات المختلفة.

(١٠) ـ Phobis رُهاب: والمقصود به الخوف المفرط اللاعقلاني من شيء او موقف.

الفصل الثالث
محددات الوراثة

هنالك صراع دائم بين الوراثيين والبيئيين حول اسهام ذينك العاملين في تكوين شخصية الفرد. فهنالك طائفة من علماء النفس تفرط في التأكيد على مؤثرات البيئة[1] وابعاد أثر الوراثة[2] في نمو وتطور الشخصية، وهنالك فئة اخرى من علماء النفس تدّعي تفوق الوراثة على البيئة في تكوين الشخصية. والحقيقة لا يمكن ان ترسم خطاً حاسماً بين اسهامات الوراثة والبيئة في التكوين. وهذه مشكلة قديمة لم تزل الى الآن بلا حل بصورة نهائية.

وما من شك في ان الفرد حصيلة الوراثة والبيئة. اذ ان الفرد حصيلة تفاعل مستمر لعوامل الوراثة والبيئة. والطريقة التي يشبه بها الفرد الاخرين او يختلف عنهم في انجازه وشخصيته تُعزى لتلك العوامل. ولذا فعلى المدرس ان يكون عارفاً بالفروق الفردية[3] واسبابها لاجل ان يعلم تلاميذه بكفاية وليتعامل معهم بصورة مؤثرة في قاعة الدرس.

ولاجل ان يفهم السلوك، على المدرس ان يلم بالمعرفة الاساسية لعلم الوراثة[4] لأن الكائن الحي يولد بوراثة بايولوجية معينة. وآثار الوراثة في الفرد من اوجه عديدة تعتبر اموراً اساسية لفهم العوامل الانسانية التي تؤثر في تطوره. وانه لمن الصعب ان نبحث بتفصيل جميع الدراسات التي تلقي الضوء على اسهام الوراثة والبيئة ولذا فسنقتصر على ذكر القليل منها.

ما الذي يحدد الشخصية

الانسان حصيلة نظام معقد من المتغايرات التي تتفاعل بصورة دائمة في الشخصية وشكلها. وهنالك محددات مهمة تؤثر في الشخصية اكثر من العوامل الاخرى. فعوامل المورّثات Genetic Factors اساسية في تحديد تطور شخصية الفرد. والمحددات الفسيولوجية مثل الغدد الصم[5] والجهاز العصبي والانفعال والدوافع كلها تلعب دوراً هاماً في تطور شخصية الفرد. والعوامل الاجتماعية والحضارية كذلك تساعد في تشكيل الشخصية. وسنبحث فيما يلي فقط المحددات الوراثية والاجتماعية والحضارية للشخصية

(١) المحددات الوراثية

لنبدأ اولاً بايضاح معنى اصطلاح ((الوراثة)): ان الوراثة على شكلين :-

وراثة بيولوجية وهي التي يرثها الطفل عن اسلافه في شكل كروموسومات. والثاني الوراثة الاجتماعية التي تعني كل مايحصل عليه الجيل من الاجيال السابقة في شكل عرف وتقاليد وعادات ومهارات... الخ. فكل جيل ينقل المهارات المكتسبة والمعرفة الى الاجيال التي تليه.

عوامل الوراثة :

كلٌ ينجب على شاكلته. وحتى الرجل العادي يعرف انه من الفطرة السليمة ان القطة تلد قطيطة وان الاسد ينجب الاشبال وان الانسان يلد الاطفال. والاطفال بصورة عامة يشبهون والديهم او اقرباءهم او اجدادهم. وهنالك حالات عديدة يلد فيها الوالدان الذكيان اطفالاً اغبياء او ان الوالدين الوسيمين يلدان اطفالاً قبيحي الشكل. ان هذا التغاير شائع في الطبيعة ويدعى عامل "تغاير الوراثة Variability of inheritance. وهنالك عاملان احدهما عامل المشابهة والثاني عامل التغاير.

المادة المورِّثة :

نحن نعلم ان البذرة الصغيرة تحمل بنفسها جميع العوامل التي من خلالها تنشأ شجرة كاملة مكتملة نامية. وفي الطريقة ذاتها، فأن الخلايا الجرثومية تحمل كل خصائص الطفل الكامنة. وهذا يدعى الوراثة البايولوجية للطفل.

ميكانيكية الوراثة :

حينما يتحد الحيمن الانساني مع البويضة فأن البيضة المخصبة تدعى زايكوت Zygot. وكل والد يزود بثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموسومات لعملية التلقيح. والكروموسومات تدعى ايضاً الجسم الملون. وكل خلية في الجسم تشتمل على العدد نفسه من الكروموسومات. وعدد الكروموسومات في الخلية ثابت بالنسبة لنوع معين ولكنه يختلف كثيراً من نوع Species الى نوع. فجميع الخلايا الانسانية تمتلك ستة واربعين كروموسوماً، نصف هذه الصبغات الوراثية تأتي من الام والنصف الآخر من الاب. وفي

داخل الكروموسومات هنالك آلاف من المورثات genes وتلك المورّثات هي عوامل الخصائص الوراثية من جيل الى جيل. والمورثات جسيمات دقيقة مكانها في الكروموسومات.

الدستور الوراثي :

حديثاً جداً، في سنة ١٩٦٢ اكتشف الحائزون على جائزة نوبل تركيب مادة الوراثة التي ألقت ضوءاً جديداً على الدراسات التقليدية لتركيب الكروموسومات. فالكروموسومات متكونة من جزيئات عضوية طويلة مادتها ((الحامض النووي)) DNA[٦] موجود في الكروموسومات كسلسلتين مجدولتين طويلتين تتصلان على نحو دوري بأربطة كيماوية.

والسمة الاغلب ثبوتاً للمادة الوراثية هي نظام اربعة مركبات اساسية تربط سلسلتي الحامض النووي DNA. ان تشكيل وراثتنا ليس في طول سلاسل الحامض النووي DNA في نظام ظهورها بين سلسلتي الحامض النووي DNA. فجنس الفرد Sex يحدّد عن طريق المورثات. ان زوجين من الكروموسومات يختصان بجنس الطفل Sex. والنساء عندهن اثنان من الكروموسومات المختصة بالجنس تدعى كروموسومات X. والرجل عنده X وY أطول منه.

ولذا فنحن نرى ان الذكر عنده كلا نوعي الكروموسومات الـ X وY. فاذا ما حيمن من الـ X يتحد مع بويضة وهي تحمل كروموسومات X طبعاً فالطفل سيكون انثى. اما اذا التقى الحيمن Y ببويضة فأن المولود سيكون طفلاً ذكراً.

السمات السائدة والمتنحّية للمورثات :

المورثات Genes[٧]، وهي التي تحمل السمات الانسانية، على نوعين: سائدة ومتنحية. وتوجد المورثات بصورة زوجية على طول الكروموسومات تحمل امدادات للخصائص ذاتها ولكن يمكن ان تقدم معلومات النشوء. فمورّث واحد يمكن ان يسبب نشوء عيون زرق بينما مورّث قرين في الكروموسوم الآخر قد يقوم بانتاج عيون سمراء اللون.

وحينما يقوم كلا المورثين في الكروموسومات في انشاء خصائص متماثلة في الطفل فيقال عنه انه يمثل حالة الـ Homozygous، والمقصود به امتلاك زوجين من الاليل Alleles[٨] المتماثلين في Locus[٩] أو Loci[١٠] معين واذا كانت المعلومات تخص خصيصة معينة مختلفة في وضع مورّث مزدوج فأن الحالة تدعى Heterozgous والمقصود بهذا

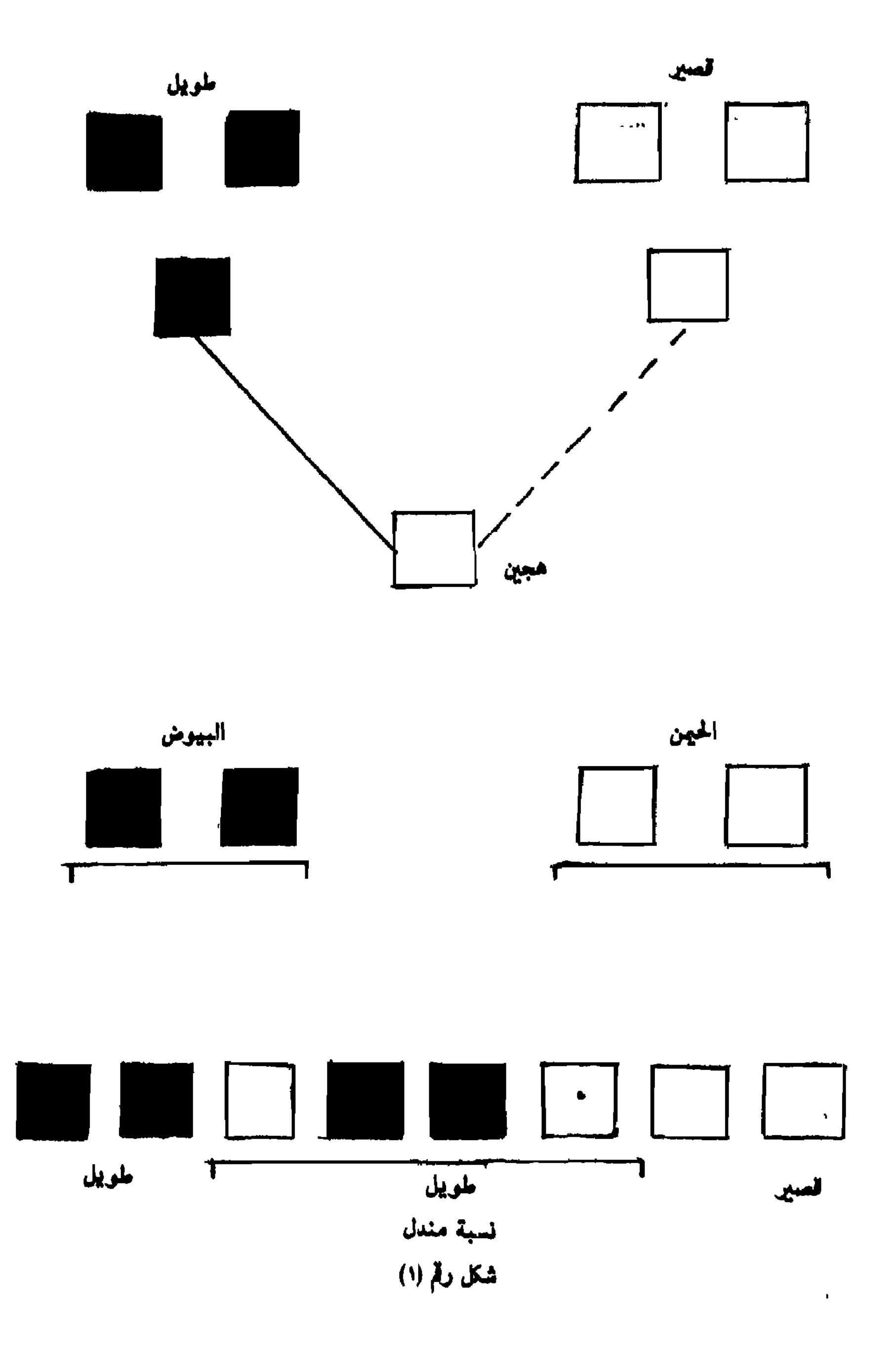
الاصطلاح امتلاك اليلات Alleles مختلفة في Locus معين. وفي حالات كثيرة، فأن احدى النزعات للمورثات المزدوجة الموجودة في حالة الـ Heterozgous ستكون هي السائدة. ولهذا فحينما يرث الطفل مورثاً لعيون زرقاء اللون من احد والديه ومورثاً لعيون بنية اللون من الآخر فأن الطفل ستكون عنده عيون بنية اللون. ولذا فأننا ندعو المورّث للعين البنية اللون سائداً.

المؤثرات الوراثية :

قوانين مندل(١١) Mendel: نشر جورج مندل سنة ١٨٦٦م نتائج ملاحظاته الجادة المتواصلة للنباتات المجينة. انه اكتشف قوانين الوراثة في الحبوب المجينة النامية في حديقة دير نمساوي. وقواعده في الوراثة قد وجدت قابلة للتطبيق على النباتات والحيوانات حينما تحدد الخصيصة الخاصة عن طريق مورّث واحد.

والقانون المندلي للوراثة يمكن ان يلخص بما يلي: اذا كان انسان من الذين يمتلكون الاليل في الموقع الخاص لمورث من الكروموسوم للعيون الزرقاء اللون يتزوج امرأة تحمل زوجين متماثلين من الاليل في الموقع الخاص لمورث في الكروموسوم للعيون البنية اللون، فأن الاطفال لهذين الزوجين ستكون عيونهم بنية اللون فقط. والان ماالذي يحصل اذا ماتزوج رجل يمتلك زوجين متغايرين من الاليل في الموقع الخاص لمورث الكروموسوم من امرأة تحمل زوجين متغايرين من الاليل في الموقع الخاص لمورث في الكروموسوم؟ فأن توزيع الاطفال من هذا الزواج يكون كما يأتي :ـ ربعهم سيكون ممن يمتلكون زوجين متماثلين لمورث في الكروموسوم للعيون البنية اللون (BB) ونصفهم سيكونون ممن يحملون زوجين متغايرين من الاليل في الموقع الخاص لمورث الكروموسوم (Bb) وربعهم سيكونون ممن يحملون زوجين متماثلين من الاليل في الموقع الخاص لمورث الكروموسوم (bb). والاسهام العظيم الذي قدمه مندل ان جميع المعلومات الوراثية تأتي الى الفرد في وحدات اكثر مما يأتي في سلسلات متدرجة. وبعبارة اخرى، اننا نتسلم من اسلافنا مورثات تهيمن على نمو خصائص وحدوية محددة معينة وليست خليطاً من نزعات مختلفة.

والاستنتاج الثاني الذي يمكن ان نستخلصه من دراسة مندل هو ان خصائص الناس والحيوانات تجنح الى التغير بصورة مستمرة على طول بعد كما هو الشأن في الذكاء. اننا لانجد مجموعة من الناس النابهين او البلداء بل من حيث الدقة نجد الذكاء موزعاً فيما يبدو انه توزيع سوي بين السكان. ان قوانين الوراثة التي وضعها مندل يمكن ان توضح بمساعدة الرسم البياني في شكل رقم (١).



نسبة مندل
شكل رقم (١)

وراثة السلوك في الحيوانات .

لقد اجرى بعض علماء النفس تجارب تعطي دليلاً لوراثة السلوك وان تلك التجارب اجريت على تنشئة منتقاة للحيوانات. وان تلك الحيوانات التي اظهرت خصائص سلوكية متشابهة زوجت سوية لعدة اجيال. وقد ثبت بدراسة البحوث ان الخيول سريعة الجري التي بطبيعتها سريعة الجري اظهرت خصائص الجري السريع في اجيال متعاقبة. ان هذه الدراسة زودتنا بأساس للاعتقاد بالوراثة عن طريق المورثات (الجينات) للخصيصة السلوكية. وقد اجرى هول Hall في سنة ١٩٤٩ دراسة على الفئران لبرى تأثير الوراثة عن طريق المورثات (الجينات). وقد اثبت ان الجفاء والالفة قد ورثت من جيل الى جيل.

الفئران النابهة والبليدة :

عن طريق وسائل الاستيلاد الانتقائي فصلت الفئران المنتقاة التي لها قدرة تعلمية في المتاهة الى حد اكبر يلفت النظر بالنسبة الى الفئران التي زوّجت عشوائياً. وفي الجيل السابع لتدابير الاستيلاد التي استعملها تريون Tryon كان هنالك ارتباط طفيف بين متعلمي المتاهة النابهين والبلداء. وقد اثبت تريون Tryon ان نسل الحيوانات النابهة تنهى الى وضع متوسط من حيث القدرة وكذلك الحيوانات البليدة. واستنتج ان مهارة تعلم المتاهة كانت قد انتقلت بالوراثة.

وقد درس تودسكي Tedeschi نزعة ادخار الطعام والانفعالية في الفئران. واستناداً الى الوقائع Data المتوفرة لديه استنتج ان ادخار الطعام خصيصة محددة فطرياً وتورث من جيل الى جيل.

نظرية الانتقاء الطبيعي

ان نظرية النشوء والتطور البيولوجية قد وصفت من قبل جارلس دارون Charles Darwin. والمبدأ قدّم ليعلل بقاء انواع معينة من الحيوانات وموت اخرى. انها تدعى نظرية الانتقاء الطبيعي. هنالك صراع مستمر للبقاء في العالم، ونستطيع ان نفكر في الانتقاء الطبيعي على انه قانون عالم الحيوان الذي يصف ((بقاء الافضل)). والاختلافات التي تجعل حيواناً افضل صلاحاً من غيره تبدو معروفة من خلال الاجيال عن طريق

الزيادة المفرطة في اعضاء طفرات(١٢) السلالة. والاختلافات التي تجعل حيواناً ما اقل صلاحاً يبدو التعرف عليها في الاجيال اللاحقة. فالطبيعة تختار الحيوانات الافضل مكانة للبقاء من خلال مبدأ الانتقاء الطبيعي وتختار اخرى لغرض النسل المتزايد من خلال خصائص ثانوية وغير مباشرة تتضح عن طريق مبدأ الانتقاء الجنسي Sexual.

الوراثة اللاماركية Lamarkian Inheritance

قدّم عالم الحيوان Zoologist لامارك Lamark نظرية عبر طفرة المادة الوراثية Genetic. فقد اعتقد ان التغيرات في السلوك التي حدثت عن طريق الاستعمال وعدم الاستعمال وتلك التي توجبت بسبب التغيرات في البيئة، يمكن ان تكون قد سارت في سبيلها عبر اجيال لاحقة من خلال آلية الوراثة.

وقد اعتقد لامارك في وراثة السمات المكتسبة الى جيل لاحق. والوراثة وضحت بسبب طول عنق الزرافة. فعملية التوافق لحاجات البيئة استمرت في اطالة العنق. وموضوع وراثة السمات المكتسبة ما زال واضحاً في بعض العوالم ولكن لا يوجد اي دليل علمي يسنده.

دراسة الوراثة الانسانية

لهذا الحين كنا نتفحص وراثة الموّرثات في الحيوانات والنباتات، والآن سوف نبحث الوراثة في الكائنات الانسانية. وقد اجريت دراسات عديدة من قبل علماء النفس لتبيان اهمية الوراثة. وقد انبعثت دراسة الوراثة من تاريخ اشجار العوائل لبعض الاشخاص. وفيما يلي ندرج بعض تلك الدراسات :ـ

(١) ـ كان كولتن Galton (١٨٢٢ـ١٩١١) العالم النفسي الاول الذي اجرى دراسات على طبيعة ومدى وراثة المورثات في الانسان. لقد درس الناس العباقرة والمبرزين في انكلترا. وقد وجد ان الرجال المبرزين قد وجدوا في عوائل كان فيها على الاقل عضو مبرز واحد. وقد وجد كذلك تناقض دلائل التفوق مثل درجة العلاقة بالنسبة لفقدان الرجل البارز. لقد درس ٩٩٧ رجلاً بريطانياً بارزاً كان فيهم ٣٣٢ من الناس المشهورين. ومن الناحية الثانية كان في ٩٩٧ رجلاً متوسطاً average رجل بارز واحد. ان هذه التجربة تقدم برهاناً على ان التفوق يورث من جيل الى جيل. وقد زاد كالتن في اسناد وجهة نظره في الوراثة التناسلية

(التكوينية) Genetic Inheritance في الكائنات الانسانية بدراسة الرجال البارزين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية وقد وجد ان نسبة الرجال البارزين لم تكن في الولايات المتحدة بأكثر منها في المملكة المتحدة على الرغم من المدى الواسع للميسرات التربوية في الولايات المتحدة مما هو عليه في المملكة المتحدة.

(٢) - وقد درس ماكفرسون Mcpherson عائلة متخلفة تدعى عائلة هومني Hominy كانت الام غبية (مأفونة) وكان الاب معوّقاً جسمياً وذا ذكاء واطيء. لقد كان سبعة اطفال في هذه العائلة، كان خمسة منهم اغبياء (مأفونين)[١٣] وجميعهم كانوا جانحين.

(٣) - ودرس كودارد Goddard سنة ١٩١٤ عائلة كاليكاك Calikak. ورأس العائلة إمارتن كاليكاك جندي في الثورة الامريكية. كان اباً غير شرعي من سيدة غبية، وقد اتبع (٤٨٠) خلفاً من سلالة العائلة لهذا الولد كان منهم (١٤٣) اغبياء (مأفونين) و(٢٩١) كانوا اسوياء على الخط الفاصل من حدود الاسوياء عمن دونهم و(٤٦) كانوا اسوياء من حيث الذكاء. وبعد الثورة تزوج مارتن من فتاة صالحة ومن هذا الزواج تتبع (٤٩٦) خلفاً. وكان جميعهم سوى اثنين اعتقد انهما كانا سويين او فوق السويين في الذكاء. والآخرون جميعاً كانوا حكاماً ومحامين ومدرسين ورجال اعمال وهكذا. تلك الدراسات التي اجريت على اشجار العوائل للمبرزين ولذي الذكاء من الناس تثبت ان التفوق والذكاء يورث من جيل لجيل.

تعليقات :

ان تاريخ اشجار العوائل لا يمكّن تحديد اسهام عوامل الوراثة لان المواد المستعملة للاختبار لم تكن كاملة. فالدراسات قد اجريت بصورة غير نظامية دون استعمال مقاييس ذكاء مقننة[١٤] او موثوق بها. وثانياً، ابتدأ الباحثون وغرضهم ان يثبتوا اهمية عوامل المورثات، ولهذا فهنالك احتمال ان تكون فكرتهم متحيزة لصالح الوراثة. ان دراسة شجرة العائلة لا يمكن الاعتماد عليها للبرهنة على افضلية الوراثة على البيئة لان التشابه بين اعضاء العائلة يمكن ان يكون قد نتج من الظروف البيئية العامة. وتلك الدراسات لاتقيم حداً معيناً لاسهام العوامل الوراثية.

الدراسات التي اجريت على التوائم

والدراسات التي تتصف بعلمية افضل من دراسة شجرة العائلة هي تلك التي اجريت على توائم من نوعين، النوع المتماثل[14] Indentical[15] والاخوي[16] Fraternal.

(١) ـ ثبات الوراثة وتغير البيئة:

ان هذه التجربة اجريت من قبل نيومان H.H.Newman وآخرين سنة ١٩٣٧. فقد قاموا بمقارنة للتوائم المتماثلة ربيت سوية وربيت منفصلة. وقد قدمت لنا التجربة تقديراً للفروق المتأثرة بالبيئة.

معدل الفرق

الدراسة رقم	الجانب	ربيت سوية العدد: ٥٠	ربيت منفصلة العدد: ١٩
١ ـ	الطول	٠,٦٣	٠,٧٠
٢ ـ	الوزن	٤ لبرات	٩ لبرات
٣ ـ	الذكاء	٥,٤	٨,٢

(٢) ـ التوائم المتماثلة من الراشدين[17] Adults

لقد اجريت الدراسة من قبل فيكنكولد Feigngold على التوائم في سن الرشد الذين تعلموا النظم التربوية ذاتها او المختلفة. ومعطيات هذه الدراسة اثبتت ان البيئة في شكلها التدريبي والتربوي الافضل لم تحسن الانسان في اختبار ذكاء ومفردات ولكن يبدو في صورة واضحة انه لابد من وجود فروق تربوية واسعة للحصول على فروق مهمة في الذكاء والانجازات الاخرى. ونتائج الدراسة كما يأتي :ـ

دراسة رقم	الحـالات	الفرق
١ ـ	٢٦ زوجاً من الذكور (نفس الثقافة)	٢,٦٢
٢ ـ	٨ أزواج من الذكور (ثقافة مختلفة)	١,٨٨
٣ ـ	٣٢ زوجاً من الاناث	٢,١٠
٤ ـ	٨ أزواج من الاناث	٢,٨٨

(٣) مقارنة التوائم المتماثلة والاخوية

نوع العمل	معدل الفرق	
	المتماثلة عدد: ٤٦	الاخوية عدد: ٣١
١ ـ المفـردات	٢	٤,٥
٢ ـ الذاكـرة	١,٢	٢
٣ ـ الرموز الحسـابية	٤,٤	٩,٥
٤ ـ تداعي الافكار المهيمن عليه	٢,٥	٣,٨
٥ ـ التنسيق الحركي	١٢,٤	١٤,٥

وقد ذكر ايزنك Eysenek عـالم النفس البريطـاني في سنـة ١٩٥٦ دراسـة على التوائم الاخوية من حيث ارتبـاط تقـديرات العـامل المنبعث من قيـاسـات الـذكاء ـ الانطواء ـ الانبسـاط والارتكاسيـة اللاارادية Automatic Reactivity والنتـائج التي توصـل اليهـا كما يلي :

الدراسة رقم	القياس	المتماثلة	الاخوية
١ ـ	الذكاء	٠,٨٢	٠,٣٨
٢ ـ	الانبساط	٠,٥٠	٠,٣٣
٣ ـ	القياسات اللاارادية	٠,٩٣	٠ ٧٢

هل الذكاء موروث :

انها لمشكلة مضجرة الحل جداً فيما اذا كان الذكاء موروثاً. وسنوضح ظاهرة وراثة الذكاء هذه بذكر الدراسة المشهورة ((بدراسة نمو بركلي Berkeley)). فاذا كان الذكاء يورث من الوالدين فعندئذٍ يمكننا ان نتوقع ارتباطاً بين ذكاء الوالدين والاطفال. وكلما وجد هذا الارتباط في حياة الطفل بصورة مبكرة ازداد الدليل الذي يقدمه عن الوراثة، اذ انه بتقدم السن يتأثر الطفل كثيراً في عوامل البيئة.

الارتباط بين اختبار الذكاء في سنوات ماقبل الدراسة، حاصل الذكاء IQ في عمر ٦ وثقافة الوالدين.

دراسة رقم	العمر	عدد الحالات	الارتباط	عدد الاطفال	الارتباط
١ -	١-٣ شهر	٤٨	-٠,١٣	٦٩	-٠,١٤
٢ -	٤-٦ شهر	٤٨	-٠,٧	٦٠	٠,٢٩
٣ -	١٠-١٢ شهر	٤٨	٠,٢٠	٥٨	٠,٠٢
٤ -	١٨-٢٤ شهر	٤٨	٠,٥٠	٤٨	٠,٢٩
٥ -	٣ سنوات	٤٨	٠,٦٣	٤٩	٠,٤٧
٦ -	٥ سنوات	٤٧	٠,٨٥	٤٧	٠,٥٨
٧ -	٦ سنوات	-	-	٤٨	٠,٥٧

المشابهة بين الاخوان والاخوات

ان هذه الدراسة تظهر التشابه بين الاخوان والاخوات في الطول

دراسة رقم	ازواج الاطفال Pairs of children	عدد الازواج No.of pairs	الارتباط Correlation
١-	اخوان واخوات (نفس الجنس) اشقاء[18]	٥٢	٦٠ر.
٢-	توائم اخوية (نفس الجنس)	٥٢	٦٤ر.
٣-	توائم متماثلة (نفس الجنس)	٥٠	٩٣ر.

استنتاجات من دراسة التوائم:-

١ـ التوائم المتماثلة اكثر تقاربا في الذكاء من التوائم الاخوية. ويبدو ان الوراثة تلعب دورا مهما في تحديد الذكاء[١٩]. وهذا التشابه في الذكاء في التوائم المتماثلة يستمر الى الاخير في الحياة. ولكننا لانستطيع ان نستخلص استنتاجا ان زيادة التقارب في التوائم المتماثلة عند مقارنتها مع التوائم الاخوية يعزى لمجرد الوراثة.

٢ـ التوائم الاخوية اكثر تشابها في الذكاء من الاخوة والاخوات الاعتياديين.

٣ـ ان دراسة التوائم المتماثلة التي ربيت منفصلة القت الضوء على انه على الرغم من انهم قد تربوا منفصلين فان التشابه في الذكاء بين التوائم المتماثلة يبقى اعلى من التوائم الاخوية التي ربيت مع بعضها. ومعامل الارتباط[٢٠] للتوائم المتماثلة كان ٧٧ر. وبالنسبة للتوائم الاخوية كان ٦٣ر. وفي ذلك دليل كاف على ان الذكاء يورث.

دراسات الاطفال المتبنّين في الدور التي تبنتهم:

لقد اجرى علماء النفس تجارب على الاطفال الذين تربوا معزولين عن اسهام الوراثة والبيئة في تطور الفرد. والاطفال المتبنون هو اولئك الاطفال الذين نشأوا في بيوت رعاية، وهي غير البيوت التي ولدوا فيها. ففي المجتمع الحديث عوائل تتبنى بعض الاطفال وترعاهم ودراسة هؤلاء الاطفال عرضت مشكلتين. احداهما هل حاصل ذكاء[٢١] الاطفال المتبنّين خلال الاشهر القلائل المبكرة مرتبط مع والديهم الحقيقيين او مع والديهم الذين تبنوهم. وهل حاصل ذكائهم كذلك مرتبط ايضا بوالديهم او مع والديهم الذين تبنوهم ومستواهم الثقافي والمهني. والسؤال الثاني المهم هو: هل البيئة الملائمة الايجابية التي تبنت الاطفال ترفع مستوى الذكاء ؟

سنبحث ثلاث دراسات تظهر اثر البيئة والوراثة في التطور:

(١) اجرى بركس Burks في سنة ١٩٢٨ دراسة في جامعة ستانفورد حيث اجريت فيها مقارنة بين الاطفال المتبنين قانونيا وبين ابائهم بالتبني مع علاقة متشابهة بين اطفال مع ابائهم الحقيقيين. وتضمنت الدراسة ٢١٢ طفلا متبنى في معدل عمر ثلاثة اشهر وجماعة من الاطفال مهين عليهم متكونة من (١٠٥) اطفال يعيشون مع ابائهم الحقيقيين.

(٢) واجرى Leahy دراسة مهمة اخرى في جامعة منسوتا Minnesota في سنة (١٩٣٥). ويشمل النموذج على ١٩٤ ،طفلا متبنّين قانونيا جرى تبنيهم قبل عمر الشهر السادس وجماعة من (١٩٤) طفلا يعيشون مع ابائهم.

(٣) ودراسة ثالثة اجريت من قبل Skodak و Skeels في سنة (١٩٤٩) في جامعو أيوا Iowa. وكان كل الاطفال قد جرى تبنيهم قبل عمر الشهر السادس. وقد جرى عليهم الاختبار بصورة متكررة وقورن ذكاؤهم الاخير مع الذكاء الواطئ لوالداتهم الحقيقيات.

والانُ لننظر كيف ان تلك الدراسات تجيب عن المشاكل التي اثيرت في المقطع السابق.

ويمكن ان يجاب على سؤالنا الاول من قبل الدراسات التي اجريت في جامعة ستانفورد ومنسوتا، والمعطيات كما يأتي:

الارتباطات بين الوالدين والاطفال الحقيقيين والاطفال المتبنّين

رقم الدراسة	الاطفال المتبنون	الاطفال الحقيقيون
١- حاصل ذكاء الامّ		
(أ) ستانفورد	١٩ر٠	٤٦ر٠
(ب) منسوتا	٢٤ر٠	٥١ر٠
٢- حاصل ذكاء الاب		
(أ) ستانفورد	٠٧ر٠	٤٥ر٠
(ب) منسوتا	١٩ر٠	٥١ر٠
٣- المؤشر الثقافي للبيت		
(أ) ستانفورد	٢٥ر٠	٤١ر٠
(ب) منسوتا	٢٦ر٠	٤١ر٠

وإذا فحصت اللوحة السابقة، تجد ان تشابه الوالد والطفل اعظم فيما بين الاطفال الحقيقيين منه مع الوالدين المتبنين والاطفال الذين تبنوهم سواء كان الطفل قد تربى مع ابيه الحقيقي ام لا.

حاصل ذكاء الاطفال المتبنين مقارنا مع الاطفال الحقيقيين في عوائل من مستوى اجتماعي متشابه.

الدراسة رقم	القياس	الطفل المتبنى		الطفل الحقيقي	
		عدد	حاصل الذكاء	عدد	حاصل الذكاء
١-	ستانفورد	٢١٤	١٠٧	١٠٥	١١٥
٢- *	منسوتا	١٩٤	١١١	١٩٤	١١٠

دراسة ايوا Iowa تلقي ضوءا على ترابط الوالدين الحقيقيين وحاصل ذكاء الوالدين المتبنين

دراسة رقم	العدد	الارتباط
أ - الوالدون الحقيقيون الذيم لم يعش لهم طفل		
١- حاصل ذكاء الام الحقيقية وحاصل ذكاء الطفل	٦٣	٠ر٤٤
٢- ثقافة الام الحقيقية وحاصل ذكاء الطفل	٩٢	٠ر٣٢
٣- ثقافة الاب الحقيقي وحاصل ذكاء الطفل	٦٠	٠ر٤٠
ب - الوالدون الذين تبنوا الاطفال والاطفال الذين عاشوا لمدة عشر سنوات معهم		
١- ثقافة الام المُتبنية وحاصل ذكاء الطفل	١٠٠	٠ر٠٢
ثقافة الوالد المتبني وحاصل ذكاء الطفل	١٠٠	٠ر٠٠

تظهر اللوحة السابقة ان هنالك ارتباطا مهما مع الوالدين الحقيقيين اللذين لم يعش معهم الطفل ولكن هنالك نقص تام من الارتباط مع ثقافة الوالدين المتبنين.

بعض الدراسات المهمة

(١) كيلوك وكيلوك Kellogg و Kellogg لاجل ان يدرسا اثر الوراثة والبيئة، اجريا بحثا نظاميا على ولدهما والشمبانزي. كان عمر ولدهما ١٠ شهور والشمبانزي Gue كان سبعة اشهر ونصف وكلاهما تربى في نفس البيئة مع تشابه جميع الامور المتطلبة. وقد درس السلوك نظاميا وقد وجد في البداية ان الشمبانزي Gue تفوق على دونالد في المهارات الحركية مثل القفز والجري والتسلق... الخ. وقد تعلم Gue ايضا بعض السلوك الاجتماعي مثل السير والاكل بالملعقة والشرب من الكأس... الخ. واستطاع ان يتعلم (٩٥) كلمة فقط. وقد لحق به دونالد في جميع نواحي التطور ماعدا القوى البدنية. ان هذه الدراسة غير الاعتيادية تظهر ان الوراثة تضع تحديدا للحد الاعلى من التطور الذي لايمكن تجاوزه حتى بتهيئة افضل بيئة.

(٢) اطفال ذئب مدنابور: لقد وجدت احدى البعثات التبشيرية في Bihar بهار طفلين كان قد اخذهما الذئاب في اوائل طفولتهما. وهذا الطفلان تربيا برفقة الذئاب، وقد تعلما السير على الاربع واكل السمك الطري ويتلفظان مثل الذئاب. وقد اعيدا من الغابة واودعا المستشفى. لقد مات احد الطفلين وقد تعلم الاخر بصعوبة اشياء اولية. ان دراسة هذين الطفلين اللذين نشأا مع الذئاب تلقي الضوء على اهمية البيئة في تطور الشخصية، وهنالك دراسات عديدة كان فيها الاطفال الاسوياء قد تجردوا فيها من التفاعل الاجتماعي وقد انتهوا الى سوء التوافق للبيئة الاجتماعية.

تفسير الدراسات:-

(١) ان جميع الدراسات التي اجرينا عليها المسح تثبت ان كلاً من الوراثة والبيئة يلعب دورا مهما في تطور الشخصية. وأن كل فرد انما هو حصيلة تفاعل مستمر للمؤثرات الوراثية والبيئية.

(٢) ان الوراثة لاتحدد بصورة كلية اية خصيصة او سمة ولكنها تزود بالاسس والامكانات لتطور اية سمة من سمات الشخصية. والتدريب والخبرة في البيئة يسهمان في تطور السمات Traits.

(٣) الوراثة تؤثر في بنية الجسم وجهاز الاحساس الحركي ومستوى الذكاء. وقد تبين حديثا ان امراضا وخصائص مزاجية تورث كذلك من الاسلاف.

(٤) ان البيئة الفاسدة بأمكانها ان تعوق او توقف الوراثة الصالحة ولكن البيئة الصالحة لايكن ان تعوض عن الوراثة الرديئة. الوراثة تضع الحد للتطور الاقصى للخصيصة، ان افضل بيئة لايمكن ان تجعل من المتوه[٢٢] شخصا لامعا. وان التدريب الجيد والخبرات بلا ريب يحسنان انجاز الاطفال.

(٥) لقد قرر جميع علماء النفس ان الذكاء يتأثر بنوع التربية ومهنة الوالدين والحياة الريفية او حياة المدينة وماشاكل ذلك. وللحضارة والبيئة اثر ايجابي في تطور خصائص الشخصية.

(٦) والفروق الجوهرية في الذكاء يمكن ان تحدث عن طريق تهيئة البيئة الملائمة في عهد الطفولة المبكرة.

المحددات الاجتماعية

تبدأ المؤثرات البيئية منذ حمل الطفل في رحم امه. والاحوال العقلية والجسمية والانفعالية للام تؤثر في تطور الجنين في الرحم. وتبدأ البيئة الخارجية من وقت ميلاده.

الانسان هو حيوان اجتماعي. وهو يولد في نظام اجتماعي. وجميع الناس يولدون متساوين من حيث حاجاتهم البيولوجية. وتتولد الفروق بسبب البيئة الاجتماعية التي تلبّي فيها تلك الحاجات. وتلعب الاحوال الطبيعية والجغرافية للبيئة دورا مهما في تشكيل شخصيات الكائنات الانسانية. فالناس الذين يعيشون في الصحارى ومناطق التلول والسهول يختلفون في بنية اجسامهم وفي طولهم وفي اسلوب حياتهم وفي الوانهم وعاداتهم وماشاكل ذلك. فالبيئات الطبيعية والجغرافية تولّد خصائص متميزة في الشخصية في الكائنات الانسانية. ثم ان البيئة الاجتماعية للبيت ذات تأثير كبير في تطور الشخصية.

(١) **دور البيت:** يتفق جميع علماء النفس بأن شخصية الفرد تتكون بالتفاعل المستمر

بين الوراثة البيولوجية والقوى البيئية. والبيت يلعب الدور الرئيس في تشكيل نمط شخصية الفرد في الطفولة المبكرة. فالبيئة الاولى التي يتحرك فيها الطفل هي البيت. ففي البيت يتصل الطفل بوالديه واعضاء العائلة الاخرين. فما يحب ومايكره ومواقفه العاطفية تجاه الاخرين وتوقعاته بالامن واستجاباته الانفعالية المشروطة، كل تلك تشكّل في الطفولة المبكرة. وهنالك ادلة تجريبية تسند ان خبرات الطفولة محدّدات حاسمة

للشخصية في الحياة التالية. ويلعب نوع التوجيه وخبرات الطفولة المبكرة دورا مهما في تطور الشخصية.

والحرمان من الحاجات الضرورية في فترة الطفولة لايجري تطبيقها على الاطفال من بني الانسان. على انه قد اجريت تجارب نزرة على اطفال الانسان بحرمانهم من الضوء والصوت والطعام او الراحة. واحدى تلك المحاولات اجرتها ماركريت ريبل Margaret Ribble في سنة ١٩٤٤ التي اجرت سلسلة من البحوث حول تأثير الحرمان النفسي الشديد في فترة الطفولة. وقد ذكرت استنادا الى نتيجة دراسة (٦٠٠) طفل افتقروا الى الاحتضان والعناق واشياء اخرى من الاتصال النفسي المناسب مع الراشدين الوديين. يمكن ان يؤدي الى سلسلة من المعوقات في نمو الطفل. وتجربة اخرى مهمة اجرتها برودي Brody في سنة ١٩٥٦ حيث درست انماط رعاية الام. فقد درست (٣٢) والدة شابة مع اطفالها ووجهت انتباها خاصا الى اسلوب التغذية والنظافة وتقديم الاشياء والمكالمة مع الطفل. وقد استنتجت ان انماط رعاية الام مهمة في تكوين شخصية الطفل المستقبلية.

الحالة النفسية والمعنوية للعائلة: لقد تقرر من قبل جميع الدراسات عن نمو الطفل ان احد الابعاد الرئيسة في حياة العائلة هو النمط النفسي والمعنوي العام الذي يتضمن العلاقة الصالحة بين الوالدين والانسجام مع بعضهما. فالبيت الذي يفتقر الى السلوكية المناسبة لايقدم نموذجا صالحا للطفل يقتدى به. ففي سنة ١٩٣٩-١٩٤١ قام ستوت Stott بدراسة على (١٨٠٠) مراهق في نبراسكا بتوزيع استفتاءات Questionnaires شملت جميع العلاقات بين الوالدين وابنهما كما شملت قائمة جرد للشخصية Personality Inventory ونلخص النتائج بما يلي:-

١- ان الاطفال الذين يأتون من بيوت تسودها الحالة النفسية والمعنوية الطيبة كانوا افضل توافقا واكثر استقلالية، وعلاقتهم مع ذويهم اكثر ملاءمة مما كان عليه معدل مجموع المراهقين.

٢- اما الذين جاءوا من بيوت يعتورها النزاع والنفور فقد كان انسجامهم بصورة عامة في بيئتهم ضئيلا. ولاحاجة للقول بأن الحالة النفسية والمعنوية للعائلة الصالحة تزود الشخصية بالسمات المرغوب فيها، اما مشاكل سوء التصرف فهي مرتبطة بالعائلة ذات الحالة النفسية والمعنوية الواطئة.

العامل الاقتصادي:-

يؤثر العامل الاقتصادي في تطور الشخصية. ففقر الوالدين والنقص المالي لتغطية الحاجات المشروعة للاطفال يؤدي بصورة مباشرة الى انواع معينة من الخيبة والاحباط(٢٣).

دور المدرسة:-

تلعب المدرسة دورا مهما في صياغة شخصية الاطفال لان جزءا كبيرا ومهما من حياة الطفل يقضى في المدرسة بين سن السادسة وسن العشرين. وفي المدرسة تستمر الطفولة في عملية الحب والكره والموافقة والتمرد واكتساب مفهومته عن الناس وعن نفسه. ومن الواضح، ان اغلب شخصية الطفل كان قد تشكل في البيت قبل ان يأتي الى المدرسة. وفي المدرسة يعوض المعلمون عن الوالدين، ويلعب سلوك المعلم دورا خطيرا في تطور الطفل. فالمدرسة تعرض مشاكل جديدة تتطلب الحل، كما تتعرض الى امور محضورة ليقتنع الانا الاعلى Super ego بضرورة تحريمها، وكذلك تعرض نماذج جديدة لتقليدها والتعرف على هويتها.

هذا وان اهمية مدير المدرسة في تحقيق الضبط وتحديد الاسلوب الانفعالي للمدرسة قد وضحه Lyman في سنة ١٩٤٩ حيث كان قد تأثر في التباين الموجود بين مدرستين متجاورتين، احداهما تتكشف عن تعاون تام بينما تشكو الاخرى من اضطراب. وقد اجرى تجربة عن طريق قائمة جرد عن المدرسة ووجد ان اتجاهات attitudes الاطفال في المدرسة المضطربة سلبية للغاية. لقد كانوا عدائيين تجاه المدير. اننا نجد بعض الاداريين دكتاتوريين نسبيا بينما نجد اخرين يتحلون بالديمقراطية وبذلك يكونون قدوة لغرس السمات الديموقراطية في الاطفال.

دور المعلم:-

المعلم عامل مهم في العملية التعليمية. فالطريقة التي يعلم بها ويعامل فيها تلاميذه ذات تأثير كبير في شخصية الاطفال المستقبلية.

وقد اجرى ريان Ryan و فونت Wundt سنة ١٩٥٥ دراسة عن الابعاد الذاتية لسلوك المعلم وهي كما يلي:-

أ ـ الطرق الحسنة والديموقراطية.
ب ـ حبه للمهنة، التنظيم، المسؤولية.
جـ ـ تشجيعه لمساهمة التلاميذ، الاهتمام والرغبة.
د ـ التحمس للعمل المدرسي.
هـ ـ التفتح العقلي.

دور المعلم والجو الاجتماعي في الصف:ـ

ان الدور الذي ينجز فيه المعلم دوره في الصف يؤثر في الجو الانفعالي في غرفة الدراسة. فالمعلم المستبد يجعل في الصف جوا استبداديا، والمعلم الديموقراطي يخلق جوا مغايرا مختلفا عن الاول. ان تلك الاتجاهات المختلفة عند المعلم تتضمن اختلافا في عدد المشاكل النفسية التي تعرض للطلاب وفي نوع نمو الشخصية التي تدفع اليه تلك المعاملة. والتجربة التقليدية التي قام بها لفين Lewin و لبت Lipit ووايت White في سنة ١٩٣٩ القت الضوء على نوع من الجو الاجتماعي الذي سببته معاملة المعلم المستبدة والمعاملة الديموقراطية ومعاملة عدم التدخل(٢٥) Laissetz faire والتأثير المتأتي من كل من تلك الانواع في نمو شخصية التلميذ.
وكانت نتائج التجربة كما يلي:ـ
١ـ يغلب على الجو الاستبدادي خلق العداء والخصومة.
٢ـ يؤدي النظام الديموقراطي الى التفكير الجدي البنّاء والسلوك التعاوني.
وبصورة عامة كانت نوعية العمل المنجز افضل في الجماعة الديموقراطية. وقد احب الاطفال التدابير الديموقراطية. ولم يمل احد من الاطفال الى موقف عدم التدخل.

وقد أجرى أندرسون H.H.Anderson في عام ١٩٤٥ دراسات على السلوك التسلطي والسلوك التكاملي(٢٦). ومفهومه السلوك التسلطي قريبة الصلة الى الجو الاستبدادي الذي بينّه Lewin. واما التكامل فكان قريبا من الديموقراطية. وقد كان الجو الاستبدادي مليئا بالتهديد والوعيد والاوامر والنقد. بينما الجو الديوقراطي (التكاملي) تتمثل فيه المرونة والتركيز حول شخصية الطفل. وقد كوّن التعليم التكاملي سمات شخصية ايجابية من الثقة بالنفس والفكر الحر والاتجاهات التعاونية.

وبناء على ذلك نستطيع ان نستنتج أن النهج الديموقراطي افضل من النهج الاستبدادي في تكوين السمات الشخصية الصالحة. انه يسمح لنمو الشخصية الى حدها

الاقصى عند كل طفل وتعده لحياة الجماعة وللقيام بتصاميمه التي تخصه وتهيئ لممارسة افضل للضبط الذاتي(٢٧) الانفعالي.

ان الرسوب وممارسة آثاره في المدرسة يؤدي الى آثار مؤلمة عند الاطفال ويترك بصمات دائمة في شخصياتهم. وتظهر الدراسات ان الاطفال الذين يرسبون لمرات عديدة في الامتحانات تغلب عليهم القساوة والمشاعر غير الودية والكآبة والمشاكسة وسوء الادب والتبجح والانانية.

الاتجاهات تجاه التعليم:-

ان وجهات نظر المعلم تجاه التعليم امر مهم جدا. فالمعلمون لهم آراء مختلفة عن التعليم، فمنهم من يرى ان على الاطفال ان يطيعوا ولايُسمع لهم، ومنهم من يرى ان الاطفال يجب ان يشجعوا على الشعور بأن المعلم صديق لهم. والسمة الاولى للمعلم الصالح هي قدرته على خلق جو مشبع بالود والثقة في حجرة الدراسة. ويجب ان يوجه التعليم وفقا لحاجات الطفل ولابد من ان تكون اتجاهات المعلم نحو التدريس ايجابية، فعليه ان تكون عنده اتجاهات ودية تجاه الاطفال المنحرفين. وهنا عليه ان يشخّص اسباب السلوك غير الاجتماعي وان يساعد الاطفال على تحسين شخصياتهم.

واخيرا نستطيع ان نستنتج ان للمدرسة دورا فعالا في تشكيل شخصيات الاطفال بخلق جو انفعالي فاضل وطرق تعليم فضلى واستعمال التنفيس للتخلص من العقد النفسية بأفساح المجال امامها للتعبير عن نفسها تعبيرا كاملا، وتزويد الاطفال بالارشاد والتوجيه -

وبالاضافة الى البيت والمدرسة هنالك عوامل اجتماعية كثيرة تؤثر في تطور الشخصية، ومنها مايلي:-

آ - **اللغة:** للكائنات الانسانية خصائص مميزة من التواصل(٢٨) عن طريق اللغة. فاللغة وسيلة نقل مهمة يتكون عن طريقها المجتمع وتنتقل الحضارة من جيل الى جيل. فالطفل يتعلم لغة مجتمعه. وان شخصيته تتشكل عن طريق عملية التفاعل من خلال اللغة مع الاعضاء الاخرين في البيئة.

ب - **الدور الاجتماعي:** ان الاصطلاح الدور Role استعير من المسرح حيث يقوم الممثل بأدوار مختلفة الخصائص. ويعتقد بعض الفلاسفة ان العالم مسرح وان الكائنات الانسانية ممثلون يؤدون ادوارهم في هذه الدراما ذات القدرة الواسعة.فحينما يولد الطفل

يكون ضعيفا معتمدا على الاخرين في ارضاء حاجاته البيولوجية. وحينما يتقدم في السن يكون عارفا لما في بيئته وفاهما اسس الواقع. فيتصل بالاطفال الاخرين في عملية التطبيع[٢٩] الاجتماعي. فعليه ان يلعب ادوارا كثيرة كأبن وكأخ وكتلميذ وكعامل او موظف وكزوج وكأب.... الخ من خلال حياته في مراحل مختلفة من تطوره. ويمكن ان يوصف الدور الاجتماعي على انه العملية التي عن طريقها يتيسر السلوك التعاوني والتواصل بين اعضاء المجتمع. فالادوار الاجتماعية هي مجموع السلوك والاتجاهات المناسبة تجاه الاخرين التي يتعلمها الفرد عن طريق ملاحظة ومحاكاة مايرى من النماذج. واستنادا الى ماركريت ميد Margaret Mead ان شخصية الفرد تنمو عن طريق البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه.

جـ ـ مفهومة الذات:ـ

تصبح مفهومة الذات الوسائل التي يكوّن فيها تصورنا[٣٠] او صورتنا وهويتنا. ومفهومة الذات عند الطفل تبدأ من تعرفه على جسمه. والوسائل الاخرى المهمة في تطور مفهومة الذات هي مكانتنا[٣١] الاجتماعية، والطريقة التي نتزين بها واللغة التي نتكلمها... الخ. وتؤثر مفهومة الذات في تطور شخصياتنا بطريقتين. الاولى اذا ماأخذ ناس اخرون اتجاها ايجابيا عاليا عنا فان هذا سيعزز ذاتنا، والثاني اذا مااتخذ اخرون اتجاها سلبيا عاليا عنا فان هذا سيخلق فينا الشعور بتفاهتنا، ونتيجة لذلك قد يقودنا للدفاع عن النفس او الانسحاب من الموقف الاجتماعي.

التشبه او التصيُّر (التكنّة) Identification:[٣٢] والتشبه ميكانيكية مهمة، وهي التي نحاول عن طريقها محاكاة الخصائص الجسمية والاجتماعية والعقلية لمن نتخذهم نماذج لنا. فالطفل في اوائل طفولته يحاكي نموذجه الوالدي. والتشبه علاقة مهمة مع الاخرين. فالطفل حين يتشبه بأبيه، فمعنى ذلك انه يريد ان يكون مثله.

تبادل العلاقات بين الاشخاص:

ان تبادل العلاقات مابين الاشخاص من اعضاء المجتمع وسيلة تساعد في تطور خصائص شخصية اجتماعية معينة. ويمكن ان تقوم هذه العلاقات بين الناس بطرق ثلاث. الاولى الانجذاب تجاه الاخرين. فاعضاء المجتمع يلتقون مع بعضهم البعض بحرية ويبحثون مشاكلهم. وهذه تشير الى مفهومة الصداقة والود. والثاني الخصومة التي تعني

التحرك ضد الاخرين. والثالث، الانعزال والذي يعني الابتعاد والتفرد، وهو يشير الى تضاؤل الاتصال مع الحقيقة الخارجية، وهو تكيف سلبي.

٣. المحدّدات الحضارية والثقافية

يتميز كل مجتمع بتراثه الحضاري والثقافي الذي انتقل من جيل الى جيل في شكل وراثة اجتماعية. وشخصية الفرد تتشكل تدريجيا بالحضارة التي ولد فيها. ويعرف تيلر E.B.Tyler العالم الانثروبولوجي الشهير الحضارة كما يلي ((هي الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والمعتقدات والمعنويات والقانون والعرف والتقاليد وامورا اخرى من الكفاآت والعادات التي يكتسبها الانسان باعتباره عضوا في مجتمع)).

وتشير الحضارة الى المجموع الكلي لنشاطات حياة المجتمع. فما يفكر فيه الناس او مايعملون، ومايشعرون به يكوّن حضارة المجتمع. انها الطريقة المادية للحياة. والمؤسسات الاجتماعية، وعلم الناس. كل تلك الامور منصهرة مع بعضها.

ان الوراثة البيولوجية هي ذاتها في الكائنات الانسانية في جميع انحاء العالم. ولكن الوراثة تختلف في احوالها الحضارية التي تكوّن خصائص الشخصية المتميزة في الافراد في كل جماعة حضارية. اننا نستطيع ان نشخّص بسهولة الناس الذين نشأوا وتربوا في حضارات مختلفة عن طريق انماط الشخصية التي يمتلكونها.

فالعرب والامريكان والانكليز والهنود والافارقة يمكن ان نتعرف اليهم من خلال خلفياتهم الحضارية. والحضارة مرب عظيم للكائنات الانسانية بصورة مباشرة احيانا وغير مباشرة احيانا اخرى ومن خلال طرق التوجيه وانتقال التراث الاجتماعي، انها تترك بصمات على شخصية الطفل.

ان اهمية القوى الحضارية في تطور الشخصية عظيمة جدا. ويمكن ان يفهم تأثيرها عبر مثال. افرض ان هنالك ثلاثة توائم متماثلة وقد تبنتهم ثلاثة بيوت لحضارات مختلفة هي عربية وصينية وفرنسية. فكانت تربيتهم وثقافتهم في تلك البيئات ذات الحضارات المختلفة في خلفياتها[٣٣]. فمن الواضح ان تأثير الحضارة سيؤدي الى ثلاثة انواع متميزة من الشخصية. ويؤكد كلوكهون C.Kluckhohn على اهمية الحضارة في حياة الفرد بقوله ((ان الحضارة تنظم حياتنا دائما وفي كل مناسبة. فمن اللحظة التي نولد فيها والى ان نلقى اجلنا المحتوم، سواء كنا شاعرين بها ام غير شاعرين، فهنالك ضغط دائم علينا لاتباع انواع معينة من السلوك اوجدها لنا ناس اخرون)).

وفي عملية التطور يثبّت المجتمع انماطا معينة من السلوك الذي يتبعه اعضاء المجتمع. انها تكوّن خصائص شخصية عامة معينة في الاعضاء. والخصائص العامة تتكون لدى اعضاء الجماعة الحضارية على ثلاثة اسس:-

آ - الخبرات الاولى التي يكتسبها الطفل في الحضارة.

ب - الممارسات التربوية للطفل تأخذ انماطها حضاريا، ولذا فان الاطفال في اي مجتمع عرضة لخبرات مبكرة متشابهة.

جـ - الخبرات المتشابهة تؤدي الى شكل متشابه من الشخصية. وتؤثر الحضارة في تطور شخصية الفرد في الطرق الثلاث الاتية:

١- المشاركة في القيم والافكار والمعتقدات والتقاليد والعرف من خلال عملية التعلم.

٢- انشاء المؤسسات: اماكن العبادة للاديان المختلفة، الطموحات، الكتب، والبرامج الحضارية.

وقد اجرى علماء الانثروبولوجيا(٣٤) دراسة اثر الحضارة في تطور الشخصية فماركريت ميد Margaret Mead اجرت دراسة على المراهقين في ساموا Samoa ذات الحضارة البدائية. وقد استنتجت في دراستها ان الاوضاع الحضارية تلعب دورا مهما في قولبة انماط الشخصية عند الافراد. واستنادا الى معطياتها يبدو ان يكون توفر الاحساس بالامن احد العوامل الرئيسة التي تحدد تشكيل الشخصية.

مراجع وقراءات:

١ـ ((مقدمة في علم النفس)) لمؤلفه هيلكارد طبع سنة ١٩٥٧
٢ـ ((علم النفس العام)) لمؤلفه كاريت
٣ـ ((علم نفس الشخصية والتوافق)) لمؤلفه فريدنبرك طبع سنة ١٩٧١
٤ـ ((علم النفس: علم السلوك)) تأليف ايسابكسون وزملائه طبع في نيويورك سنة ١٩٦٥
٥ـ ((علم النفس: علم الهجين))[٣٥] الطبعة الثانية طبع نيوجرسي سنة ١٩٧٤.

(١) Environment البيئـة: المجموع الكلي للظروف داخل الكائن الحي وحوله التي تقوم بتنبيه السلوك او تعمل على احداث التغيرات في السلوك. ويقصرها بعض الباحثين بأنها جميع الظروف الخارجية عن الكائن الحي والتي لها القدرة على التأثير فيه.

(٢) Heredity الوراثـة: المجموع الكلي للعوامل البيولوجيـة المنقولـة التي تؤثر في تركيب الجسم وبناء على ذلك تحدد السلوك.

(٣) الفروق الفرديـة، تفـاوت بين الافراد: Individual Diffirences تغـايرات او انحرافات بين الافراد عن معدل الجماعة ومتوسطها، بالنسبة للصفات والمزايا العقلية والجسدية. وهي فوارق تحدث لدى الافراد من اعضاء الجماعة الواحـدة: فـالتفـاوت هو التباين القـائم بين الافراد من حيث تمتـع كل فرد بميزات خـاصـة تجعلـه على حـدة وتميزه عن النـاس. هنـالـك فروق عقليـة يعكسهـا اختـلاف الافراد في قـابليـاتهم وقـدراتهم واستجـابـاتهم، مثلمـا تتجلى في الرغبـات والميـول والاهـداف. وقـد تطـور البحث في الفروق الفردية حتى اصبحت علما له اصوله ومناهجه وتشعبت ميـادينـه حتى شملت الشخصية كلها.

(٤) Genetics علم الوراثة: حقل بايولوجي يعني بدراسة الخصائص الموروثة.

(٥) Ductless Glands وتسمى ايضـا Endocrine glands وهي الغـدد التي تصب الهورمونات مباشرة في المجـاري الـدمويـة وفي اللمف Lymph والهورمونـات مـادة لها تأثير خاص على عضو او جزء اخر.

(٦) Deoxyribonucleic Acid D.N.A الحـامض النووي من حيث الاصـل يعـزل من حيمن السمك والغدة الصعترية Thymus gland ولكنه اخيرا وجد في جميع الخلايـا الحيـة. وهو حامل المعلومات الوراثية لجميع الكائنات الحية ماعدا فايروسات الـ RNA.

(٧) ـ Genes المورِّثـات: وحـدة الوراثـة، وتقع في موضع مـا على الكروموسوم وهي التي تثبِّت عملية النمو البايوكيمياوي بالنسبة الى بعض التركيب الجسمي الخاص.

(٨) ـ Allele: واحد من أثنين او اكثر من الاشكال البديلـة من المورِّث تمثل مواقع (Loci) في كروموسومـات متنـاظرة، اي اثنين ممـا يمكن ان تحمل من قبل فرد معين والتي تحـدد الصفـات البـديلـة في الوراثـة ووجـود اكثر من اليـل Tow في Locus منفرد يعرف بالاليلية المضافة او المتعددة Multiple Allelism.

(٩) ـ Locus: اصطـلاح عـام لمكان في الجسم، وفي الـوراثـة المـوقـع الخـاص لمـوَرِّث في كروموسوم.

(١٠) ـ Loci: جمع كلمة Locus

(١١) ـ منـدل Mendel: هـوكريكـور جوهـان منـدل (١٨٢٢ـ١٨٨٤) رئيس رهبـان برن Briinn.

(١٢) ـ Mutation: الطفرة او القفزة او الفلتة هي:ـ تغير يظهر فجـأة في البنيـة الوراثيـة يؤدي الى تغير مظهري (جسمي) حيث ينتقل الى الذرية. واقصـد بكلمـة مظهري Phenotypic الاغريقيـة التي تعني ان يظهر To Show والكلمـة Type التي تعني الشكل Type ومعنى كلمـة Phenotype في هـذا التركيب تعني التكـوين الكلي، الجسمي والبيوكيمياوي والفسلجي للفرد كما يحدد وراثيا وبيئيا سوية.

(١٣) ـ Feelblemindedness : الغباوة (المورنية) (الغبي) ـ المأفون.

الغبـاوة هي ضعف العقـل، وتستخـدم لفظـة Moron في الـولايـات المتحـدة للـدلالـة على ضعيف العقل او المـأفون ومنهـا Moronity. فـالغبي او المـأفـون هـو شخص مصـاب بنقص في عقلـه، ولاتتجـاوز سنه العقلية عنـد البلوغ ٨ سنـوات ونصف السنة، اما نسبة ذكائه فانها تتراوح بين ٥٠ و ٦٩.

(١٤) ـ Standardized Test اختبار مقنن او مقيّس هو كل رائز جرى اختياره بعنايـة في ضوء الغاية التي يرمي اليها والجماعة المقصودة به، ثم خضع للتجريب وتم ترتيبـه بشكل ملائم على اساس محك التجربة. فالاسئلـة تؤدي الغرض بـالفعل، وتلائم مستوى الجمـاعـة، وقد ادت تجربته الى الخروج بطريقـة واضحـة في اعطـائـه وتصحيحـه. وامكن وضع سلم قياسي لـه، مثلمـا انـه ينطوي على درجـة كبيرة من معـاملي الصـدق والثبـات. والتقنين Slandardization يعني التحديد الموضوعي للثقة والثبات في الاختيار.

(١٥) ـ Identical Twins: التوأم المتماثل: التوأمان اللذان ينشآن عن انفلاق بيضـة مخصبـة واحدة وبهذا تمنحها نفس الخصائص الوراثية.

(١٦) ـ Fraternal Twins التوأمـان الاخـوان وهمـا التـوأمـان اللـذان ينشـآن من بيضتين منفصلتين هما الاخوان اللذان تحصل ولادتها في وقت واحد.

(١٧) ـ Adult الراشد: هو الشخص الذي بلغ سن الرشد او التمييز وأتم مرحلـة معينـة من النضج البيولوجي والعقلي والعـاطفي. ويقـال سن الرشـد Adulthood للفترة التي يغدو فيها المرء مسؤولاً عن شؤون حياته الخاصة وتوجيه نفسه بنفسه.

(١٨) ـ Siblings أشقـاء: اي اثنين او اكثر من الـذريـة من نفس الوالـدين. سواء بـذلـك الاخوان والاخوات وتدعى ايضا (Sib).

(١٩) ـ Intelligence الذكاء: من الكلمة اللاتينية Intelligere وتعني الفهم To understand (أن تفهم) وهو القدرة على الاستيعاب او الفهم من حيث اصل الوضع، والحقيقة الذكاء هو مقدرة عقلية معقدة يتضمن القدرات الاساسية مثل الاستيعاب اللفظي وتصور المجال والقدرة على التعليل والقدرة العددية. وعملياً يحدد الذكاء بأنه ماتقيسه اختبارات الذكاء ويعرفه البعض بأنه المقدرة على مواجهة وضعيات ومواقف مستجدة، او على تعلم مواجهتها بواسطة استجابات جديدة ومتكيفة. ويفهمه علماء النفس من مدرسة الهيئة (كشتلت) بمعنى التبصر والبصيرة. فالذكاء يحضر عندما يكون الفرد البشري او الحيوان مدركاً ولو بصورة ضئيلة للصلة الوثيقة بين سلوكه وبين هدف او غاية.وهو القدرة على تنفيذ اختبارات او تأدية مهمات تنطوي بدورها على فهم استيعابي للعلاقات، حيث تتراوح درج الذكاء تبعاً لتعقد العلاقات او تجريديتها.

(٢٠) ـ Correlation coefficient معامل الارتباط ويقال له ايضا معامل التلازم. وهو عرض .إحصائي يمثل العلاقة بين او مابين متغيرين اثنين او اكثر لتبيان المدى الذي يحتمل لتغيرات مجموع واحد من القياسات يمكن ان تصطحب بتغيرات في مجموعة او مجموعات من المقاييس.

(٢١) ـ Intelligence quotient ويرمز اليه I.Q: وهو حاصل الذكاء ويقال عنه ايضا نسبة الذكاء وهو سيلة يستعملها علماء التربية وعلم النفس للتعبير بها عن مستوى النمو العقلي لدى المرء بالنسبة الى السن الزمنية التي بلغها ونسبة الذكاء تساوي:

$$\frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

وحاصل الذكاء الذي يحصل عليه من تقديرات الاختبارات الشائعة الاستعمال في هذ الزمن يستند الى وظائف المنحني السوى ويتصل بمفاهيم العمر العقلي والزمني فقط عن طريق التضمين.

(٢٢) ـ Idiot: المعتوه: شخص متخلف عقلياً مع حاصل ذكاء IQ تحت ٢٥. وأمثال هؤلاء الاشخاص عادة غير قادرين ان يحفظوا انفسهم ضد الاخطار حتى البسيطة منها، وفي الغالب غير قادرين على التعلم

والدكتور اسعد رزوق في كتابه ((موسوعة علم النفس)) الذي راجعه الدكتور عبدالله عبد الدايم، في كلامه عن المعتوه Idiot يقول ((يقابله الابله Imbecile والمورون او المأفون Moron)) وهذا غير صحيح،والذي اقوله ان الابله اعلى درجة من المعتوه كما ان المورون او المأفون اعلى درجة من الابله.

اقول: ان الابله Imbecile هو الشخص المتخلف عقلياً ولكن مع حاصل ذكاء يتراوح بين ٢٥ـ٤٩. وامثال هؤلاء الافراد عادة مقتدرون على التعلم البسيط ولكنهم لايستطيعون كسب رزقهم.

اما المورون او المأفون Moron فهو ايضا شخص متخلف عقلياً ولكن حاصل ذكائه يتراوح بين ٥٠ـ٦٩ وهو عادة قادر على ان يودي عملاً ويكسب رزقه.

(٢٣) ـ Frustration الخيبة والاحباط: وهي عملية اقامة سلوك متواصل او متوجه نحو هدف وكذلك، رد الفعل الانفعالي المفترض لهذه العملية. وتعريف آخر هو رفض الدوافع او عرقلتها من خلال عوائق الكائن الحي وهدفه.

(٢٤) ـ Taboo (Social): محرمات (اجتماعية): وتشير هذه الكلمة بمعناها العام الى المنع والخطر او القواعد السلبية بالنسبة للاشياء والزي والاشخاص والالفاظ والافعال. ويستخدمها التحليليون للدلالة على التحريمات الصادرة من خارج المرء والمفروضة على تخفيف الرغبات القوية ذات الطبيعة الجنسية.

(٢٥) ـ Laissez Faire سياسة عدم التدخل: نوع من القيادة يمارس فيه القائد الحد الادنى من الهيمنة والتوجيه والمساعدة. هذا التعريف هو الذي تشير اليه كتب علم النفس. وفي السياسة هو مبدأ يقاوم التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية الا بمقدار مايكون ذلك التدخل ضرورياً لصيانة الامن وحقوق الملكية الشخصية.

(٢٦) ـ Integrative تكاملي من كلمة Integration وهي مفهوم يشير في حقل علم النفس الى التآزر بين جميع حوافز الشخصية وقدراتها، الشعورية واللاشعورية اذ تعمل سوية بغية الوصول الى هدف واحد او اهداف متناسقة فالمفهوم هذا يفيد التضامن والتآزر بالاضافة الى الائتار.

(٢٧) ـ Self-Control الضبط الذاتي: وهو السيطرة التي يمارسها الفرد على مشاعره ودوافعه وأفعاله، بحيث يكون قادراً على التحكم بها وتوجيهها وفقاً لارادته، كما يتسنى له ان يدرس عواقبها ويحسب للمضاعفات التي قد تنجم عنها.

(٢٨) ـ Communication التواصل: نقل وتسلم المعاني من خلال الوسائل الرمزية.

(٢٩) ـ Socialization تثقيف اجتماعي، تطبع اجتماعي، تنشئة اجتماعية:
اصطلاح يستخدم لوصف عملية التفاعل الاجتماعي التي عن طريقها يتم تلوين الوليد البشري وتشكيله وتزويده بالمعايير الاجتماعية. وبعبارة موجزة وافية هو العمليات التي من خلالها يتعلم الطفل ان يسلك مثل الآخرين الذين هم في اطار الحضارة التي يعيش بها.

(٣٠) ـ Image صورة، تصور: انتاج عقلي من الادراك الحسي في حالة غياب المنبه الطبيعي الاصلي.

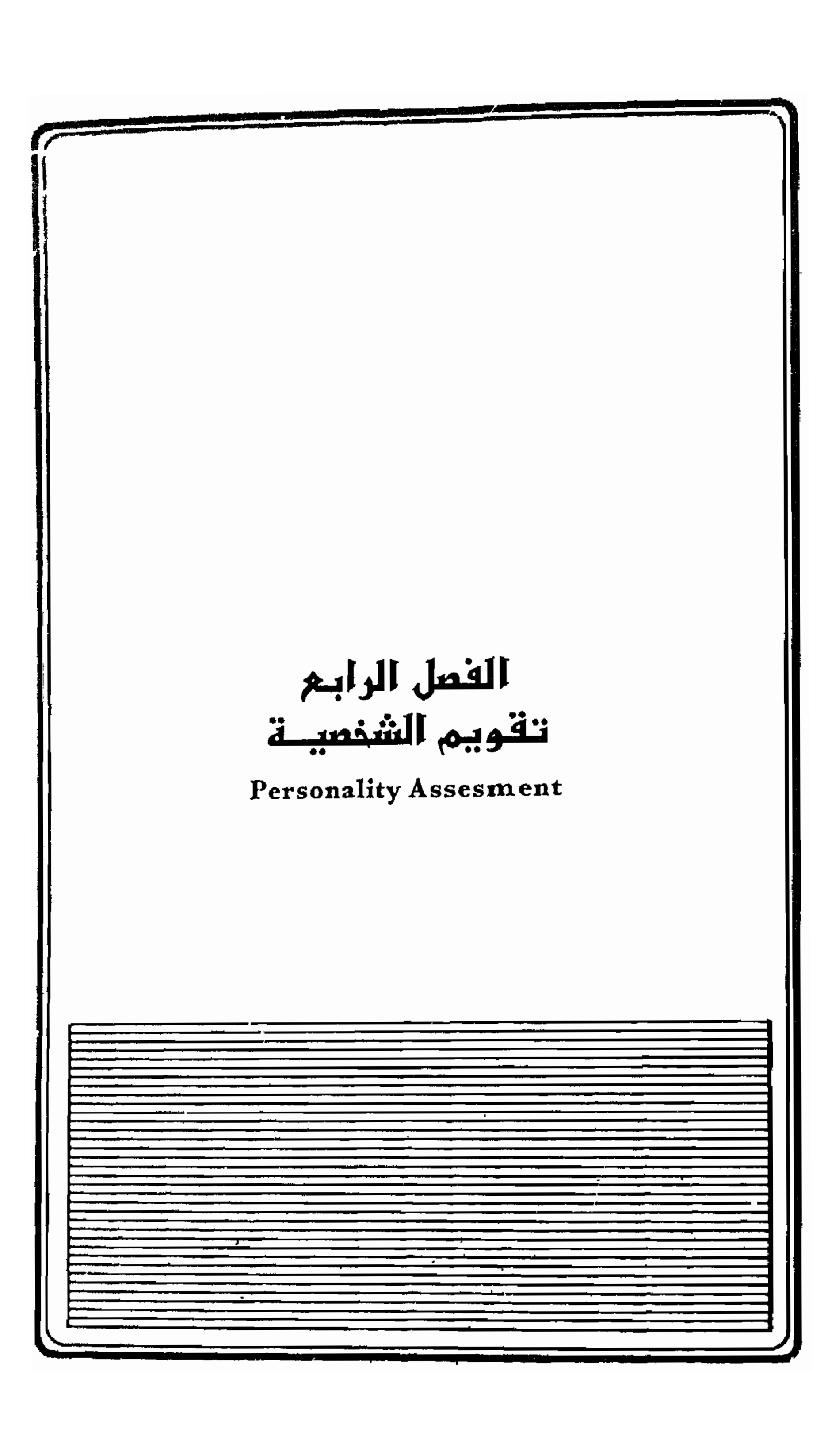
(٣١) Status المكانة: وضع او درجة القبول التي يمنحها الاخرون للفرد.

(٣٢) ـ Identification: التشبه او التصيُّر (التقمص): تستخدم هذه الكلمة في التحليل النفسي للدلالة على تلك العملية النفسية التي نرى فيها شخصاً يتصرف ـ عن وعي أو غير وعي ـ كما يتصرف شخص اخر يرتبط معه برباط عاطفي امثال: تشبه الطفل حوالي سن السادسة من العمر بأبيه). وبصورة عامة تستعملها كتب علم النفس على انها اتخاذ شخص ما قيم ومعتقدات وسلوك شخص آخر أو جماعة آخرين، كما يعرفها علماء نفس آخرون بانها العملية التي بواسطتها يشعر فيها الفرد بأنه جزء من الجماعة.

(٣٣) ـ Background: (الخلفية) أو الارضية الخلفية، وتفيد جملة العوامل الممهدة الى قيام وضعية فردية او اجتماعية والمؤدية الى نشوء موقف معين. فهي تشير عادة الى المراحل التي تسبق التجربة والخبرة والتي تقبع خلفها وتمدها بالمقومات الاساسية احياناً.

(٣٤) ـ Anthropology: وهو العلم الذي يبحث عن الانسان من حيث اصله وتطوره التاريخي والثقافي ومن حيث سلالاته (عروقه). وهناك علم الانثروبولوجي الاجرامي وهو الفرع من الانثروبولوجيا الذي يبحث المجرمين والجريمة. وهنالك الانثروبولوجيا الحضارية وهي ذلك الفرع من الانثروبولوجيا الذي يتعامل مع الانسان من حيث علاقته بزملائه وبيئته، وهنالك الانثروبولوجيا الجسمية وهو الذي يدرس الخصائص الجسمية للانسان.

(٣٥) ـ Hybrid: هجين: المولود الناتج من ابوين يختلفان من حيث النوع او التنوع. يستخدم هذا المصطلح بنوع خاص في مجال الوراثة حسب قوانين ((مندل)) للاشارة الى نتاج الابوين اللذين يملك احدهما فحسب سمة او خصلة او ميزة معينة. فيقال للمولود انه هجين بالنسب لتلك المزية او الصفة.



الفصل الرابع
تقويم الشخصية
Personality Assesment

يعرف الاداريون من ذوى الخبرة، المشتغلون بالاشراف على الدوائر ورؤساء الجامعات ومدراء التربية وقادة الجيش، ان اختيار وتعيين اشخاص في الاماكن المناسبة لهم من اهم وضائف الادارة. انه لمن السهل ان تبنى مصنعاً او بنايات الجامعة لان العلم زودنا بالمهنة الاكيدة على الفنون الميكانيكية، ولكن هذا عالم الانسان، كا ذاك عالم المكائن. وفي اي عمل انساني تستأثر مشاكل الحكم على الشخصية بالجانب العصيب. فاذا استخدمت السلطة التنفيذية شخصاً في عمل ما فمن الطبيعي ان تكون قد اجريت عملية انتقاء فانتقي هذا لكونه ذكياً وحصيفاً في افكاره (اي لاتصدر عنه انفعالات شديدة) وذا شخصية مقبولة وممن له القدرة على كسب الاصدقاء بسرعة، وفوق كل ذلك ممن يوثق بهم ويؤتمن عليهم في تبوأ منصب ذي مسؤولية. وباختصار، تريد السلطة التنفيذية منه ان يعمل بكليته وكأنه يعمل لمصلحته في حين انه يعمل للمصلحة العامة. فاذا قدم عشرة اشخاص لهذه الوظيفة وكل منهم يحمل توصيات تؤكد كفاءته واهليته للعمل واعطت عنه المواجهة التي اجريت انطباعاً في منتهى الروعة، فكيف تستطيع السلطة التنفيذية ان تختار واحداً من هؤلاء العشرة من دون ان تلجأ الى الحدس الظاهري او توقع الحظ السعيد ؟ اذا كان الوقت والمال لايعتد بها فان اوثق طريقة لاختبار الرجل الصالح هو ان يستخدم في العمل العشرة جميعهم لفترة تجربة وتحتفظ في نهاية عشرة اسابيع بالرجل المناسب للعمل. ولكن الشركة تريد ان تربح في عملها لا ان تجعل من نفسها قاعة اختبار للمستخدمين. وفي كل الظروف والاحوال، لابد من انتقاء واحد سريعاً ليذهب الى عمله صباح غد. ومن الواضح ان حكماً صائباً على شخص مايعتمد كثيراً على معرفتنا له، ومع ذلك فان حالات كثيرة من النوع الذي سبق ذكره تبرز بحيث يجب ان نعطي حكماً عن شخص دون ان نعرف عنه الشئ الكثير وفي مثل تلك الحالات يكون الحكم السليم من الاهمية بقدر مافيه من الصعوبة وقد قال الادميرال بيرد Burd ان انتقاء الرجال يستأثر بالاهمية القصوى في الاستعداد لاكتشاف القطب ونحن ندرك حالا سبب هذه الاهمية.

ولكـوننـــا مضطرين الى ان نبتّ في قرارات واحكام عن رجـل او امراة لانعرفها بصورة جلية، فقد وضعت عدة تقنيـات لتزيـد سـداد احكامنـا. وبعض تلك التقنيات مجرد طرائق الاحساس العـام او الفطرة السليمـة Common- sense والذين يستخدمون هذه الطرائق عليهم ان لايـدّعوا بـأنهم يمتلكون صفـة علميـة. لذا نقول على مدير التوظيف ان لايعتقد ان مهارته المتـازة والخـارقه للطبيعيـة كا يدعي تصونه من اخطائه الفظيعة. قد يفضل بعض العمداء استخدام خريجي جامعة يسميها هو في حين يفضل اخر خريجي ايـة جـامعـة سوى تلـك الجـامعـة وهناك نزعة قوية في ان يخدع الانسان نفسه ويعتقـد ان الطرق التي كانت دائمـا مقبولة لايمكن ان ينالها التطوير.

وطرق اخرى من اعطـاء الحكم تختلق ادعـاءات مزورة لتحسب علميـه و يمكن ان ندعوها الطرق العلميـة الزائفـة(١) Pseudo- Scientific وسنعرض لهـذه الطرق بشيءٍ من الاختصار في الفقرات التالية، وقبل ان نذكرها لابد من كلمـة تـاريخيـة عن تقويم الشخصية.

ان تقويم الشخصية قديم قدم الانسان على هذه الارض. ففي العصر البـدائي حـاول الناس بصورة غير اصولية اي غير قانونيـة، ان يختبروا زملاءهم بطرق غير مهـذبـة غـالبـاً ماتتضمن استعمال القوة الجسمانية. ولم تكن في تلك الايـام تقنيـة ذات سمـة رسميـة لتقويم الشخصية. وبتطور المدنيـة ظهرت طرائق جـديـدة. وهنـالـك أمثلـة عـديـدة من تقويم الشخصية بمساعدة الاحجيات المختلفة Puzzles والاعمـال الجسميـة ووسـائل اخرى تتضمنها

الكتب المعنية بالموضوع. وفي الفقرات التالية سأعرض لطائفة من المعـايير غير العلمية اوما سميناها بالطرق العلمية الزائفة التي اكتشفت بمرور الزمن. وكثير من هذه الطرق مـازال موجوداً ويستعملها كثير من الناس في جميع اقطار العـالم. ومن ثم سـأتطرق الى الطرائق الحديثة لتقويم الشخصية.

أ ـ الطرائق العلمية الزائفة Pseudo- Scientific Methods لقد استخدمت هذه الطرق لتقويم شخصيات الناس. ولكن معامل الثبات والتعويل[٢] لتلك الطرق كان ضئيلاً جداً.

١ ـ اقدم هذه الطرق هي التنجيم Astrology وقد نشأت قبل ٢٥٠٠ سنة في بلادنا، بلاد مابين النهرين Mesopotamia هذا ماالتفق عليه المؤلفون ولو ان بعض المؤلفين الهنود يعتقدون ان التنجيم قد نشأ اولاً في الهند عند القديسين الهنود القدماء. واذكر هذا الكلام للامانة العلمية فحسب ولم اجد من المؤلفين من يؤيد ذلك مطلقاً.

واستناداً الى التنجيم، كان يعتقد ان مصير الانسان واعماله تهيمن عليهما النجوم. فشخصية اي فرد واسباب كل حادثة في حياته تحددها هيئة او شكل او وضع الموقع النسبي للاجرام السماوية في وقت ميلاده. ويتم تقويم شخصية اي فرد بملاحظة حركات النجوم ساعة ميلاده ومن ثم تجمع المعلومات التنبئية المناسبة عن مستقبل حياته.

ومعنى هذا، اعني استناداً الى علم التنجيم القديم انك اذا ولدت تحت نجمة معينة فذلك يدل على الصحة، وتحت اخرى يكون الابتهاج او تحت اخرى السيطرة وتحت أخرى الجبن وهكذا ... ومطالع الابراج السماوية عند ولادة الطفل لكشف طالعه التي يقوم بها المنجمون لم تخلب الباب الاغبياء فحسب بل ذوى العقول الرزينة ايضا. ووظيفة النجوم من المفروض عندهم انها تبين الصفات الشخصية للفرد وكذلك مستقبله وهذا الذي دعي «علماً» مبني بالاساس على الاعتقاد بأن الآلهة التي تسكن الكواكب والنجوم تمارس تأثيراً كبيراً على مسؤوليات الناس. فهذا الذي سموه علماً، انما هو اعتقاد إلحادي آمنت به الحضارات الاولى في طور تكونها واستمر طيلة العصور التالية ومن يطالع قصيدة ابي تمام التي يمتدح فيها المعتصم وجيشه في فتح عوريا التي مطلعها .

السيف اصدق إنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

يجد تفنيد هذا الشاعر البارع لمعتقدات علم التنجيم باسلوب ساخر ومحكم في آن واحد. وقد بذلت منذ القديم جهود على مصير فئات كبيرة وعلى امبراطوريات ولما كان مصير الامة يعتمد كما هو الان الى حد كبير على شخصية حاكمها فقد بذلت جهود لتخبر عن خلقه وتتنبأ عن طالعه. واخيراً، وربما للشوق العميق في المجموعات البشرية لمعرفة مستقبلها، ومن جهة اخرى نتيجة لرغبة رجال التنجيم لينالوا المال من اسهل وسيلة اصبح التنبؤ عن الطالع عن طريق النجوم واسع الانتشار. ومازال التنجيم الى الوقت الحاضر وسيلة ابتزاز للمال بخاصة من الطبقات الغنية. ولاحاجة للقول بأن تنبؤات المنجمين لاتحمل في طياتها شيئاً سوى الظن. وان الظن لايغنى من الحق شيئا، والحقيقة ان افضل استخدام يمكننا ان نكسبه من التنجيم باعتبارنا طلاب علم النفس. هو ان نجد فيه ايضاحات ذات قيمة عن حقيقة هي ان رغبات الانسان قد تشوه احكامه بكيفية خطيرة.

ومع اننا في هذا العصر العلمي الحديث نجد ان المعرفة الواسعة عن العالم الطبيعي التي جمعت من قبل الانسان عن طريق الثورة العلمية قد قدمت الكثير مما يقلل الاهتمام الجدي في علم التنجيم وان التعويل على تنبؤاته جوبهت بشك من عدد كبير من الناس، فمع ذلك مازالت هذه الطريقة باقية في بعض الاقطار ونحن نلمس اثارها اليوم في بلدنا من بعض الاهتمامات في المجلات الشهرية التي تطلع علينا ولعل لصفحة الطالع فيها نصيباً من كثرة الاقبال عليها مما تقر به انه من موادها المتمعة. ولعل الهند من اكثر الاقطار التي توارثت هذا الاهتمام، ويقول الباحثون الهنود انه لمن المعتقد ان الهند كانت تمتلك جهازاً مكتملاً من التنجيم في الزمن القديم أنشأته الصفوة القلة من الحكماء، وذوي الفكر من المتعلمين القدماء والذين يدعون أباللغة الهندية (Rishies) ولكن الجهاز لقي لطمة ماحقه من الغزاة الاجانب الفاتحين الذين ابادوا التأليف القديم في التنجيم.

وهنالك بعض الملاحظات قد اجريت لتسند الموضوع القائل بأن لفصل الولادة بعض التأثير على السلوك المتأخر للطفل. وقد درس أورم Orme سنة ١٩٦٥ فصول الولادة والذكاء، وقد استنتج استناداً الى البيانات والمعطيات التي توفرت له[٣] Data.

«ان الاشخاص الذين يولدون في الصيف يكون ذكاؤهم[٤] اعلى بنسبة ضئيلة من اولئك الذين يولدون في الشتاء». والتفسير الاكثر عقلانية لهذا يبدو في ان حرارة الصيف الشديدة قد تؤثر بصورة عكسية في تطور الجنين[٥] مما يؤدي الى مستوى

اوطأ في القيام بالوظائف الدماغية في اواخر الحياة عند اولئك الاطفال الذين حملت امهاتهم خلال اشهر الصيف وولدوا في الشتاء.

وللامانة العلمية اود ان اذكر ان بعض الباحثين يرى ان التنجيم جهاز علمي قائم على قدمية ولكنه بحاجة الى بحث يدعم مدعياته. وهناك عدد كبير من الامثلة تنبأ فيها التنجيم فكان تنبؤه مصيبا عن حوادث المستقبل. ويرى امثال هؤلاء الباحثين وجوب تأسيس مركز للبحث ليقوم بالبحوث عن التنجيم لتثبت او تدحض كونه علماً.

٢ ـ فراسة الدماغ* Phrenology

حينما اكشفت مناطق الحس والحركة في الدماغ، خطر ببال البعض ان فحص شكل الجمجمة يكشف شكل الدماغ، ونتيجة لذلك يكشف الخصائص الخلقية للشخص. ومن دون اختبار هذه الفرضية، زعموا ان البروزات البيّنه الظهور فوق الأذنين تكشف عن الرغبه في الهدم والتخريب وان تلك البروزات اذا كانت في مواقع آخرى فلها معان مختلفة. وفي الجملة فان (٣٥) عضوا في الدماغ او اكثر كان يعتقد ان لها نتوءات متناظرة، وكان يعتقد ان درجة النضج التي تكتسب عن طريق تلك النتوءات تبين الخصائص الخلقية المعينة، وقد ادرجت تلك الادعاءات في لغة العصر العلمية ودعيت «علم فراسة الرأس» والاماكن الحقيقية لوظائف الدماغ بعيدة من حيث تعلقها بادعاءات اصحاب الفراسة وبرهان اصحاب الفراسة لايظهر في الراس عن طريق النتؤات. وحسبما يحصل غالباً مع اولئك الذين يقدمون نظرية جديدة، نجد ان اصحاب فراسة الرأس لم يأخذوا بنظر الاعتبار الحالات المضادة. فالنتوءات التي حسب نظامهم يجب ان تبين خصائص معينة قد اخفقت في ذلك. وان فحوصات علم التشريح التي اجريت في الراس والدماغ وكان بالامكان ان تجري سريعاً، اظهرت ان الشكل الخارجي للجمجمة لايطابق سطح الدماغ ولكنهم اخفقوا في الحصول على هذه المعلومات المهمة ومازالوا، جدوا في اسناد ادعاءاتهم بهيبة العلم وكرامته، فدعاهم اهل المعرفة بالعلماء المزيّفين. واكثر من ذلك فقد اظهرت جهود متواصلة من جانبهم لمعرفة اسس تلك الخصائص الشخصية مثل اللطف والرقة والطموح والحسد، ان تلك الخصائص تعتمد كثيراً على التدريب والممارسة لا ان تحدد

* علم معرفة قوى النفس بالنظر الى الجمجمة وشكلها.

ببعض تلك النتوءات في الرأس والتي لاتتغير. ان تلك الخصائص نتاج مواقف نفسية حاضرة وماضية ولايستطيع سبب لوحده ان يكون المسؤول عنها. حاول ان تنتحل سبباً واحداً يمكنك تصوره كنقص جسمي او تدريب بيتي او غير ذلك، فبعد قليل تجد امامك امثلة مضادة كثيرة، ويمثل امامك هذا السبب هزيلاً خاوياً تعجز عن اسناده. وانه لبأقل من القليل يمكن ان تربط تلك الخصائص بمثل تلك الاشياء الظاهرية كالنتوءات التي على الرأس. ومن التغايرات في تراكيب الرأس الموجودة بين الناس الا سوياء لاتوجد ادلة واضحة لصحة علم فراسة الرأس. ولايتقبلها طالب نابه في دراسة الطبيعة البشرية. فمن الصعب جدا ان نجد وصفاً مناسباً ولما دعوه علماً غير قولنا عنه انه علم مزيف.

٣ ـ العلامات الفارقة: Stigmata

قبل الدخول في الموضوع اود ان اشير الى ان كلمة stigmata اغريقية الاصل وهي جمع كلمة stigma ويرد الجمع ايضا. stigmas. وتعني الكلمة باللغة الاغريقية، علاقة او اثر (Mark) والمقصود بالكلمة Stigmata اي دليل عقلي او جسمي او صفة مميزة تساعد في تعرف او تشخيص حالة. وبعد شرح معنى الكلمة اقول:

كان من المعتقدات الشائعة في الماضي ان الانحرافات التشريحية Anatomical Deviations او العاهات Deformities التي تعرف تقنياً التشوهات تدل على الخلال الشخصية. وقد ادعى Lombroso لامبرسو من اكبر علماء الجريمة الايطاليين المشهورين في النصف الثاني من القرن العاشر وقد اوغل في ادعائه، انه عن طريق التشوهات يمكن ان نصنف المجرمين الى لصوص وسفاكين ومزورين وهكذا. ولكن دراسة اكثر دقة تقول، مع ان المجرمين والذين ولدوا بسمات جسمية او عقلية منحلة

☆ Degenerate الشخص المنحل، بخاصة المنحرف جنسيا او الشخص الذي يكشف عن سمات جثمانية او عقلية مرضية وبخاصة منذ الولادة.

Degenerata ☆ كالغبي☆☆ Feeble- minded عنـدهم بصورةعـامـة استعداد اكثر من المعدل للانحرافـات. اننـا لانستطيع ان تقول ان الشخص الـذي يعـاني تشوهـا جسمياً لابـد من ان يكون ذا شخصيـة معيبـة. ليس هنـالـك شـك في صـدق القول بـأن الـذين يتسمون بنمو جسمي شـاذ او عـاهـة مثـل شرم الشفـة العليـا (أعلم)، آذان غير اعتيـاديـة، او وحمة ظـاهرة للعينـان، او ظهر مشـوه بشـع، او حنـك افلـع او عيب في النطـق او شعر في المناطق التي لا ينبت فيها الشعر (وبخاصة المرأة الملتحية) او فقدان الشعر في الأمـاكن التي يجب ان يكـون فيهـا شعر (كما في حـالـة الـولـد الاصلع) انهم عرضـة لـلاجهـاد النفسي والتـوتر. وبسبب هـذا العبء الاضـافي في التـوترات والقلـق والخجـل قـد تنشأ عنـدهم سمات شخصية غير مرغوب فيها. ولابد من ان نتذكر حقيقتين:

الاولى: لا يستطيع انسـان ان يعـذر نفسه بقتل اخر بسبب شفتـه الشرمـاء ولـذلـك فنظريات لومبروسو خطؤها اكثر من صدقها.

الثـانيـة: ان الـذين يعـانون من عيوب بـدنيـة بـالامكان دائما تعليمهم بـان يتحملوا هذا العبء الزائد من دون ان يشكل لهم عائقا مفرطا او الرثاء للذات.

٤ ـ علم الفراسة: Physiognomy

هـذا المصطلـح مكـون من كلمتين، الاولى الكلمـة الانجليزيـة Physio وهي نفس كلمـة Physi التي تعني الطبيعـة او الطبيعي او الجسم او المـادة حسب السيـاق الـذي هي فيه، الى جـانب الكلمة الثـانيـة gnomon وهي كلمـة جرمنيـة تعني Judge اي الحكم، وبهذا اصبح المصطلح يعني حسبما تشير القواميس الطبية الى:ـ

١ ـ تحديد الخصائص العقلية والخلقية ونوعياتها عن طريق الوجه

٢ ـ الملامح او الوجه Countenance, or face

٣ ـ تعبير الوجه ومظهره باعتباره وسائل للتشخيص

وبعد هذا البيان للمصطلح نقول:

ان الاعتقـاد بـان الاخـلاق تظهر في الـوجـه امر متـواتر واسع الانتشـار والفقرة التـاليـة المـأخوذة من بلاكفوردنيوكامب Blackford and Newcomb تعطي مثلا متطرفاً في ذلك.

☆☆ الغبي ـ المأفون ـ الغباوة ضعف العقل وتستخدم كلمـة Moron في الولايـات المتحدة للدلالة على ضعف العقل او المأفون ومنها Moronity ولا تتجاوز سنه العقلية عند البلوغ ٨ سنوات ونصف السنة ، اما نسبة ذكائه فانها تتراوح بين٥٠ ـ ٦٩.

«ان دلالـة الشكل المحدب الصرف للوجـه هو، القـوة العقليـة، والجسمية معـا، اذ ان الافراط في القـوة يجعـل ذا التحـدب الـزائـد حـاد الـذكاء، نـابهاً يقظـا، سريـع الحركـة متحمساً، عدائياً عـديم الصبر ملولا، مبـالغـاً في الثقـة بنفسـه وفطنـاً والانعطـاف الـذي يتبين في فـه الاحـدب يجعلـه يتكلم بصراحـة واحيـانـاً بحـدة وعنف دون الاخـذ في اكثر الاحوال بما تقتضيه المجـاملـة والـدبلومـاسيـة. ويشكل الوجـه المقعر المحض كما يتوقع منـه، نقيض المحـدب فيما يخص دلائـل الشكل فشمائـل اخـلاقـه الرقـة واللطف، وهـو متـأن في افكاره. متـأن في تصرفـه، صبـور في مـزاجـه، متئـد في مشيـه. وغالبية ذوى الـوجـه المحدّب تكـون من الشقر. واجتماع وفره الامـل والتفـائـل والتعب والتنظيم والابـداع وخصـائص السيطرة عنـد الشقر مـع الخفـة في الحركـة والنبـاهـة والنـاحيـة العلميـة والصفات العدائية لحـدبي شكل الوجـه، هـذا النوع من النـاس هم صنف العمل والنشـاط والعراك☆

وفي هـذا المقطع المقتطف اهميـة جـديرة بـالاهتمام تتعلق بـالمظهر، فبصـورة عـامـة يغلب على الشقر النشاط والعـداء والقوة اكثر من السمر، ومع ذلـك فحينمـا سـأل لوجيـه Ludgate وبترسونPaterson ١٨٧ شخصـاً ان يصنفـوا اصـدقـاءهم الشقر والسمر بـالنسبـة لتلك الخصائص وغيرهـا لم تظهر فروقـاً ذات قيمـة في هـذا المجـال * وحينمـا جوبـه علمـاء الفراسة بهذه الحقائق، ربمـا اعترفوا ان المظهر وحـده لايمكّننـا من أن نحكم على الشخصيـة ولكنهم مـازالوا يصرون على أن علامـات الوجـه بمجمـوعهـا تكشف عن الكثير. واذا كان هذا صحيحا فـالصورة الفوتوغرافيـة لهـا شيٌ من القيمـة ، ومع ذلـك، فحين تقـارن تلـك الاحكام مع الاحكام المتفقة للزملاء الحميين نجدها ضعيفـة الارتبـاط جـداً ، لـذا يجب ان يُستثنى منها احكام الجمال والذكاء والتكبر والعجب بالنفس دونما مبرر . وقـد يعتقـد ان الاحكام التي تستند الى اختبار شخص حقيقي تكون اكثر ثقـة من تلـك التي تستنـد الى الصورة الفوتوغرافية، على انه لايوجـد في ذلـك اختلاف ذو قيمـة. والقـائمـة التـاليـة التي تعرض ماوجده كليتون ونـايت Cleeton and Knight تبين ان هنـالـك شيئـاً قليلا يمكن ان يستنتج فيما يخص الشخصية ، من مجرد فرصة مشـاهـدة الشخص، وحتى حينمـا تصـدر حكما ففي هذه يتحدد كونه من رجال الاعمال المجربين ومـدراء المـدارس ورجـال ادارات التوظيف.

☆ من كتاب : العمل والانسان والرئيس تأليف كاثرين بلاكفورد وارثونيوكامب من صفحة ١٥٤ الى ص ١٥٧

الارتباط الموجود بين تصنيف ٢٠ صديقا حميا وتصنيف ٧ من المشاهدين الذين جمعتهم ظروف سببيه **

الخصيصة	الارتباط
الحكم Judgment	٪٣٢
الذكاء	٪٠٢
الصراحة	٪٢١
القدرة على كسب الاصدقاء	٪١٨
قوة الارادة	٪٢٦
القيادة	٪٢١
الابتكار	٪٣٢
التهور	٪٢٠

ولو ان «عالم فراسة خبير» جوبه بتنوع احكام الافراد المبنية على الصور الفوتوغرافية وعلى الملاحظة الحقيقة للشخص الذي يراد الحكم عليه فانه سيردبدون شك بأن الفراسة كعلم يجب ان تضبط دقائقه عبر دراسة طويلة ، فعلينا ان لانتوقع من غير الاشخاص المتدربين ان يقدموا احكاماً صادقة. وفي تلك الحالة ربما يرغب رجال الفراسة في أن يبرهنوا على قدراتهم انفسهم. ولكن الى الان لم يبد منهم انهم يرغبون في ذلك . وقد سأل هول Hull احد قادة اصحاب الفراسة بأن يحكم على جماعة من الفتيات استنادا الى صورهن الشمسية. (وقد اصدرت احكام على الفتيات جميعا من قبل المشرفات عليهن بالقسم الداخلي). ومع أن هذا الفرّاس قد أعطي المواثيق الغليظة بأن لايكشف اسمه فيما اذا اخفق فانه رفض التعاون في هذه التجربة. وقد اشار هول Hull الى أن هذا الموقف يمثل السمة العامة عند الفراسيين.

ان هذا الاتجاه من الشك يثبت بصورة آكد عند فحص ادعاءات الفراسين فيما يخص العلاقة بين المنظر الجانبي للوجه والخصائص الشخصية. ولاجل اختبار صحة دعاوي

* دراسة كية قام بها باترسون ولوجيه بعنوان «سمات الشقر والسمر»

** سبب اوعلة اي العلاقة المبنية على السبب والمسبب حسب المبدأ القائل بان لكل سبب مسبباً.

بلاكفـورد Blackford ونيـوكامب Newconb المقتطفـة السـابقـة اشتغلت إيفـان بـاشراف هـول Hull ، فقـد سـألت خمسـة وعشرين عضـوة في قسم داخلي لتصنيف الاخريـات (لاتصنف العضوة نفسها) بالنظر الى مجموعـة من المميزات. وحينمـا تم انجـاز ذلـك، قورنت احكام ثلاث عشرة من المحكمات مع الاثنتي عشرة الباقيـات. والارتبـاطـات العـاليـة بين تصنيفات الجماعـات اظهرت ان هـذه الطريقـة من تصنيف خصـائص الشخصيـة تعطي نتائج متقنة فيما بين الجماعات. وفيما يلي نتائج تلك الارتباطات:

الارتباطات بين الاحكام المتفقة لجماعة متكونـة من ١٢ مصنفاً وجمـاعـة متكونـه من ١٣ مصنفا لخصائص مختلفة من الشخصية

الصفة	الارتباط
التفاؤل	٧٥٪
النشاط	٨٠٪
الطموح	٩٠٪
قوة الارادة	٨٢٪
السيطرة	٨٧٪
الشهرة	٤٤٪
الشقرة Blondeness	٩٣٪

لقد نال الطموح والسيطرة المرتبة العالية، أما الشهرة فكانت الدنيا. وهذا يعني ان الشخص الذي يحكم عليه بـأنـه طموح اومحب للسيطرة من قبل عـدد قليل ممن يـألفونـه سوف يحكم عليه بـالطموح والسيطرة تقريبـاً من جميع من يعرفونـه ، بينمـا قـد نحكم على شخص بـأنـه مشهور من قبل بعض من يعرفـونـه بينمـا قـد يحكم اخرون عليـه بـأنـه غير مشهور. فـالطموح والسيطرة خصيصتـان ثـابتتـان اكثر من الشهرة واذا انتقلنـا الان الى العلاقات بين تصنيفات الشخصية تلك ودرجة تحدب المظهر الجانبي او الصورة الجـانبيـة، نجد الارتباطات في القائمة التالية. والارتباطات الوحيـدة البعيدة تمـامـاً عن الصفر لغرض تبيان اي احتمال لعلاقة ذات قيمة هي تلـك التي في السطر الرابع ، والتي تظهر العلاقـة بين الخصائص المنتحبة وتحدب قسم الوجه بين الحنك وحاجبي العينين ماعدا الانف.

اظهرت القائمـة التـاليـة الارتبـاط بين الخصـائص الفراسيـة المختلفـة وبين عـدد من الخصائص الخلقية.

الخصائص الفراسية				الخصائص الخلقية			
	التفاؤل	النشاط	الطموح	قوة الارادة	السيطرة	الشهرة	الفقرة
التحدب، جميع الوجه مع الانف	+١٠٪	-٥٪	-١٧٪	-١٣٪	-١١٪	-٣٪	-٢٠٪
التحدب، الحنك الى الحاجبين مع الانف	١٣٪	+١٪	-١٣٪	-١٢٪	-٨٪	-١١٪	+٣٪
التحدب، جمع الوجة ماعدا الانف	+٢٪	-٢٤٪	-١٧٪	-١١٪	-١٢٪	-٢٧٪	-٤٪
التحدب، من الحنك الى الحاجبين بدون الانف	+٣٧٪	+٣٩٪	+٣٣٪	+٣٤٪	+٢٤٪	+١٧٪	+٣٪
ارتفاع الجبين من الحاجبين الى الخط الشعري	-١٧٪	-٢٩٪	-٢٣٪	-٣٩٪	-٢٢٪	-١٠٪	-٢١٪
تحدب الوجه الاعلى مع	-٦٪	-٨٪	+٤٪	-٦٪	+٨٪	-١٧٪	-٢٪
الشقرة	-٢٦٪	-٢٪	+٥٪	+٢٨٪	+١٤٪	+٣٪	

وقد اجريت بحوث فراسية اخرى كثيرة استخلص نتائجها Hull اظهرت بصورة عامة، انه في الوقت الذي توجد فيه نسبة قليلة من العلاقة بين الخصائص الشخصية والفراسة، فان العلاقات الخفيفة، ومن دون شك، ذات قية عملية ضئيلة.

٥ـ بنية الجسم Physique (القوام): الجسم من حيث المظهر او التكوين او القوة): عند ملاحظة المظهر العام للقامة وجد ان هنالك علاقة ايجابية ضئيلة ، ولكنها يعتمد عليها ، بين الحجم والذكاء. فالشخص الممتلئ الحسن النمو في العادة يزيد قليلا في ذكائه على النحيف ، بنية الشخص يبدو أنها تلقي ضوءاً على طبيعته الانفعالية ومزاجه الشخصي اكثر مما تلقي على ذكائه.

وقد بذل كريشمر Kretshmer جهودا فتوصل الى أن انماطاً جسمية معينـة مرتبطـة بخصائص شخصية معينة «وقد بين كريشمر أن هنالك ثلاثة انواع جسمية: القصير الممتلئ Shortround والنحيف الطويل Thin - Long والنوع المتوسط Intermediate Type وقـد دعـا الاول البـدين القصير Pyknic ودعـا الثـاني الضعيف الواهن asthemic امـا الثـالث فدعاه النشيط او القوى او الرياضي Athletic. فـالشخص القصير البـدين كما يقول يغلب عليه الانبساط وحينما يصبح شخص من القصير البدين مريضاً عقليا يحصل عنده جنون الاكتئاب-الهوس *Manic – depressive insanity يتميز بتنـاوب فترات تهيـج شـديـد وشعور بـالحـزن والكآبة والفتـور في النشـاط الـوظيفي والقـوى الحيـويـة اما الشخص الضعيف الواهن فهو انطوائي ويختلف بوضوح عن الشخص القصير البدين انـه يعيش مع نفسه كما أنه ضعيف من الناحية الاجتماعيـة من حيث اختلاطـه بـالنـاس. وبـدلا من ان يشارك في انفعالات من يعايشهم فانـه يبقى متفرجـا واذا مـااصبح مريضـا عقليـا فعلي الاكثر تغلب عليه الشيزوفرينيا (ويتميز بلامبالاة لجميع من يعـايشهم). امـا النوع النشـط القوي الرياضي فانه يجنح الى خصائص شخصية الشخص الضعيف الواهن.

ولما اسندت هذه الاستنتاجات بجهود سنوات من الخبرة العيادية جذبت اليها كثيرا من الانتباه وكانت موضوع دراسات دقيقة عديدة. واغلب تلـك الـدراسـات اجريت مع المرضى في المستشفيـات العقليـة. واحـدى تلـك الـدراسـات اجراهـا فرثيمر Wertheimer وهسكث Hesketh وقد حددت معـدل المؤشر المورفولوجي* لاحـدى عشرة حالة من الاكتئاب ـ الهوس و ٢٣ حـالـة شيزوفرينيـا (والـدليل المورفولوجي) «التشكلي» وسيلـة ملائمة لقيـاس بنيـة الجسم. وهو النسبـة بين طول الاطراف «الاوصـال» : اليـدان والرجلان» وحجم الجذع:

فـالشخص الطويل النحيف استنـادا الى ذلـك لـه مؤشر مـورفـولـوجي عـال وامـا الشخص القصير السمين فيكون لـه مؤشر واطئ. وقـد وجـد فرثيمر أن المصـابين بـالهـوس الاكتئابي، معـدل المؤشر المورفولوجي عنـدهم ٢٣٣ بينمـا يقـابلـه مؤشر المصـابين بـانشطـار الشخصيـة (الشيزوفرينيـا) ٢٨١٠ ان هـذه المعطيـات تميـل الى اسنـاد النظـريـة المتقـدمـة

---

*Insanity الجنـون: اصطـلاح قـانـوني طبي، عـام اكثر منـه علميـاً ، ويغطي كل اشكال الاضطرابـات العقلية التي تعني عدم المسؤوليه وعدم الاهليه القانونية .

*Morphology علم التشكل : وهـو فرع من علم الاحيـاء يبحث في شكل الحيـوان والنبـاتـات وبنيتها.

لكريشمر. وقد قام شاو Shaw بدراسة اخرى اعطت النتائج ذاتها . فقد وجد ان جميع المرضى بالدلالة المورفولوجية بين ٢٥٠ و ٣٤٠ كانوا من المصابين بالاكتئاب ـ الهوس او ما يسمى بالتناوب المتي والانقباضي، بينما جميع الذين لهم دلالة فوق ٦٨٠ كانوا من المصابين بالشيزوفرينيا.

وفي دراسة حديثة حصل فاي Fay و مديتون Middeton على حكم على البنية الجسمية اصدره مشاهدون لتسعة خطباء استمع اليهم في حشد كبير تكلم فيه الخطباء بواسطة مكبرات الصوت استنادا الى الانماط الجسمية الثلاثة التي قررها كريشمر. وقد سجل الحكمون ٢٠٪ و ٢٢٪ و١٪ زيادة على احكام الصدفة في تشخيص الاشخاص البدينين القصار والضعاف والنشيطين فيما يخص كل بنية وكان هنالك ثلاث رجال من كل نوع.

وهنالك منطلق جديد في دراسة البنية الجسمية وعلاقتها بالسلوك الانساني اجراها شلدن Sheldon وستيفنس Stevens وتكر Tucker . ففي المجلد الاول من مجلدين عرض هؤلاء المؤلفون نظاماً ذا ثلاثة ابعاد لوصف القوام الانساني. فقد شخصت ثلاث نماذج من البنى الجسمية هي الاندومورفي والميسومورفي والاكتومورفي. تُظهر الاندومورفي تغلّب امتلاءات ناعمة الملمس في كل مكان من مناطق الجسم المختلفة. أما الميسومورفي فيكون ثقيلا صلبا متعامدا rectangular تظهر عليه غلبة العضلات والعظم والانسجة الضامة اما الاكتومورفي فهو متسم بالطول والضعف، تخطيطي، ويمتلك في بعض اجزاء جسمه أعظم واجهة حسية للعالم الخارجي. وكل واحدة من هذه البنى صُنفت حسب مقياس معيار سبع نقاط استنادا الى التركيب الذى تتضمنه. وعلى هذا فقوام «٧١١» يظهر المقدار الاقصى من الاندومورفي والمقدار الادنى من التراكيب الاخرى.

وفي المجلد الثاني عرض شلدن وستيفنز مقياس مزاج لثلاثة تراكيب مزاجية هي :

١ـ المزاج الاحشائي Viscerotonia ويتميز صاحبه بحب الراحة والميل الى المجتمعات والنهم الى الطعام والتودد الى الناس واسترخاء القامة وبطء الاستجابة وهدوء الطبع والتسامح وسهولة التعامل مع الناس.

٢ـ المزاج البدني Somamotonia: يتسم الشخص صاحب هذا المزاج بحب المغامرة البدنية وركوب المخاطر والنشاط العضلي والجسمي والعدوانية تجاه الاخرين ونضج المظهر وكثرة الجلبة والشجاعة والقوة والسيطرة. والمصطلح متكوّن من الكلمتين الاغريقيتين Somato وتعني الجسم ، كلمة Tonos وتعني التوتر او قوة الشد.

٣ـ والمزاج المخي Cerebrotonia : المصطلح متكون من كلمة Cerbroالتي تعني المخ والكلمة الجرمنية Tonos التي تعني التوتر او قوة الشد الى جانب ia التي هي نهاية كلمة

تدل على الوضع او الحالة . ويدل المصطلح على حالة عقلية تتميز بغلبة الردع والمنع والرغبة في الاخفاء.

ويبّين علاقة تلك المكونات بتركيبات الجسم الثلاث. ولما كانت مكونات المزاج هي انحرافات متطرفة عن «المعدل» فان اكثر الناس يقرنون بأمزجتهم اخلاطاً مختلفة من المكونات الثلاث. فالاحشائي المتطرف الذي يعشق الراحة مولع بالطعام كثيرا كما مرّ يحب المناسبات الاجتماعية التي تضم كثيرا من الناس ويعبر عن مشاعره بكل يسر. والجسمي المتطرف انسان نشط وذو طاقة ويسلك سبيل النضال. والكفاح والشخص المخي المتطرف الذي ينفر من الامور الاجتماعية ويتجنب الانتباه الذي يلفت النظر هو شخص فاتر الهمة ويكبت رغباته . ويستعمل مقياساً للمزاج مكوناً من ستين خصيصة، عشرون لكل واحد من التركيبات الاساسية ليحدد مزاج الفرد.

والذي يتبين لنا ونحن امام هذه البحوث وامثالها ان نكون حذرين ودقيقين لكي لا نندفع كثيرا في وضع التعميمات . وعلينا ان نتذكر ان اغلب الدراسات في هذا الموضوع اجريت على المرضى في المستشفيات العقلية. وهذا يعني انها اجريت على اشخاص مصابين. وليس من التعقل ان نتوقع ان الخصائص الشخصية للشخص السوي Normal يمكن ان تقسم بمثل هذا التحديد القاطع على اسس مقاييس جسمية والفرق بين الاسوياء عقليا وبين الشواذ عقليا هو أن الاسوياء عقليا كجماعات أكثر تجانساً ومودة مع بعضهم مما عليه الشواذ . والناس الاسوياء يتصرفون ويشعرون بطرق مناسبة للموقف، أما مشاعر وتصرفات الشواذ فتحدد بحالة عقلية وجسمية مهمة. ولما كان السلوك السوي نتاج ظروف عديدة ، مثل تأثير العائلة والتربية والثقافة، فاننا نتوقع ان تأثير اي عامل واحد مثل الجسم ان يكون اقل وضوحا مما هو عليه في السلوك الشاذ

ويجب علينا كذلك ان نلاحظ ان اغلب الناس لايمكن ان يصنَّفوا بحدود قاطعة ابداً الى مثل هذه الاصناف مثل الطويل النحيف The long – thin والقصير البدين The Short – round. ان قليلا جداً من الناس ينتمون الى تلك الانواع المحدودة ومعظم الناس بين بين فليس من المدهش اذاً أن دراسات تحديد العلاقة بين اجسام الاشخاص الاسوياء وبين امزجتهم، التي لم تضع حداً فاصلا ، ذات نتائج ايجابية. وحتى في الحالات المرضية Pathological cases فان الجسم بالنسبة الى فار Farr يجب ان يكون موحيا وليس تشخيصياً. وفي هذا ، فان باترسون Paterson المعروف بمسحه للدراسات في هذا الحقل يبدي اتم الموافقة.

والانحرافات الظاهرة عن بنية الانسان السوي مثل الملاقات المميزة المذكورة آنفاً تسبب تأثيرا نفسيا على انها ليست هي السبب المباشر في انحرافات الشخصية. ... المفرط في القامة بالتعاون مع عوامل اخرى في الكل النفسي قد يجعل الشخص معروراً مزهواً بنفسه عن طريق التعويض ويسبغ على شخصيته لونا من حب الخصام والعراك وهذا اكثر احتمالا ان لم يكن باستمرار يحاول ان يقنع نفسه على أنه في الواقع كبقية الناس ذوي الاحجام الطبيعية. ومن المنطلق نفسه وبمجموعة مختلفة من العوامل في الكل النفسي قد يصبح الشخص ذاته منكمشا على نفسه بل قد يكون متذللا. وعلى سبيل المثال فان ملاعب صباه ويفاعته قد علمته ان الغالب عليه ان يغلبه اي شخص وربما يكون قد استنتج ان افضل سبيل لمسايرة الحياة والانسجام معها ان يذعن بدلا من ان ينافس. وقد تجعله عوامل اخرى في الكل النفسي مخادعا ماكراً يثق ببراعته بدلا من عضلات جسمه. وبعبارة اخرى ان شخصية الشخص القصير في الغالب تتأثر بقصره، ولكن هذا التأثير لايمكن ان يفصل عن النشاط المشترك للعوامل الاخرى في الكل النفسي. وبالمثل، فان انسانا ذا قوى جسمية صارمة قد يكون لطيفاً انيسا متهلا وقلما يواجه مزاحمة عنيدة ويستطيع ان يأخذ نفسه الى الرضى.

والخلاصة، ان الانحرافات الواضحة عن الاسوياء في البنية في الغالب تسبب تأثيرا واضحاً في الشخصية، ولكن لاتُستثنى مطلقا من تضامنها مع العوامل الاخرى

٦ـ حموضة الجسم The acidity of Body

في السنوات الاخيرة ، اصبح الأمل في الحكم على الشخصية على التحليل الكيمياوي أمراً جلياً. ولعلنا نطمئن حين نتنبأ أن اولئك الذين يرحبون بهذا الأمل سيخيب ظنهم.

فالاخلاق والشخصية مشروطان ومتكونان من عوامل عديدة جداً بحيث لايبين التحليل الكيمياوي اكثر من نزعة عند اي فرد. ولحد الان يبدو ان التحليل الكيمياوي قد ادى الكثير في هذا المجال . لقد وجد Rich في نمط الجنون المستشار ان اللعاب والبول والعرق والغائط كلٌ من هؤلاء يجنح الى أن يكون قلويا (خصائص قلوية) alkaline بينما في حالة نمط جنون الخلط او الالتباس Confused type of Insanity تسود حالة عامة من الحامض Acid.

وقد وجد ايضا ان اللُكُن(جميع الكن وهو المتلعثم) في حالة السبات الذي هو المرحلة الاولى من الى التنويم المغناطيسي حيث يتميزون ببعض الخدر والارتخاء

العضلي يكون عندهم لعاب حامض acid Salva. بينما اولئك الذين هم من النمط القابل للتهيّج عندهم لعاب معتدل او قلوي. واستنادا الى وقائع رج Rich وجد باترسون Paterson علاقة هامة وموحية بين حموضة البول واللعاب وبعض سمات الشخصية مثل، الطبيعة الطيبة ، القيادة العدائية، التهيجية. وفي الوقت الذي تمسك كل من Rich و Paterson باتجاه حذر، فانها قد وافقا على أن القليل التهيج والعدائية عرضة لان يكون لديه بول ولعاب حامضيان. ان هذه الحقائق مع انها ذات اهمية ليس لها اي استعمال معين في قياس الشخصيات للاشخاص الاسوياء. فالشخص لايلجأ الى تحليل كيمياوي للعابة ليعرف ان كان متهيجاً ام لا.

٧-شكل وحجم اليد: هنالك انطباع مشهور يقول ان اليد الطويلة الضيقة ذات الاصابع الشريطية دلالة على المنشا الارستقراطي ، بينما اليد الكبيرة الضخمة تشير الى الانحدار من عوام الناس . والحقيقة ان مثل هذه الفروق في اليد قد تكون ذات دلالة ولكن فقط على القدر من العمل اليدوي الذي قام به الشخص. ان محاولة الحكم على الاخلاق عن طريق حجم اليد وشكلها يدعى Chirognomy ويدّعى علماء دراسة اليد بصورة عامة بقدر مايكون الاصبع الاول طويلا اذا ماقورن بالثاني تكون كثرة طموح الفرد، كما انه بقدرما يكون ثني الفرد لأصابعه كثيراً الى الخلف كلما كان ذكاؤه وقادا اكثر . وانه على نسبة طول الاصابع بالنسبة الى الكف تكون قوة تهورة وسرعة تأثره وهكذا . وقد استقصت هذه الادعاءات مكلافرن Maclavrin. وبعد الحصول على تصنيف الشخصية لثلاثين عضوة في جمعية نسائية Sorority قاست ماكلورين ايديهن وقد وجدت أن الارتباطات Correlations كانت ضئيلة جداً الى القدر الذي لايُعتدُّ به. ومامن شك في أن الشئ ذاته من حيث القيمة بالنسبة لحجم وشكل القدم.

٨- فن معرفة الاخلاق بالخط Graphology:

لقد قام ادعاء بان الخط ينبع عن اخلاق المرء وسمات شخصيته وهنالك بعض الادلة على أن الخبراء من عارفي فن الاخلاق بالخط قادرون على أن يخبروا بعض الشئ عن شخصية الفرد عن طريق دراسة كتابته. وعلى سبيل المثال لقد اعطى بنيه Binet لعدد من العارفين بهذا الفن نماذج لعدد من الرجال كل اثنين لوحدهما . كان احد هذين الزوجين من المشاهير واما الاخر فن المغمورين وكان كل زوجين من هذه المجموعات الاثنينية يتمتعان بنفس المستوى الثقافي ويتمتعان بنفس

الميزة التربوية . وطلب من العاملين بمعرفة فن الاخلاق بالخط ان يميزوا كل فرد من هذين الزوجين من المشهورين. لقد كانوا مقتدرين على القيام بهذا العمل في حالات كثيرة اكثر مما لو كانت محاولات مبنية على الصدفة. وقد أوضح اخرون من هؤلاء العاملين بهذا الحقل انهم قادرون على ان يعرفوا بصورة تستحق الاعتبار لدقتها فيما اذا كان الخط يعود لانثى او لذكر.

لقد ادعى هؤلاء الناس ان لهم نظاماً يوثق به . الا ان تدقيق Hull مونتجومري Montgomery كشف عن نتائج لاعلاقة لها بتصنيفات الشخصية. وفي دراسة قام بها سوبر Super اظهرت ان التوصيات المهنية لعلماء معرفة فن الخط المهنيين لم تظهر اكثر مما تظهره علاقة الصدفة مع سمات الشخصية لأربعة وعشرين طالبا جامعياً اذا ماقيسوا بمقاييس الذكاء والاهتمام والشخصية. وقد كانت التوصيات المهنية من قبل هؤلاء العاملين بفن الخط تختلف كثيرا عن تلك التي اظهرت اختبارات الاهتمام .

قد يعني هذا ان علماء معرفة الخط لم يصفوا كل الادلة Clues التي يستعملونها. اي انهم باستطاعتهم ان يبتعثوا من خط الشخص على الاقل بعض المؤشرات عن نظافته ومظاهر فرديته من الدليل التجريبي ، وهذا محتمل جداً، ولن يكون من الضروري عليهم ان يكون بمقدورهم ان يصفوا كيف قاموا بذلك بحيث ان يحصل المبتدئ على نتائجهم نفسها. وتفسير قبول فن معرفة الخط بهذه الصورة العامة غير النقدية كنظام لتحليل الشخصية قد يقع ليس على اي شئ مما يُظهر بقدر حقيقة أن علماء معرفة فن الخط عادة يضفون تحليلا مبنيا على الاطراء الى حد كبير. فلاتخف . ايها القارئ الكريم ـ ان تقدم كتابتك الى من يدعى انه عالم بفن قراءة الخط. فلن يعرض عليك ضعفا جديا يخشى منه، وان مغامرة مثل هذه ستظهر لك على انها اختبار ممتاز جداً لقدرتك لتحمل الاطراء.

طـرق الاحساس العام في الحكم على الشخصية
Common – Sense methods of Judging Personality.

١ـ الحس الباطني Hunch* أو الحدس Intuition

تشير هاتان الكلمتان الى الاحكام التي تستند على مشاعر مبهمة ولاتقـدم سببـا قاطعا او بينا. والسطور الآتية تعرض ايضاحا حسنا لذلك:

لست ممن الى الرياب يميل	لاومـــــــالي لـــــــذلكم تعليـــــــل
غير اني احس فيها القول	لست ممن الى الربـــــــاب يميـــــــل

من الواضح ان في مثل هذه الاحكام اعترافا بخلوها من معرفـة الاسبـاب ، ومع ذلك فان الشخص الـذي اعطى هـذا الحكم مصر، وبـاستطـاعتـه ان يقول ان الشخص الذي لايحبه يبعث في نفسه «شعوراً بالخوف او الـذعر اوالبغض الشـديـد»، بحيث انـه لايرتضي سيماه او اسلوبـه في التعبير، او ان عيـونـه يتراءى فيهـا المكر أوان هيئتـه ومظهره لا يدلان على انه ممن يوثق بهم . وفي بعض الاحيان تبدي مقتا ونفورا تجـاه اشخاص ذوي سلوكية معينة وتجاه اعضاء من اجناس اواصناف معينـة . وقـد تستنـد تلك الاحكام واحيانا على خبرات غير سارة واحيانا تستند على مجرد ايحـاءات ، ولكن الاسباب القـاصرة لمثل هـذه الاحكام تصبح دائماً واضحة وجليـة حينمـا يبـذل مجهود للتأكد منها . ومن الواضح ان دقة الاحساسات الباطنية hunches لاتزيـد كثيرا على الصدفة . ولكن اذا كانت تلك الاحساسيس الباطنية قد اسدت لصـاحبهـا خـدمـات حسنة ، فان ايمانه بقدرته الخاصة به في اعطاء الحكم على الناس غالباً مايكون راسخـاً في اعتقـاده ولاهرطقـة علميـة تعكره وهـو يبغض ان يســأل نفســه السؤال الاتي : كم ستكون احكامي افضل لواستعملت طرائق اخرى؟.

---

*Hunch شعور حدسي قوي بأن شيئا سوف يحدث

٢ـ السلوك الماضي للشخص : لعل من افضل الاسس والاكثر تكرارا في احكام احـــــ العام (الفطرة السليمة) هو معرفتنا بتاريخ الفرد. فاذا ماكان الفرد قائداً فمن المسـ جدلا انه يمتلك صفات القيادة، فاذا ماواجه احدى الطوارئ بجرأة وشجاعة، فيمكن الادعاء بأنه شجاع وجرئ ونحمل هذه الحالة على أنها من جملة اعماله السابقة. وكلما ازدادت المواقف البطولية من شخص كلما زادت توقعاتنا لامثالها منه. ومع ذلك فعلينا دائما ان نضع في ذاكرتنا امكانية الافراط في التعويض (وبخاصة عن شعور بالنقص). واذا اردت ان تحكم على شخص باستدلالك عليه من ماضية فلاحظ المحاذير الاتية:

أ ـ الرجل ذو التاريخ الزاهر الجليل قد ينهار فجأة. او انه ينحط بالتدريج.

ب ـ قد يكون لشخص ماشأن فاضل مطّرد النجاح لانه لم يتعرض مرة لموقف عصيب. ومن المعروف في لعب الكرة ان المناولات اذا توالت على اللاعب قد تجعله يصيب الهدف ويربح اللعبة.

جـ ـ ان الفشل المتكرر باستمرار مثله مثل من يلعب ضد فئة اقوى منه وحتى الابطال من الوزن الخفيف يتجنبون منازلات الوزن الثقيل.

٢ـ ان جزءا كبيراً من نجاح الشخص (اوفشله) قد تجدده الظروف الشاذة الملائمة (اوغير الملائمة) او يحدده من يشاركونه العمل . فما يؤديه الفرد في كلّ نفسي لايضمن له اداءه بتلك الصورة بكل نفسي اخر. لذلك هبة نسمة ساخنة في قرية على قمة جبل من جبال الشمال لها غير الوقع الذي تحدثه في نفوس مدينة البصرة. وبالمثل فان اي شخص في منصب جديد يتطلب توافقات شخصية لايمكن التنبؤ عنها وقد يفشل على الرغم من حسن الاختبار.

٣ـ الزملاء: « الطيور على اشكالها تقع » قول مأثور احرز قبولا عاما، وسرعان مانال تأييد البحوث العلمية. وفي محاولة تكوين رأى عن شخص فاننا بصورة اعتيادية ننظر الى زملائة . فاذا رأيناه ينساب الى الطيش والتحلل وعدم المسؤولية وفي زمرته من ذوي الشخصيات المزيلة فاننا نستنتج أنه مشاكل لهم . واذا رأيناه يميل الى فئات من ذوي الاهمية فيغلب علينا أن نعتقد أنه من طرازهم. وفي الحكم على شخص بسبب زملائه يجب علينا أن نثمن صدق اختياره. ولايقتصر الوفاء على الذين يؤمون أماكن العبادة.

٤- كتب التوصية (التزكية) :Letters of recommendation

يمكن ان يزداد الوثوق بالمواجهة الشخصية كثيرا عند اتفاق اراء كثيرين من الاشخاص. ولما كان ، من الناحية العملية ، لايمكن توفر ذلك ، اذ لانجد طالب عمل وتجرى له مواجهة من قبل اشخاص كثيرين ، فقد جرت العادة على الاستعانة بكتب التوصية. والوثوق بكتب التوصية يستند الى حكم الاشخاص الذين كتبوها وعلى مقدار رغبتهم في اعطاء تقرير صادق. وقد دلت الابحاث على أن آراء الاصدقاء تجاه بعضهم بعضا لايمكن الوثوق بها نهائيا. فمثلا ، خمسة وعشرون شخصاً يعرف بعضهم بعضاً معرفة حسنة اتفقوا على أن يصنف احدهم الاخر وتصنيفهم جميعاً بالنسبة لمجموعة من السمات فالشخص الذي يمتلك التفاضل الاعلى لاية سمة يكون تصنيفه رقم (١) والذي يليه بها رقم (٢)، وهكذا الثالث والرابع حتى الوصول الى اوطإ درجة وهو رقم (٢٥). وبالنظر الى بعض السمات كان الخلاف قد بلغ اشده بحيث لم يختلف قط عما لوصنف حسب الصدفة. وحتى في السمات التي كان فيها اتفاق كبير فقد كان هنالك تباين يلفت النظر.

وقد اجريت بحوث اخرى اظهرت ان هنالك اتفاقا اكثر في الحكم على سجايا اكثر مما هو موجود على غيرها . فهنالك اتفاق مثلا في تصنيف الكفاية والسرعة والطاقة اكثر من الاتفاق في تصنيف الابتهاج Cheerfulness واللطف Kindliness (الرقة). والسبب في ذلك هو ان الخصائص الاولى اكثر موضوعية ، واعتمادها اقل بكثير من الاخرى على الموقف الاجتماعي. ومع ذلك فحينما يكون الاشخاص الذين يضعون التصنيف على علاقة واحدة مع الشخص الذي يصنفونه كما هو شأن الطلاب مع مدرسيهم يكون هنالك اتفاق فيما يخص اللطف والابتهاج، اكبر مما يكون الاتفاق على الكفاية والطاقة وهذه يبين أن الباعث الذي قد يؤثر فيه الفرد على اشخاص مختلفين بصورة مختلفة هو الذي يجعله يتصرف مع الناس المختلفين بصورة مختلفة. وهذا صحيح الى حدٍ ما ، فالشخصيات المتفككة حقا لاتوجد بين الناس الاسوياء. والشخص الذي هو كالحمل في بيته، يخدع نفسه والحمقى من الناس، بأن يجعلهم يعتقدون أنه أسد في دائرته . ومع ذلك فانه من الممكن التأكد على جانب واحد من شخصية انسان في الدائرة ، وعلى جانب اخر في البيت وايضاً في النادي، وهذا يقدم دعماً واضحاً لاهمية الحصول على كتب التوصية من رجال يعرفون اشياء عن تعقيد الطبيعة البشرية ويمتلكون الطبع القانوني الاصيل . وقلائل من الناس من يكتبون

توصيات جديرة بالمطالعة، على أن كثيراً من التوصيات تنبؤك عن كاتبها اكثر مما تنبؤك عن كتبت عنه.

وأراء اولئك الذين رأو الشخص الذى طلب منهم ان يحكموا عليه من وجهة واحدة يمكن ان تسهم في ضمان التوازن الذى قد يحدثه التحيز الشخصى. والتصنيفات المتفقة تنال درجة عالية من الثقة، مع الاعتراف بأن التصنيف الذى يقوم به اثنان قد يكون مختلفاً. وقد اظهرت ذلك دراسة قامت بها السيدة مكاّب Mccabe. لقد اختارت من اربعين عضوة في قسم داخلى معين، العشرين اللواتى كن اكثر تآلفا مع البنات الاخريات وكل واحدة من العشرين صنفت التسع والثلاثين في القسم الداخلى بالنظر الى عشر صفات. ثم قسمت الفتيات اللاتى قمن بالتصنيف الى قسمين كل قسم من عشرة فتيات ثم قورن معدل احكامهن، لقد كان الارتباط يتراوح من ٨٠٪ لصفة الفجاجة crudityالى ٩٦٪ بالنسبة للجمال، أما بالنسبة للذكاء فوصل الى ٩٢٪ ومعدل الارتباط للخصال العشر كان ٨٨٪. وقد اظهرت كذلك دراسات اخرى اهمية اتفاق اراء عدد من المعارف. ومكانة مثل هذه المعلومات في استعمال كتب التوصية واضحة وجلية. والاصدقاء على الرغم من الزمالات الحميمة، يكوّنون احكاما مختلفة عن بعضهم بعضاً. وكاتب التوصية الذي كتب بهمة نتوقع منه أن يكون عادلا، قد يعكس انطباعا مغايرا لكتاب توصية اخر بالامانة نفسها من قبل شخص اخر فطن. ولذلك نقول ، لغرض الانتفاع من كتب التوصية لابد من الحصول على عدد وافر منها متفق في الاحكام التي اصدرها. وفي النسبة للاغراض الاعتيادية يكفي منها عادة عشرة اوثمانية.

وهناك اسباب موجبة اخرى للاكثار من كتب التوصية. اذ ليس عندنا القناعة بأن جميع كتب التوصية قد كتبت بنفس الروحية لنقل المعلومات الصحيحة . فقد يتحيز كاتب التوصية لمن كتب ، له او عليه. وقد يشعر مدير التوظيف أنه من المستحسن للشخص المشار اليه أن يبحث له عن مكان اخر ويفسح المجال لاخر يبشر بنجاح اكبر . وكثير من المستخدمين غير المرغوب فيهم قد وصلوا الى وظائفهم بهذا الاسلوب من كتب التوصية الجيدة. ان مصادر الخطأ هذه يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في تقويم كتب الشهادات.

ولغرض ان نزيد من قيمة كتب التوصية. اقترح ان تستعمل الصيغ المطبوعة التي تسرد عدداً كبيرا من الصفات الشخصية. والحسنات المؤملة لمثل هذه الصيغ هي انه بواسطة تزويد قوائم جاهزة للصفات الحسنة والسيئة ليضبطها كاتب التوصية تقلل الفرص له في اهمال ذكر الصفات الضعيفة بسبب مودته للشخص الذي يكتب عنه

ويجب ان نتذكر دائما لاخير يرجى من توصية ـ مطبوعة او غير مطبوعة ـ اذا كان كاتبها ممن يعرف عنه الاهمال اوقلة المعلومات او التحيز.

ويجب أن نتذكر دائما الاخير يرجى من توصية ـ مطبوعة او غير مطبوعة ـ اذا كان كاتبها ممن يعرف عنه الاهمال او قلة المعلومات او التحيز.

٥ ـ كتب الطلب (العرائض) Letters of applications:

كتابة مقدم الطلب كتاب طلبه (عرض حال) طريقة اخرى من طرق الاحساس العام في الحكم على الشخصية وهي مستصوبة ايضا. واذا استثنينا الايحاء الذي يمكن ان يحصل فان شيئا مايمكن ان يحصل عن طريق الكتابة اليدوية وأناقة الرسالة وترتيبها مما يتعلق بتمكن الشخص من اللغة، واتجاهاته واحكامه،كل ذلك يمكن

ان يعرف بهذه الطريقة . فان عجز كثير من طلاب الكليات في كتابة رسالة ترضي القارئ يعتبر نقصا كبيراً. فكتابة الطلب لغرض التوظف يعتبر أول تماس مع الوظيفة المنتظرة واذا لم يسعف الحظ فقد تكون الاخيرة. وكتابة الرسالة فن صعب ، ولا يمكن أن يكسبه الانسان في ليلة سابقة.

٦ ـ المقابلة . للمواجهة الشخصية قيمة كبيرة في الاحساس العام عند تقديم شخص ما . المكالمة وجهاً لوجه ذات قيمة . فبعد التحدث الى شخص نكون قد عرفنا عنه شيئاً أكثر من ذي قبل ، وربما نعرف عنه فيما اذا سنوده أم لا وهذا له قيمة كبيرة عندنا . ولكن كم يستطيع أن يوفق الانسان الذي يدير المواجهة بأسلوبه هذا ـ أن يختار الرجل الذي هو أفضل حقاً في إشغاله المنصب . ويستطيع القارىء أن يستفيد من البحث التالي الذي قام به Hollingworth .

كلف هولنكوورث اثني عشر مدير أعمال من ذوي الخبرة أن يؤدوا مهمة مواجهة متقدمين لمنصب بائع Saleman وأن يصنفوهم حسب مهاراتهم وقد سُمح للاداريين أن يوجهوا الى المتقدمين أي سؤال يرتأونه ، كما سمح لهم أن يحددوا لهم أي عمل يرونه مناسباً . وكان المطلب الوحيد تصنيف المتقدمين من حيث احتمال نجاحهم كباعة . وقد تبين عدم الاتفاق بين الاداريين . فقد أعطى أحد المتقدمين الرقم (١) من قبل أحد المحكمين ورقم (٥٧) من قبل محكم آخر ورقم (٢) من قبل محكم آخر ورقم (٥٣) من قبل محكم آخر . وعلى العموم كان المتقدم للعمل قد أعطى وظائف على طول المقياس . وقد كانت

وتستعمل هذه الطريقة بصورة خاصة في تثمين المتقدمين للمناصب . فما من شك في أن حالته استثنائية قطعاً . وعن طريق الصدفة فقط اتفق المحكون في تثمين رجل واحد . وفي بعض الأحيان كان هنالك ميل ثابت في متقدمين معينين الى صنف عال وآخرين الى صنف واطيء ، ولكن حتى في هذا الميل الثابت ، كان هنالك فرق واسع كبير في التصنيف ، وتوحي دراسة هولنكوورث بسؤالين مهمين . ففي الدرجة الأولى ، اذا كانت المواجهات الشخصية لاتوصل الى نتائج يوثق بها كما تبين هذه الدراسة فلماذا يعلق عليها رؤساء الدوائر الأهمية الكبيرة ؟ والسؤال الثاني ، ماالذي يمكن عمله لزيادة قيمة المواجهات الشخصية ؟

وجواب السؤال الأول ربما يكمن في الحقيقة القائلة أن رؤساء الدوائر لايمتلكون الدقة الكافية في احكامهم . فكل واحد يختار الرجل الذي يعتقد أنه الأفضل ، واذا ماأدى هذا الذي اختير عمله بصورة معتدلة فان رئيس الدائرة يكتفي بذلك ويقنع ، مع أنه قد يرفض عدداً من الأشخاص ممن هم أفضل نوعية للعمل أو ممن لهم امكانات أخرى تؤهلهم ليكونوا أعضاء ذوي قيمة في مؤسسته . وفي فقدان الدقة ، قد يستمر رئيس الدائرة يعمل الأخطاء ، الخطأ تلو الخطأ ومايزال يتمسك بقدرته في اختيار الانسان المناسب . وأكثر من ذلك نرى رؤساء الدوائر يهتمون الى حد ما في اختيار الأشخاص الذين يستحبون طباعهم ويكونون خفيفي الظل ، وهذه نوعيات يمكن أن تقررها المواجهات الى حد لايستهان به وفيما يتعلق بالملاءمة فهنالك تمايز شخصي . فهنالك من يرغب في شخصية من نوع خاص بينما لايرغب غيره في ذلك . فالمواجهات الشخصية تؤدي خدمة ، أقل مافيها ، أنها تمنح رئيس الدائرة الفرصة في معرفة ما اذا كان هناك احتمال للحصول على الشخص المناسب .

أما مامدى الثقة التي يمكن أن تحققها المواجهة ، فان هولنكوورث قدم الاقتراحات التالية :

١ ـ أسئلة هيكلية تتخذ كاطار أو قاعدة وهي تستلزم جواباً محدوداً وتجعل الجواب العفوي القائم على غير تدبر غير ممكن .
٢ ـ ترسيخ الألفة والوئام المناسبين .
٣ ـ التمييز بين الأسئلة والأجوبة السديدة والطائشة .
٤ ـ الاحتفاظ بسجل للحقائق النافعة التي يحصل عليها بالاضافة الى النتائج المستخلصة منها .
٥ ـ استعمال صيغة بيانية مقننة Standardized .

٦ ـ تدمج المعلومات التي يحصل عليها سوية بصورة دقيقة .
٧ ـ صياغة عبارة واضحة لرد الفعل الشخصي .

ويجب أن تضاف الى نصائح هولنكوورث القيّمة ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . ان المواجهة الشخصية ذات قيمة محدودة لأن الانطباعات الأولى قد تكون خادعة فخلال المواجهة يقدم المرشح قدمه القوية أولاً الى الأمام ، مالم يكن مرتبكاً الى حد أن ذعره يجعل ذلك مستحيلاً . وعلى الفرد أن يعترف وان يسلم بأن العلاقة بين أن سيكون المرشح جيداً ويبين أنه ماهر في عمله حقاً بصورة جيدة قد تختلف على طول الخط من صفر بالمئة الى مئة بالمئة من حيث المطابقة . وهناك الاعتبار الثاني وهو جدير بالاهتمام حيث أن الشخص القائم بالمواجهة شأنه شأن الشخص الذي تُجرى له المواجهة في حالة عرض لاظهار البراعة . فاذا كان القائم بالمواجهة Interviewer خلواً من الانتفاع من التبصر النفسي Psychological Insight فقد لايدرك أن احكامه غالباً ماترتبط بصفاته وسجاياه الشخصية وقد تكون هذه تختلف عما عند المرشحين . ومن المعروف تماماً أن القائمين بالمواجهة عادة يجدون بعض العذر حين يرفضون بعض الأشخاص اذا وجدوا أنفسهم يشعرون تجاههم شعوراً غامضاً بعدم الارتياح مع أنهم يحسون بقدرتهم الفائقة في التعامل مع من عندهم من الموظفين . فمدير التوظيف يعمل لكسب عيشه وقد يخسر عمله بسبب انسان اختاره . ودرجة احساسه بهذه المسألة المهمة قد تختلف كثيراً .

والحقيقة أن المقابلة تمثل مجموعة من الأشياء باعتبارها تقنية للتقويم ، حيث أن هنالك أنواعاً مختلفة من المقابلات تستعمل لأغراض متنوعة . وقد عرّف مكّوبي Maccoby (١٩٥٤) المقابلة بقوله : « هي تبادل شفوي وجهاً لوجه يكون فيه شخص ، وهو الذي يقوم بالمقابلة ، يحاول أن ينتزع معلومات عن آراء أو معتقدات من شخص آخر أو أشخاص آخرين » وبصورة عامة ، ان أغلب الانتقاءات لمختلف المناصب أو القبول لدراسة بعض الموضوعات يستند الى عامل المقابلة . والمقابلة احدى التقنيات الاعتيادية الواسعة الاستعمال في تقويم الشخصية . وفكرتنا عن شخصية فرد ما تتشكل من انطباعنا عن فعالياته وطريقة أدائه في المقابلة . فضلاً عن الشهادة الدراسية والدرجات التي حصل عليها الشخص ، فان في انتقاء المرشحين للأعمال يضع أهمية كبيرة على مايؤديه الشخص في المقابلة . والحقيقة ان هذا الرأي هو الغالب على الرغم مما تقدم من القول . كما أنها أرخص الوسائل في تقويم شخصية الفرد .

أنواع المقابلات :

١ ـ المقابلة الحرة : Free Interview :

في مثل هذه المقابلة لايوجد تحديد لسعة ميدان مادة الموضوع الذي يوجه الأسئلة فيه القائم بالمقابلة . فقد تتجه المقابلة بحرية حول مواضيع مختلفة للحصول على انطباع عام عن معرفة الشخص عبر طريقته في التعبير واللغة التي يستعملها ونحو الأسئلة الموجهة الى الشخص الى أن تكون هادفة ليكون كلامه قليلاً قدر الامكان .

٢ ـ المقابلة غير الموجهة :

يؤكد كارل روجرز Carl Rogers على أهمية المقابلة غير الموجهة للحصول على معلومات كثيرة جداً عن مشاعر الفرد تجاه العالم الذي يعيشه وعن احساساته تجاه مافي هذا العالم المحيط به ومايجري حوله . ان مثل هذه المقابلة مهمة لأنها تزود بمعلومات عميقة . وفي مثل هذه المقابلة يحصل جو من الاطمئنان والثقة مما ييسر للخاضع للمقابلة التعبير عن حقائق سلوكه . وصدق اتجاهاته[٦] وعما في نفسه من صراعات[٧] .
هذه التقنية في العيادات للحصول على معلومات عميقة عن المرضى .

٣ ـ المقابلة المقنَّنة : Standardized Interview :

لأجل التخلص من عدم الثبات[٨] والابتعاد عن التحامل[٩] والتحيز[١٠] ، ظهرت في السنوات الأخيرة تقنية المقابلة المقننة . وفي هذه الطريقة تحدد الأسئلة مسبقاً وتوجه كلها بصورة متماثلة الى جميع الخاضعين للمقابلة Subjects[١١] . ويوضح شرط معياري لجميع الخاضعين للمقابلة . والمسح الذي أجري على ثبات أسلوب المقابلة المقننة أظهر أن هذا الأسلوب قد نال موافقة على مستوى عال من قبل الخاضعين للمقابلة، والصعوبة الوحيدة في هذا الأسلوب هو أنه لايدع المجال للتبادل الحر في وجهات النظر بين القائم بالمقابلة والخاضع لها حول المشاكل والمشاعر التي تخص الخاضع للمقابلة . ان المقابلة هي الأسلوب الأكثر أهمية لاستنباط المعلومات الشخصية لأغراض شتى مثل العمل والقبول والاضطراب العقلي وللبحث وماشاكل ذلك . ولكن قيمتها تستند الى خبرة القائمين بالمقابلة ومهاراتهم والشرط الأول المطلوب من القائم بالمقابلة أن يكوّن وئاماً وانسجاماً تاماً من الخاضع للمقابلة ليستطيع بذلك أن يجعله يعبّر عن مشاعره بكل حرية . وتستطيع شخصية القائم بالمقابلة أن تؤثر فيما يؤديه الشخص الخاضع للمقابلة .

الاختبارات الموقفية أو الاختبارات السلوكية
Situational tests or behavioral tests

ان الاختبارات الموقفية حديثة النشأة في اختبارات الشخصية . ويقوّم سلوك الفرد في الاختبارات الموقفية في العمل والتصرف والنشاط Action(١٢) . وقد تواجهه أحياناً بمواقف من حياته . ويقوّم سلوك الشخص من قبل خبراء أو أنه يصنّف من قبل انداده . وبامكان الاختبارات الموقفية أن تستخدم الأساليب التالية :

أ ـ طرق القياس الاجتماعية(١٣) Sociometric methods :

لقد انشأ هذه الطريقة في تقويم الشخصية مورينو J.L.Moreno في سنة ١٩٤٦ وقد عرف طريقته هذه بأنها أسلوب لاظهار وكشف التركيب الاجتماعي وتقويمه لجماعة عن طريق قياس تكرار ، التقبل ـ الرفض Acceptance – rejection بين الأفراد الذين يشكلون الجماعة . ويتسم التقبل بالسلوك الايجابي والاقدام ، أما الرفض أو النبذ فهو اتجاه معاد أو سلبي نحو شخص آخر ، أو نبذ بعض الفقرات في اختيار لعدم جدواها ، والرفض الاجتماعي هو عدم التقبل الاجتماعي .

ان هذه الطريقة تسمح بتحليل وظيفة كل شخص ومركزه الاجتماعي ومكانته فيما يتعلق بسمة من سمات الشخصية . كما أنها تميط اللثام عن تركيب جماعة ما . انها طريقة بسيطة وتتطلب أن كل شخص في جماعة يختار شخصاً أو أكثر في تلك الجماعة لغرض معين . وفي الامكان أن يقوم المدرس بهذه الطريقة في الصف لاعطاء مثل واضح لما من موقف طلاب الصف . ويمكن أن تطرح الأسئلة الآتية لتقويم تركيب الصف باعتباره جماعة :

i ـ مع من تحب أن تجلس في الصف .

ii ـ اذكر اسمين من طلاب الصف تفضل أن تذهب معهما سفرة قصيرة مشياً على الأقدام .

iii ـ اذكر شخصين تفضل أن تقيم معهما في القسم الداخلي ، أو الفندق .

ويمكن أن تستخدم اختبارات القياس الاجتماعي لعدد من الأغراض والمواقف الاجتماعية .

ب ـ التمثيل النفساني : Psychodrama :

التمثيل النفساني أسلوب مفيد جداً في تقويم الشخصية . وكما تعني كلمة التمثيل النفساني ـ فان على الفرد أن يلعب دوراً تلقائياً في موقف معين . ويلاحظ سلوكه من قبل ملاحظين مدربين . ويقوم باللعب في التمثيل النفساني عادة شخصان أو أكثر استناداً الى مشاكلهم . والظاهر أن الأفراد يُسقطون Project مشاعرهم الداخلية والصراعات التي يعانونها في الدور الذي يقومون به . والمبدأ الرئيسي في التمثيل النفساني هو التلقائية[١٤] .

ان هذا الأسلوب يستخدم لتقويم شخصية الأفراد الذين يعانون سوء التوافق[١٥] Maladjustment ويلعب المعالج الذي يدير شؤون المواجهة دوراً مهماً في تنظيم موقف يمكن فيه للمشاركين أن يعبّروا الى الحد الأعلى عن مشاعرهم[١٦] الانفعالية المحتبسة . فهو يختار الموقف المناسب ويعين أدوار الافراد المشاركين ويلاحظ ويفسر تصرفاتهم وأعمالهم .

والأسلوب النفساني أسلوب مهم في تحرير الصراعات الانفعالية وتجديد اعداد الفرد لتوافق أفضل في الحياة . انها تدبير تعليمي ، والقائم بهذه المهمة ، ويمكن أن يطلق عليه المخرج Director يمكن أن يستعمل موضوعات متنوعة الى حد كبير تستند الى مشاكل الأفراد .

ويختلف التمثيل النفساني بصورة طفيفة عن التمثيل الاجتماعي أو مايسمى الدراما الاجتماعية[١٧] Sociodrama . فالدراما الاجتماعية تتعامل مع مشاكل الجماعة من حيث تركيبها وتفكيرها . فهي تمثل المشاكل الاجتماعية التي يُعنى بها الجمهور .

الاختبارات الموقفية في الجيش

بصورة عامة تستخدم الاختبارات الموقفية في اختبار نوع الخدمة في الجيش لتقويم خصائص امكانات الشخصية للضباط في الجيش والبحرية والقوة الجوية .

وتطلب أنواع متعددة من الأعمال لجماعة قليلة من المرشحين . ويلاحظ القائم بالتعليمات خصائص الشخصية الفردية لجميع المشتركين مثل التعاون والقيادة وروح المبادرة وبعد النظر . ولنضع أمامنا الآن مثالاً لما يجري في مثل هذه العملية . العمل : عبور جدول واخذ آله على الجانب الآخر من هذا الجدول .
المادة : ألواح قليلة ، قطعة جذع شجرة ، حبال ، بكرة واسطوانة ذات نهايتين تعمل بسرعة . ويكون جميع أعضاء الجماعة الصغيرة على قدم سواء من حيث المكانة حيث لايكلف أحد بالرئاسة . انه اختبار القيادة والاستقرار العاطفي أو الاتزان الانفعالي Emotional Stability وتحمل الاحباط[١٨] Frustration Tolerance .

ويلاحظ سلوك المشارك في كل دقيقة ويقوّم بوساطة المشرف الخبير . ويمكن أن نوضّح أنواعاً كثيرة من المواقف لتقويم خصائص الشخصية عند الأفراد .

تقويم الاختبارات الموقفية

يمكن أن تلعب طرق القياس الاجتماعي دوراً مهماً وان تزودنا بمعلومات قيّمة فيما يتعلق بالجماعة وبمكانة العضو الذي في الجماعة ، ولكنها لاتزودنا بمعلومات بتركيب الجماعة أو بالمنزلة أو الوضع الاجتماعي Status[١٩] .

ويستند كل من التمثيل النفساني والتمثيل الاجتماعي على نظرية التنفيس[٢٠] النفسي عن طريق النشاط . ان التنفيس النفسي كتقنية علاجية تزود الفرد بتبصر[٢١] في مشاكله . والاختبارات الموقفية التي تستعمل في الجيش سليمة من الناحية النفسية .. انها لشكل مصغر للنشاطات الحقيقية كما أنها تزود بوجهة نظر تامة لشخصية الجندين الجدد كما تقدم تنبؤاً جديراً بالثقة لما يتعلق بمستقبلهم المناسب بالجيش .

ان استعمال أسلوب الاختبارات الموقفية صعب من حيث التطبيق لأنه يتطلب أعضاء من علماء النفس المدربين وذوي الخبرات لغرض ملاحظة السلوك وتفسيره ومزودين بتيسيرات متقنة لخلق مواقف عمل .

مقاييس[٢٢] التقديـــر[٢٣]

ان مقياس التقدير كطريقة لتقويم الشخصية قديم جداً . وهذه الطريقة مفيدة ليعرف بها الانطباع الذي كوّنه فرد عن الأشخاص الذين اتصل بهم فيما يتعلق بسمات مثل الدقة في المواعيد أو الصدق والاتزان الانفعالي وماشاكل ذلك . ويستطيع المدرسون أيضاً ان يستخدموا المقاييس التقديرية لتصنيف طلابهم في سمات[٢٤] Traits معينة . كما أن أصحاب العمل والوالدين والمرشدين التربويين بامكانهم أن يستخدموا مقياس التقدير . ومقياس التقدير وضع ليقوّم سمة مفردة . ولأجل أن تبعد الابهام والغموض وأن يكون لديك مقياس تقدير يوثق به فمن الضروري أن تكون السمات التي تقيسها محدّدة بصورة تامة مقدماً ويجب أن تكون درجة السمة مذكورة في اصطلاحات محددة . والسمات التي يمكن أن تلاحظ بجلاء في السلوك الظاهري العلني يمكن أن تقدر بصورة يوثق بها مثل التعاون ، والقيادة ، وماشاكل ذلك .

نماذج من مقياس التقدير :

أ ـ قائمة التدقيق :

حينما نريد أن نخمن فيما اذا كانت بعض السمات موجودة في سلوك شخص ما أم أنها غير موجودة ، فاننا نستطيع أن نستخدم طريقة قائمة التدقيق . وهذه تشتمل على عدد من البيانات لشتى السمات المتعددة للشخصية . ونتحقق بالتدقيق من السمة التي يمارسها الشخص حقاً . وتستخدم في قائمة التدقيق طرق مختلفة في وضع الدرجة[٢٥] . والفقرات النموذجية لمقياس فانيلاد Vineland للنضج[٢٦] الاجتماعي فيما يلي :

١ ـ يعامل الناس بطريقة حسنة ، يفهم التعاون.

٢ ـ يتعاون برغبة أكيدة حينما يطلب الآخرون معونته .

(i) قائمة التدقيق القسرية : في قائمة التدقيق أو المراجعة القسرية تشتمل كل فقرة على عبارتين أو أكثر . ويُسأل القائم بالتقدير أن يدقق بالمراجعة أية عبارة من العبارتين تكون وصفية أكثر للشخص الذي يطلب تقديره .

(ii) أسلوب التقدير الذاتي : ومن جملة قوائم التدقيق المهمة تدبير يقوم به الشخص ذاته .

وقد وضع هذا التدبير هاريسون كوف Harrison Gough في سنة ١٩٦٠ في جامعة كاليفورنيا ويشتمل على ٣٠٠ صفة يراجعها ويدققها الشخص نفسه ، والشخص نفسه يقدر شخصيته . وقد أعدت قائمة الصفات الى الشخص الذي يريد قياس نفسه ووضعت له التعليمات « ضع علامة على كل صفة تنطبق عليك » . وقد وضعت قائمة التدقيق لتضع للخاضع للتقويم معلومات عن فهم الذات(٢٧) بالنسبة للشخص الخاضع للتقويم . وبهذا فهي لاتعني أن تقيس ٣٠٠ سمة للشخصية . والمعطيات التي قررتها الدراسات لقائمة التدقيق تساعد على تقديم صورة واضحة لمفهومات الذات للأشخاص غير المتأثرين بجماعة .

ومما تضم القائمة من الصفات المذكورة في القائمة الأصل التي وضعها هورسون كوف Horrison Gough مايلي :

١ ـ مغامر	Adventurous
٢ ـ متيقظ	Alert
٣ ـ بارع	Clever
٤ ـ عادل ، غير متحيز أو متغرض	Fair minded
٥ ـ ذو أصالة ، مبتكر ، مبدع	Original
٦ ـ هادیء ، دمث	Quiet
٧ ـ خجول	Shy
٨ ـ ثقة ، يُعوّل عليه ، ثابت	Reliable
٩ ـ مبدع . خلاق	Inventive
١٠ ـ تفكير نيّر	Clear thinking

تقنية اختبار الشخصية التصنيفي أو تقنية التصنيف ق

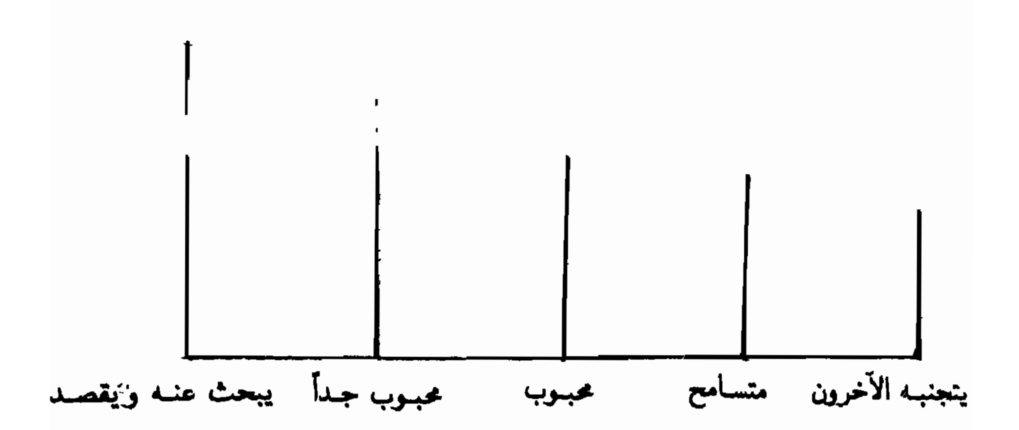
The Q. Sorting Technique

وضع هذا الأسلوب Block في سنة ١٩٦١ في جامعة كاليفورنيا . وهذا على خلاف أسلوب الاختيار القسري[٢٨] Forced choice method . أنه يستخدم لأغراض متعددة ، فحينما نحتاج الى تصنيف نسبي عادل على مدى واسع فبامكاننا استخدام هذه التقنية . وقد ابتدعت هذه التقنية لأبعاد تحيز القائمين بالتقدير . انها تجعل التقدير موضوعياً موثوقاً به . كما أنه أسلوب بسيط . أنه يشتمل على (١٠٠) عبارة مطبوعة على بطاقات منفصلة . وحينما تستعمل لوصف الذات (ايضاح الذات) Self description يخبر الشخص الخاضع للتجربة أن ينسق البطاقات الى عدد معين من المجموعات من الأكثر أفضلية الى الأدنى من حيث الأفضلية . البطاقات بحالة عشوائية والشخص الخاضع للتجربة يقوم بقرار أولي عن كل عبارة على البطاقات ويضع البطاقة في كومة واحدة اذا مابدا أنها تصفه ويضعها في كومة أخرى اذا مابدت مخطئة في وصفه أو أنها غير دقيقة الوضوح في وصفه وفيما بين تلكما اذا كانت غير منطبقة عليه اطلاقاً . ثم أنه يعيد فحص البطاقات في الكومة الأولى ويختار منها البطاقات الخمس التي تبدو الأغلب مناسبة بأن تعطي التفسير الصحيح وتصيب المرمى وتوضح النقاط الرئيسة فيه . وهذه البطاقات تدعى الأتم وجهاً أو الأقصى درجة Nines أي التي بلغت الكمال ، ومن تذكاره لهذه الكومة يختار ثمانية مما هو أفضل ماتصفه وتدعى الثمانيات ومن ثم الاثنتي عشرة الأخرى وتدعى Sevens . ثم يختار الخمس البعيدة جداً عن العلامة التي تدعى One's ، ومن ثم مجموعة أخرى تدعى الثواني Tow's والاثني عشرة الأخرى تدعى الثوالث وهكذا وحينما ينتهي فان توزيع البطاقات يجب أن يكون في تسعة أكوام . والتوزيع الالزامي يكون سوياً Normal . وأسلوب اختبار الشخصية التصنيفي أو مادعوناه تقنية التصنيف ق لايعتبر اختباراً للشخصية من حيث امتلاكه الصدق والثبات بقدر ماهو أسلوب يصف الشخصية . وهذا الاختبار نافع للمخمنين الذين يستعملونه ليسجلوا الانطباع الأول أو أنه نظام أكثر اعتباراً في طرح الأحكام . انه يستخدم في وضع المقاييس ذات الأنواع المختلفة .

مقياس التقدير البياني (متعلق بالخطوط البيانية)

Graphic rating scale

يستعمل هذا المقياس على مدى واسع . حيث يختار سمة واحدة من الشخصية للتقدير على مقياس خمس نقاط أو سبع . ومثال ذلك مايأتي :



استبيان الشخصية

Personality Inventory

كانت الاختبارات الموضوعية الأولى التي وضعت استبيانات[٢٩] التوافق Adjustment Inventory في المحاولات الأولى لقياس الشخصية في الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من الجهود في اقتصاد الوقت للاجراءات المتخذة على الجندين الجدد في الحرب العالمية الأولى . وكان وود وورث Woodworth عالم النفس الأول الذي ابتكر أول استبيان ، وقد دعاه صحيفة البيانات الشخصية[٣٠] Personal data sheet .

ويشتمل الاستبيان على ١١٦ سؤالاً حول أنماط جسمية أو عقلية عامة يجاب عنها بوضع علامات عن الأجوبة المناسبة (نعم أو لا) ويؤخذ المجموع الكلي لكلمات (نعم) على أنه مقياس لسوء التوافق العام Maladjustment . والطريقة عادلة وقوية تماماً كما أنها واضحة ومباشرة

وبعد الحرب العالمية الأولى كانت هنالك موجة كبيرة بل تجيشان من الاختبارات،والمؤلفون الذين وضعوا الكثير من استبيانات التوافق الذين تابعوا سير خطوات Woodworth أعادوا النظر وهذبوا ووسعوا فقراته . وعدد اختبارات تقويم الذات (تقرير عن الذات : معلومات يقررها الفرد عن ذاته وتقويمه لنفسه) لمختلف السمات Traits تكاثر بسرعة من سنة ١٩٢٠ م الى ١٩٣٠ م .

وقد وضع بيرنروتر Bernreuter استبياناً للشخصية تضمن قياس التوافق من بين سمات أخرى اتخذت معاييرها على أسس منطقية[٣١] ونظرية[٣٢] Theoretical .

استبيان منسوتا للشخصية المتعدد الأوجه
Minnesota Miltiphasic Personality Inventory

ويطلق عليه MMPI وهو نموذج غير مباشر من الاستبيان الموضوعي نشر سنة ١٩٤٣م . والاستبيان يعتمد بصورة أقل من الاستبيانات السابقة على الصدق الظاهري للفقرات على مقدرة ability[٣٣] الخاضع للتجربة ليقرر وجداناته وسلوكه بصورة نقية خالصة . وانه يستعمل عوضاً عن طريقة استعمال المفتاح الاختباري (التجريبي) ويتم ذلك بشكل جماعة مزودين بصحائف فيها أجوبة مطبوعة ، كما يتم بصورة فردية ، ويكون فيها الـ ٥٥٠ فقرة مطبوعة على بطاقات مفصولة يفرزها الخاضع للتجربة الى ثلاث صناديق يكون في السطح الأعلى لكل صندوق شق لالقاء البطاقات مؤشرة (صح) و (كذب) و (لا أستطيع القول) .

والفقرة النموذجية Typical Item هي عبارة يمكن أن تكون قد أخذت من مواجهة في الطب النفسي ، ومن دون شك ، ان كثيراً منها قد أخذت من مواجهات الطب النفسي حقاً ، وبعضها عبارات صريحة لعلامات ذهانية[٣٤] متطرفة نوعاً ما مثل « أن روحي في بعض الأحيان تفارق جسدي » وبعض الفقرات تمثل علامات نفسية وجسمية أكثر اعتدالاً مثل « عندي شيء عظيم من متاعب المعدة » وتغطي فقرات الـ MMPI الشخصية برمتها ، وكان الهدف الرئيس لواضعي الاستبيان ابداء المساعدة للتشخيص في طب الأمراض النفسية . وقد وضع الاستبيان ليكتشف حالات مرضية Pathological Cases . ويصنف القائم بالفحص الأجوبة حسب المقياس الاختباري

(التجريبي) Empirical scale ومن ثم يحصل على الاستنتاج مما انتهى اليه من حياة الشخص .

وقد قام هاثوي Hathaway والفئة المتعاونة معه بجهود حازم ليعززوا فائدة الـ MMPI بتزويد عدة مفاتيح (قائمة بكلمات) وجمل تفسر رموزاً ومختصرات رموز تعديلية لتنبه المستعمل على أن أجوبة الخاضع للتقويم قد لاتؤخذ حسب المعنى الظاهري Face Value . وكل شخص لايرغب في أن يقر على نفسه مضمون احدى الفقرات ، ان لم يكن يفهمها أو أنه يشعر أنها ليست صحيحة أو خطأ بالنسبة لشخصه بصورة تامة أو أنه يستطيع حذف الفقرة في استارة الجماعة أو يفرزها مع « لا أستطيع القول في استارة الفرد » ، لأن بعض الذين يخضعون للتقويم سوف يفرطون في استعمال هذا المنفذ من المرب ، وأبسط تقدير للهينة يأخذ هذا بنظر الاعتبار بدقة ، فلو أن خُمس الفقرات أجيب عنها بهذه الطريقة فان الاختبار يُنظر اليه على أنه غير صالح Invalid .

دراسة رد فعل السيطرة والاذعان
Ascendance(٣٦) Submission(٣٥)

ويرمز الى السيطرة والاذعان بالحرفين .A.S باعتبار كل حرف هو الحرف الأول لاحدى الكلمتين باللغة الانكليزية .

كانت الدراسة التي قام بها البورت G.W.Allport(٣٧) والبورت F.H.Allport سنة ١٩٢٨ احدى أوائل قياسات السمة .. وقد أجري عليه اعادة اختبار ثان معتدل ٠,٧٤ والدليل على ثباته أيضاً ضعيف . وكان المعيار يقدر من قبل الشخص ذاته أو غيره . ومن الصعوبة بمكان أن ينظر اليه على أنه قياس شامل جدير بالثقة للسيطرة والاذعان . ومع ذلك فان أغلب محتوياته يبدو عليها أنها وثيقة الصلة لتلك السمة . والشخص الخاضع للتقويم ليس له سوى أن يؤشر أمام الأجوبة التي يراها أكثر وصفاً لنفسه .

والاستبيانات الستة عشر لعوامل الشخصية (16 Personality factors) وضعها كاتل R.B.Cattell(٣٨) على أساس دراسات تحليل العامل للشخصية -والاستبيان Questionaire يعرض معلومات كاملة في أقصر وقت عن سمات شخصية الفرد . انه

استبيان شامل بحيث يغطي جميع الأبعاد الرئيسة في كل المديات التي يمكن أن يختلف فيها الفرد . ان اختبار العوامل الستة عشر له نموذجان يشتمل على ١٨٧ فقرة ، وتعرض كل فقرة عبارة كما يلي :

الفقـــرة	الاستجابة
أحب مشاهدة الألعاب الفرقية	نعم ، أحياناً ، لا

ويطلب من الشخص الخاضع للاختبار أن يستجيب لجميع فقرات الاختبار وتُعطى له التعليمات بأن يعبر عن اختباره بكل دقة وأمانة . ان اختبار العوامل الستة عشر يدعوه بعض علماء النفس بأنه مقابلة موضوعية مقننة ونظامية . ويقدم الاختبار معلومات ثابتة يوثق بها عن (١٦) من عوامل الشخصية . وقد وضع على أسس واسعة من البحث لأغلب الخصائص الهادفة في الشخصية .

استبيان آيزنك للشخصـــية
The Eysenck Personality Inventory (E P I)[٣٩]

هذا الاستبيان وضع حديثاً من قبل آيزنك Sybil. B.G. H.J. Eysenck لتخمين النزعات العصابية[٤٠] (النزعات : اتجاه عقلي أو ميل للسلوك بطريقة معينة) وقد وضع الاستبيان استناداً الى الادعاء على أن هنالك بُعدين اثنين فقط من الشخصية الاستقرار (الثبات) - عدم الاستقرار[٤١] ومنطو[٤٢] - منبسط[٤٣] . والاستبيان مختصر يشتمل على (٥٧) سؤالاً وهو من الناحية العقلانية ثقة يُعوّل عليه ويعتمد على مقاييس الانبساط ومن الناحية الاحصائية له مقاييسه الخاصة به في الانبساط والعصابية[٤٤] Neuroticism . والاختبار نفسه حديث العهد ، وهو ترجمة مع تعديل بسيط جداً لاستبيان مودسلي للشخصية Maudsly Personality Inventory الذي كان يمتلك ثباتاً Reliability عالياً مداه يمتد من ٠,٧٠ الى ٠,٩٠ ، والاختبار يجسد مختصراً لمقياس (L) مكيفاً من MMPI المذكور سابقاً المقصود منه أن يكتشف السجلات غير الصالحة (غير الصحيحة) Invalid .

تقويم استبيان الشخصية

ان ثبات Reliability استبيانات الشخصية Personality Inventories تتخذ مداها من أوطأ مقدار الى معامل(٤٥) Coefficient وافٍ مُرضٍ استناداً الى السمات التي يراد قياسها .

ودليل الصدق والصحة لاستبيانات الشخصية مفتوح للنقد لأن تحديد وتقرير الصدق أو الصحة أمر صعب . ومعاملات Coefficients الصدق أو الصحة تختلف وتتفاوت من الأدنى الى الحد المُرْضي . فاختبار MMPI حينما يثبت على فرد يعطي معامل ٠,٤ الى ٠,٧ واختبارات الشخصية مازالت في عملية التطور ، وان سمات Traits الشخصية لم تحدد لحد الان بدقة وبصورة مضبوطة تماماً. والحقيقة ان استعمال استبيانات الشخصية يساعد على تحليل السمات الى عناصرها الاساسية ويزودنا بفهم افضل لكل سمة.

واستبيانات الشخصية نافعة بصورة خاصة في الاتجاهات الجماعية . على سبيل المثال : في التمييز بين جماعات متوافقةadjusted وبين جماعات سيئة التوافق ، اكثر من قيمتها بين الافراد .

والتطور عملية مستمرة . كما أن السمات الشخصية والاتجاهات او المواقف attitudes النفسية قد تخضع ايضا للتغير ، ولهذا يقال ان الاستبيانات ستكون اقل ثباتا اذا ما اختبر الفرد ثم اعيد اختباره ، حتى اذا ما كان استعمال استبيانات الشخصية يمكن تبريرة .

ان عمل الاستبيانات يجب ان يقوم به مهنيون من ذوي الثقافة والعلم والخبراء متضلعين جدا في تكوين الاستبيانات ومن القادرين على عمل تحليل قائم على بصيرة وقادة للسلوك الانساني . والسمات التي يراد قياسها يجب ان تحدد بصورة دقيقة والفقرات الوثيقة الصلة بالموضوع . ومعيار الحكم (اختبار الحقيقة او الصدق) لتبيان صدق اختيار استبيان الشخصية وصلاحيته يجب ان يصاغ بحيث يكون ثابتا ثبوتا دقيقا ويجب ان توضع معاني الفقرات بصورة متماثلة لحد كبير قدر الامكان لجميع الاشخاص .والمحاذير الخطيرة للاستبيانات هي ان المفحوص قد يحرِّف اجوبتها لمصالحه الخاصة . وقد تخفق المعلومات المجموعة احيانا في تقديم اية معلومات تشخيصية فيما يخص مشكلة الفرد .

ان في المقابلة واساليب تقويم الذات مأخذ في طبيعتها في تقويم التركيب اللاشعوري للشخصية . وعلماء النفس ، لغرض ان يدرسوا دافعية (٤٧) Motivation الشعور حاولوا ان يبتكروا نوعا جديدا من الوسائل يدعى بصورة عامة طرق الاسقاط . والاسقاط ، استنادا الى فرويد Freud يعني تسويغ الصراعات او الاحوال الداخلية الاخرى التي سببت الالم الشعوري والقلق(٤٨) anxiety . والاختبارات الاسقاطية لتقويم الشخصية هي تلك التي تستدعي الاستجابات من اللاشعور وتزود بالفرصة لتنفذ الى اعماق بناء اللاشعور لشخصية الفرد ، ومعنى الاسقاط هنا هو تشجيع المفحوص لان يستعمل التخيل او الخيال(٤٩) Imagination بصورة حرة مطلقة .

وطرق الاسقاط لها تاريخ طويل في علم النفس . فقد كان بنيه (Binet ١٨٩٥م) اول عالم نفس اقترح استعمال بقع الحبر Inkblots كقياسات للادراك البصري في اختباراته . و دير Dear المحسوب على جامعة هارفارد ذكر استعمال بقع الحبر في اوائل ١٨٩٧م ومن ثم وضع عددا من إختبارات الاسقاط استعملت بنجاح في تقويم الشخصية . واختبارات الاسقاط نموذج مقنّن(٥٠) للسلوك الذي ليس محددا بالمنبه(٥١) Stimulus Bound ومضمون التقنية الاسقاطية يمكن ان نصفه بصورة مختصرة على «انها ان تفحص النتاج الفردي لشخص ما وأن تفسره حسب الضوء الذي يمكن ان تسلطه على شخصيته ويعرّف (لندزي Lindzey) ١٩٦١ بقوله» التقنية الاسقاطية وسيلة ينظر اليها بصورة خاصة حساسة للجانب المحتجب أو اللاشعور من السلوك ، وانها تسمح او تشجع مجموعة واسعة ومتنوعة لاستجابات المفحوص . انها متعددة الابعاد لحد كبير وانها تستخلص عادة وقائع (data) استجابات قيمة مع تزويد المفحوص بادنى حد من الوعي(٥٣) Awareness فيما يخص غاية الاختبار .

خصائص الطرق الاسقاطية

لقد وضعت طريقة الاسقاط في تقويم الشخصية كاعتراض من قبل علماء التحليل النفسي وعلماء نفس الجستلت (الهيئة)Gestalt اللامعين ضد التأكيد السلوكي والاحصائي في اختبار الشخصية في العشرينات من هذا القرن العشرين .

والافتراضات الاساسية لجميع الاختبارات الاسقاطية هي أن المفحوصSubject ينظم مواد الاختبار او يستجيب لها بواسطة التعبير عن كفاحه اللاشعوري وميكانزماته mechanisms (الحيل اللاشعورية) اللاشعورية كذلك . انها تعرض صورة شاملة عن

الشخصية الى الوقت الحاضر Up to date او انها اكثر استنباطا للمنطلق النفسي بكل ما في الكلمة من معنى . وفيما يلي الخصائص العامة الرئيسة لطرق الاسقاط بصورة عامة :

١ ـ مادة غامضة :تستعمل الاختبارات الاسقاطية غالبا مواد مبهمة ، تلك التي يستجيب لها المفحوص بصورة حرة ، وغالبا في شكل وصفي . والمواد الغامضة والمبهمة تعني ان كل مفحوص بامكانه ان يفسر منبهات (٥٤) الاختبار بطريقته الخاصة به . ومن المسلم بصحته انه بسبب كون المنبهات غامضة ، فان المفحوصين سوف يسلطون النور على حاجاتهم الخاصة ووجداناتهم (مشاعرهم) وصراعاتهم في مواقف الاختبار ويبرزونها بصورة موضوعية .

٢ ـ الاستجابات من اللاشعور(٥٥) (العقل اللاواعي) Unconcious

تستند الاختبارات الاسقاطية الى الافتراض المفهوم ضمنيا بأن منبهات Stimuli الاختبار تثير استجابات من لاشعور المفحوص . والمفحوص يقذف بصورة موضوعية بمشاعره الداخلية في مواقف الاختبار .

٣ ـ تعدد ابعاد الاستجابات Multidimensionality of Responses ان الابعاد التي يستطيع المفحوص الاستجابة لها متنوعة ومتعددة الاشكال كأن تكون جسمية وذهنية واجتماعية وانفعالية . وهنالك حرية واسعة للاستجابة ذات الصلة باختبارات المبهات غير المنظمة .

٤ ـ حرية الاستجابة : ان الاختبارات الاسقاطية تزود المفحوص بكامل الحرية لمنبهات الاختبار . فالمفحوص لا يُقَيَّدُ فيما يخص طبيعة الاستجابات ، وربما جوهر الاختبارات الاسقاطية هو أن الحاصل النهائي يشمل شيئا ما استُخلص من قبل المفحوص .

٥ ـ الطريقة الكلية : وتعنى ان الاختبارات الاسقاطية تحاول ان تدرس السلوك بكليته . انها لا تستكشف لسلوك الجزئي للفرد .إنها تؤكد على السلوك (٥٦) Molar behavior في فهم الشخصية .

٦ ـ الاجوبة ليست صحيحة ولا مغلوطة : لاتُخَمَّن استجابات في الاختبارات الاسقاطية ولا تُقَوَّم على أنها خطأ او صواب وانما تُقَوَّم بصورة وصفية .

٧ ـ ان الغرض من الاختبار لا يكشف سرا اى أنه لانفضح المفحوص حيث ان القصد من الاختبار الاسقاطي غير مكشوف للمفحوص بل الامر عكس ذلك لئلا يصبح واعيا الاختبار ويخفي مشاعره الحقيقية .

وقد صّنف فرانك L.Frank سنة ١٩٤٨ جميع الطرائق الاسقاطية الى المراتب التالية :

١ ـ الاختبارات التكوينية :(٥٧) وضمن هـذه الطريقة تنضوي جميع تلك الاختبارات الاسقـاطيـة التي تتطلب تكليفـاً بـالتكـوين او التنظيم لمـادة غير مركبـة نسبيا كما هو الحال في رورشاخ(٥٨) Rorschach .

٢ ـ الاختبـارات التركيبيـة : يتطلب هـذا النـوع من الاختبـارات تنظيم مـواد في نمـط Pattern كما هو الحال في اختبار الموزايك Mosaic test (٥٩) .

٣ ـ الاختبارات التفسيرية : في هذه الاختبارات على المفحوص أن يفسر مواقف الاختبار الذي يقدم اليه كما هو الحال في اختبـار تفهم الموضوع(٦٠) TAT واختبـار تفهم الموضوع للاطفال(٦١) CAT .

٤ ـ اختبار التطهير : وهي تلك التي تساعد على تحرير المشاكل الانفعـاليـة المكبوتـة مثل لعبة الدمية .

٥ ـ الاختبارات الانعطافية : وهي تلك الاختبارات التي تبدل فيها الاساليب التقليـديـة (القـواعـد المتعـارف عليهـا) مثـل الكتـابـة بـاليـد او الكـلام واختبـار ورسم الانسـان ٠٠ الخ . وهـذه الاختبـارات اعـدت لتطبق عمليـا بصورة خـاصـة لتحليل مفصّل لاسلوب متميز فريد في نشاطات العادات الخاصة .

اختبارات اسقاطية مهمة:

١ـ اختبار بقعة الحبر لروشاخ Rorschach Ink Blot Test

وقد ورد له شرح في تعليق رقم (٥٩) من هذا الفصل.

٢ـ اختبـار فهم المـوضـوع : Thematic Apperception test (TAT) وقـد ورد لـه شرح في تعليق (٦١) من هذا الفصل.

٣ـ اختبار تفهم الموضوع للاطفال Children Apperception test (CAT)

٤ـ اختبار Bender Gestalt test (EG)

اختبار بندر ـ كشتـالت : اختبـار اسقـاطي من تسع بطـاقـات مرسومـة تقـدم للمريض ليرسم مثلها ويكشف عن اضطراباته النفسية.

٥ـ اختبار زوندى : Szondi Test

اختبار اسقاطى من صور لمرضى بـأمراض نفسيـة . وعلى المفحوص أن يختـار من بينها الصور التي يفضلها اكثر من غيرها، والصور التي يفضلها اقل من غيرها.

٦ـ اختبار الموسايك Mosaic Test وقد مرله شرح في التعليق رقم (٦٠).

٧ـ اختبار الصور السوداء: Blacky Pectures Test

٨ـ اختبار صور السحابة Cloud Picture TestP

٩ـ اختبار تداعى الكلمات: لقياس استجابة الفرد لكلمة مثيرة بكلمة استجابة، ويحسب الوقت الذي يستغرقة الفرد للاجابة، وطبيعة كلمة الاستجابة ، وسلوكه خلال الاستجابة.

١٠ ـ اختبار تكلة الجمل: Sentence Completion test

تكلة الجمل الناقصة بكلمة واحده او بجملة. والنوع الاول اختبار قدرة لفظية والثاني اختبار اسقاطى.

١١ـ الدراما النفسية Psychodrama

ضرب من العلاج النفس اخترعه مورينو (١٩١٤ ـ ١٩٥٩) يطلب فيه من المريض ان يمثل دوراً في مسرحية تكتب بشكل خاص بحيث تصور اعراضه ومشاكله ويتولى الادوار الاخرى اعضاء من الفريق الذي يتولى علاجه، وتتصل هذه الطريقة في العلاج بمناهج الاسقاط، وبقياس العلاقات الاجتاعية او دراسة الطريقة في العلاج بمناهج الاسقاط، وبقياس العلاقات الاجتاعية او دراسة العلاقات لشخصية بين افراد المجتمع وقياسها، وهو مايسمى بالقياس الاجتاعي Siciometry . ويسمى الاشخاص المشتركون التمثيلية. من غير المريض الذوات (جمع انا) المساعدة auxiliary egos. ويمكن ان يحضر التمثيلية متفرجون يختارون من بين اقرباء المريض او المتصلين به فيا يتعلق بمرضه ويخضع الجميع لامرة المخرج وهو الطبيب المعالج. وتستخدم الدراما الاجتاعية Sociodrama ويلاحظ أن الاشخاص المشتركين في الدراما الاجتاعية او الاجتاعية يتأثرون بما تنطوى عليه التمثيلية.

ويسمى الاشخاص بين الشتركون في التمثيلية من غير المريض الذوات (جمع انا) المساعدة auxiliary egos . ويمكن ان يحضر التمثيلية متفرجون يختارون من بين اقرباء المريض او المتصلين به فيا يتعلق بمرضه ويخضع الجميع لإمرة. المخرج وهو الطبيب المعالج . وتستخدم الدراما«المسرحية» الاجتاعيةsociodrama ويلاحظ أن الاشخاص المشتركين في الدراما النفسية او الاجتاعية يتأثرون بما تنطوى عليه التمثيلية .

١٢ ـ الدراما الاجتماعية : وقد سبق لها كلام في الفقرة السابقة ، وهي تمثيل المشاكل الاجتماعية بطريقة تجعلها وسيلة من وسائل العلاج الجماعي ، وتكتب بشكل خاص ليقوم بتمثيلها اعضاء الفريق الذي يتولى المحلل علاجهم .

١٣ـ اختبار صورة رسم انسان : Draw a person test (DAt)

يطلب من المفحوص ان يرسم شخصا رسما متقنا بقدر المستطاع ، ثم يطلب منه بعد الانتهاء من الرسم الاول ان يرسم شخصا من الجنس الاخر . ويأخذ التحليل في اعتباره بعض العوامل مثل حجم الرسم ومكانه والعلاقة بين صور الذكور والاناث ونمط الخطوط والتحريفات والحذف والمسح والمعالجة الغريبة للاجزاء المختلفة من الشكل الانساني . والافتراض الاساس ان الرسم يمثل صورة الجسم عند المريض وان الاتجاهات والدفعات والصراعات تنعكس في الرسم ، وتتكشف بشكل خاص مشكلات التوافق النفسي الجنسي .

١٤ـ اختبار لعب الالعوبة والدمية (لعبة العالم).

١٥ ـ صوغ الطين الخزفي.

١٦ ـ مبحث دراسة الخط : Graphology

او فراسة الخطوط : وهي التكهن بالسمات البدنية والنفسية والشخصية للكاتب من خطه .

وليس من الممكن وصف جميع الاختبارات الاسقاطية هنا . ولذا سنختار اختبارين من أهم الاختبارات بشرح مناسب

١ ـ اختبار بقع الحبر رورشاخ Rorchach Inkblot test

تقنية اختبار بقع الحبر لرورشاخ احدى اشهر الاختبارات واكثرها سعة استعمال. وهذا الاختبار وضعه الطبيب النفسي هيرمان رورشاخ في سنة ١٩٢١ . لقد قام ببحث مئات من بقع الحبر وأخيراً أنتقى عشر نقاط خبر . ومادة الاختبار تشتمل على، خمس عشرة من بقع الحبر ذات جهتين متماثلتين على عشر بطاقات منفصلة بمساحة ١١ × ٩ انجات خمس من بقع الحبر سوداء ورمادية وقسم منها حمراء وسوداء واخرى متعددة الالوان .

اجراء الاختبار : قبل اعطاء بطاقات الاختبار يكون وفاق تام مع المفحوص ، وان هدف الاختبار غير مكشوف للمفحوص . ويطلب من المفحوص أن يجلس براحة على كرسي خاليا من أى ارتباك خارجي . وتعرض البطاقات واحدة بعد الاخرى بتتابع مع فراغ يضع فيه المفحوص استجاباته ، ومن ثم

يعطى المفحوص التعليمات . فيطلب منه أن ينظر الى بقعة الحبر وأن يقول كل شي عما تشبه او تمثل بقعة الحبر . وبعد اكال الاستجابات على البطاقات ، يجري الفاحص بصورة عامة استعلاما (تحقيق عن طريق الاسئلة) عن تفاصيل استجابات المفحوص على بطاقات فردية . وخلال الاختبار يلاحظ سلوك المفحوص ويسجل .

تفسير الاستجابات : ان التقدير Score وتفسير سجلات اختبار رورشاخ عمل معقد جدا بحيث لا يمكن ان ينجز الا بتدريب خاص . فيحلل الفاحص اولا سجل اختبار رورشاخ بتقدير Scoring (اعطاء درجة) كل استجابة حسب اربعة ملامح كما هو مبين في ادناه :

١ ـ موقع الاستجاباتLocation

W ـ البقعة بكاملها Whole blot

D ـ التفصيل الرئيسي Major detail

Dd ـ التفصيل الجزئي Minute detail

٢ ـ المحدد Detrminant . الشكل Form (F) اللون Colour (C) او الربط بين الاثنين (FC ،CF) التركيب والضلال ، النشاط الذي جرى فيه العمل مع البطاقات .

٣ ـ المحتويات:الحيوان Animal (A) الكائن الانساني Human bieng (H) والاشياء غير الحسية التي يراها المفحوص في البطاقات .

٤ ـ الاصالة Originality . الاستجابات الاصلية (المبتكرة) original responses.

٥ ـ الاستجابات المألوفة Popular (P) . ولا يجوز لاية مرتبة من المراتب الاربع السابقة ان تفسر لوحدها مفردة ، لذا فكل واحدة يجب أن ينظر اليها من حيث علاقتها بالاخريات . وحسب العادة المتبعة فأن تفسيرات سجل رورشاخ لا يعبر عنها باختصار او بطريقة احصائية ولكن بعبارات وصفية واسعة ويمكن ان يستعمل اختبار رورشاخ فرديا واجمالا لجماعة من الافراد .

ثبات الاختبار Reliability of the test(٦٢) :

هنالك وجهتا نظر مختلفتان فيما يخص الاختبار . واحدة يتشبث بها العياديون Clincians والاخرى يتشبث بها علماء القياس النفسي(٦٣) Psychometricians .

والعياديون الذين هم ماهرون في اجراء الاختبار وتفسيره يدعون انه اختبار نافع الى درجة عالية وانه اختبار يكشف شخصية المرضى عقليا . وبالنسبة لهم فأن دليل الثبات كفايته ٠،٧٥ اما علماء القياس العقلي ، من الجانب الاخر ، فيدعون أن الاختبار ليس بالمستوى العالي من حيث الثبات وذلك لان فاحصين مختلفين قوبلوا بنفس المجموعة من الاستجابات وغالبا ما كانوا يصلون الى وصف مختلف للشخصية . وبهذا فالتفسير يعتمد على الاراء الشخصية للفاحصين واعتقاداتهم .

بالنسبة الى علماء النفس العياديين ، ان مديات(٦٥) (Ranges) الاختبار من ٠,٥ الى ٠,٨ عال جدا ، ولكن بالنسبة لعلماء القياس العقلي ، فان الصدق والصحة على مستوى منخفض وقد زود اختبار رورشاخ بقدر ضئيل من نقاط مشتركة الدلائل استخرجت من ال(T.A.T) مما يوحي اغلبه بصورة مباشرة الى حد ما أنه مؤيد بتاريخ الحالة Case study واختبارات اخرى ، ولكنهما تضيف قليلا مما هو جدير ، وعلى الاقل ، في مسائل الاهتمام الرئيسي . فصدق وصحة اختبار رورشاخ هوجم من قبل آيزنك Eysenck .

بموجب النقاط التالية :

١ ـ لما كان النهج الاصلي لرورشاخ والذي يجري اتباعه غير واضح التقدير Scored Blind فأنه حتى الفاحصون المدربون وذوو الخبرة يقدمون اوصافا مختلفة جدا للشخصية .

٢ ـ والاعتراض الثاني لآيزنك المتعلق بالصدق والصحة لاختبار رورشاخ هو لو أن مسجل النقاط اعاد التقدير نفسه فان موافقة تسجيله الثاني لتسجيله الاول يمكن ان تكون بعيدة جدا .

٣ ـ قد تؤثر شخصية الفاحص واتجاهه attitude في استجابات المفحوص .

٤ ـ الحقيقة ان وجود اكثر من نظام درجات لايكسب الثقة للامتحان .

٥ ـ هنالك دليل جدير بالاهتمام وهو ما يفكر به المفحوص .

فرورشاخ يقيس وهو مولع بالنتائج . وفي مواقف الحياة الحقيقية اننا لا نستطيع ان نهين على المشاعر والتفكير لدى الفرد ، وان عامل هدوئه العرضي يؤثر في نتائج الاختبار .

وقد حاول العياديون الاجابة عن الاعتراضات التي اثارها آيزنك Eysenck بأن اختبار رورشاخ يستعمل بصورة عامة على اولئك الافراد الذين يعرفهم الفاحص معرفة دقيقة . ويعطى رورشاخ تبصرا في مشاكل فرد ما والطريقة التي يفسر بها عالمه ولكن هذه يمكن استعمالها فقط في ضوء خبرات شخص اخر .

وحديثا ، قام العالم الاسكندنافي هولى Holley باجراء بحث على اختبار رورشاخ وحاول ان يحدد مقدار استجابات المفحوصين . وان العمل الذي يقوم به Holley في الوقت الحاضر في مرحلته المبكرة . واذا ما ابدت البحوث الاخرى معطياته فانه سيثبت بأن حدس العياديين عند كل من استعمل اختبار رورشاخ كان صحيحاً .

اختبار تفهم الموضوع Thematic Appreception test

ان اختبـار تفهم الـوضـوع الـذي يعرف على الاكثر بـاسم (.T.A.T) وضعـه مـوركن Morgan ومـوري في سنـة ١٩٣٥ من خـلال منهج بحث في عيادة هـارفـارد النفسيـة . وتشتمل مادة الاختبار على ٣١ بطاقة ، ثلاثون منها تصور مناظر مختلفة وبطاقة واحـدة سوداء، ووضعت بطريقة لتبين اربع مجموعات متداخلة كل مجموعـة متكونـة من عشرين ، واحـدة للاولاد ، واحـدة للبنـات ، واحـدة للـذكور ممن هم فـوق الرابعـة عشر من العمر وواحـدة للانـاث ممن هن فوق الرابعـة عشرةمن العمر . وصور ال .T.A.T تصور مـواقف متبـاينـة ينتقل فيهـا الفرد بصورة اعتيـاديـة . وهي تـدعى اختبـار التخيُّـل او الخيـال Imagination (راجع الفقرة «٥١» من هامش هذا الفصل)

يوطد الفاحص وفاقا تاما اولا بينـه وبين المفحوص ولا يكشف عن غـايـة الاختبـار ويطلب من المفحـوص أن يجلس بـوضـع مريـح تمـامـا على كرسي متحررا من كل مثير خارجي يشد الانتباه ايّا كان نوعه او حالة انصراف الذهن الى مثير خارجي نجح في شد الانتباه اليه . ومن ثم تقدم الى المفحوص بطاقة واحدة وتقدم له التعليمات التالية : «هذا اختبار حكايـة قصـة . وانـا سـأقوم بـأن اريـك بعض الصور ، واحـدة في كل مرة وسيكـون عملـك ان تنظم بشكل تمثيليـة مصـورة بقـدر مـا تستطيـع لكل واحـدة . واخيرا ، ما الذي ادى الى الحادثـة المشـاهـدة في الصور ، صف ما الـذي يحـدث في هـذا الوقت ، ما الـذي يشعر بـه الممثلون ويفكرون فيـه ، ومن ثم أعْـط النتيجـة . تكلم عن افكارك كما تاتي الى دماغك ، هل تفهم ؟

وفي العـادة تعطى الصـور في فترتين (جلستين) . ويَعتمـد عـدد الصـور على العمر والجنس Sex ونوع المشكلـة . فصور .T.A.T تجري بصورة فرديـة الى جـانب كونهـا تجري بصورة جمـاعيـة . ويسجل سلوك المفحوص فيما يخص اسلـوب تعبيره الانفعـالي او هيئتـه الانفعالية ، والوقت وتقليبه للبطاقة . وبعد اجراء اختبار البطـاقـات يجرى استعلام من المفحوص لتحديد مصادر القصص ، ويسجل الزمن الكلي لكل بطاقة .

تفسير ال .T.A.T :

هنالك عـدة اسـاليب في تفسير قصص ال.T.A.T وليست هنـالـك ايـة طريقـة منهـا صحيحـة تمـامـا . والطريق العملي العـام لطريقـة القصص يكون بـالتزود بمعرفـة خلفيـة Background عامة عن الشخص تسـاعـد كثيرا الفـاحص وتوثق الصلـة بـالموضوع كما .

تساعد في اطراح الفرضيات المتعددة التي يبدو واضحا انها غير مناسبة بل انها تضيّع وقته .

والامر الثاني الذي يجعل الفاحص ماهرا في تفسيره هو أن يجعل نفسه ملماً بتلك القصص بصورة كلية والى مدى بعيد . فهو يبدأ بأن يلاحظ التفاوت غير العادي والنادر أو المتسم بالتكرار ، او المبينة بصورة متماسكة او المصطحبة بدلالات انفعالية قوية وايًّاما كان الإجراء الذي يتبعه الفاحص فانه يستعمل تقديره في الوصول الى التعميم من الخصوصيات المفردة . انه يحول استجابات الاختبار من حيث هي معطيات اولية (خام) الى بيانات عن جوانب الشخصية .

والافتراضان[٦٧] assumptions المنطقيان[٦٨] Rational اللذان قادا عمل موري Murry الاول مع ال .T.A.T كانا : الصفات المميزة للممثل البطل او الرئيس في القصة يمثل نزعات[٦٩] Tendencies في شخصية المستجيب والثاني ان خصائص بيئة البطل تمثل جوانب قيّمة لبيئة المستجيب .

وتوضع درجات ال .T.A.T حسب الطريقة التالية :

١ ـ بطل القصة.

٢ ـ حاجات وصراعات البطل.

٣ ـ الاستجابات غير الاعتيادية.

٤ ـ الحذف والزيادة في الصور.

٥ـ التعبير الانفعالي.

صدق (صحة) ال .T.A.T:

كم هو نافع او صادق ال .T.A.T باعتباره إجراء لتقويم الشخصية ؟ هنالك وجهتا نظر مختلفتان : واحدة يتمسك بها علماء النفس العياديون الذين يرون لها دلالة عالية من الصدق والصحة وانها وسيلة نافعة جدا في تشخيص الشذوذات العقلية[٧٠] mental Abnormalities ، ولكن علماء القياس النفسي يتمسكون بوجهة نظر مفادها ان صدق وصحة ال.T.A.T منخفض جدا إذ أن هنالك نقصا في الإجراءات المقننة والوقائع المعيارية Normative data النهائية وانخفاظاً في الثبات Reliability وتحمسا مغالى به ثم انها قليلة التقبل للنقد بسبب الدافع الحدسي للمعاني المفترضة للاستجابات المعينة .

وهنالك مشكلة تخص ال .T.A.T وهي صعوبة تحديد فيما اذا ستكون حاجة مبينة او خصيصة شخصية موجودة في السلوك الظاهري للمفحوص في موقف الحياة الواقعية بصورة مضادة فقط لمستوى الخيال[٧١] (Fantasy) او اللاشعور[٧٢]

وقد لخص Murstein سنة ١٩٦٣ البحث الذي يخص العلاقة العدائية المدانة عند ابطال قصص ال .T.A.T والسلوك العدائي الظاهر للمفحوص . وقد استنتج ان العلاقة كانت بصورة عامة ايجابية

تقويم الاختبارات الاسقاطية Evaluation of projective tests

١ ـ تقدم الاختبارات الاسقاطية وقائع data نافعة جدا للعاملين من ذوي الخبرة والتدريب .

٢ ـ ان الدرجات الكية (المقدارية) Quantitative scores المنبثقة من الاختبارات الإسقاطية غالبا ما تكون منخفضة من حيث الثبات Reliability حينما تحدد بطريقة القياس النفسي .

ويرى بعض علماء النفس ان الطرق الاعتيادية لتخمين الشخصية غير قابلة التطبيق على الوسائل الاسقاطية ، على سبيل المثال ، فأن طريقة التجزئة النصفية(٧٣) يقال انها غير مناسبة لاختبار رورشاخ اذ أنه من المستحيل ان تقسم البطاقات العشر بطريقة يمكن لها ان تحصل على نصفين قابلين للمقارنة .

٣ ـ والمشكلة الاخرى للاختبارات الاسقاطية ، هي انشاء الاختبار . فبصورة عامة ، ان مواد الاثارة (المنبهة) المستعملة في الاختبارات الاسقاطية لم تنتق بطريقة تتصل بأية فكرة لتضمن ان مراتب الدرجات ستمثل على نحو ملائم للمراد من المنبه Stimulus . وانه لمن الثابت في ال.T.A.T ان نظام الدرجات لم يوضح الا بعد سنين حين انتقيت اساليب المنبه .

٤ ـ ومشكلة اخرى تتضمن تقنين التعليمات . اذ تعليمات تأدية الاساليب الاسقاطية غير مقننة ولذا فان الفاحص بامكانه ان يؤثر تأثيرا مهما في استجابات المفحوص والذي يزيد الإرباك هو مشكلة كون المفحوصين يسمح لهم أن يقدموا عددا مختلفا من استجابات مختلفة في مدتها . والتغيرية(٧٤) Variability في فترة الاستجابة تجعل المقارنة الاحصائية Statistical(٧٥) صعبة الى حد بعيد .

وعلق كرونباخ Croanbach على الاختبارات الاسقاطية حيث كتب أن التقويم يواجه حرجا لانه يتضمن استنتاجات تنطوي على المصادفة ، وهي تلك التي يتخطى فيها المقوّمون الى حد بعيد العلاقات المعروفة بين المتنبّي Predictors وبين المتغايرات المعيارية(٧٦) Criterion variables . وهنالك شي ضئيل من الاسس النظرية Theoretical من التخيل المتوقع يظهر في الاساليب

الاسقاطية بحيث يكون متصلا مباشرا في المظاهر المبينة للشخصية مثل الثقافة المدرسية والكفاية والقدرة على العمل . وقد قام Eysenck ببحث على رورشاخ واستنتج انه لا يمتلك الصدق (الصحة) Validity في التشخيص الفارق[٧٧] Differential diagnosis لفهم الصراعات Conflicts والتخيلات Fantacies للعلاج النفسي ووصف الشخصية والتنبؤ على السلوك او تقويم حصيلة العلاج النفسي او التنبؤ عنها .

مواطن الضعف في اختبارات الشخصية

توجد اربع نقاط سوء فهم فيما يخص اختبارات الشخصية هي :

١ ـ انها تدّعي قياس سمات مثل : انطوائي ـ انبساطي ، والتسامح (القدرة على التحمل) والغموض ambiguity والنزعات العصابية Neurotic Tendencies وما شاكل ذلك وهي كلها مفهومات غامضة الى حد كبير ولا توجد بتعاريف متفق عليها لهذه المفهومات . ولا يوجد تعريف واضح او معنى محدد لكلمة الشخصية نفسها . فكيف نستطيع ان نصف او نصنف شخصا ما بدقة عن طريق اختبار ، درجاته ذاتها لا تمتلك أي معنى واضح او دقيق .

٢ ـ إنه لمن خصائص اختبارات الشخصية في الوقت الحاضر ان السلوك الذي تضعه كنموذج انما هو سطحي superficial. انها لا تقيس عمق السلوك . واختبارات الشخصية ، المتوفرة حاليا عليها الان ان تثبت ان بامكانها ان تزود بنموذج سلوكي فيه مثل هذا العمق . انها لاتستطيع ان تتنبأ عن سلوك شخص ما في مواقف حياتية واقعية على اساس نتائج اختبارات الشخصية

٣ ـ والصورة الثالثة التي تتعلق بالشخصية هي أننا ما نزال نعرف القليل عن استقرار Stability سمات Traits الشخصية .. اننا لا نستطيع القول بأن الانطوائي في عمر الثانية عشرة يمكن ان ينقلب الى انبساطي في التاسعة عشرة .

٤ ـ واخيرا ، انه لمن الطبيعي ان جميع اختبارات الشخصية من الناحية العملية يمكن أن تُزَيَّف . استبيانات التقرير عن الذات Self report (وهي المعلومات التي يقررها الفرد عن ذاته ، او تقويه لنفسه) يمكن ان تزيف بسهولة . الغاية الكلية لمثل اختبارات الشخصية هذه تعوزها الثقة ، بل يمكن القول انها مفقودة اذا ما اعطيت في سياق Context لا يشعر فيه المفحوص عن ثقة بأنه منصرف في اهتماماته الخاصة به وانه يخبر بالحقيقة .

وقد وُجّه الى اختبارات الشخصية في السنوات الاخيرة نقد ايضا على الاسس والدوافع الخلقية . فبعض النقد انبعث من الاعتراض على انها تتحرى اشياء خاصة وشخصية .

والاستبيانات في السنوات الاخيرة مثل M M P I (استبيان الشخصية المتعدد الاوجه) (٧٨) تشتمل على اسئلة شخصية كثيرة وتحاول ان تحصل على معلومات غير مباشرة التي تجد فيها المفحوص لا يرغب في ذكرها ، وقد استعمل

لاستبيان في سياقات كانت اجوبة المفحوصين فيها قد تعرضهم لبعض المخاطر كأن يفقدوا الامل في الحصول على العمل الذي قدموا الطلب لاجله .

واحيانا ، قد يعتقدون ان اسئلة الاختبار حملة هجوم وذلك لخصوصيتها في موقف تكون فيه حرية الرفض ضئيلة.

مصادر وقرارات

١ ـ اساسيات الاختبار النفسي لمؤلفه لى كروبتاخ الطبعة الثانية ١٩٧٠
٢ ـ الشخصية والتقويم لمؤلفه ميشيل ١٩٦٣
٣ ـ تقويم الشخصية لمؤلفه .P.E فيرنون لندن ١٩٥٤
٤ ـ تقويم الشخصية لمؤلفه كوهين ١٩٦٩
٥ ـ انماط من الحكم على الشخصية تـأليف كوهين وديرك وشـافر الطبعـة الاكاديميـة نيويورك ١٩٧٣
٦ ـ القياسات الموضوعية للشخصية تأليف جيمس بوجر المطبعة الاكاديمية نيويورك ١٩٧٢

هوامش الفصل الرابع

١ـ Pseudo Psychology: نظام من المعتقدات والتعاليم يدّعي انه يقف على صعيد علم النفس، لكنه ينطوي في الواقع على مباديء وطرائق اجرائية لاتتفق ابدا مع مبادئ علم النفس المعترف بها والمعتمدة في البحث والدراسة

٢ـ Reliability Coefficient: معامل الثبات هو مقياس للثبات وكناية عن معامل الارتباط والتلازم بين تكرارين للاختبار ذاته. واقتصادا للوقت فان الارتباط يتم بين نصفين للاختبار الواحد من خلال استخدام طريقة التجزئة النصفية - Split halves method

٣ـ Datum(الجمع data) بيان(ج. بيانات) معطاة(ج. معطيات) البيانات والمعطيات وهي مجموعة من الارقام او الكميات او الحقائق والعلاقات التي تكون بمتناول الباحث او بمثابة وقائع جرى اثباتها والتحقق من صحتها لكي يتم اعتمادها كأساس لاستنتاج حكم او استخلاص نتيجة او التدليل على قضية معينة. ويمكن الاستناد الى المعطيات كأساس لاجراء النقاش او متابعته واضفاء بُعدٍ وقائعي على النظريات. ويسميها بعض الباحثين المسلمات.

٤ـ Intelligence: الذكاء هو المقدرة على مواجهة وضعيات ومواقف مستجدة اوعلى تعلم مواجهتها بواسطة استجابات جديدة ومتكيفة، ويفهمه علماء النفس من مدرسة الكشتالت بمعنى التبصر والبصيرة. فالذكاء يحضر عندما يكون الفرد البشري او الحيوان مدركا ولو بصورة ضئيلة للصلة الوثيقة بين سلوكه وبين هدف اوغاية. وهو القدرة على تنفيذ اختبارات او تأدية مهات تنطوي بدورها على فهم استيعابي للعلاقات حيث تتراوح درجة الذكاء تبعا لتعقد العلاقات اوتجريدها .

٥ـ Fetus: الجنين: بالنسبة للانسان هو الطفل من فترة الاسبوع السابع او الثامن من الاخصاب حتى الولادة.هذا في القاموس الطبي وفي مصادر اخرى في علم النفس انه من الشهر الثالث او الرابع حتى الولادة.

٦ـ attitudes: اتجاهات

الاتجاه او الموقف ميل ثابت للتصرف والاستجابة بطريقة معينة مع الناس والاشياء والمشاكل... ومصادر الاتجاهات ثقافية واسرية وشخصية بمعنى اننا نتبنى الاتجاهات السائدة في ثقافتنا التي نترعرع في كنفها، وتنتقل نسبة كبيرة منها من جيل الى اخر داخل هيكل الاسرة. ولكن بعض هذه الاتجاهات نكوّنه لانفسنا من تجاربنا كراشدين، ونستمد نسبة كبيرة من اتجاهاتنا من الدعاية وبتأثير ايحاءات السلطة

والمؤسسات التربوية وعالم التجارة والمال. فالاتجاه موقف نفسي ويمكن تعريفه ايضا بأنه الاستجابة المكتسبة والانفعالية بعض الشيء لمنبه معين كوقف المرء من الحرب اومن رأي معين اومن مذهب معين... الخ.

وهذه الاستجابة ثابتة لحد ما، تشتمل على توقع تجربة ما، والاستعداد لاستجابة معينة دوما. وقد تستخدم احيانا بمعنى اوسع كالحديث عن«موقف جمالي» لدى الاشخاص، بمعنى، الميل الى تقدير الجمال او انتاج الجمال، وكالحديث عن«موقف اجتماعي» بمعنى التأثر بالعلاقات الاجتماعية والواجبات الاجتماعية.و(دوائر الاتجاهات) هي الروائز التي تستهدف، القاء الضوء على مزاج شخصيته وطبعه وسمات شخصيته والكلمة Attitude جاءت من الكلمة اللاتينية Attitudo وتعني Posture أي وضع اوحالة الجسم.

٧ـ الصراع Conflict: وهو وقوع دافعين او حافزين او اكثر متعارضين في نفس الوقت. والصراع الحالي actual Coflict يسبب ازمة عقلية. ويتميز عن الصراع الجذري Root Conflict الذي وجد مع المرء منذ طفولته في حالة سبات. وهنالك انواع من الصراعات منها:

أ- صراع الاقدام ـ الاقدام Approach – Approach Conflict

او صراع الاقدام المزدوج Double approach conflict وهو أن يجد المرء نفسه وقد صار عليه أن يختار احد هدفين لهما جاذبية بالنسبة له (كالزواج او الدراسة لحصول على الدكتوراه).

ب ـ صراع الاقدام ـ الاحجام Approach – avoidance Approach:

حيث يجب على الفرد ان يقرر ماذاا كان عليه أن يقترب

من هدف سار، يتضمن بلوغه احتمال مشاق كثيرة،اولا: يقترب(كالصراع بين السعي من اجل مجد بطولي وبين ان ينكص لان حياته ستتعرض للخطر).

جـ -صراع الاحجام ـ الاحجام avoidance – avoidance conflict او صراع الاحجام المزدوج Double avoidance conflict:

حيث يجب على الفرد ان يختار بين ضررين(كالقيام بعمل مخل بالشرف اوان يفلس).

د ـ الصراع المزمن Chronic Avoidance:

وهو الصراع الدائر للابد بين الانا والانا الاعلى والهو.

هـ ـ الصراع الطبقي Class conflict:

وهو الصراع بين الطبقتين الاقطاعية والبروجوازية،والبروجوازية والبروليتاريا.

و ـ الصراع الثقافي Culture conflict:

وهو الصراع بين ثقافات جماعات تنتمى الى ثقافات متعددة،بهدف تفوق ثقافة منها على الباقيات.

ز ـ منطقة الانا المتحررة من الصراع Conflict – Free area of the Ego: هوصيمهضبوعر ـ لمنطقة يفترض انها المنطقة التي لاتتعرض فيها وظائف الانا للاضطرابات من قبل الصراع العصابي.

جـ ـ صراع الهو ـ الانا ID – Ego – Conflict

ط ـ الصراع النفسي Intrapsychic conflict او Inner conflict او mental conflict او : Psycological conflictوهو الصراع بين الدوافع الغريزية،كالصراع بين غرائزاللبيدو والغرائز العدوانية.

ي ـ الصراع السلبي ـ السلبي Negative – Negative conflict

ك ـ الصراع العصابي Neurotic conflict

وهو الصراع الذي يكون احد طرفيه لاشعوريا، او الذي يتطلب حله استخدام الدفاعات وليس التسامي، اوالذي احد طرفيه لاشعوريا ويستخدم الدفاعات.

ل ـ الصراع الايجابي: الايجابي Positive – positive conflict

٨ ـ الثبات Reliablity: صفة من الصفات التي ينبغي لطريقة التقويم ان تتصف بها ويشير الثبات الى مقدور الطريقة على اعطاء نتائج منسجمة يمكن الركون اليها والتعويل بحيث لاتتأثر كثيرا بالعوامل التي قد تنال من دقتها، كالعوامل الخارجية التي تمت الى الموضوع بصله.

٩ـ Prejudice التعصب: تحامل، تحيز(محاباة، هوى) : التحامل موقف عدائي يصطبغ عادة بصبغة عاطفية،اوموقف تحبيذى من الافعال والاشياء التي تنتمى الى نوع معين، او من بعض الاشياء والعقائد والمذاهب. واتخاذ الموقف يصدر عن هوى في النفس يستبق التحقيق من صحة الشيء والتدقيق في ملابساته.

١٠ ـ Bias: الانحياز الى جانب نظرية او فرضية او تفسير معين او الموقف ضدها مما يؤثر بصورة علمية غير واعية في الحكم الذي يصدر عن الفرد وهو يؤثر لاشعوريا

في احكام الفرد. وقد يظهر في التجارب في شكل مايسمى خطأ الانحياز error of bias والخطأ هنا مصدره كما سبق الانحياز المسبق لنظرية معينة او لاحكام سابقة.

١١ ـ Subject: شخص : الفرد الذي تدرس تجربته وسلوكه. وكل الكتابات التحليلية، حتى اكثرها تجريدا، تدور حول شخص واحد هو موضوع التجربة.

١٢ ـ Action: العمل، التصرف، النشاط: ويعتبره كثير من علماء النفس وحدة اساسية، وخاصة السلوكيون، ويكاد ينعقد اجماعهم على ان الانا(الشعوري واللاشعوري) هو المتحكم في الفعل، بهدف التحكم في اجهزة الجسم وتطوير وظيفة الحكم لدى الفرد، بمعنى تطوير قدرته على استشفاف المستقبل بالخيال والتخيل، بقيامه بافعال يختبر بها الواقع، ويستطيع من خلالها ان ينمي لديه ملكة الحكم على ماسيكون في المستقبل،بمقتضى ماهو كائن الان.

١٣ ـ Sociometry القياس الاجتماعي: تطور في العلوم الاجتماعية يعد مدرسة فكرية اكثر منه فرعا متميزا،يؤكد على دراسة العلاقات المتبادلة الدينامية ين افراد جماعة اجتماعية ويرسم خارطة لعلاقات الانجذاب والتنافر بين اعضاء الجماعة الواحدة. ويبدى الفرد رأيه مختارا او رافضا الاعضاء الاخرين وتمثل الخارطة الاجتماعية مجموعة هذه الاراء

١٤ـ Spontanei ty التلقائية: وهنالك العلاج التلقائي الذي نحن بصدده والذي يشير اليه هذا الهامش في سياق الحديث، والعلاج التلقائي Spontaneity therapy هو اشراك المريض في التمثيل النفساني وتمثيله احد الادورار بقصد ان يوجد في مواقف شبيهة بالمواقف التي يشكو منها، ولكي يخرج فيها ويكتشف من خلالها الانماط السلوكية التي يمكن ان تتوافق اكثر مع بيئته.

اما اختبار التلقائية Spontaneity test فهو جزء من التمثيل النفساني، يوضع فيه المريض في موقف حي من مواقف الحياة ويطلب منه ان يتصرف بتلقائية ومن ثم يخرج المريض مشاعره ويسلك السلوك الذي يعتاده حيال الناس.

١٥ـ maladjustment سوء التوافق: فشل مستمر في التوافق،انه سوء التكيف مع البيئة المادية اوالوظيفية اوالاجتماعية وما يتلو ذلك من مضاعفات انفعالية وسلوكية.

١٦ ـ Feelings المشاعر: والمفرد الشعور Feeling و Affect ويطلق عليه ايضا الوعى(consciousness) والشعور اصطلاح عام للدلالة على الناحية الانفعالية في التجربة ، مثل تجربة اللذة ونقيضها، والاهتمام وما شابه ذلك. ويشتمل عادة على التجربة العاطفية، ويستخدم على صعيد شعبي بمعنى غير محدد للدلالة على اية

تجربة، ولاسيما الاحساسات اللمسية. وعلى صعيد الانفعال هو بمثابة الحالة النفسية او التوتر النفسي المصاحب لهياج العاطفة. وبالرغم من ان مصطلح الشعور عام فقد يستخدم بشكل خاص فتقول شعور شبقي Erotic Feeling او شعور جنسي Sex Feeling اوالشعور بالالفة Familiarity Feeling والشعور بالذنب Guilt feeling والشعور بالنقص Inferiority feeling والشعور بالانتماء Feeling of belonjing والشعور بالكفاءة Feeling of adequacy والشعور بالتفوق Superiority Feeling والشعور بأن الواقع غير حقيقي Feeling of unreality اما اصطلاح Feeling tone فيعني الاثر الوجداني وهو مايصاحب الاحساس من لذة او ألم. ثم ان النمط الوجداني عند (Young) يعني نمطا من الشخصية تسيطر عليه الحالات الوجدانية،واخيرا هنالك الشعور بالنحن (we feeling) وهو الشعور بالانتماء للجماعة، وعندما يتحدث الفرد لايتحدث بصيغة (انا) لكن بصيغة(نحن) وبهذا يعتز الصوفية في كتبهم ولايعترفون بمن لا يشعر هذا الشعور بأنه منهم.

١٧ ـ التمثيل الاجتماعي او الدراما الاجتماعية Sociodrama وهي تمثيل بشكل خاص ليقوم بتمثيلها اعضاء الفريق الذي يتولى المحلل علاجهم.

١٨ ـ Frustration الاحباط(خيبة): وهو اعاقة المرء من بلوغ هدف ما، وسد الطريق التي يسلكها نحو الوصول الى هدفه، سواء كان السعي نحو الهدف سعيا واعيا ام غير واع. وتطلق لفظة الاحباط مجازا على كل نوع من العراقيل التي تحول دون بلوغ الهدف المنشود والاقتراب منه. يمكن لهذه العرقلة ان تعاش على صورة اخفاق مباشر او دون مشاركة من جانب الوعي. وتقتصر ابحاث السلوك في استخدامها لهذا الاصطلاح على عملية محددة تعوق الانسان او الحيوان عن اظهار استجابة معينة. ويشرحها القاموس الطبي بانها حالة توتر انفعالية متزايدة نتيجة للفشل في كسب الارضاء المنشود او الارتياح.وفي العادة تكون قوى خارج نطاق الفرد(خارجية) ، ولكن كذلك تكون نتيجة اعاقة دوافع غريزية(داخلية).

١٩ ـ Status المنزلة اوالوضع الاجتماعي: في كل مجتمع جماعة لها منزلتها ووضعها الاجتماعي يطلق عليها(كورت ليفين) اسم حراس البوابات Gate Keepers اوالاعضاء المفاتيح،فاذا اردنا ان نحدث تغييرا في الجماعة فاننا نستهدف هؤلاء الاعضاء بدعايتنا للتأثير على اتجاهاتهم،ولذلك فاولى خطوات تغيير سلوك الجماعة هي البحث عن حراس البوابات فيها،وان ندرس سلوكهم ثم نقوم بالدعوة للتغيير وغرس البدائل السلوكية فيهم، ويثبت(ليفين) بالتجربة ان استخدام حراس البوابات اجدى في احداث التغيير المطلوب من خلالهم من دعوة الجماعة كلها لتبنى

التغيير المطلوب. ويضرب(ليفين) المثل بربات البيوت،فلو شئنا تغيير عادات لاسرة في الطعام، فالطريق الامثل هو احداث هذا التغيير السلوكي المطلوب فيهن. وهن يتكفلن ببقية عملية تجديد وتغيير ذوق الاسرة في الطعام.

٢٠ ـ Catharsis التنفيس(تطهير وتصريف)

لفظة يونانية الاصل تعنى حرفيا التطهير. وتستخدم على سبيل الاستعارة في عدة معان. استخدمها ارسطو للدلالة على تطهير الخوف والغضب لدى مشاهدة تمثيل لهاتين الظاهرتين على خشبة المسرح في مأساة. ويستخدمها دعاة التحليل النفسي بمعنى التنفيس او التفريغ والتصريف للاشارة الى انطلاق الطاقة الانفعالية المكبوتة لدى المرء، Abreaction وهذه اللفظة وضعها سيموند فرويد للدلالة على ظاهرة نفسية معينة،ومؤداها انطلاق الطاقة الانفعالية المكبوته لدى المرء وتنفيسها لئلا تتسبب في نشوء الاضطرابات النفسية والعصبية. وقد استخدمها علماء التحليل النفسي لوصف العملية اياها حيث يعايش المرءمن جديد تجربته الاصلية في الخيال ويعالج بها فرويد العصاب النفسي Psychoneuroses ليحدث التنفيس وذلك عن طريق تشجيع المريض ليتكلم عن كل شيء يحصل ليكون مرتبطا بتدريب معين من التفكير المشتمل على نشاط ذهني،وهكذا يطهِّر العقل من الاشياء المكبوته التي سببت الاعراض. وتدعى ايضا Psychocatharsis وكذلك طريقة فرويد النفسية .Freud's cathartic method

٢١ ـ Insight نفاذ البصيرة اوالاستبصار.

الادراك المباشر لمعنى شيء، وفي علم نفس الكشتلت(الهيئة) الوعي بالصلة بين السلوك وبين الهدف او الغاية،وفي الطب النفسي الوعي بحالة الفرد العقلية. وهي بمعناها العام مرادفة لحسن التميز العقلي او الفطنة العقلية وقوامها الادراك المباشر للمفاهيم والقضايا والعلاقات. يقابلها في علم النفس الاستبطاني ادراك او استيعاب مباشر لمعنى شيء او لمغزاه ومدلوله،وينطوي التبصر على تلقائية الادراك وفوريته. واللفظة الالمانية (Finsicht) اطلقتها مدرسة الكشتالت على الادراك المباشر بمعنى(استبصار). وقد جاء في كتاب الفروق الفردية«ان يتضح له الامر حتى كأنه بيصره».

٢٢ ـ Scales مقاييس: المقياس، كناية عن مجموعة الارقام والمقادير المتسلسلة تفصل بينها قسمات مكانية مدرجة بالتساوي اوغير متساوية وتطلق اللفظة ايضا على اختبار للذكاء او رائز عقلي، كا يقال مقياس الشخصية اوميزاتها لسلسلة من الاسئلة تستهدف معرفة خصال المرء ومزاياه من خلال الاجابة، والحقيقة هنالك مقاييس

عديدة مثل قياس التسلط Authoritarianism scale ومقياس معاداة السامية Anti – semitism scale، مقياس بنية للذكاء Binet scale والمقياس الجيمي او المعيار الجيمي الذي وصفه كلفورد ويحتوي على ١١ قسما ودرجته الجيمية المعيارية تساوي ٢× الدرجة المعيارية + ٥، ومقياس التمركز السلالي اوالتحيز E; ethnocetrism scale ومقياس الفاشية F. Fascism scale المقياس العقلي mental scale ومقياس البعد الاجتماعي لبوركادي social distance Bogardus scale، والمقياس والمعيار التائى لثورندايك وترمان T,T Norms لتعديل الدرجات المعيارية من سالبة الى موجبة ولزيادة حساسية وحداتها، ومقياس وكسلر لذكاء الكبار WAIS Wechsler Adult intelligemce scale ومقياس وكسلر وبلفيو لذكاء الراشدين - Wechsler Bellevue, WB. الذي يشتمل على خمسة اختبارات ادائية(تكميل الصور وترتيبها وتجميع الاشياء وبناء المكعبات ورموز الارقام) واختبار فرعي اضافي للمفردات،ومقياس وكسلر لذكاء الاطفال Wechsler I ntelligence scal for children.

ومن الناحية اللغوية فان كلمة Scale مأخوذه من اللاتينية Scala وتستعمل عادة بصورة الجمع Scalae وتعني سلسلة من الخطوات. وهي نظام او اسلوب يمكن ان تقوّم او تقاس به بعض الخواص او الصفات المميزة.

٢٣ ـ Rating التصنيف التقدير:ويقال له احيانا التخمين او تعيين القيمة بحيث يهدف الى تعيين موقع اومكانة او رتبة او درجة او علاقة بطريقة نظامية لمقدار حيازة المرء على احدى الخواص اوالصفات. والتقدير ينطوى على مؤشرات نوعية اوكمية مثلما انه يعتمد المقاييس البيانية المدرجة، والسلالم الموزعة بين طرفين على درجات متفاوته Graphic rating scales اما القاموس الطبي فيعرف الكلمة Rate بانها تعبير عن السرعة او التكرار اللذين تحصل معهما حادث معين او واقعة معينة بالنسبة الى فترة زمنية معينة.

٢٤ ـ Trait السمة او الخاصة:

وهي الخصائص التي يمكن ان تلاحظ وتقاس. والسمة او الخاصة ميزة فردية في الفكر او الشعور او الفعل، قد تكون متوازنة او تجيء بواسطة الاكتساب والتعلم. يدور الحديث عن سمات الشخصية او مزاياها وخصالها وعن السمات الحضارية بمعنى الخصائص المميزة لحضارة من الحضارات. فالسمة نهج من السلوك يتميز به الفرد او الجماعة وينتج عن عوامل وراثية وبيئية. وهي مفهوم اساس مستخدم في مدارس علم النفس لتحليل بنية الشخصية.

والسمة كما ذكرنا خاصية يتميزبها الفرد فهنالك سمة خلقية Cnaracter trait وسمة خلقية Congenital trait وسمة تعويضية وهي التي تعوّض عن غيرها Compensatory trait وسمة ثقافية Culture trait وسمة عميقة Depth trait وعكسها سمة سطحية Surface trait وسمة سائدة : اصلية Dominent trait وسمة دينامية: محركة اوفعالة Dynamic trait وسمة عضوية Organic trait وسمة شخصية Personality trait وسمة جسمية Physical trait وسمة متنحية او كامنة Recessive Trait وسمة مزاجية Temperament trait وغير ذلك ، اما في علم الطب فالسمة هي اية خصيصة محددة وراثيا،وفي الغالب تستعمل في الطب لتدل على الوضع السائد في حالة اليلات (Alleles) في مكان معين لاختلاف متنح كما هو الحال في فقر الدم ذي الخلية المنجلية.

٣٥ ـ Score تقدير: قيمة كمية تعطى لاستجابة امتحان او لاستجابة متعلَّمة او حكم جمالي اواتجاه... الخ. وهنالك درجة الفرقة الدراسية Grade score وهي درجة مشتقة من مستوى الفرقة الدراسية،وهنالك مفتاح اوصحيفة التصحيح Scoring key or stencil وهنالك الدرجة المعيارية المقننة Standard sigma score وهي درجة مشتقة تستخدم الانحراف المعياري كوحدة لها. وهنالك الدرجة الجيبية: حسب المعيار الجيبى وتساوي ٢ × الدرجة المعيارية + ٥٠.

٣٦ . Maturity النضج : ان النضج في علم الحياة هو اتمام النمو، وفي علم النفس هو عملية النمو الداخلي والتطور نفسها كمقابلة لعملية التعلم التي يمر بها الشخص، فالتغيرات الحاصلة من جراء النمو تختلف عن التغيرات التي تولدها الخبرة الخاصة او يحدثها التعلم.

٣٧ ـ Self concept مفهوم الذات : تقدير الفرد لقيمته كشخص ومفهوم الذات يحدد انجاز الفرد الفعلي، ويظهر جزئيا من خبرات الفرد بالواقع واحتكاكه به، ويتأثر تأثراً كبيرا بالاحكام التي يتلقاها من الاشخاص من ذوي الاهمية الانفعالية في حياة المرء، وبتفسيراته لاستجاباتهم نحوه، فمثلا الطفل ذو الذكاء المرتفع الذي يوبخه والداه ويحقرانه دائما قد يتولد لديه مفهوم عن نفسه كشخص غير كفء عاجز عن تحقيق امكاناته ويحاول الطفل ان يؤكد تلك الجوانب من ذاته التي يستحسنها الكبار لكي يتجنب الشعور بالذنب الناجم عن استهجانهم. وتميل جوانب سلوكه المستهجنة الى الانفصال، ولايعترف بها الطفل كجزء من نفسه. اما السلوك الذي لايهم الكبار فان الطفل ينتقى منه مايهمه ويسهو عن البعض الاخر. وهذه

الجوانب يمكن ان يمتصها الفرد لتصبح جزءا من ذاته، ولكن الجوانب المنفصلة لايمكن ان تمتص بسهولة.

٢٨ـ Forced choice method: طريقة الاختبار القسرى (الاجباري) طريقة لتقليل الزيف من تدابير قوائم الاستبيان Inventory والتقدير Rating التي يكون فيها القائم بالتقدير ملزما ان يختار من البدائل ذات المرغوبية المتساوية.

٢٩ ـ Inventory استبيان: اداة لتقويم وجود اوغياب انواع معينة من السلوك والاهتمامات والاتجاهات... الخ. وتأخذ الاستبيانات عادة شكل قوائم من الاسئلة مثل استبيان منسوتا للشخصية المتعدد الاوجه الذي يحتوي على ٥٥٠ عبارة جمعت من تقارير مرضى يعانون من اضطرابات في ميدان طب الامراض العقلية . ومثل استبيان Strong للاهتمامات المهنية الذي يعطى ثلاثين مجالا من الميول والتفضيلات، مصمم بحيث يبين اوجه القوة في ميول الشخص لمختلف المهن على سبيل المقارنة.

٣٠ ـ وُيسمى ايضا Personal data sheet Wood Wood worth – Mathew

وهو ورقة البيانات الشخصية لودووراث وماثيوز: وهو استبيان يستخدم لتصنيف الاطفال او المراقين في المؤسسات التربوية، وضعه ودوورث اصلا خلال الحرب العاملية الاولى فكان اساس استبيانات الشخصية اللاحقة.

٣١ ـ Logical منطقى: تعنى كلمة Logic المنطق، وهو العلم الذي يدرس مباديء التفكير وهو استقرائي واستنباطي.

٣٢ـ Theory نظرية: (الكلمة اغريقية Theoria وتعنى تفكر او تخمين اذا ماقورن بالتطبيق (العمل). والنظرية هي فرضية مستنبطة او كلام غير محكم او اية فرصية او فكرة لاتستند الى معلومات حقيقة.

٣٣ ـ ability مقدرة: القوة الحاضرة (الآنية) لانجاز عمل مغايرة للاستعداد اوالامكانات الكامنة للتعلم.

٣٤ ـ Psychotic الذهانية: الذهان وتتميز به او يكون الذهان سببالها والذهان Psychosis بصيغة المفرد وجمعه Psychoses.

والكلمة تتكون من كلمتين Psych وتعنى النفس، و osis وهي كلمة للنهاية تشير الى عملية خاصة لمرض او عملية ما تنشأ من المرض واحيانا تحمل معنى الزيادة غير الاعتيادية. وكلمة sis ايضا كلمة انتهاء اغريقية الاصل تدل على وضع او حالة مع حرف لين رابط،وفي العادة يظهر بصورة Osis , iases, – esis , – asis.

والذهان كما يشير القاموس الطبي اصطلاح عام لاى اضطراب عقلي رئيسي من

اصل عضوي اوانفعالي يتميز بأي اختلال في الشخصية وفقدان الاتصال بالواقع،وفي الغالب يكون مع الهذاء delusion وهو رأي او اعتقاد زائف لايزعزعه المنطق يتعارض مع ثقافة الشخص ومستواه العلمي ومنه اوهام العظمة وهذاء توهم المرض وهذاءات التأثير وتوهم الانعدام وهذاءات الانكار وهذاءات المطاردة وهذاء الاثم وانهاء الذات. اوسع الهلوسة Hallucinations وهي اخيلة يظنها الانسان او يحسبها من الحقائق الثابتة او الوقائع الراهنة في حين انها مجرد اختلاق ذهني، فهي تقوم على التوهم وخداع الحواس. وتصيب الاسوياء نتيجة اجهاد عاطفي اوجسمي في ظروف عادية تماما، يشير اشتدادها الى وجود حالة عقلية ناجمة في غالب الاحيان عن خلل اواضطراب عقلي لدى المرء. والهلوسة انواع منها الهلوسة السمعية وهي اكثر الهلوسات شيوعا وابسط انواعها الازيز او الجرس في الاذنين. وهلوسات حسية مشتركة وهي افكار ومشاعر سلبية او تأثيرية، وهلوسات حسية مشتركة وهي افكار ومشاعر سلبية او تأثيرية . والهلوسات اللمسية كأن يحس المريض بأن شيئا يزحف تحت جلده وهلوسات قبل الاستغراق في النوم وهي تحصل بين النوم واليقظة، وهلوسات قبل الافاقة من النوم، والهلوسات التصغيرية حيث يرى المريض الاشياء وقد تضاءلت وصارت زاهية الالوان الامر الذي يسعده جدا او الهلوسات الزائفة والهلوسات الانعكاسية فقد يسمع المريض صوتا نتيجة استثارة العصب السمعي لاصابة حدى الاسنان،والهولسات الشمية وهي نادرة حيث يشم المريض روائح كريهة او عطرات وترتبط هذه بالشعور بالذنب المتعلق بمسائل جنسية . او مع الوهم Illusions وهو تصور خادع (خداع الحواس) كأن يحسب المرء الشجرة عثابة حيوان.

٣٥ ـ submission الخضوع: او الاذعان للاخرين. ويتدرج السلوك الخاضع او المطيع تحت باب السلبية والماسوكية. والماسوكية masochism وتسمى ايضا الماسوشية وهي انحراف جنسي يتلذذ فيه المرء بما ينزل به من آلام، وهي سمة الافراد الذين يستجلبون على انفسهم سوء المعاملة والمذلة والمعاناة.

٣٦ ـ ascendance السيطرة: سلوك السيطرة اوالسلوك التسلطي كما يسمى احيانا هو الميل للسيطرة على الاخرين والامساك بالسيطرة والتزعم وعكسه السلوك الخاضع كما في الفقرة السابقة (٣٥) واما السيطرة ـ الخضوع ascendance – submission فان سلوك الفرد مع الاخرين يقع في مكان ما بين الطرفين، احدهما اقصى السيطرة والاخر اقصى الخضوع.

٣٧ ـ allport Gordon جوردون البورت:

عالم نفس امريكي (١٨٩٧ ـ ١٩٦٧) من اهم كتبه (دراسات في الحركة التعبيرية) و (سايكولوجية الراديو) و (سايكولوجية الاشاعة) و (طبيعة التعصب). ولايعد البورت نفسه من اصحاب النظريات ولكنه يؤكد ان اعماله تتجه نحو المشكلات التجريبية اكثر من اتجاهها نحو تحقيق وحدة نظرية او منهجية، ويتصدى لمشكلات الشخصية او الاشاعة او التعصب مستخدما مفهومات ذات اسلوب توفيقي. وتتجلى نزعته التوفيقية في اثراء مفاهيمه التي تصنف السلوك الانساني والتي يستمدها من الكشتالت ووليام شتيرون ووليام جيمس ووليام مكدوكل بعد تحليلها.

٣٨ ـ Raymond B. Cattell رايموند ب ـ كاتل

ولد سنة (١٩٠٥) امريكي من اصل انجليزي تعلم في انكلترا وحصل على الدكتوراه ثم رحل الى امريكا، اشهر كتبه «المرشد في الاختبار العقلي سنة ١٩٣٦ وكتاب «علم النفس العام «في سنة ١٩٤١ وكتاب» وصف قياس الشخصية «سنة ١٩٤٦» والشخصية: دراسة نظرية واقعية سنة ١٩٥٢. وله مقياس الرُضَّع لقياس نمو الرُضَّع وذكائهم من سن شهرين الى ثلاثين شهرا Cattel Inf ant scale وله النظرية العاملية للشخصية cattell's Factorial theory of personality بقياس سمات الشخصية يجعلنا نتنبأ بما سيفعله الشخص في موقف معين وهو تنبؤ نستطيع تحقيقه لوقمنا بقياس الشخصية باختبارات موضوعية نتعرف بها الى السمات التي تكمن خلف انماط السلوك التي تصنع الشخصية، ويسميها «كاتل» السمات السطحية التي اذا جمعناها وقمنا بتصنيفها واخضاعها للتحليل فنصل الى السمات العميقة الاصلية.

٣٩ ـ Eysenck H.J هـ ـ ج. ايزنك: الماني هاجر الى لندن وتأثر باراء يونك (Junq) وكرتشمر وكلارك هل . واشهر بحوثه على الشخصية وهو من اصحاب نظرية العامل.

٤٠ ـ neurotic العُصابي: تطلق لفظة عصُابي بصورة غير محدودة تماما على ذلك الشخص الذي يوحي سلوكه وتصرفه بوجود خلل او اضطراب عصبي على نطاق صغير وثانوي. والسلوك العصابي يتسم بالقلق والعجز عن العمل على مستوى القدرة الفعلية. واشكال من السلوك جامدة ومتكررة والتركز حول الذات والحساسية الزائدة وعدم النضج والشكاوى الجسمية والتعاسة والدوافع اللاشعورية.

اما الشخصية العصابية حسب رأى (ادلر) فهى التي يكون فيها الشخص ينشد

عميلف الطرق التعويض عن عاهة نقص بسبب قصور عضوى او انه ينشد التفوق ويطلب الظهور او يحب ان يظهر في شكل ذكورى كامل

٤ ـ stability الاستقرار . ويعنى الأمن والطمأنينـــة security ويـــدل معنى الاستقرار السيكولوجى على شعور المرء بقيمته الشخصية واطمئنانه الى وضعه وثقته بالنفس.

والاستقرار انواع ، فهنـالـك الاستقرار العـاطفي اوالاتـزان الانفعـالى وهـو من الناحية الايجـابية ينم عن مقـدره الشخص على التكيف الـذاتى والاجتماعى دون ان يكلفه ذلـك مجهودا نفسيـا كبيرا، ومن الجـانب السلبي مقـدرة الشخص على ضبـط عواطفه والتحكم بها وعدم افراطه في التهيج العاطفى او عـدم الانسيـاق وراء تـأثير الاحداث الخارجية العابرة والطارئة بحيث يصبح عرضة للتقلب السريع من حـالـة الى اخرى. وهنــالـــك الاستقرار الــوظيفى occupational stability والاستقرار الاجتماعى.

٤٢ ـ Introverted انطوائى: نسبة الى الانطواء Introversion والمقصود بـه الانطواء الـذاتى او الانكفاء على الذات، وهو مفهوم اصطلاحى استخدمه كارل يونـك للـدلالـة على اتجاه الاهتمام صوب الـداخـل والى الـذات بـدلا من التـوجـه نحـو العـالم الخـارجى والناس والاشيـاء. والانطـوائيـة طراز من المـزاج او الشخصيـة يميز الافراد الـذين ينحصر اهتمامهم بافكارهم او أحاسيسهم او حدسهم الشخصى اكثر من اهتمامهم بـالعـالم المحيط بهم.

وهنالك اختبار الانطواء ـ الانبساط، وهو اختبار لمعرفة حقيقة اتجاه اهتمامـات الفرد نحو داخله اونحو العالم خارجه.

٤٣ ـ Extraverted الانبســاطى: نسبـة الى الانبســاط Extravertion وهـو اصطـلاح اوجده العالم النفسانى (يونك) للدلالة على الاتجاه او الميل الـذى يتميز بـه نموذج من نماذج الشخصية (انبساطى) اذ تتجه اهتمامـات الشخص صوب الخارج الى الطبيعـة والناس الاخرين بدلا من التوجه صوب افكار الذات ومشاعرهـا. فـالانبسـاط يتميز بالاقبال على العالم الخارجى والحياة الاجتماعية مثلا وبإعراضه عن مشـاكل الـذات والتـأملات البـاطنيـة وهـو عكس الانطـوائى Introverted وهنـالـك النمـط الانبساطى الوجدانى Extraverted feelinq type والنمـط الانبسـاطى الحدسى Extraverted Intuition Typ. وهـو الانبســاطى الــذى يغلب عليــه الحــدس، والنمـــط الانبســـاطى الحسى Extraverted sensation type وهـو الانبســاطى الــذى يغلب عليه الحس.وهنالك النمط الانبساطي المفكر Extraverted Thinking Type وهو الانبسـاطي الذي يغلب عليه التفكير .

٤٤ ـ neuroticismالعصابية: الحالة التي يكون عليها العصابي. ومن وجهة نظر (كاتل) ليست العصابية سمة العصابي وحده ولكن السمات العصابية تنتشر بين الناس جميعا وتختلف في شدتها من فرد لأخر.

٤٥ـ ـ Coefficientمعامل:المعامل في الرياضيات هو الثابت الذى يضرب به متغاير، كما هو الحال في التعبير الجبرى ٣ ب س ، حيث تكون ٣ ب هي معامل المتغير س . وفي الاحصاء هو موشر للدرجة التي تظهر فيها صفة ما او علاقة في حالة معطاة من حالات القياس. اي انه رقم إحصائى لايعتمد وحدة القياس، وهو كية ثابتة تضرب في كمية اخرى او مجموعة كميات متغيرة.

٤٦ ـ adjusted متوافق: الكلمة مأخوذه من كلمة التوافق adjustment والتوافق بعلم النفس كما يشير اليه القاموس الطبي هو الحالة النسبية لانسجام الشخصية، او الدرجة النسبية لثبات الصراعات الانفعالية. اما قواميس علم النفس فتفصل القول فيه وتقول عنه انه اصطلاح سيكولوجى اكثر مما هو اجتماعي، ويقصدون به العملية التي يدخل فيها الفرد في علاقة متناسقة او صحبة مع بيئته، ماديا واجتماعيا. والتوافق عند علماء النفس من اصحاب المدرسة الوظيفية يقصد به توفيق السلوك او تكييفه مع البيئة وتكوين السلوك التوافقى او التكيفى. فالتكيف والتوافق عندهم وظيفة.

ويرى اتباع «هول» ان كل فعل يقوم به الفرد هو بالضرورة محاولة للتوافق مع البيئة. والتوافق عند فرويد نادر الوجود لانه يعنى ان الشخصية مرت بمراحل التطور المختلفة ولم يحدث لها تثبيت عند مرحلة معينة لم تتجاوزها وانها تملك «أنا» قويا وانها تجاوزت وقادرة على تجاوز دوافعها، وانها لم تجرب الدخول في صراعات. والتوافق عنده هو بلوغ المرحلة«التناسلية» فالمرحلة التناسلية هي طوبى (يوتوبيا) نظريته، والشخص الذى يبلغها يعنى انه ناضج جنسيا واجتماعيا ونفسيا.

٤٧ ـ Motivation الدافعية: وهى اصطلاح عام يشمل البواعث والدوافع في عمل المثيرات.وقد تكون الدافعية داخلية او خارجية وقد تكون اولية او ثانوية مكتسبة، وقد تكون شعورية او لاشعورية ومن المترجين من يفضل تعريفها «التحريض ويقصد به التشويق والحفز». والكلمة عموماتستخدم للدلالة على الظواهر التي تنطوى عليها عملية الحوافز او الدوافع. فالتحريك هو استثارة النشاط واخضاعه للضبط ثم توجيهه نحو هدف معين. وفي علم النفس التربوى

يصبح التشويق ضربا من فن استخدام الحوافز والمحرضات السلوكية المتنوعة بقصد ايقاظ رغبة الطالب في العمل والاجتهاد، يتضمن منح المكافأة واستعمال المشوقات وحث الفرد على التفوق على اقرانه. ويعرّفها فئة من اكاديمي علم النفس تعريفا مختصرا بقولهم انها «عملية مفترضة تستحث الاستجابات وتحدد اتجاهاتها».

٤٨ ـ Anxietyالقلق، الحصار (الحصر) الغم:

شعور بالخوف والخشية من المستقبل دون سبب معين يدعو للخوف، او هو الخوف المزمن، فالخوف مرادف للحصر الا أن الخوف استجابة لخطر محدد، بينما الحصر استجابة لخطر غير متحدد، وطالما ان المصدر الحقيقي للخطر غير معروف للشخص العصابي فان استخدام الحصر يقتصر على المخاوف العصابية. ويستخدم الاصطلاح في علم النفس العام للدلالة على عدم الرضى بالوضع الراهن والتطلع الى ما هو غير ذلك، مثلما يفيد الاضطراب العقلي او العاطفي في حقل علم النفس المرضي. والقلق انواع، فمنه القلق الخصائي Castration anxietyويشير الى القلق او الخوف الذي يعتري المرء ويكون مقترناً

او مرتبطا بفكرة الحرمان من الغدد الجنسية او خسارتها، والقلق الهائم او الطليق – Free floatinq anxietyوهو القلق السابح على غير هدى وبدون هدف معين ولا يمكن ارجاعه الى وضع خاص او سبب معين، وهنالك القلق المستيري anxiety hysteriaوينشأ عن الصراع الداخلي والكبت وتظهر اعراضه من خلال الهلوسة ومشاعر القلق والوسوسة والتبرم والضيق المتواصل، وهنالك القلق (الحصار) الوجودي (الغم الوجودي). Existential Anxietyوهو القلق او الحصار المتعلق بقدرة الشخص في العثور على طريقة او اسلوب في الحياة يتميز كلاهما بالرضى والارتياح وتحقيق الامال والتطلعات.

ولعل التعريف الاتي يفي بالمرام على قصره ذكره هنري كلاي لندكرين Henry clay lindqrenولويس بترينوفيج leuis petrenovichبون بيرن Bonn Byrneفي كتابهم علم النفس مقدمة في علم السلوك (الطبعة الثانية ص ٥١٠: انه حالة انفعالية غير سارة تشبه الخوف تتجه نحو مصدر مبهم نوعا ما وغالبا ما تكون نحو المستقبل.

اما بوك puch وزمباردوzimbardo في كتابها علم النفس والحياة في الطبعة الثامنة المختصرة في الصفحة ٥١١ فيعرفانه بأنه مشاعر تطلق على امور عامة في الخوف وتوقع الشر انه دليل رئيسي على العصاب.

٤٩ ـ Imagination التخيل او الخيال: الاستخدام البنائي، ولو أنهموقد لايكون مبدعا، للتجارب الادراكية الماضية التي تبعث كصور في تجربة فكرية حاضرة وهي لاتبعث في شكلها الكلي اعادة لتجربة ماضية. ولكنها تبعث كتنظيم جديد للمادة

المستحدثة من التجارب الماضية. وهذا البناء قد يكون ابداعيا او تقليديا و قد يكون ابداعيا Creativeعندما يكون ذاتى التنظيم وذاتى الاستهلال ويكون تقليدا Imitativeاعندما يقلد بناء سبقه اليه اخرون استهلالاً وتنظيما وهو يكون متخيّلا Imaginaryاعندما يكون من وحى الخيال وغير واقعى ويكون .خيالياً Imaginativeاعندما يقدم حلولا لمشاكل لم يسبق ان حلت ابدا.

٥٠ ـ standardized مقنّن : مأخوذ من standardizationوهو التحديد الموضوعى للصدق والصلاحية والثبات في الاختبارات. والاختبار المقنن هو الذى خضع لتجريب شامل و تقصّ دقيق، وله وقت محدد ومعايير تصحيحية ثابتة ومعامل صدق ويتم وفقا لتعليمات خاصة به.

٥١ ـ stimulus – bound محددبالمنبة: الادارك الذى يحدده المثير ويعتمد كلية على خواصه.

٥٢ ـ Awarenessالوعى: صفة النشاط الشعورى،وغياب الوعى معيار القوى اللاشعورية. والمرء يعى متطلبات الواقع، وقد يعى الالزام الادبى الذى يعدّل سلوكه، ولكنه لايعى طبيعة ومدى دوافعه الاولية، ربما لان وعيه بها يخيفه ولايمكن ان يستسيغة.

٥٤ ـ stimulusمنبه،مثير: هو العامل الذى يؤدى الى احداث تأثير ما على الصعيد الميكانيكي- الحركي او الكيمياوي فيأعضاء الاستقبال الحسى، ويعرفه يوسف مراد بقوله «كل ما من شانه ان يحدث تغييراً في نشاط الكائن او في مضمون الخبرة الشعورية» فالمنبة لايؤثر في جسم جامد بل الذى يمتاز بقسط وافر او يسير من النشاط ومن الاحساس. قال الشاعر

لقد اسمعتَ لوناديتَ حياً ولكنْ لاحياةَ لمنْ تنادى

واذا كان المنبه عاديا بالنسبة لعضو الحس المستقبل قيل انه منبه كاف، واذا لم يكن عاديا يسمى غير كاف. والمنبه اما خارجى يأتي من البيئة الخارجية عن طريق الحواس، واما داخلى يأتى من داخل الكائن الحى وهو الدافع الغريزى. والمنبهات تزيد التوتر وتحدث الالم الذى لانتخلص منه إلا بإفراغ بمقتضى اما مبدأ اللذة او مبدأ الدافع.

٥٥ ـ Iuncosciousاللاشعورى: تنقسم العمليات العقلية الى لاشعورية وشعورية. واللاشعورية هى التي لايشعر بها الفرد، وتنقسم بدورها الى عمليات لاشعورية يمكن ان تصبح شعورية بسهولة، ولذلك فهي لاشعورية وصفا اوانها «قبل لاشعورية» والعمليات اللاشعورية موضوع الكبت اللاشعورى، وهى العمليات

اللاشعورية الدينامية. والذكريات والمعلومات والمهارات... الخ يمكن استدعاؤها عند اللزوم ومن ثم فهى لاشعورية وصفاً. الذكريات والرغبات التى لاتصبح شعورية الا بعد ازالة المقاومة التى تعترض طريقها فهى لاشعورية دينامية. وتتوافق العمليات اللاشعورية الدينامية مع عمليات التفكير الاولية، بينما تتوافق العمليات الشعورية او (قبل الشعورية) مع العمليات الثانوية، واطلق فرويد على اللاشعور اسم الهو IDوعلى الشعور اسم الانا Ego (١٩٢٠) ويكتفى بعض علماء النفس في تأليفهم بالقول بأنها «خصيصة لنوعية العملية الفعلية واشكال اخرى من السلوك تقع خلف حدود الوعى والتى لايمكن ان تستجلب الى الوعى بسهولة» راجع علم النفس مقدمة في علم السلوك ص ٥٢٥ لمؤلفيه هنرى لندكرين ودون جون ويلى

ولويس بيترى نوفج، الطبعة الثانية، من منشورات شركة جون ويلي واخوانه، نيو يورك لندن، سدنى.

٥٦ ـ molar behavior السلوك الكتلي أو الكلي (ويقال ايضا الكتلى الجمعى): وحدة ضخمة من السلوك كالجرى في المتاهة او حل الالغاز او هو الوحدات الكلية من السلوك التي لايمكن تحليلها لانه يدمر وحدتها، او هو السلوك الذى لايمكن وصفه بلغة فسيولوجية او هو السلوك الذى له هدف ويقوم على التعلم، والكتليه molarism هى الميل لدراسة السلوك باعتباره سلوكا كتليا وعكسه molecularism

٥٧ ـ structure البنية او التركيب او البناء : بناء وترتيب الاجزاء الداخلية في الشئ وتنظيمها في كلّ معقد. والكشتالتيون يقولون عن الكل المنظم انه البنية، اى انه ينظم وحدات التجربة التى تتبادل اجزاؤها الاعتماد على بعضها البعض مكانيا ووظيفيا.

٥٨ ـ Rorschach رورشاخ: الطبيب النفسى السويسرى هيرمان رورشاخ (١٨٤٤ ـ ١٩٢٢) وضع الاختبار المعروف باسمه وهو اختبار رورشاخ Ink – blot test ونشره سنة ١٩٢١ وهو اكثر الوسائل الاسقاطية استخداما لقياس الشخصية عند الراشدين والاطفال ويشمل على (١٠) بقع حبر تعطى للمفحوص بصورة مقنعة ليذكر ما يجرى فيها. وبعض هذه البقع ملون وتحلل استجابات المفحوص على اساس استخدامه للشكل واللون والتركيب والحركة والمضمون والالفة والأصالة وسرعة الاستجابة. ويكشف الاختبار عن ابعاد الشخصية كقربها من الواقع وثرائها العقلي وميكانيزماتها الدفاعية.

٥٩ ـ mosaic test اختبار الموزايكو للوينفيلد:

يتكون من ٤٦٥ قطعة ملونه بالوان مختلفة ذات اشكال مختلفة، ويطلب من المفحوص ان يكوّن منها مايشاء من الرسوم.

٦٠ thematic apperception testاختبار t.A.tاختبار تفهم الموضوع:اسقاطي، وضعه موركان وموراى (١٩٣٥)، يشمل على (١٩) صورة محتواها غير محدد ويطلب من المفحوص ان يقص قصة كل صورة ثم تحلل على اساس الموضوعات السائدة والانفعالات التى تنسب لشخصيات كل قصة. والغرض الاساس من الاختبار ان يسقط المريض دوافعة وصراعاته الشخصية عن طريق عملية التوحد التى قد تكون لاشعورية.

٦١ ـ children apperception test :t. A. t. اختبار تفهم الموضوع للاطفال: وهو اختباراسقاطى موضوعه صور مبهة لمعرفة افكار واتجاهات وآمال ومخاوف الطفل.

٦٢ ـ Reliablity الثبات: صفة من الصفات التي ينبغى لطريقة التقويم ان تتمتع بها. ويشير الثبات الى مقدور الطريقة على اعطاء نتائج منسجمة يمكن الركون اليها والتعويل عليها بحيث لاتتأثر كثيرا بالعوامل التي قد تنال من دقتها كالعوامل الخارجية التي لاتمت الى الموضوع بصلة. اوانها تلك الخاصية او الصفة المميزة للاختبار المقنن الذى يمكّن الفرد من الحصول على متانه التقدير ذاته في كل وقت يجرى فيه ، المتانة الذاتية لوسيلة القياس.

٦٣ ـ psychometriciansعلماء القياس النفسي (السايكولوجي)علم السيكومترى psychometryاو القياس العقلى هو ايجاد عامل الزمن في العمليات العقلية او هو التكهن النفسي، اى القدرة الخارقة للطبيعة على اكتشاف شخصية الناس او صفاتهم، لمس الاشياء التى كان الشخص المراد اكتشاف شخصيته قد لمسها، وهو ما يسمى psychometrizingوجاء تعريفه بموسوعة علم النفس صفحة ٢١٦ (د . اسعد رؤوف) بأنه القياس العقلي عموما، ودراسة العامل الزمنى والدقة في العمليات العقلية، وينال النواحى الرياضية او المقياسية في القياسات السايكولوجية وصار يشير حديثا الى المعالجة الاحصائية للنتائج العقلية. كما يدل على التكهن النفسي او وجود قدرة مزعومة على اكتشاف شخصيه المرءاو معرفة صفاته ومزاياه من خلال ملامسة شئ كان ذلك المرء لمسه . اما القاموس الطبي فيقول ان كلمة psychometryمتكونه من psycho+ كلمة metronالتى تعنى في اللغة الاغريقية القياس measureويعرف الكلمةبصيغتها بنقطتين:

١ ـ قياس فترة وقوة العمليات العقلية.

٢ ـ قياس الذكاء (راجع medical Dictionary) الطبعةالخامسة والعشرين

٦٤ ـ Validityالصدق او الصحة: صفة الغرض او الحكم القائم على الحقيقة او الواقع او المتمشي مع القوانين. هذه الصيغة وردت في القواميس النفسية. اما كتب علم النفس فتعرفها بأنها الدرجة التي يقيسها الاختبار حقاً لما يتطلب قياسه»

٦٥ ـ Rangeمدى:الفرق بين اكبر واصغر درجة في درجات اختبار حصل عليها افراد المجموعة.

٦٦ ـ Interest الاهتمام:يستخدم هـذا الاصطلاح بمعنيين، معنى وظيفي واخر بنيوي. فالوظيفي يشير الى نوع من التجربة الوجدانية التي تمنح «جدارة» و «شاناً» معيناً لشئ من الاشياء، او لنهج علي معين وتركز الانتباه عليه والمعنى البنيوي يدل على «مقوم» من مقومات شخصية الفرد، مورث اومكتسب يجعله يميل الى هذا الشعور بالجدارة والشأن تجاه بعض الاشياء، او بعض الامور المرتبطة بوضوح معين، اوتجاه ميدان خاص من ميادين المعرفة (علم النفس مثلا).

اما ما يسمى بمذهب الاهتمام في التربية (دراسة المربي الامريكي جون دوى) فهو النظرية التي ترى ان التربية ينبغى ان تستند الى اهتمامات وميول الطفل وان تنطلق من اهتماماته لتولد منها

٦٧ ـ assumptionافتراض: هواعتبارقضية ماصحيحة، استنادااليالادلة المتوافرة لدينا. او الاخذ بعكس المبادى المقبولة والمسلم بها، ثم التذرع بذلك من اجل اثبات قضية او ابطالها. والافتراض الاساس هوكناية عن مقدمة او قضية تبدو للباحث معقولة في ضوء الادلة فيجعلها اساسا للتدليل على نتائجه المنشودة. ويتميز بكونه ضروريا للنظرية التي تكتسب صحتها من تثبيت صحة الافتراض.

٦٨ ـ Rational له اسبابه المعقولة. والكلمة مأخوذه من اللاتينية Rationalis التي تعنى معقول Reasonable موافق للعقل يستند الى التعليل وليس الى الخبرة الساذجة.

٦٩ ـ tendencies نزعات: النزعة اتجاه عقلي او ميل للسلوك بطريقة معينه

ـ Mental abnormalityالشذوذ عن العقل السوى: كلمة abnormal مأخوذه من اللغة اللاتينية وتتكون من كلمتين الاولى (ab)وتعني بعيدا عن away from وكلمة (Norma) وتعنى القاعدة او القانون او المقياس Ruleوكلمة mental أيضاً من اللاتينية، من كلمة mens وتعنى الدماغ ومعنى كلمة mental عقلي اى يخص العقل psychicوهو تعبير عام يعنى عند التحليليين عقلي «وعند اطباء النفس «نفسي»او «عقلي» وعند المهتمين بالظواهر الروحية «روحي» ويعنى كذلك الوسيط الحساس للمؤثرات الروحية او الخارقة للطبيعة». والشذوذ عن السوى

Abnormality هو الخروج عن المألوف او العادى، يقابله السوية. ولاينطوى الشذوذبالضرورة على معانى الشر او المرض، بل ينبغى عدّه ظاهرة طبيعية، من حيث اخضاعه للتفسير العلمى. فالعبقرى يعدّ شاذا رغم تفوقه وهكذا الحال مع الابله والمجرم والمجنون.

٧١ ـ Fantasy الخيال او التخييل

الكلمة من اصل اغريقى (من phantasiaوتعنى التخيل Imaginatonالقوة التي بواستطتها يجعل الشئ ظاهرا للذهن.)وهى ميكانزم نفسى عن طريقه تتحول واقعية عنيفة الى خبرة خيالية، بحيث تلائم الرغبات اللاشعورية او التعبير عن الصراعات اللاشعورية. وتقول عنها قواميس علم النفس أنها حيلة دفاعية للهروب من الواقع والحصول على الاشباع عن طريق تخيل النجاح او الاستشهاد. والتخييل حيلة مرغوب فيها وضرورية للابداع ولكنه يكون خطيرا ومعوقا عندما يفضله الفرد على الواقع ويعجز عن التفريق بين الحقيقة والخيال.

٧٢ ـ unconsciousاللاشعور:

خصيصة نوعية للعملية العقلية، واشكال اخرى من السلوك الذى يقع تحت حدود الوعى والذى لايمكن جلبه الى الوعى بسهولة.

٧٣ ـ split half (method)التجـزئـه النصفيـة (طريقـة): هى الطريقـة التى يجرى استخدامها لتحديد مدى ثبات الاختبارات (معامل الثبات) بتقسيم الاختبار الواحد الى جزءين بحيث يكون لكل تلميذ علامتان واحدة لكل جزء. واستخدام التجزئة النصفية يتم بدلاً من اجراء اختبارين مختلفين، او اختبار واحد مرتين، فيعطى الجزءان في الوقت نفسه.

٧٤ ـ Variability التغيرية: وهى القابلية للتغير بصفة مستمرة او غير مستمرة ويدعوها صاحب قاموس المورد المتغيرية.

من كلمة variableالتى هى من اللاتينية variareوالتى تعنى التغيرTo Change.

ويذكر صاحب القاموس الطبى للتغير معنيين:

١ ـ التغير من وقت الى اخر. ٢ ـ كمية او قيمة عرضة للتغير، وفي الاحصاء واحدة من القيم العددية المفضلة التى يمكن منها ان ينشأ منحنى التغيرية.

٧٥ ـ statistical احصائى:من كلمة statisticsالتى تعنى الاحصاء وكلمة statistic'sوتعنى حقائق عددية تخص مجموعة من الاشياء ، وكذلك العلم الذى يتعامل مع جمع جدولة مثل هذه الحقائق.

والاحصاء هو ذلك الفرع من فروع الرياضيات الذى يأخذ على عاتقه تقويم المعطيات العددية، ويندرج تحت علوم الرياضيات التطبيقية. فالاحصاء الوصفى يتيح تقديم نتائج البحوث بطريقة مركزة ومقتصدة حيث تظهر المعطيات في صورة حسابية او بواسطة الرسوم البيانية. وهنالك احصاء البحوث الذى يستخدم نموذج الارجحية والاحتمال فى عملية استخلاص النتائج والتحقيق من صحة فرضية معينة فى مجالات محددة. وهنالك الدلالة الاحصائية:statistical significanceوهو أن ماتحصل عليه من قيمة لايمكن ان يكون بالصدفة ومن ثم لايمكن أن تنسبه الى عامل اخر.

٧٦ ـ Criterion Variable المتغاير المعيارى

معيار يقوّم به اختبار او قيمة ودرجة اخرى. variableتعنى «متغيرا» اما كلمة creterionفمن اصل اغريقى kriterionالتى تعنى وسائل لغرض الحكم، ويقول صاحب القاموس الطبى ان كلمة Criterionتعنى المستوى الذى يمكن ان يحكم بواسطته على شئ.

٧٧ ـ Differential Diagnosis : التشخيص الفارق :

التشخيص يعنى تحديد طبيعة الشذوذ او الخلل والاضطراب او تعيين الداء والمرض من خلال دراسة الاعراض وتحليلها والمقارنة بينها. والكلمة تتكون من كلمتين هما qnosis+ الكلمة الاغريقية Knoledge التي تعني المعرفة

ويقول صاحب القاموس الطبى عن التشخيص الفارق differeintial Dioqnosis انه: تحديد اى مرض او مرضين او اكثر او الحالات التى يعانى منها المريض بواسطة مقارنة ذات نسق ونظام ومقابلة (تباين) معطياتها العيادية.

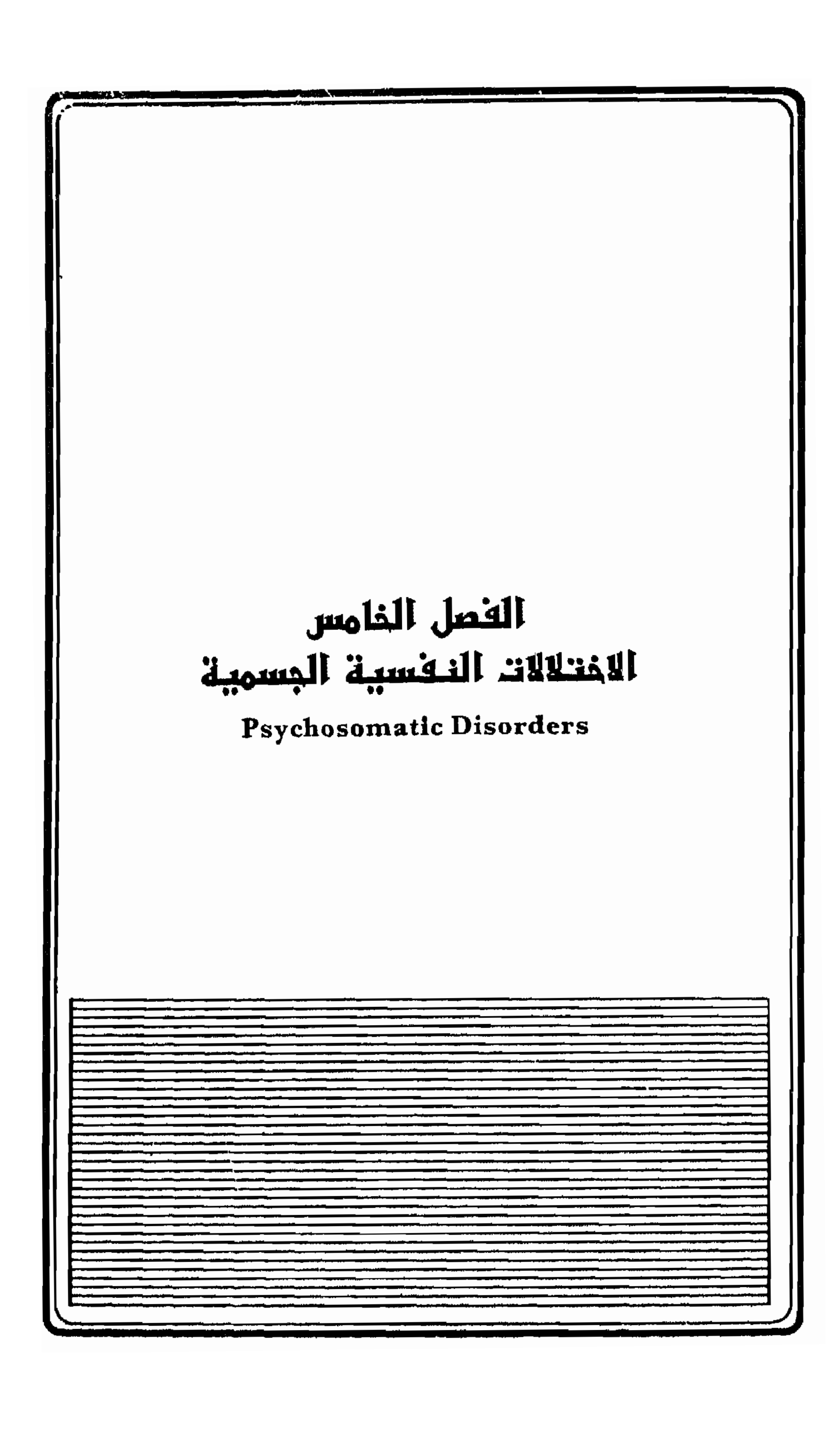
اما صاحب «موسوعة علم النفس والتحليل النفسى» فيقول انه التمييز بين مرضين متماثلين باكتشاف العرض الذى يتسم به احدهما دون الاخر.

٧٨ ـ استبيان الشخصية المتعدد الاوجه:.M. M. O. I

MINNESOTA MULTIPHASIC PERSONALITY Inventory

وهو يشتمل على ٥٥٠ عبارة جمعت من تقارير مرضى يعانون من اضطرابات سايكيترية متعددة. ويطابق المحلل اجابات المفحوص مع الفقرات الشائعة عند الانماط السايكيترية التى توضح ميله نحوها، وبذلك تقدم لنا مقاييس لميول المرض تجاه اضطرابات توهم المرضى والاكتئاب والهستريا والانحراف السايكوباتي(الشخصية

المعتلة نفسيا). وهى تتسم بعدم النضج الانفعالى وضعف بناء الشخصية بسبب التدليل المفرط بحيث لايتعلم الفرد من طفولته قمع رغباته فيثبت عند مستوى طفلى من التركز حول الذات او عدم توفر التعيين بانماط اجتماعية مقبولة البارانويا والوهن النفسى والفصام الهوسي الخفيف ويقيس الاختبار كذلك الذكورة والانوثة والميل الاجتماعى.



الفصل الخامس
الاختلالات النفسية الجسمية
Psychosomatic Disorders

الامراض النفسية الجسمية تزودنا باغلب الصور الايضاحية الدرامية للقوة الانفعالية لاحداث الاختلال الفسيولوجي والتلف التشريحي الحقيقي(النسيج)· وان مدى اشتراك العوامل الانفعالية في الاعراض الجسمية متضارب فالاطباء انفسهم يقدّرون بصورة نموذجية ان ٥٠٪ الى ٧٥٪ من مرضاهم عندهم اختلالات انفعالية(او نفسية جسمية)، اكثر من كونها جسمية، ولا يوجد جهاز جسمي مستثنى من هذا النوع من الهجوم·

جهاز الدوران:

،ولعل اغلب الحالات النفسية التي تلفت النظر هي التي تتصل بجهاز الدوران· فاكثر الاشارات الاصطلاحية للاذى ـ قلب كسير ـ ، قلبه ذاب من الخوف او الفرح، يمتلك قلب اسد، شواهد على ادراك هذه العلاقة وكمثال،كحالة بينة على ذلك قصة رجل في منتصف العمر في مدينة نيورك كان كثير الخوف من السيارات حيث اتجهت اليه سيارة وقبل ان تدهسه اصطدمت بعمود اوقفها ولكن الرجل سقط ميتا من هجمة قلبية،ضحية الاخفاق في التكيف المفاجيء العام· وقد رفعت زوجته قضية على صاحب السيارة لهذا الاذى،على اساس ان توقف قلب زوجها كان بسبب الرجة shock التي اصابته نتيجة لاهمال السائق· اجرى بيان شرعي بالماضي للميت ومُنحت الزوجة مبلغ ٤٧٠٠٠٠ دولار من قبل المحكمة التي قضت بأن المتوفى كان حقا قد سبق الى الموت بسبب الرعب·

.واقل اثارة، ولكن من المحتمل ان يكون اكثر مكرا في الاذى في النهاية ـ حالات ارتفاع ضغط الدم النفسية الجسمية(ارتفاع ضغط الدم الكامل) و مع ان اسهامات العوامل الفسيولوجية مثل مستوى الكولسترول مازالت موضع نقاش،فان احدا لايستطيع الجدل حق بما للحالات الانفعالية من دور خطير ومستمر في هذا الشكل المألوف من العلة الدموية· والتفسير النفسي الجسمي التقليدي لهذه العلة الشائعة (في المجتمعات الغربية على الاقل) هو انه اداء استجابة انفعالية ناقصة· وبصورة ادق،من المفروض ان يبدى المريض،في موقف يثير غضبا، فترة من ظهور الغضب مصاحبة للاستعداد الفسيولوجي الموجود على نحو متميز عند النوبة، ولكن لم تحصل اية استجابة

سلوكية فعالة لتتغلب على الغضب· ان كبت ادراك استجابة الغضب الى حد بعيد يفاقم الاختلال الوظيفى الفسيولوجي الحاصل، حينما يستمر رد تأثير فعل الاوعية الدموية في حالة فقدان النشاط الجسمى المناسب· ان مرضى ارتفاع الضغط الدموي يغضبون طبعا في بعض المناسبات ولكن من الواضح انهم لايستطيعون التعبير عن غضبهم على الاخرين بصورة تفى بغرضهم، كالحالات التي يرون فيها انهم تورطوا مع مظاهر القوة او الاشخاص الذين يعتمدون عليهم·

جهاز الهضم :

ان المرضى الذين يشكون من قرحة متعلقة بالعصارات الهضمية او ناشئة عنها **يظهرون بصورة عامة تركيزا عاليا من االحامض المعدى والببسين(خميرة الهضم في المعدة: تحول البروتين الى بيتون) في المعدة· وهم غالبا ما يظهرون وضوحا ألللانفعالية الاستثنائية· واستنادا الى المراجع الطبية عن تأثير الاختلالات النفسية الجسمية، حينما تكون القرحة من حيث الاساس من منشأ نفسي جسمي تجد المريض يشعر بضآلة في تثمين ذاته Self – esteem واعتماد كبيرا على الاخرين في تطمين حاجاته· وان مثل هؤلاء المرضى يحتمل كذلك ان يكونوا متصفين بالتردد ويكرهون اظهار العداء· واكثر من ذلك ان اقرب صلة بما لديهم من اعراض كثرة مايصيبهم من حوادث ثانوية متوالية يسببها التناقض بين مشاعرهم الشخصية من ضآلة تثمينهم لانفسهم وبين رغبتهم في التعويض وذلك بالقيام باعمال صعبة، ونتيجة ذلك، استعداد للافراز المعدى،يثآر بواسطة قسم نظير السمبثاوي Parasympathetic من الجهاز اللاارادي autonomic system الذي يتجمع في حالة فقدان الامتصاص الطبيعي للطعام،ومن المحتمل انه يفسر سبب التقرح· والطريقة الحقيقية التي يدخل فيها الجهاز السمبثاوي هذا الوصف مازال غير معروف· ولذا فان الاختلال في الغالب يقع موقع المثال الرئيس للعقدة، تحديد متعدد العوامل للمرض النفسي الجسمي·**

وماوراء هذه النظريات السايكترية، هنالك ادلة عيادية وتجريبية لدور الانفعالية emotionality في تكوين القرحة·وفي اوائل القرن الاخير اجريت ملاحظات لمريض عيادي مصاب بناسورحاد(فتح) في الجهاز المعوي· فكان الغشاء المخاطي المعدي والافرازات يمكن ملاحظتها مباشرة· فحينما كان هذا المريض ممتلئا رعبا اوكان غضبان،نجد في كلا هاتين الحالتين يزداد التلوّن في الغشاء المخاطي(بطانة الجهاز المعوي) ويلاحظ ازدياد افراز المعدة وفي فترة قريبة جدا لوحظت نتيجة من نفس النوع من

قبل الباحثين الطبيين لمرضى يشكون ايضا من القنوات المعدية٠مع ان هنالك بعض الاختلاف في الرأي فيما يتعلق بطبيعة قيمة الانفعالات التي تسهم مع الانواع المختلفة في التغيرات المعدية، فلا اعتراض بأن العوامل النفسية ترتبط بعلاقة متبادلة بالتغيرات المعدية٠

ومن الناحية التجريبية، لقد حصلت القرحة للجرذان الذين تعرضوا للصراع المزمن كما حصل للقرود في مواقف تجريبية مختلفة٠ومع ان العلاقة بين السلوك الانفعالي-Behavioral stress وبين التقرح Ulceration معقدة جدا،مع اية صيغة بسيطة،فان حقيقة الترابط تبدو انها اعلى من الشك الجدى٠

وهنالك وجه اخر من الاداء الوظيفي المضمي الذي يبدو انه عرضه للمحددات الانفعالية وهو السمنة المفرطة(الجسامة) Obesity٠ فالافراط في الاكل والسمنة الناجمة عنه، قد اقترحت حديثا على انها نتيجة للافراط في الاستجابة للمنبهات الخارجية (مثل وجود الطعام وتوفر الفرصة لتناولة) والتفريط في الاستجابة للمنبهات الداخلية السوية-nor internal Cues وبغض النظر عن التوجيه النظري للفرد،فان السمنة بكل وضوح، مشكلة ذات محددات نفسية جسمية على نحو تام كما هو الشأن في المحددات الفسيولوجية، وهي في هذا العصر جذبت الانتباه الى قدر كبير من الاهتمام٠

اجهزة اخرى:

يرتبط الكثير من الاختلالات الفسيولوجية باصول نفسية جسمية٠على سبيل المثال، المرضى المصابون بالربو الشعبي غالبا مايبدو عليهم انهم ضحايا الافراط في الاعتماد العصابي اي الذي سببه العصاب وان اجهزة التنفس لديهم تؤدي استجابة انفعالية غير مكتملة٠ وآلام اسفل الظهر والتهاب المفاصل الريثاني Rheumatoid arthritis امثلة للاختلالات النفسية الجسمية المرتبطة بجهاز الهيكل العظمي٠ والتهاب الجلد dermatities (اختلال الجلد) في اشكال متنوعة غالبا مايفسر بصورة مماثلة٠

المشاكل النظرية: Theoretical problems

مع ان حقيقة ارتباط العمق والسعة الواضح بين الانفعالية والعجز الفسيولوجي يبدو انه فوق مستوى الشك، فان هنالك قضايا نظرية كثيرة لم تحل تتصل بهذه العلاقة٠ولعل المشكلة الاساسية الغالبة تتعلق بالفرضية، التي قدمت منذ زمن مبكر من قبل الباحثين في التحليل النفسي للمرض النفس الجسمي القائلة ان الاستعداد العضوي

لنوع واحد من الاختلال اوانواع اخرى،هو المسؤول عن الاعراض التي تنشأ عن مرض كان حصيلة انفعالية. ان هذه الفرضية كانت النتيجة المباشرة للملاحظة الشائعة القائلة ان النظام الخاص لسمات الشخصية التي تبدو انها خصائص لاي نوع من الاختلال(مثل الصراع conflict المتعلق بالحاجة الى الاعتماد عند مرضى القرحة) قد توجد ايضا في اي عدد لدى الاخرين،من الاشخاص الاسوياء. فلماذا نجد افرادا معينين من اولئك اولى بنية الشخصية الشائعة Common personality[1] يبدو انهم تظهر عليهم الاعراض النفسية الجسمية الخاصة التي وضحناها. ومع ذلك،فان التغيرية Variability الكبيرة ترتبط عادة بتلك العلاقات المعقدة، والحقيقة القائلة بان هنالك انواعا مختلفة كثيرة من العوامل السببية يمكن ان تُبرز بوضوح النزوع ذاته،ذا الاعراض التي جعلت كثيرا من الملاحظين، عن تفهم قلقين من الوجهات النظرية التأملية على الرغم من الادلة التي عرضتها التقارير.

وفي حالات فقدان السند التجريبي المناسب، فان مفهومة الخصوصية النفسية هذه تصبح تدريجيا اقل اغراءا. ومع ذلك، فقد حصل حديثا تجدد في الاهتمام في المفهومة كنتيجة للبحث الجديد الذي يبدو بكل وضوح انه يثبت العلاقة بين الوظائف السايكولوجية الخاصة وبين الامراض. ومسألة خاصة اخرى تستأثر بالاهتمام الان هي ما اذا كان الارتباط بين بعض العمليات الانفعالية وبين المرض ذاته،كما زُعم سابقا، او بالاصح بين العملية الانفعالية وبين جهاز العضو يؤخذ عادة باهتمام اكبر. بعبارة اخرى، هل ان الاشخاص الذين لايعبّرون عن الغضب بصورة مناسبة ينزعون الى ابراز الاعراض الخاصة بارتفاع ضغط الدم، اوبصورة اكثر عمومية يظهرون نزعة[2] Tendency لاختلاف الدورة الدموية وربما يظهرون كذلك اعراضا ذات علاقة بالقلب؟) وهنالك سؤال اخر يتعلق بهذا الشأن،هو فيما اذا كانت الفروق الفردية في حساسية العضو تجاه الاذى الانفعالى هي المسؤولة عن «اختيار الاعراض» اكثر من السمات الشخصية المهيئة(غير المباشرة). والحاجة ماسة الى كثير من البحوث على الحيوانات وعلى الانسان وعلى التمعن لاكمال الملاحظات العيادية الحاضرة قبل تحديد الاجابة لهذه الاسئلة الاساسية ومايليها.

المشاكل العملية Practical problems

والاكثر من حيث الرغبة المباشرة هو السؤال العام، ما الذي يستطيع ان يفعله المرء ليتجنب الاختلال النفسي والجسمي Psychosomatic disorder او تجنب التفاقم الانفعالي للامراض الناشئة من اصل جسمي؟. ومع ان الجوانب السديدة لمثل هذا النوع من

الاسئلة يتأتى بكل تأكيد فقط بعد ان تحل القضايا النظرية فان قليلا من الناس يرغبون في الانتظار طويلا،وفي الوقت ذاته فان بعض الاقتراحات العامة يمكن ان تعرض مقدما·

واول ماتقول يجب ان ندرك انه لاتوجد وصفة سحرية للتوافق الشخصي القويم والهيئة الانفعالية الملائمة·

ان جميع الامراض حتى التي ثبت انها من اصل عضوي تمتلك مصاحبات انفعالية وعلى الاقل ردود الفعل التي تحصل للمريض لمجرد شعوره بالمرض ذاته· وحينما يستفحل المرض، فان الاتجاهات نحو المرض،وكذلك نحو الاطباء تأخذ اهمية عظمى·وتحمّل المسؤلية في الوصول الى الشفاء ، بدلا من القاء المسؤولية على الطبيب والعلاج الطبي، خطوة اساسية في الاتجاه الصحيح·

واخيرا، ان امتلاك الدوافع السديدة للتحسن والشفاء امر في غاية الاهمية· ومع ان البيانات data ضئيلة جدا من حيث مايقبل منها، بل هي مجرد اقتراحات الا انه يبدو ان هنالك ادلة تشير الى انه حتى حوادث السرطان يمكن ان تتأثر الى حد بالاضطرابات الانفعالية· ففي دراسة لـ ٤٥٠ مريضا بالسرطان على سبيل المثال وجد ان ثلاثة ارباعهم كانوا يعانون من صدمة انفعالية حادة في حياتهم المبكرة اذا ماقورنت مقابل عشر الاشخاص في المجموعة المهين عليهم ممن هم غير مصابين بالسرطان· ويمكن الافتراض استنادا الى تفسير المرض النفسي الجسمي، كان هنالك تجديد لاستجابات انفعالية مبكرة كنتيجة لنفس الازمات الجديدة كفقدان الزوجة اوالاحالة على التقاعد مابين مرض السرطان·وقد لوحظت حقيقة كون اغلب امراض السرطان تنشأ بعد مثل هذه الازمات الجديدة مع انها دليل للعلاقة المفترضة· ففقدان الامل والدوافع الايجابية قد تقترح على انها عوامل ذات صلة بالموضوع· ويبدو بكل وضوح ان المشكلة تستلزم دراسات اوسع وادق·

الجريمة Crime

ان معالجة موضوع معقد مثل موضوع الجريمة بصورة مختصرة تكون بالضرورة غير كاملة· وبدلا من ان نحاول مراجعة الفهرس الكلي للعوامل السببية المحتملة فنحن نستطيع ان نلخص الاتجاه الرئيس لنتائج من دراسات متعددة لطرائق نفسية للمشكلة· ومع ان الشروط الوراثية،كان يعتقد في زمن ما، على انها حاسمة وتنشط من جديد من وقت لاخر،فان الدليل العلمي الحقيقي لاسنادها مازال ينقصها والاعتقاد العام على ان جذور

الجريمة تكمن في الفقر، وبصورة عامة. هنالك الشيء الكثير مما يمكن ان يقال في هذا الافتراض - وعلى سبيل المثال، القائمة التالية المأخوذة من بحث قام به رينوتر Rainwater بعنوان ازمة المدينة : الفقر والحرمان«نشره في مجلة خريجي جامعة واشنطن» صفحة ١٧-٢١، وذلك سنة ١٩٦٨:

١- نسبة التسرب[٣] العالية من المدارس.
٢ - ضحالة التحصيل المدرسي للمواظبين بالمدارس.
٣- المصاعب في تكوين عادات عمل ثابتة لاولئك الذين يحصلون على عمل.
٤- النسبة العالية في الانسحاب من القوة العاملة.
٥- البلادة والمقاومة السلبية في التعامل مع الناس الذين«يحاولون المساعدة»(مثل العاملين الاجتماعين والمدرسين... الخ).
٦- ضعف المهارات في الاستفادة من الحاجات الاستهلاكية - التهاون في استعمال النقود او الجهل بحسن استعمالها.
٧- النسبة العالية للمرض العقلي.
٨- تمزق الحياة الزوجية والبيوت التي ترأسها الاناث.
٩- انجاب الاطفال غير الشرعين.
١٠- اساءة التعامل مع الاطفال وعدم الاهتمام برفاههم
١١- الجرائم الخاصة والشخصية.
١٢- الادمان على المخدرات والكحول.
١٣-سوء استعمال الممتلكات واتلافها سواء بذلك الملكية الشخصية ام ملكية الاخرين.

ان هذه الخصائص التي، بصورة عامة، تضايق الطبقة الوسطى من الافراد الذين لم يجبّروا على الحياة في مثل تلك البيئات السلوكية،انما تمثل الحياةً اليومية لابناء المدينة وابناء المساكن المزدحمة غير الصالحة. اما الراشدون من الطبقة الادنى Lower class adults فهم لايمتلكون الموارد المالية الوافية التي تسمح لهم بالنزوح عن هذا النوع من البيئات، بغض النظر عن دوافعهم للقيام بامور اخرى. وعليهم ان يتحملوا الاخطار والمصاعب التي لايمكنهم التخلص منها.

ان هذه المتغيرات على الرغم من اسهاماتها العامة الواضحة فانها لاتخبر بالقصة كلها. وعلى سبيل المثال فان هنالك اقطارا قليلة قامت بالشيء الكثير لازالة الفقر وضمنت مستوى ادنى معينا للمعيشة مثل السويد، ولكن مع ذلك يحصل هنالك ازدياد مقلق في الجرائم. ويبدو انه ليس الفقر ولا الحرمان، بل ولا طبيعة الساكنين الجاورين، بل هو

الخلق الغالب المباشر للنظام العائلي اذ هو العامل الفرد الاهم في تحديد حصول الانحراف ار عدم حصوله. فاهمال الوالدين وخاصة في الاسر المنهارة ، والحرمان من العلاقات الودية، وبخاصة وجود عناصر مجرمة(الوالدين، الاخوان، الاخوات، الاقرباء، الزملاء) يبدو ان هؤلاء من بين المحددات الاكثر اثرا.

ويمكن ان ينظر الى القائمة التي سبق ان ذكرت على انها تهيوء المرحلة للولوج في الجريمة اكثر من أن تكون المسبب المباشر لها. والسلوك الاجرامي يختلف من حيث سمته، وحينما ينظر الى(الجريمة) على انها ظاهرة عامة، يجب عندئذ ادراك تحديدها المتعدد. وان اي محدد من المحددات الكثير المحتملة يعمل في اية حالة معينة من السلوك الاجرامي لايمكن أن نقرر قبولها دون دراسة تجريبية دقيقة لتلك الحالة. وانه لمن المتعارف في إدارات معينة سياسية واجتماعية، الانتقاص من المحددات النفسية، مثل اولئك الذين لهم صلة بالحرمان المالي او غيره ويمجدون مزايا خلق العمل(Work ethic) على انه محدد للجريمة. وابراز العمل على انه عامل دافع لتخفيض الجريمة بامكانه ان يقدم فهما اوسع لانتشار الجريمة.اولا، ان افتراضات الطبقة الوسطى الشائعة عن الفضيلة والخلقية (Morality) والاخلاق (Ethics) يجب ان تزال وان تتخذ وجهة نظر اكثر موضوعية مع الاخذ بالاعتبار الحالة الدافعة للاطفال المعدمين والشباب الناشئين في المجتمع. ماهي التوقعات المهنية والاجتماعية والمالية المنطقية لكثير من الاطفال المعدمين؟ وفي اوقات التحول السريع في القيم الاجتماعية والخلقية نجد كثيرا من الناس ينعطفون الى المهن غير المشروعة، وبذلك فان الجريمة حسبما اظهرت الادلة، تصل حدا مذهلا ونسبة غير محتملة اجتماعيا. واخفاق الجهات المسؤولة في ادراك الواقع النفسي وغيره مما ينتظم هذه الظاهرة المشؤومة هو بذاته يشكل مشكلة اجتماعية ذات نسبة هائلة لايبدو حلها سهلا.ان الجهود المتواصلة في تثقيف الطبقة الكادحة حسب اتجاهات مبنية على الادراك السليم والحكمة لتفادي الجريمة عمل شاق في احسن الاحوال.

الجريمة والعدوان:

ان جميع الجرائم تتضمن درجة ما من العدوان واكثر من ذلك، فان العدوان والخصومة عاملان حاسمان في كثير من اشكال تعاسة الانسان وعدم سعادته مما لا يتعلق بالجريمة بشيء. ولذا فقد خصص علماء النفس وقتا وافيا لدراسة مشكلة العدوان aggression وبصورة خاصة للتزايد الظاهر لمستوى القسوة.

من افضل الطرق التي نظهر فيها للناس كيف يعيش الاخرون، هو ان نضعهم في البيئة نفسها، ولو كان ذلك لفترة قصيرة وقد استعملت هذه التقنية، من قبل فئة من علماء النفس الذين اعلنوا للحصول على متطوعين وعدوهم بـ ١٥ دولارا يوميا ليسهموا بتجربة الى حياة مشابهة لحياة السجن. ومن(٧٥) شخصا استجابوا للاعلان اختُبِر(٢١) شخصا (عشرة سجناء واحدعشر للقيام بدور الحراسة بواجبات متناوبة) وقد انتُقي من المجموعة فقط اولئك الذين يتمتعون بصحة جيدة وبنضج وثبات انفعالي والملتزمين بالقانون. وكان اغلبهم من طلاب الكليات الذين اغرتهم فرصة الحصول على المال خلال العطلة الصيفية وقد انذروا جميعا انه خلال خطة فترة الاسبوعين الاولين سيكونون عرضة للازعاجات المستمرة وان حقوقهم في الخصوصية وكذلك حقوقهم المدنية ستنتهك، وبصورة مختصرة ستكون اجراءات صارمة بالضبط كتلك التي تحصل داخل السجن الحقيقي.

وقد رغب القائمون بالتجربة ان يدخلوا في المسجونين المشاعر التي كانت تصلهم بصورة منتظمة عن المسجونين الحقيقيين: الاحباط Frustration والوهن Porwerlessness وفقدان الامل hoplessness والتجرد من الصفات الانسانية Dehumaniyation والسمات الوحيدة التي يحياها السجناء الحقيقيون التي لم يتمح لها هي: النزعة المنصرية[٤] Racism والشراسة الجسمية Physical brutality والشذوذ الجنسي homosexual.

لقد كانت النتائج مدهشة حتى للقائمين بالتجربة، لقد كان اليوم الاول هادئا نسبيا، ولكن في اليوم الثاني انفجر تمرد عنيف، فقد قطع السجناء ارقام هوياتهم الشخصية واحتجزوا انفسهم داخل زنزاناتهم الصغيرة. ولعن الحراس وعنِّفوا من قبل السجناء حتى بعد هذه الفترة القصيرة من السجن، ثم استجاب الحراس لمشهد القوة المفزع فقد استعملوا اجهزة اطفاء الحريق ليدفعوا السجناء بعيدين عن الابواب واقتحموا الز نزانات. ومن ثم ابعدوا السجناء ووضعوا رأس الفتنة في حجز منفرد وبعد ذلك وضعوا انظمة بسيطة غير منطقية الزموا السجناء على طاعتها والزموهم على انجاز اعمال تافهة ووضيعة(مثل نقل الكارتون ذهابا وايابا بين المرافق) لفترة طويلة من الوقت. وفي خلال ست وثلاثين ساعة، كان من الضروري اطلاق احد السجناء حيث ابدى نوبة انفجار وثورة عنيفة اعقبها صراع لايمكن الهيمنة عليه واكتآبا زائدا عن الحد. وبعد ثلاثة الايام التالية اطلق

ثلاثة سجناء اخرون، بالدرجة الاولى بسبب اعراض الحصار الزائد Extra anxiety symptoms. ومن ثم اطلق سجين خامس حصل له مرض نفسي جسمي وامتلأ جسمه كله طفحاً بعد قليل من رفض اللجنة اخذ العهد منه على ان يخرج ويرجع دون ان يهرب.

ومثل حال السجناء، فان الحراس حصلت لهم انماط سلوكية مختلفة تماما تحت وطأة الضغوط التي مارسوها في حياة السجن المشارة. لقد أظهر خمسة من الحراس قساوة ولكنها حسنة الظاهر، بينما كان اربعة عدائيين متطرفين وقاسين ، يهينون السجناء ويذلونهم وبصورة عامة، كان السلوك الغالب على الحراس هو القاء الاوامر والسلوك الثاني كان اهانة السجناء.

لقد كان هدف التجربة هو التعرف على كيفية استجابة الشباب الاسوياء المتمتعين بالصحة وبالثقافة لحياة الاحتجاز في السجن وحقيقة كون انه حتى لمثل هذه الفترة القصيرة تغيروا جوهويا، سواء بذلك السجناء والحراس، انما هو دليل قوي للتأثيرات التي تنزل فيها العقوبات لعدد كبير من المواطنين الذين ادينوا بذنب اجرامي criminal offense. ان هذ ه التجربة توضح الاقتدار العظيم لمكانة البيئة في تحطيم انماط السلوك السوي، حتى في الاشخاص الاسوياء الذين يتعرضون لظروف جديدة لفترة من الزمن قليل نسبيا. وبغض النظر عن التدريب غير المقصود(ينظر الى السجون بصورة عامة على انها مدارس للجريمة)، فان ملامح تجريد الانسان من انسانيته التي تتصف بها حياة السجن من الصعوبة ان نتوقع منها ان تزيد في عملية رد الاعتبار المفروض، انها الهدف الرئيس من السجن.

جرائم بلا ضحية

انها لخطوة يسيرة نسبيا يمكن ان تكون مساعدة في الحرب ضد الجريمة، تلك التي تتطلب مزيدا من وقائع البحوث لتكون مخففة لاعباء قوى الشرطة من تخصيص الوقت المطلوب(يقدر من ٣٠٪ الى ٥٠٪) لما يدعى جرائم بلاضحايا(مثل المقامرة، السكر، البغاء، الانحرافات الجنسية مثل الشذوذ الجنسي). فلو طلب، وبصورة وافية، من ضحايا الجرائم الحقيقة مثل السلب والنهب ان يؤخذ بهم بهذا الاتجاه لحصل تحسن مذهل في قدرة جهاز الشرطة. ولكن وجه الصعوبة هنا هو ان الجرائم بلاضحايا هي جرائم حقيقية ضد الاداب العامة. Public morals. فهي بصورة عامة تتضمن انتهاك الدساتير الاخلاقية

السائدة في المجتمع ولذا فهي تستهلك قدرا كبيرا من النشاطات الدافعة. وربما الخسارات الاقتصادية - وخزة عصب محفظة الجيب (Pocketbook nerve) الناتجة من نشاطات اللصوص المستمرة والنهابين ستكون في نهاية المطاف نتيجة ذلك. وفي الوقت ذاته، فان ذلك يمكن ان يعالج من قبل المواطنين ذوي المسؤولية المعنيين بذلك، في محاولة لتثقيف زملائهم وتوعيتهم اجتماعيا. ويمكن القضاء على ذلك بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب وهيمنة ذوي العقل الراجح ووجهات النظر المستنيرة الواعية.

العدوان Aggression

العدوان احد اوجه التفاعل الاجتماعي الطبيعي جدا بل وكذلك الخطر جدا. والهيمنة على العدوان ينظر اليها بصورة عامة على انها تشكل احدى المشاكل الحاسمة جدا مما يجب على مجتمعنا ان يتدرع بها للمكافحة. ويتسع مدى مظاهر العدوان من الخط الممتد من ابسط الجابهات الشخصية، وما يتبع ذلك مما قد يكون مجرد المضايقات الطفيفة وعدم الارتياح الوقتي، حتى تصل الى الجابهات العالمية المعقدة، التي يكون من نتائجها ما يهدد صميم وجودنا ووجود مدنيتنا الحاضرة.

وقد وجد اهتمام كبير لمشكلة اصل العداء عند الاطفال والحيوانات، مما يمكن اجراؤه على مدى اوسع في تناوله تجريبيا وبصورة يمكن فيها تطبيقه على الناس.

والبحوث التي تجرى حاليا على حيوانات مثل القوارض والقطط والقردة اظهرت بكل وضوح ان العدوان في شكل الهجوم بالاسنان والمخالب استجابة انعكاسية لمثير منفّر قوي Strong aversive stimuation ويمكن ان نحصل على رد فعل انعكاسي مماثل عن طريق مثير مباشر من مراكز الدماغ المخصصة. ان شمولية السلوك العدواني وعموميته في جميع النوع الحيواني animal species ودوره في البقاء التطوري استعمل دليلا قويا، من الناحية النظرية، لاساسه الوراثي. والهيمنات الوراثية اقترحت ايضا بسبب الطريقة التي غيرت فيها التربية، لحد ملحوظ نزعة(٥) عدوانية جنس، كما هو في حالة الكلاب.

وتلك الاستجابات الانعكاسية العدوانية يمكن ان تحور لحد ملحوظ عن طريق التعلم الذي ذكره كو Kuo حيث اعترض على كثير من ملاحظات واستنتاجات علماء الايثولوجيا(٦) Ethology وبخاصة لورنز Lorenz على اساس انها تجاهلت كثيرا من الانحرافات السلوكية التي تحصل حقيقة. وملاحظاته الخاصة التي استغرقت وقتا طويلا على هراش الكلاب (Chow) الصينية الاصل، مثلا، اخفقت في ان تثبت النهاية السامة غير المؤذية للهراش بين مثل تلك الكلاب الذي يسمح فيه الكلب المتغلب للكلب

الاضعف منه ان يبقى على قيد الحياة سالما اذا ما اضطجع على الارض وكشف حنجرته. ان هذا النمط السلوكي الفطري المفترض الذي هو اكثر وضوحا عند الذئاب كان يراه Lorenz على انه دليل للتكيف التطوري الذي انتقل من خلال المورّثات genes وعمل على مساعدة حفظ النوع. وقد اعترض كو Kuo على ان لورنز Lorenz اغفل كثيرا من انماط قتال اخرى، واشار الى انه في تجربته«هنالك ايضاً ظروف كثيرة يكون فيها مثل هذه الاستجابة دعوة لميتة معينة، حيث تعطي الكلب المتسلط فرصة انتزاع حنجرة الكلب المغلوب حتى يموت او على الاقل انه لايُظهر اية حركة جسمية(راجع كتاب ديناميكيات تطور السلوك : وجهة نظر في التخلّق المتعاقب لمؤلفة كو، زنك يونك Kuo, Zing –Yang من مطبوعات رندام هاوس نيويورك ١٩٦٧).

وبصورة عامة فقد وجد ان السلوك العدائي يتأثر الى حد كبير بالعوامل البيئية مثل العزل المبكر في الحياة(الذي ينزع الى زيادته) وبالتدريب الخاص على المقاتلة(الذي ينزع الى زيادته ايضا) وبنتيجة المهارشات السابقة.

فرضية الاحباط ـ العدوان

The Frustration – Aggression Hypothesis

ان فرضية الاحباط ـ العدوان ترتبط بكِلا المحددات الفطرية،كما يؤكد عليها في عرف التحليل النفسي، وبعوامل التعلم، كما يؤكّد عليها في نظرية التعلم التقليدية. وقد وضعت بالدرجة الاولى لتطبق على سلوك انساني من قبل جماعة Yale من علماء النفس وعلماء الاجتماع في اواخر الثلاثينات من هذا القرن العشرين، وقد قصد منها مبدئيا لتعبر اكثر من وضع محددات فطرية ومن حيث الاساس، فان فرضية الاحباط ـ العدوان تعتقد ان الاحباط (اعاقة سلوك متوجه نحو هدف) هو العامل المحدد الرئيسي في العدوان. وهنالك كثير من الشواهد ممايدعم هذا الفرض، ولكن لايمكن ان نتوقع اية علاقة محضة بين الاحباط والعدوان. ولامر واحد، باية حال ان جميع الاحباط ينتهي الى العدوان. وينشأ تحمل الاحباط Frustration Tolerance الى حد ما عند جميع الاطفال نتيجة التعلم خلال عملية التطبيع الاجتماعي Socialization وكذلك يمكن ان يُكتسب العدوان وان يحصل في حالة عدم وجود الاحباط.

وقد عالجت كتب علم النفس تفاعلات العقد النفسية Complex في العداء مع السن age والجنس Sex ومتغيرات الشخصية ومع ممارسة تربية الاطفال Children – rearing.

وتشابك التفاعلات كبير بحيث يصعب تحديد اي استنتاج مهما كان بسيطا ومع ذلك، فان قليلا من المعطيات الايضاحية يمكن ان تذكر.هنالك بعض الادلة لعداء اكبر بالنسبة لتأكيد القوة في ممارسات الوالدين(الصياح، المعالجات اللفظية والعقاب البدني) اذا ماقورن بممارسات تأكيد الحب(الثناء، استعمال الحكمة وماشاكل ذلك).

والطريقة التي يفسر فيها الطفل المُحبَط استجابات الاخرين مثل الوالدين والمعلمين، تشير التقارير الى انها متغيرٌ عصيب اكثر من مجرد حقيقة الاحباط. وقد اوضحت هذا احدى الدراسات التجريبية الحديثة. وقد صممت التجربة لاختبار الفرضية بأن ترك الاطفال يتصرفون بعيدين عن احباطهم بصورة عدائية ينزع الى انقاص الخصومة والعداء التاليين. فقد كان تلاميذ السنة الثالثة مصطدمين مع (محبطين) او غير مصطدمين مع (الهينة) من قبل تلاميذ السنة السادسة الذين تدربوا ليكونوا مشاركين للقائمين بالتجربة. وقد لُقنوا لذلك اما احاديث اجتماعية ولَعِباً عدائياً او تفسيراً عقلانياً للسلوك الذي يبديه المحبط Frustrator والنتائج الرئيسة كانت ان «التفسير العقلاني» قد عمل بصورة مدهشة، في الحقيقة، نقصاناً ملحوظاً في كلا العداء السلوكي اللفظي الموجه ضد المحبط Frustrator ومع ذلك، فاللعب العدائي اتجه الى زيادة مقدار العداء الذي ظهر. إنّ هذه النتيجة اثارت اسئلة حول ما يُدعى غالباً العمل التنفيسي للعداء او «تفريغ البخار» على الاقل كما كان يمارس (لفظياً في حالة عدم وجود الغضب الحقيقي) في التجربة.

اتخاذ النماذج التي تُحتذى

ان احدث فرض نظري Theoretical موجه تجاه هذه المشكلة كما هو الشأن في كثير من المشاكل ذات الطبيعة المتشابهة هو ذلك الذي يتخذ عامل اتخاذ نموذج داخل الاطار النظري Theoretical للتعلم الاجتماعي. وقد عرض اتخاذ النماذج كمبدأ اولي اكثر مما هو تكميلي او ثانوي، واستناداً الى هذه الحالة، يتعلم الاطفال كيف يقتفون نماذج قيّمة في بيئتهم. ولذا فأن العدوان هنا يكون في الغالب نتيجة ملاحظة الطفل للسلوك العدائي عند الاخرين، اما الحالات الشخصية باعتبارها حالات سلبية ناشئة عن الاحباط فلا تحتاج الى ان تكون مما يتمثل به.

وتأتي بعض الشواهد المؤثرة جداً لنظرية اتخاذ النماذج من التجريب الذي تعرّض فيه الاطفال الى سلوك عدواني للنماذج. ففي احدى التجارب، مثلاً، راقب اطفال مرحلة

ماقبل المدرسة نموذجاً في عمل تعصبي. لقد درب النموذج على عرض عدد من الاستجابات الطارئة، من ضمنها ماهو عدائي. وفي اعمالهم الخاصة التالية للعمل التعصبي اظهر ٩٠٪ من الاطفال استجابات عدائية، بالمقارنة مع الاطفال الذين لم يهين عليهم من الذين لم يشهدوا اي عمل عدواني.

وقد يبدو ان هنالك بعض الاعتراضات ولكن اتخاذ النماذج هذا انما هو متغير حقيقي فعال Effective Variable في تعلم العداء شأنه شأن غيره من السلوك ولكن الطريقة الدقيقة التي يحصل فيها مثل هذا التعلم تتطلب البرهان. وانه لمن الواضح، مع ذلك ان فسح المجال للعواقب الايجابية (التعزيز الايجابي، مثل القبول الإجتماعي) ان تلي السلوك العدائي، مهما كان منشؤه، طريقة مؤثرة لزيادته في حين انه اذا ماتلته عواقب سلبية (مثل العقاب) فانه ينزع لحد ما الى ابقائه وقمعه.

ومن الواضح ان الحاجة ماسة الى كثير من البحث ووضع النظريات قبل ان تصاغ بوضوح ديناميكيات العداء وسيطرته على الاطفال.

العنف في التلفاز Violence on Telvision

من بين المحددات المحتملة الكثيرة للعداء انشغال البال بالقسوة التي تعرضها برامج التلفزيون التي تبرز على انها عامل رئيسي. ان نصوص كثير من النماذج التي تمارس الواناً من القسوة تبعث على الارتباك وبصورة خاصة في ضوء نظرية التعلم الاجتماعي التي تظهر فيها النماذج على انها القاعدة للسلوك الذي يحتذى.

هل القسوة في برامج التلفزيون تؤدي الى زيادة مستوى القسوة لدى المشاهدين، بخاصة الاطفال، وبذلك تسهم في خلق مشاكل شخصية في الجنوح والجرائم؟ ان الجواب الواضح المعالم لهذا السؤال يصعب الحصول عليه، ولكن الغالب على الادلة التجريبية انها تؤيد ذلك. ففي دراسة حديثة لاطفال دون العاشرة من العمر ظهر منهم عداء ولعب عدواني بعد مشاهدة قسوة وعنف في التلفزيون. وكثير من الدراسات التي اتخذت طلاب الكليات شخوصاً، لها مثل هذه العلاقة.

واذا اردنا ان نقف قليلاً عند مشكلة العنف في برامج التلفزيون في امريكا نجد ان الباحثين من علماء النفس درسوا هذه الظاهرة دراسة علمية وانتقدوا البرامج انتقاداً مبنياً على الاحصاء والتجربة. والحقيقة ان برامج الاطفال في التلفزيون الامريكي تظهر نسبة كبيرة من القسوة اعلى من برامج الراشدين وبذلك تبعث على القلق. وفي تحليل لوقت البرامج التلفزيونية الرئيسة اشار هذا التحليل الى ان ثمانية من كل عشر تمثيليات تشتمل

على لون من العنف وبمعدل ثمانية احداث في الساعة، وان افلام كارتون الاطفال تشتمل على ستة اضعاف القسوة التي تتضمنها افلام الراشدين. والاطفال يقضون قدراً كبيراً من الوقت يشاهدون التلفزيون. وانه ليقدر بالنسبة لطفل يولد في السبعينيات ان مشاهدة التلفزيون ستكون في المرتبة الثانية فقط بالنسبة للنوم من حيث الوقت الذي يمتد الى عمر السنة الثامنة عشرة.

ومع ذلك فليس هنالك اجماع في الرأي، بالنسبة لموضوع آثار التلفاز على المشاهدين. وفي احدى الدراسات الميدانية، مثلاً، تعرض الاولاد لمضمونات عدائية لفترة تزيد على ستة اسابيع وكانوا ينزعون الى إظهار عداء متزايد تجاه اقرانهم، بينما لوحظ تأثير معاكس في اولاد عرضت عليهم برامج تلفزيونية محايدة. وقد فسرت هذه النتيجة كدليل على ان العنف المشاهَد يؤدي دوراً تنفيسياً او تطهيرياً - فكرة يمكن ان نترسم آثارها في القديم الى ارسطو ولكن هذه النتيجة الاستثنائية لم تكن مؤكدة او معززة لدراسة مماثلة تالية قام بها باحثون آخرون. واكثر من ذلك - كما اشار احد مراجعي الكتاب الذي ذُكِرتْ فيه الدراسة بقوله «علينا ان نعجب ان كان المجتمع الامريكي بأمكانه ان يتحمل الانتظار الى احساس عام وحكم انساني صالح يدعمان باجماع تام في الرأي علماء الاجتماع عن تأثيرات تَعَرُّض الاطفال للتأثيرات المؤذية لساعات معتمة من سماجة الوحشية التجارية».

انتشار العنف :

من البديهي ان التلفزيون ليس المصدر المهم الوحيد للعداء في مجتمعنا الحديث. فقد ظهر لنا من دراستنا لنظرية الاحباط - العدوان التي تشير الى ان النتيجة الطبيعية لاي احباط تنزع الى ان يكون عدواناً. والنظريات القريبة التي تؤكد الاساس الوراثي للسلوك العدائي نالت انتشاراً واسعاً. ولكن هنالك ايضاً ادلة كثيرة على الفعل الناقد للتعلم. فممارسة السلوك الجنسي، مثلاً، يبدأ بفترة مبكرة جداً من العمر. وكذلك فأن العدوان يتُوقع من الاولاد اكثر من البنات.

والعدوان ينتقل بيسر اكثر من النماذج العدائية حين يكون كلا النموذجين والشخصين من الذكور.

وقد لوحظ ان استخدام العقاب البدني على مستوى عالٍ في بعض العائلات مصدر فعال للعداء عند الاطفال.

وانه لمن المضحك حقاً ان العقاب على العدوان يشجّع عليه بدلاً من ان يمْنع التعبير التالي للعداء الظاهري لدى الاطفال. ويبدو ان وراء كل دليل لعنف حقيقي معين او جريمة، مستوىً عالياً من العنف والقسوة غير الضروريين يتجلى ذلك في مجتمعنا المعاصر، وهذا يظهر في وسائل النشر الواسعة اكثر مما يظهر في التلفزيون (مثل المجلات والجرائد). ان انتشار القسوة لهذا الحد لابد ان يلعب دوراً ذا اثر في اضعاف المقاومة للعنف والعدوان بصورة عامة.

بدائل العدوان :

ان توفير بدائل جذابة نابضة بالحياة عن العدوان مما اتُّفِق عليه بصورة عامة على انها احد الحلول لمشكلة العنف. ولكن يبدو هنا ان الانسان معوّق الى حدما بالوراثة. وفي ذلك على عكس كثير من الحيوانات فأنه لا يمتلك اي مانع في بناء ميكانيزماته الداخلية (مثل مواقف ايقاع الهزيمة لدى الكلاب). لذا علينا ان نتعلم كيف نمنع العدوان ونتغلب عليه، ومن تلك البدائل النافعة المقترحة المشاركة الوجدانية(٧) Empathy او مشاعر الالفة(٨) او التعاطف(٩). وتعرّض من يتوقع منهم المبادأة بالعدوان الى منبهات تبتعث المشاركة الوجدانية. وهذا مما يقلل الخصومات المنتظرة منهم. ويمكن اقامة بدائل معينة اخرى ضد العدوان والخصومة. وبتنظيم متقن لإحداث تعزيز نستطيع ان نتجنب السلوك العدائي المكبوت الذي يظهر لنا كخصيصة للكثير من علاقاتنا كأشخاص مع بعضنا او علاقاتنا العالمية.

بدائل عن العدوان :

من البدائل المطروحة الاكثر شيوعاً ووضوحاً للعدوان التوجه الى النشاط البدني - الالعاب الرياضية ذات المنافسة، قد تكون تلك بدلاً عن الشجار وعلى الرغم من احتمال وجود شيء بهذا الخصوص، فأنه من الناحية التطبيقية، لسوء الحظ محدود جداً. وغالباً ما ينبعث هذا التحديد من الحقيقة القائلة، مع كون الشباب هم الذين يُوجَّه اليهم نداء الحرب عادة، فأن المسنين هم الذين يشكلون اطار السياسات التي تؤدي الى الحرب.

الاسترخاء الجسمي :

انه من الصعوبة بمكان ان نغالي في قيمة الاسترخاء باعتباره مساعداً في الهيمنة على الانفعالية Emotionality والعدوان وكثيراً مالاحظ مدربو الالعاب الرياضية الاسهام الذي يمكن ان يقوم به الاسترخاء لاي جانب تطبيقي للانجاز البدني - الى حدما بسبب ان مثل هذه الانجازات دائماً ذات عناصر عقلية او اتجاهية هادفة، فالشخص المسترخي قليل الحساسية جداً للمضايقات الطفيفة والامتعاضات التي نؤكد عليها على انها احجار البناء الرئيسة للمشاكل الانفعالية. ومن سوء الحظ ان تعلم استرخاء الجهاز العضلي الارادي ليس بالشيء الذي يستطيع ان يقوم به كل شخص دون تعليمات خاصة ولكن احيانا تُظهر المعرفة والرغبة ان الاجراء الحقيقي يتطلب صبراً اكثر من المهارة.

البدائل غير المباشرة : Indirect alternatives

بغض النظر عن الاسترخاء الجسمي، هنالك عدد من المساعدات على الاسترخاء غالباً مايوصى بها. ولكن بعضها له آثار جانبية غير مرغوب فيها، مثل استعمال السكائر والكحول والمخدرات لهذه الغاية، وهذه تضيف مشاكل اخرى بدلاً من ان تقدم الحل. واكثر من ذلك، فأن كثيراً من مثل هذه البدائل تعمل بكل وضوح كركائز ولذا فأنها تُقلل من قدرة الفرد الفعلية للكفاح ضد المشاكل والتغلب عليها وان منافعها القصيرة الامد، لذلك، يُعتقد بصورة عامة انها اكثر من عوض بسبب المدى الطويل للضرر الذي تتركه.

والانشغال بالهوايات او المشاريع الخاصة اقل مثاراً للجدل، وفي الغالب يكون وسائل فعالة يمارسها كثير من الناس لتقليل التوترات التي تواجههم في نشاطاتهم اليومية. والانشغال في الفعاليات المبهجة مثل الاستماع الى الموسيقى المحببة يمكن ان يكون ذا تأثير علاجي نافع. واخيراً، فأن قليلاً من روح المرح والفكاهة يمكن ان يأخذ طريقه الى الاسترخاء وتجنب الانفعاليات غير المرغوب فيها. والضحك بامكانه ان يخفف من التوتر بسرعة، وخاصة في المضايقات الخفيفة التي كثيراً ماتتسع لتكون مشاكل كبيرة.

الضوابط الاجتماعية :

ان اي حل للعدوان على المستوى الشخصي او العالمي لابدّ وان يستقر في النهاية الى مستويات من التوتر متضائلة بعامل مرور الزمن. وهنالك كثير من السبل يمكن ان

يبحث فيها هذا الهدف المرغوب فيه. وسنحاول فيما يلي ان نذكر بصورة مختصرة طريقتين كل واحدة منهما مأخوذة من علاقات الراشدين ـ الشباب ولكنها بكل وضوح لها صلة وثيقة كبيرة جداً بصميم العدوان.

وبصورة عامة، على المرء ان يشجع العمل بمختلف عوامل المهنة الانفعالية الخيّرة في تعامله مع الاخرين. ومع ذلك، فأن التيسير الاجتماعي Social facilitation للهينة الانفعالية لا يتضمن بعض التحفظات الاضافية، وفي الغالب، انه يحتوي على تحذيرات ضد القيام بأي نوع من انواع الخطأ من المحتمل ان يقوم به كثير من الراشدين، وبخاصة الاباء والمدرسون، في تعاملهم مع الاطفال والمراهقين بصورة خاصة.

تجنب الاتهام لما يخص تحمل المسؤولية

المراهقون حساسون بصورة خاصة بما يتعلق بالاحكام الادبية والخلقية. وبصورة اخص، انهم ميالون الى لوم انفسهم على الاخلال الحقيقي او التخيّلي للانظمة الاجتماعية. ومن المعلوم ان السداد التام في التصرف عند مواجهة الاخطاء في العلاقات المتشابكة والمعقدة بين الناس امر في غاية الصعوبة. ويمكن الحصول على معلومات وافرة لهذا الشأن عند مراجعة كتب علم النفس وبخاصة التي تعالج موضوع الغضب. واستمرار التفاعل والتأثير الشخصي المتبادل بين الفرد ومن يتعامل معهم يضمن لحد ما نضج المسؤولية وتحمل التبعة. فالعالم قد يكون مليئاً «بالناس الطيبين» و«بالناس الخبيثين» كما تجسد ذلك افلام السينما، ولكن فقط حينما يربط الفرد نفسه بهذه الفئة او تلك.

ولسوء الحظ فأننا ونحن ندافع عن ذلك نقول، ان كل شيء يشهد بقوة على حصول ذلك حتى في حالة عدم اقامة قرار واضح للانتقاص في تحمل المسؤولية. ولذا فانه من المهم الى حد كبير عند التعامل مع المرؤوسين ان نكون موضوعيين في شكوكنا وان نتجنب حتى اخف التلميحات من النقد الشخصي او ايجاد ثغرات الزلل. يجب ان توضع المستويات حسب قيمها الخلقية. ولذا فأن مظاهر العنف يجب ان تُعالج بالعدل والاستقامة وبما ينسجم وطبيعة العمل المستوجب التأديب. على ان لا يصاحب الاخطاء اي سُباب لفظي.

الاصغاء

اجعل طفلك يشعر انك تصغي اليه. ان هذه الوصفة الايجابية، قد تكون حجر الزاوية الاهم في النصح الذي يُقَدَّم للوالدين. ان فسح المجال للاطفال وتشجيعهم على

التعبير عن افكارهم المتباينة في جو من النقد اللاشخصي، وتجنب الاستهانة والتهكم واي لون من الوان الانتقاص، ومواجهة مواقف الخطأ والضعف بعزم وصلابة، ان كل هذه تجعل الطفل يحس بأنك تصغي اليه وتشاركه اهمية احساساته.

والاباء الفضلاء يبذلون قصارى جهدهم ليبذروا الثقة في اطفالهم، وعن طريق هذه الثقة يمكنونهم من السيطرة على انفعالاتهم.

ومانقوله عن علاقة الوالدين باطفالهم، نقوله في انماط العلاقات الشخصية الاخرى ولمستويات جميع الاعمار. وفتح ابواب التفاهم ـ على مستويات الافراد والجماعات والدول ـ قد يكون اهم خطوة نخطوها في مسيرة تقليل المستوى الانفعالي العام ومعالجة مظاهر العدوان المحدودة. ومن حسن الحظ، انها كذلك خطوة ميسورة عند التطبيق ويمكن ان تكون حجر الانتقال الى وسائل جذرية لتخفيف التوتر والوقاية من العدوان.

هوامش الفصل الخامس

١ ـ Common Personality الشخصية الشائعة التي لها انماط سلوك شائعة عنها، تتكرر باستمرار ويعرفها عنها الناس في فترة محددة من الحياة (موراي).

٢ ـ Tendency نزعة :ميل للسلوك بطريقة معينة.

٣ ـ drop out rate معدل التسرب: من يتركون المدرسة قبل اتمام برنامجها.

٤ ـ Recism النزعة المنصرية : نزعة تستغل الفوارق الاجناسية لممارسة التمييز الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

٥ ـ Predisposition نزعة : استعداد فطري لدى الفرد يؤيد التطور في اتجاه معين، او يؤيد تطور سمات دون اخرى، او هو نزوع او ميل يؤيد تقبل عقائد معينة او يتبنى خطوطاً معينة في العمل.

٦ ـ Ethologists علماء الايثولوجيا.

الايثولوجيا Ethology هي الدراسة المقارنة لسلوك الحيوانات مع تفضيل دراستها في بيئاتها الطبيعية. وكان يعني قديماً (١٨٤٣) علم الشخصية او علم دراسة العقل البشري في علاقته ببيئته وهو ما يجعل هناك فروعاً في الشخصية، وتطور هذا العلم ليكون علم النفس الاجتماعي، واقتصر استخدام الايثولوجيا حالياً على الدراسة المقارنة لسلوك الحيوان.

٧ ـ Empathy، مشاركة وجدانية :

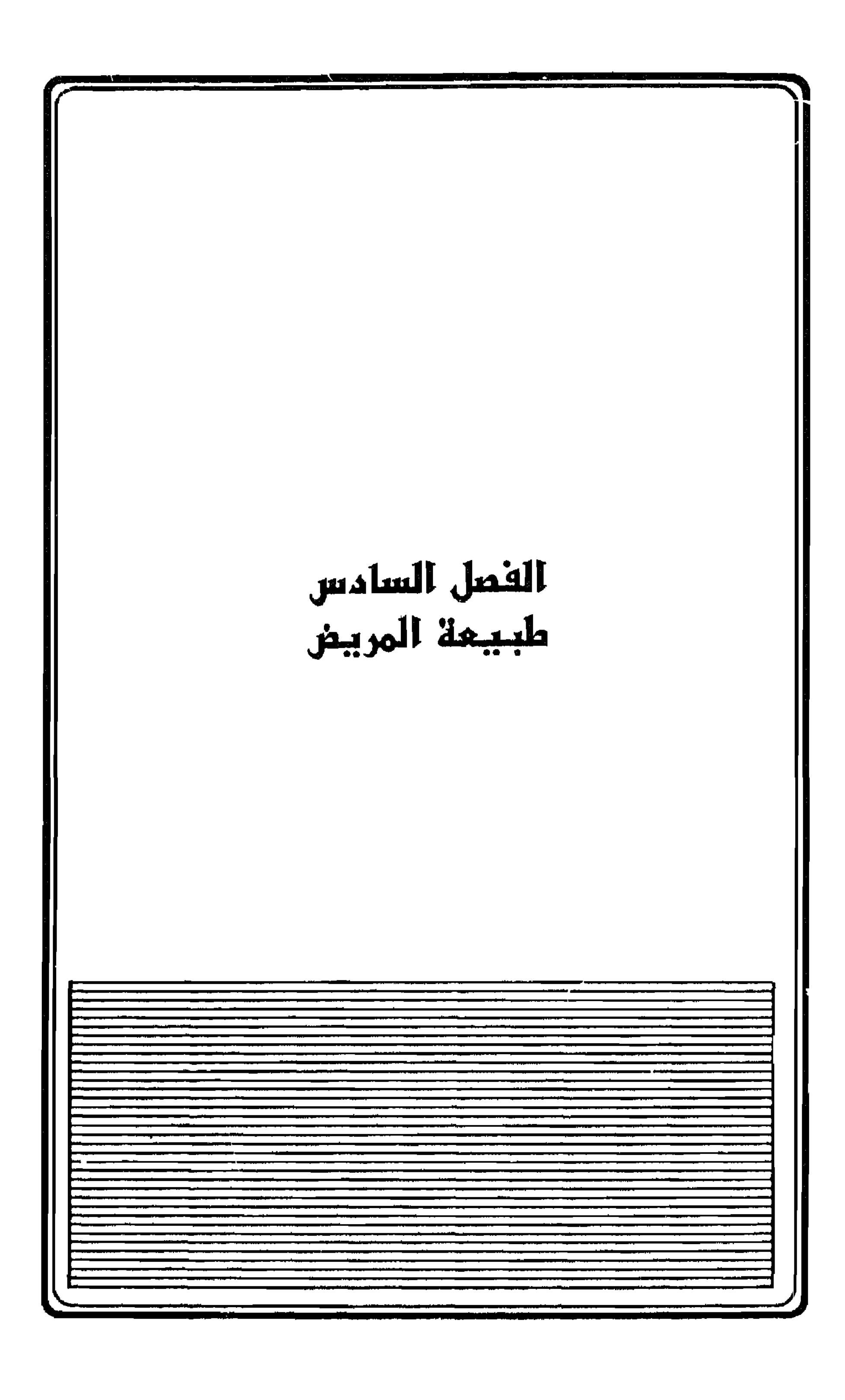
تتم المشاركة هذه عندما يدمج الفرد نفسه بشخص اخر او جماعة او اثر فني او ادبي، والمعنى العام هو دمج الذات عن طريق التخيل بشيء خارج عنها. وهو حالة عقلية يتلبس فيها المرء حالة «لشخص اخر فشاركة احساساته ومشاعره مشاركة تامة».

٨ ـ Rapport الالفة (الوئام)

الالفة بمعناها العام هي صلة او علاقة تستند الى درجة عالية من المشاركة في الفكر والاهتمام والمشاعر. وتدل بمعنى خاص على تلك الصلة التي تقوم بين المنوم المغناطيسي والشخص المراد تنويمه، بحيث يكون هذا الشخص شديد الحساسية تجاه الايحاءات الصادرة عن المنوِّم، لكنه غير حساس ازاء الايحاءات الواردة من مصدر اخر. وتقوم علاقة مماثلة في العادة بين المحلل النفساني والمريض.

٩ ـ Sympathy التعاطف (تبادل الشعور مع غيره):

التعاطف هو الميل نحو معايشة المشاعر والعواطف التي يعبر عنها اولئك الناس الموجودون حول المرء او تتجلى لديهم.



الفصل السادس
طبيعة المريض

التعريف والبواعث الاولية :

ان طب الامراض العقلية. (ويطلق عليه ايضاً الطب النفسي)[1] Psychiatry هو ذلك الفرع من الطب الذي يعنى مبدئياً باختلالات الفكر[2] Thoughts والشعور[3] Feeling والسلوك[4] behavior. ونقول من منطلق واحد ان جميع الامراض او الاصابات، ومن دون شك جميع المعاناة من اي نوع كانت تتضمن اختلال الشعور، وهذا احد الاسباب التي جعلت القواعد الاساسية Basic Principles لعلم الطب العقلي ضرورية للفهم السديد للطب والجراحة باعتبارهم وحدة مترابطة. ولكن المجال الخاص للطب العقلي هو فهم اختلالات الخبرة الذاتية او السلوك الظاهري، تلك الامور التي هي ذاتها سبب من اسباب العجز.

قد تكون تلك الامور اساسية او ثانوية بالنسبة لتلك الامراض او تلفاً تركيبياً. ان اضطراب الخبرة او السلوك الذي يكون سبباً قد يكون ظاهراً عند المتألمين. وعلى اية حال فقد يكون المريض مستبصراً في طبيعة مرضه وقد يجهل كلياً انه مريض او انه سائر نحو العجز. وقد يُعزي خبرته او المآزق التي تضايقه الى التغيرات التي تطرأ في العالم حوله. وعلى الطبيب ان يسلم بوجود هذه الامور وان يفهمها كما عليه ان يشخصها، وفي بعض الحالات يمكن ان يعالجها.

وفي الحقيقة، ان علم الطب العقلي في نطاق مايعنى به يشمل اغلب الجوانب الانسانية لدى الفرد، ووعي الناس لانفسهم، وقابلياتهم للاتصال مع بعضهم بعضاً.

وحسب هذه الوجهة يُفهم ان هذا الميدان من الميادين الواسعة، اذ انه يشمل الاستجابات الانفعالية السوية للمرضى والكوارث الجسمية من اي نوع كانت. كما يشمل تأثيرات الانفعال في الوظائف البدنية وعلى البنية، وبصورة خاصة التأثيرات غير الطبيعية المتعلقة بالانفعالات المفرطة والمكبوتة.

والاختلالات التي تظهر بسبب مثل هذه المردودات الانفعالية على الوظائف الجسمية او البنية غالباً ماتدعى بالامراض الجسمية النفسية[5]. ولكن مع ان دراساتها الدقيقة قد زُوِّدت بجوانب مرضية جداً وناصعة من الطب النفسي الحديث، فأن اهميتها العظمى تقع في الضوء الذي سلطته على اسباب المرض بصورة عامة ومن منطلق الطب الجسمي النفسي، فأن كثيراً من مشاكل الطب العام، والجراحة وفن التوليد او القبالة obestetrics وكما هو الشأن في امراض الاطفال Paediatrics. ان اعظم ماقدم الطب العقلي (النفسي)

Psychiatry من اسهامات كان في المعرفة والفهم العياديين. وكذلك تدخل في ميدان الطب العقلي تلك الاختلالات التي يسببها قصور وظيفة العقل والجهاز العصبي، وقد تعزى الى التطور غير المكتمل او الى الامراض او اصابة بتلف. واخيراً هنالك تلك الامراض التي تبرز للعيان امثال شذوذ في السلوك او في التوافق او في تكيف الحياة العقلية الانسانية في استجابتها للبيئة. ان مثل هذا الشذوذ يكون ذا علاقة بالوراثة او العوامل التكوينية والى وطأة الضغوط المتواصلة او الى اسباب لاتزال الى الان غير معروفة بصورة مكتملة.

ان هذه المجموعة من الامراض تدعى احياناً وعلى وجه الاجمال اختلالات عقلية وظيفية، وهي على انواع مختلفة وصنفت الى صنوف شتى. وغالباً ما يوضع تمييز من الناحية العملية بين مجموعة معينة من الاختلالات العقلية التي تدعى العصاب (اضطراب او اختلال عصبي وظيفي) neurosis وبين مجموعة اخرى تدعى الذهان(٦) Psychosis. وسواء أقُبل صدقها الجوهري ام لم يقبل، فأن قليلين يرفضون نفع هذا التمييز ومناسبته عند الممارسة. ومن الناحية الاصطلاحية فأن العُصاب neurosis(٧) هو تلك الاختلالات في العمل الوظيفي الانفعالي والذهني التي لاتجرد المريض من اتصاله بالواقع، بينما امراض الذهان Psychosis تتميز باضطراب جوهري عميق في تثمين المريض لطبيعة بيئته واستجابته لها.

ان المضمون العملي لهذا التمييز يمكن ان يوضح بمثال، بواحد من ابسط مصادر الاخطار التي يمكن ان يعانيها المريض، اعني الخوف من المرض. فأذا ماجاء مريض يشكو من سرعة خفقان القلب وإحساساً بانقباض في الصدر ويذكر انه يخاف ان تقف نبضات قلبه او انه من المحتمل ان يسقط ميتاً بعد ان يقوم ببذل جهد، ان هذه قد تكون دليلاً ناصعاً على انها علامة قلق anxiety يمكن ان ينظر اليه بصورة منطقية على انه عصاب neurotic.

ولكن اذا كانت شكواه تظهر انه يعتقد ان قلبه قد توقف حقاً اثر قنبلة ذرية وجهت له بصورة خاصة وانه الان حي لوقت مستعار، فأن هذه الافكار الشاذة الضالة تبين ان الخلل الذي تنطوي عليه انما هو ذِهاني(٨) Psychotic.

لقد قيل مافيه الكفاية لتبيان ان تلك المحن تنزع بدرجات متفاوتة الى توليد آثار سيئة جداً في المريض الذي يشكو منها. فمنها الاضرار بقابليته سواء في تفسير خبراته الخاصة به وبايصالها الى الاخرين. كما انه ينبعث من هذا الاضرار بقابليته بالحصول على علاقة سوية مع الناس الاخرين ومن دون شك انها لمعاناة محزنة ولكنها تتراءى امامنا ان المرضى يحاولون ان يوضحوا مشاعرهم ومتاعبهم حينما تكون تلك المشاعر والمتاعب

متصلة باضطرابات حياتهم العقلية، وغالباً ماتقابل تلك باعمال عدائية وبازدراء وعدم تصديق من جانب اولئك الذين استودعوهم ثقتهم.

وعلى كل طبيب ممارس ان يتوقع اختلالات من هذا النوع لدى مرضاه، وان يُعدّ نفسه للاصغاء دون سخرية او ازدراء لما عسى ان يبدو من مريضه والطريقة التي يعبر بها ذلك المريض. اننا لانجني شيئاً من رفض تلك الشواهد على انها سخيفة او غير معقولة وذلك لكون المريض اما انه يعرف ذلك حالياً او انه مكتئب بسببها او انه لا يعرفها ولذلك فهو ملزم بأن يعيد تشكيل هذه الوجهة المكتومة بصراحة وبصورة جلية غير متأثرة بشيء في حين يبدو له ان الطبيب لا يرتضي حتى ان يفهم مايحاول ان يقول.

ومن الطبيعي انه لا يتطلب قدراً كبيراً من الجهد او التصور، ان يضع احدهما نفسه مكان المريض حينما تكون شكواه جسمية. والمرضى الذين يشكون من المرض البنيوي او من عطب طارئ، انما هم في مثل هذه الحالة على الاقل في مرتبة محظوظة نسبياً، لانهم مهما يكن من امر فأن وصفهم لما يعانون وإن يكن غير دقيق عيادياً فأنه عادة معترف به ومقبول من قبل الاطباء دون مشقة. ومن هذا المنحى تجد ان بعض المرضى ممن يعانون من اعراض الخوف والكآبة او التوتر الانفعالي يفضلون ان يضفوا هذه الاعراض على شكاوى بدنية ليكسبوا على الاقل العطف المباشر والمساعدة من الشخص الذي يرجعون اليه. اما المريض العصابي، المندفع ظاهرياً، بقابلية مستمرة من الشكوى لاتعرف الكلل والملل، تلك الشكوى التي لاتتصل بأي مرض موضوعي نجد كثيرين من الاطباء الذين يعْتَورهم الضجر يتخذونه موقفالهجوم على انه افضل وسيلة للدفاع. وغالباً مايكون رد الفعل لدى المريض على ذلك أن يصر متمسكاً بفكرة الاسس الجسمية لاعراضه وان يضعها بتعابير جسمية وان هذا لا يبدو الوصف الدقيق لديه فحسب بل يرى ان يكون كذلك لدى الطبيب ايضاً وفضلاً عن ذلك ان قدرات المرضى على الوصف والاستبطان(٩) والتحليل النفسي محدودة من حيث وفاؤها مما يجعل الشكوى البدنية هي السبيل الوحيد الذي يستطيعون سلوكه والتعبير عن حاجاتهم للمساعدة.

وكلما ازداد عنصر(١٠) الاضطراب الانفعالي سواء كان الاختلال الذي يكتنفه بنيوياً او وظيفياً، فأنه سيزداد التباين بين فهم المريض لما يحصل، وبين قابليته على توضيح ذلك الى الاخرين او الحصول على علاقة سوية normal معهم بطرائق اخرى. وحينما يكون المصدر الرئيس لتضايق المريض اضطراب مزاج او اضطراباً فكرياً او سلوكياً من النوع الذي يصور امراضاً عقلية كثيرة، فأن عامل عجز المريض هذا لفهم مايحصل والصعوبة التي يمكن للناس الاخرين تقبل مثل هذا المريض للوهلة الاولى قد تكون

قاسية وستكون مهمة فهم ومعالجة مرضى يتألمون على هذه الطريقة صعبة كذلك. ويحصل ذلك لان ثقتنا الاساسية في قابليتنا لفهم مشاعرنا الخاصة بنا ومشاعر اولئك الناس الاخرين انما هي جانب من حياتنا التي يغلب ان نسلم بها جدلاً وبصورة اعتيادية، ونحن لهذاالسبب مقيَّدون ذاتياً في ادراك ان تفككات تلك القابليات في المرض العقلي انما هو كبير كبر العجز الظاهري وضئيل ضآلة الخرق العمدي لقواعد الاساليب المستحسنة والذوق او السلوك كما هو في تبيان الاعراض الجسمية او العلامات من جانب المرضى الذين تُدرك معاناتهم كأن تعزى الى اخفاق في تراكيب بدنية او وظيفية. وفي الحقيقة هنالك بون شاسع بين الطريقة الفطرية للشخص السوي الذي تصيبه المصيبة العقلية من جهة وبينه ذاته حين تصيبه المصيبة الجسمية من جهة اخرى.

وفي الماضي، يوم كان ينظر الى الدواء على انه الضرورة الجوهرية لعبور هذه الهوة، كان يقدم الدواء الى المرض، وبه يوصل الى التحسن. ولكن لما اتسع البون كثيراً فُقد الغرض من الدواء واتُضحت اصوله.

شكوى المريض

عند مراجعة المريض نفسياً لابد للطبيب النفسي من مراعاة ما يلي:

١ - اول شيء، السماح للمريض بأن يتحدث عن معاناته بكلماته الخاصة وهنا لابد من بذل اهتمام خاص للعبارات الموسعة جداً التي ربما تحتوي على فوارق دقيقة لاتكاد تدرك والتي تُعَتّم بطريق المراوغة وتعقيد الموقف. هنالك فرق واسع جداً بين «انا متوتر شيئاً ما»، «انه التوتر المرعب»، «قال لي طبيبي اني متوتر وارسلني اليك» وبين «اني متوتر وان زوجتي تعتقد انه يجب عليَّ ان اراجع طبيباً».

ومن ثم، الاصغاء الى المريض بضعة دقائق يفضي الى سرد قصة بَليّة قد تشير بوضوح، درجة تضمنها من الفكر والخبرة العامة، الى طبيعة ماتتضمنه من تشخيص. ثم يلي ذلك صعوبة قرار الطبيب: فعليه ان يعين كم من المقابلات يصغي فيها الى المريض وتسجيل القصة كما عرضها المريض بطريقته الخاصة ومتى يقطع استمرار الكلام اذا اقتضت الحاجة ليجمع المعلومات بصورة نظامية وحسب ابواب ووجهات ويسأل المريض بعض الاسئلة. ولاتوجد قاعدة لهذا، لان الاساليب التي يتبعها المرضى تتفاعل مع حكم الطبيب.

والخطوة الثانية هي الحصول على تاريخ مناسب تستند أصوله على اعتبارات اسباب المرض aetiology(١١) التالية :

١ ـ الوراثة والجبلّة[١٢] Constitution
٢ ـ العوامل البيئية وتتضمن الضغوط Stresses الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية السابقة.
٣ ـ التأثير المتراكم لهذين العاملين في احداث اضطراب في التوازن النفسي الفسيولوجي السوي.

تاريخ العائلة

ان تاريخ العائلة مهم بالنسبة لما يلقي من ضوء على البداية التي حصلت للفرد في حياته وكذلك الاصل الذي نشأ عنه. ولابد من ان تمتد هذه المعرفة بعيداً الى الاجداد من كلا جانبي العائلة. ويجب ان تضم المعلومات المتوفرة الاعمام الأول وكذلك الاخوال والعمات، شأن الوالدين بالضبط والاخوة والاطفال. ولابد من التركيز على الامراض الشديدة او «الانحطاط العصبي» في العائلة ولابد من الحصول على صورة عن الاقارب وعن اسلوب حياة العائلة من حيث تقاليدها واعراضها، وطموحها وخيبة آمالها. ولابد من استقصاء البحث «في هذه الحالة ان عثر على دليل لوجود عامل وراثي قوي في المرضى».

وبصورة عامة ان العوامل التكوينية في غاية الاهمية في حالات العائق او العاهات[١٣] العقلية. وفي بعض الاضطرابات التي تعتري الحافز وعدم استقرار المزاج الحاد والشيزوفرينيا المنبعثة عنها. وانها قليلة الاهمية جداً في حالات الاستجابات الانفعالية الحادة للضغط البيئي القاسي وانماط السلوك المكتسبة المنبعثة منها.

التأريخ الشخصي :

يحمل التاريخ الشخصي القصة من فترة الرضاعة[١٤] Infancy حتى يصل الى المصاعب الشخصية الحاضرة الزوجية او المهنية، متتبعاً كل تلك الى جانب تطورات الشخصية التي تقدمت تلك المصاعب عبر الطفولة، وكذلك العلاقات مع الوالدين والاخوة وايام المدرسة والعلاقات مع الزملاء الاطفال والمعلمين، وكذلك المراهقين وتفتح الحاجات الجنسية النفسية Psychosexual والعلاقة مع الجنس المماثل والجنس الآخر، وحياة الرشد وحصيلة العلاقات الحاضرة مع الناس وبقية العالم. ومقابلة خلفية: قصة الحياة هذه يجب ان تبحث عن اعادة التوافق والطموحات واحلام اليقظة والاحباطات والمسعى، كل تلك الخصائص التي اسهمت في تشكيل خلق المريض وسلوكه.

تاريخ الامراض السابقة :

يجب ان تشمل هذه جميع الامراض الحادة التي تعرض لها المريض سواء كانت تركيبية ام وظيفية. ولابد من اعطاء اهمية كبيرة الى التغيب عن المدرسة والعمل، ذلك التغيب غير المقرون بالاسباب واعطاء اهمية كبيرة ايضاً الى التغيب خلال الفترات الغامضة للمرض. انه لمن المهم اللازم ان يعرف عن المريض ان كان قد ابتلي بهبوط عصبي او عانى من مرض مشابه لما يعانيه الان. وان كان الامر كذلك، يجب ان تُبحث تلك الانماط هل كانت الحالة التي طوحت بالمريض شكلاً من المسؤولية الزائدة عن الحد في ميدان العمل او انها الحاجة الى كبت غيض وامتعاض نتيجة شعور معاملة جائرة من الوالد او الرئيس في العمل او السلطة. وحسب التسلسل، هل كانت هنالك في كل مرة قصة لمرض جسمي متكرر او اهمال في وصف الوسائل المتخذة او انه في كل وقت يوجد خليط معقد من الضغوط المتراكمة ؟.

الشخصية قبل المرض :

يجب ان يكون هذا تثيناً لنوعية الشخص الذي يمثل مريضاً امام الطبيب، من وجهة نظر الاقرباء الموثوق بهم والاصدقاء وبقية المخبرين. فيعرف عنه هل هو : نشيط، نابه، مرح ام انه مغتم دائماً.

هل هو جريء، او خجول، ام انه صخّاب او انسان لطيف.

هل هو ذو ضمير حي، او انه متصنع الرقة

ويجب ان تتضمن المعرفة عن الشخص، المستوي العام للمزاج، والقابلية على تكوين علاقة مع الناس الاخرين. وبهذا الصدد ايضاً نقول ان الفهم الشامل لجوانب عديدة من تكوين الشخصية قد يكون الوجهة الرئيسة لادراك مشكلة المريض.

قصة الشكوى الحاضرة

ابدأ منذ كان المريض معافى تماماً. وتدارس بدء الحالة والاعراض في ذلك الحين وحاول ان تستكشف التفاصيل الى اقصى قدر ممكن عن الموقف[١٥]، عن الحالة التي كان فيها المريض في بداية المرض، والجو العائلي، والموقف الاجتماعي، واحوال العمل... الخ. ومن ثم تتبع تطور المرض من ذلك الوقت فصاعداً مسجلاً العوامل التي اثرت في مسيرته، والقصة الكاملة لهذه الجوانب قد تأخذ مابين نصف الساعة او ثلاثة ارباع

الساعة، على ان يستغل الوقت في النافع الجدي، ان مثل هذه القصة ستوصل الى هدفين على غاية كبيرة من الاهمية، انها لاتعطى صورة كاملة عن المريض فحسب وعن شكواه التي ظهرت ملازمة له، بل ان الصلة والاقرار بالجميل والثقة التي يشعر بها المريض تجاه الطبيب الذي سيظهر بناء على ذلك رغبة وعناية واهتماماً في حالته، اقول ان هذا نفسه دليل على اهمية العلاج.

الفحص البدني:

ان الفحص البدني مهم سواء كان هنالك اي دليل على انحراف تركيبي ام لا. وسواء ان المريض يشكو من اعراض جسمية ام لا. انَّ الفحص البدني اذا مااجرى بعناية هادفة، فانه سيولد صلة ود ورضى بين المريض والطبيب. وان كل مايريد ان يقوله الطبيب فيما بعد سيجد له قوة تسنده من هذه البداية الحيوية، حتى لو كانت دلائل المعطيات الجسمية للمرض التركيبي لم تسهم بشئ او انها لم يكن الحصول عليها.

فحص الحالة العقلية

وهذا من حيث وضوحه واهميته البالغة كتقنية في هذا المجال شأنه شأن الفحص الطبي البدني وهو جزء لايمكن الاستغناء عنه من وسائل العيادي Clinician. ويجب ان تثمن الملاحظات وتسجل حسب الجوانب التالية:

١ـ المظهر العام والسلوك.
٢ـ الكلام: الاسلوب ومضمونه.
٣ـ الحالة الذاتية: المزاج والاتجاه في الاستشارة والنصح.
٤ـ مضمون الفكر.
٥ـ الاتصال بالواقع.
٦ـ الجهاز الحسي Sensorium والذكاء الشكلي Formal intelligence.
٧ـ التبصر insight والحكم Judgment

والملاحظات التي تخص الجوانب الثلاثة الاولى يجب ان تجرى على الاقل خلال فترة التاريخ العام والفحص البدني.

١ـ **المظهر العام:** قد يتضمن مظهر المريض دليل المعاناة الذاتية، كما يتضمن اضطراب الفكر والشعور او السلوك الذي لايعيه كله. ومن المحتمل ان مثل هذه المعاناة او الضيق

يرد ذكره في العبارات الاولى من الشكوى حتى تطرح الشكوى. وربما توصف على انها ألم وتعب (انهاك) وقلق وتوقع شر وخوف او احساس بوعكة مبهمة السبب.

ويمكن الحصول على معلومات مفيدة من سلوك المريض في غرفة الانتظار وفي طريقه وهو يدخل غرفة الطبيب وفي مصافحته (الارادة، الثبات التردد، مبتل بالعرق) نظرته في التطلع الى الاشياء ومن ثم ملابسه. وللتوسع يمكن ملاحظة نقاط اخرى مثل الجماعة الذين يصحبونه والاسلوب المتخذ في تهيئة مايحتاجه في البيت.

٢ـ الكلام: عند تسجيل الملاحظات عن اسلوب المريض في كلامه ومضمونه يجب الانتباه الى جميع الخصائص الخاصة به مثل التأني في الكلام وهجوم الافكار او تسلسلها او تفككها، وضوحها او غموضها.

٣ـ الحالة الذاتية: Subjective state

يتطلب اضطراب المزاج عند قياسه معرفة الموقف الحياتي للمريض. فالقلق او مايدعى بالحُصار anxiety هو اغلب الممارسات الانفعالية المضايقة للانسان من حيث الشيوع. وقد قيل في وصفه انه ينتشر من داخل العلبة المعدنية المحكمة. وكآبة المزاج، مع الحزن[١٦] والتشاؤم الذي يطغى على قابلية المريض عند تحججه وتعليلاته، او الذي قد يكون ذا علاقة بانحطاط عام لايحتمل في ذاته، او في الهيئة الاجتماعية قد يرد بصورة مباشرة ايضا. وفي احيان اخرى يؤخذ بنظر الاعتبار الافراط في الامتداح الذي يصدر عن المريض، كما ان المريض قد يُظهر سمواً في المزاج ليغطي به تهيجا ظاهراً، ويبدو هذا السمو في المزاج بصورة واضحة انه غير طبيعي وغير متلائم مع ظروفه.

٤ـ مضمون الفكر: وهذا يشمل:

أ ـ اختلالات التفكير.

ب ـ الافكار الوسواسية القهرية.

جـ ـ افكار الاشارة والهذاءات.

د ـ المسائل الاخرى التي تشغل البال.

وفيما يلي شرح موجز لهذه الفقرات.

أ ـ اختلالات التفكير Disorders of thinking

يشمل اختلال التفكير إعاقة الفكر، تلك الاعاقة التي تتعطل بها قابلية المريض على الاحتفاظ بتسلسل الافكار تماما. فحينما يُعاق التفكير بحيث يبدو ظاهرا انه يجري بطيئا يحصل عند ذلك التخلّف[17] retardation.
اما التسرع في اخراج الافكار فيُحدث اثرا من عدم التناسق، حيث تتصادم الافكار او يتعثر بعضها ببعض حينما يحاول المريض التعبير عنها وهذا مايدعى بالتعجيل. اما شرود الافكار مع كونها مترابطة فقد يبدو في الكلام حينما يكون خليطا غير منسق عند الاهتمام بالسجع والتورية والجناس وماشاكل ذلك.

ب ـ الافكار الوسواسية القهرية obsessive-compolsive ideas

وتبرز هذه بصورة انشغال في البال متكرر، يدرك على انه غير معقول ولكن المريض لايستطيع التحرر منه. ان مثل هذه الافكار الوسواسية والاعمال التي تفرضها تشكل مجموعة من الاعراض المضنية المتعبة مما يجعل المرضى مهيئين للمناقشة فيها حينما يشعرون بأن الطبيب يعتقد بامكان حدوثها ويبدي تعاطفا في الاصغاء الى وصفهم.

جـ ـ الافكار ذات الصلة وتشمل اضطراب الحكم disturbance of judgment

واضطراب تفسير الواقع الخارجي التي بسببها ينزع المريض الى ان يعلق الاحداث الخارجية بنفسه هو، ومن هنا يأخذ بالاعتقاد بان لكل مايحصل دلالة مقصودة تجاهه. ان هذا النوع من الاختلال يؤدي بطبيعة الحال الى المذاءات (الاوهام) delusions في تفسيره المغاير وغير المعقول للصورة غير الواضحة التي تبدو له في الهيئة الاجتماعية.

د ـ والمسائل الاخرى التي تشغل البال يجب ان تسجل ايضا مثل الحيف والغم والتقصي التفصيلي اللوظائف الجسمية والتعصب[18] الديني.

هـ ـ الاتصال بالواقع:

قد يتعكر هذا بسبب المذاء delusion والملوسة hallucination والخداع الحسي[19] illusion فالمذاء اعتقاد خاطئ كاذب له على المريض سلطان على الرغم من جميع الدلائل المضادة. والملوسة احساس من خلال احدى الحواس دون التفاعل مع اي مثير في العالم

الخارجي بينما الخداع الحسي illusion ادراك[٢٠] Perception ولكن مع كونه يحصل بواسطة مثير خارجي، فانه يُساء تفسيره من قبل المريض حيث يعرضه بعبارات ذاتية خالصة والامثلة التي تجعل المصطلحات السابقة واضحة فيما يلي:
اذا مااعتقد شخص ما بأنه قد وُضع تحت رقابة دائمة من قبل اعداء مجهولين، وانهم سيسممون طعامه وان هواء غرفته سيسمم من حيث لايشعر، ولايمكن ان يقتنع بتغيير تلك المعتقدات، فمع انها تبقى بالدليل الواضح والبرهان القاطع غير حقيقية فحينذاك نقول انه يتألم من الهذاء، واذا كان يسمع اصواتا او يرى مشاهد لايستطيع غيره ان يسمعها او يراها، او يشمها مثل الغاز الذي يعتقد انه سيتسرب الى الغرفة او اذا كانت تلك الخبرات في الحقيقة تجسيدات ايعازات أوهامه وخيالاته الخاصة به، انطلقت بسبب مرض، فهو حينذاك مهلوس. واذا كان من الناحية الثانية قد اخطأ تشخيص طبيبه فيراه انه ابوه او ان الممرضة هي امه او شيطان جاء ليأخذه بعيدا فحينذاك نقول انه يعاني الخداعات الحسية التي استحوذت على الممارسة الطبيعية في رؤية الناس الذين اساء فهم شخصياتهم.

وقد تكون الهذاءات اصلية كما قد تكون ثانوية. والهذاءات الاصلية هي معتقدات تنبعث تلقائيا من دماغ المريض، ومع انها كاذبة بصورة جلية، فانها تمتلك عند المريض درجة من اليقين والقناعة الراسخة بحيث لايمكن العدول عنها. انها متملكة مشاعر بالغة القوة بما تتضمن من معنى. والهذاءات الثانوية هي مثل سابقتها من حيث انها تمثل محاولة المريض ان يجد تفسيرا معقولا منطقيا لخبرات شاذة اخرى: الهلوسات، الافكار ذات الصلة اي التي يوصل بها الاحداث الى ذاته، او الهذاءات الاصلية وجوانب اخرى مما يتعذر تفسيره وتعليله. والاضطراب الاكثر شيوعا من حيث الاتصال بالواقع هو المتصف بفقدان القناعة الذاتية بالوحدة الحقيقية بين ذ ات الفرد وجسمه او حقيقة بقية الهيئة الاجتماعية مما يجب ان يجري بصورة طبيعية.

والعطب في تلك الميادين يدعى «فقدان الشخصية[٢١] depersonalization او فقدان الشعور بالواقع او الافراغ من الواقع[٢٢] derealization.

٦ـ الجهاز العصبي والذكاء الشكلي:

يجب ان يوجه اهتمام خاص الى الذاكرة كيف كانت سابقا وكيف هي عليه الان، وكذلك الى الانتباه والى التركيز وفهم المشاكل ومواقفها. هذا، وان قدرة المريض على فهم مايقال له، وان تكون استجابته مناسبة، مع انها بطبيعة الحال عرضة للاعاقة من قبل

الملوسة او الهذاء، والافكار التي دعوناها ذات الصلة التي يُرجع فيها المريض الاحداث لشخصه، او احيانا بسبب الافكار الاستحواذية[٢٣] obsessional ideas فانها تدخل في هذا الباب.

ويجب ان تشمل الاختبارات المباشرة:

أ ـ التوجيه: للمكان، التاريخ، الاشخاص.

ب ـ الذاكرة.

i ـ الماضي البعيد (وتفحص هذه عند اخذ التاريخ الاولي)

ii ـ الماضي القريب ـ بعض الاهتمام بالايام القلائل السابقة، تفحص حسب حقائق يعرفها القائم بالفحص حسب اسئلة تدور حول الانباء العالمية iii ـ الحافظة المباشرة ـ حول الاسم ـ العنوان ـ رقم التلفون ـ اللون ـ اسم احد الورود ـ الاشياء المرتبة ـ اعادة لسلسلة من إعداد دون العشرة صعودا او هبوطا (عادة ستة اعداد فما فوق واربعة اعداد هبوطا) تُقصّ على المريض حكاية او نادرة بسيطة تأخذ من دقيقة الى دقيقتين ثم يطلب من المريض اعادتها بكلماته الخاصة، وتعطى للمريض جملة ذات دلالة يعيدها مباشرة بعد سماعها.

جـ ـ الانتباه: ثابت او متقلب او ذاهل.

د ـ نبذة من المعلومات العامة عن الحياة والاحداث المعاصرة.

هـ ـ القدرة على انجاز العمليات الحسابية البسيطة: فك العملة الكبيرة الى الصغيرة، اسقاط متسلسل لسبعات من مئة (١٠٠ـ٩٣ـ٨٦ـ٧٩...) وسجل الاخطاء والوقت بالثواني. عشرون ثانية تعتبر انجازا سريعا، وثلاثون ثانية تعتبر المتوسط Average) وفي تلك الاختبارات لاتقتصر الملاحظة على قابلية النجاح او الاخفاق فقط بل يدخل في حساب النتيجة التواصل المنسجم والتلكؤ عند الاجابة.

الاستبصار والحكم: Insight and Judgment

يسجل الحكم[٢٤] على الخطط المعقولة والواقعية. ويسجل الاستبصار في المرض ومعرفة ما اذا كان المريض قد ادرك انه مريض. فان عرف ذلك، فهل هو مقتدر على ان يعترف بأن مرضه هو مصدر الاعراض التي يشكو منها، او هل اخذ بنظر مثلا، ان المضايقة التي تعرض لها هي سبب مرضه وليست هي نتيجة للمرض ؟.

المخبرون: Informants

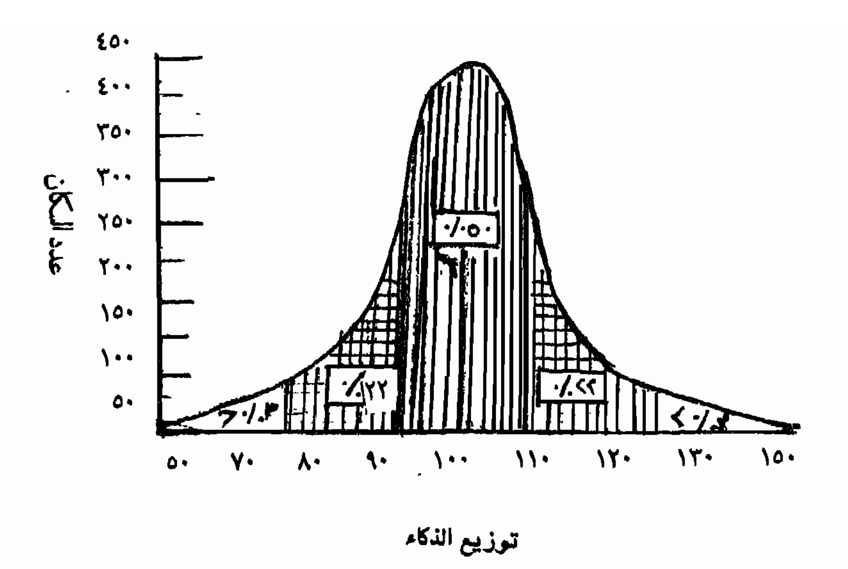
ومن المرغوب فيه الحصول على اية معلومات يمكن ان تساعد في تزويد صورة متعددة الجوانب للمريض ومتاعبه في عالمه. والمضامين شأنها شأن العبارات الحقيقية في الرسائل الموجهة، تحتاج الى الاهتمام. وكل مايقدم عن المدرسة والموظفين والاصدقاء والجاورين قد يكون نافعا في الموضوع، ونقول ان اصغاء الطبيب لما يقوله المريض وحرص الطبيب على ان يكون كلامه مع المريض قليلا مما يحفظ ثقة المريض بنفسه.

والافضل، ان اخرين من اشد افراد العائلة اتصالا بالمريض يستطيعون ان يصفوا شخصية المريض الاعتيادية وكيف تغير هذا المريض، والاضطرابات الاخيرة في سلوكه التي يحاول ان يصغر من شأنها او ان يخفيها.

وقد تبدو الاضطرابات دون شك ـ واضحة وجلية لدى الاقرباء مما يبعث الشك في النظر الى من هو الذي يعتبر المريض اصلا او تومي الى ان المشكلة قد تكون ليست مرضية الى حد كبير او انها ليست مشكلة شخصية بقدر ماهي مشكلة علاقات شخصية متبادلة Interpersonal كأن تكون علاقة زواج غير سعيد او علاقة مضطربة بين الوالدين او احدهما وبين الطفل. وقد يصبح عند ذلك «المريض المشار اليه» مجرد كونه العضو الاول في العائلة المضطربة الذي راجع الطبيب. ان هذه القضايا قد تكون اكثر وضوحا عن طريق مقابلات مفصلة مع الناس المعنيين، مع ملاحظة اسلوبهم في التفاهم مع بعضهم.

تقويم النتائج Evaluation of findings

يزود اختبار الحالة العقلية بالمادة الخام لغرض الدراسة العيادية للشخصية في الصحة والمرض، من حيث الفكر والوجدان والسلوك. واسهاماتها الخاصة بها لمجموع شخصية الفرد يمكن ان تقاس بصورة ملائمة حسب ثلاثة تجريدات abstracts



توزيع الذكاء

١ـ الذكاء Intelligence
٢ـ التكامل الانفعالي Emotional integration
٣ـ الحافز(٢٥) الغريزي Instinctual drive

ان عرض التجريدات من هذا النوع هو التزويد بهيكل لوصف وفهم واضحين تماما لمفهومات مثل الطول والعرض والسمك والكتلة والتي هي تجريدات نافعة في وصف الاشياء الجامدة.

١ـ الذكاء: Intelligence

يمكن ان يعرف بأنه القابلية على تفسير الخبرة لنتعلم منها ولتحوير السلوك في ضوئها. ويمكن ان يقاس بموضوعية معقولة وبدقة، وهو موزع بين السكان باسلوب يمكن التنبؤ عنه.
(انظر الشكل)، يبين الشكل الخط البياني الذي يحصل عليه حينما تكون اعداد اي نموذج عشوائي كبير ضمن رسم بياني لمستويات الذكاء لافراد الجماعة.
وسيبدو مايدعى «منحنى التوزيع الطبيعي» متماثلا وتؤخذ نسبة الذكاء من (١٠٠) على انها وسيلة المستوى المعياري للناس، والجوانب النافعة هي:

أ ـ ٥٠٪ من الناس لهم نسبة ذكاء بين ٩٠ـ١١٠
ب ـ اكثر من ٤٤٪ يتوزعون بتماثل على كل جانب، نسبة ذكاء بين ٧٠ـ٩٠ ونسبة ذكاء بين ١١٠ـ١٣٠.
جـ ـ والباقون ٦٪ تظهر بتوزيع متماثل بين دون السوى (٣٪ دون نسبة الذكاء ٧٠) والموهبة الفكرية المبرزة (٣٪ فوق نسبة الذكاء ١٣٠).

واختبارات الذكاء الشكلية التي تجرى من قبل علماء النفس العياديين، التي تجري عادة، لاتستند على مالدى الفرد من معرفة ولكن على قدرته على التعلم وبصورة خاصة لادراك وتجريد الانماط المنطقية من الخبرة، وتطبيق تلك الانماط في حل المشاكل. واختبارات الذكاء يمكن ان تكيّف لجميع قابلية الشخص الخاضع للاختبار. والتطور الطبيعي للذكاء، مثل النمو الجسمي، يكتمل بصورة سوية في حدود السنة السادسة عشرة، وتستمر المعرفة wisdom والحكم judgment والخبرة Experience ولكن القابلية ـ الفطرية Innate capacity التي اكتسبها الناشئ من سن ١٦ـ١٩ او اوائل العشرين لاتزداد بعد ذلك.

٢ـ ويمكن ان يعرّف الانفعال بانه امتزاج الوجدانات الذاتية مع التغير الفسيولوجي الموضوعي. انه يزود بالحافز الذي يتضمنه السلوك وكذلك الاستجابة الذاتية ومايصحب الذكاء. وهذا يتضح جليا بالخبرة اليومية عبر الحقيقة القائلة بأن الاعمال الصبيانية عند الراشدين لاتقتصر على الحمقى منهم. ويمكن ان ينظر الى التكامل الانفعالي على انه قابلية الفرد على الاحتفاظ بالتوازن والتماسك (الثبات) بالطريقة التي يشعر بها تجاه الناس والاشياء وكذلك بما هو يقوم به تجاههم. انه يزوّد بدليل لمرونة الشخصية واستقرارها، وهي تنمو مع العمر شأنها شأن الذكاء ـ بصورة اعتيادية.
٣ـ الغرائز: وهي ارتباطات فطرية في الانفعال والسلوك تتجه نحو هدف لايتصل بالخبرة السابقة، وهي تظهر تلقائيا خلال حياة الفرد، وتتطور من دون ان تكون متعلّمة او مكتسبة من الخارج. وقوة الحافز الغريزي مثل الذكاء والقابلية على التكامل الانفعالي تختلف من فرد لاخر، وهي المحدّد الرئيسي لمستوى الفرد الاساسي في العناد والطواعية وسرعة الانفعال، او الثبات في التصرف.

والمعلومات التي يُحصل عليها من هذا المنطلق العيادي التي تستعمل طريقة التاريخ والفحص البسيطة نسبيا، تزود الطبيب حالا بتبصر قيّم لحالة المريض. انه سيكون في وضع يخفف فيه الشكاوي من كثير من اعبائها المتعبة لانه سيقترب كثيرا من معرفة تكونها وقد يقود مريضه بصورة حسنة معه لهذه المعرفة ايضا.

الذّهانات الفصامية (انشطار الشخصية) (الشيزوفرينية)

Shizophrenic Psychoses

التعريف: انفصام او انشطار الشخصية اسم شامل لمجموعة من الاختلالات تتميز بانحلال متزايد للشخصية وعلاقتها بالهيئة الاجتماعية. فقابلية الحكم على الهيئة الاجتماعية تخفق حينما يضطرب الاتصال، ويتدهور الاستقرار الانفعالي والتفكير مع تعطل العلاقات الشخصية، وتعطل القدرة على التغلب على المشاكل والمصاعب. ويستعمل الاسم بصورة خاصة على الحالات المستمرة طويلا، واما الاعراض المتزامنة syndromes الوقتية الزائلة لاضطرابات مماثلة تحدث بصورة انعصاب stress ظاهر يتحسن سريعا، ولايتكرر، فهذا لايدعى فصاما (شيزوفرينيا).

اسباب المرض: يمكن ان ينظر الى الشيزوفرينيا على انها شكل من المرض العقلي تنتشر بين الكائنات الانسانية التى تتعرض لالوان مختلفة من الانعصاب stress، والاستجابة تخضع لعائق تكويني (بنيوي جبلّي constitutional handicap لم يزل غير مفهوم. والموقف الكلي له مشابه لدرجة ملحوظة لدراسات البول السكري والصّرع الخبيث جدا. وهذه الامراض الثلاثة تنتشر بكثرة في عوائل.وكثير من هذا المجال السلالي المتزايد يؤكد كونه من اصل وراثي. وقد وجدت اسباب معينة لحالات كثيرة، تركت جماعات يعانون مرضا ذاعلة ذاتية لاعلاقة لها بغيرها اوجدت الاستعدادات الوراثية نمط المرض - وغالبا مايكون ذلك - وليس دائما في وقت مبكر من الحياة.

مدى حدوث المرض

تقرب نسبة حوادث الشيزوفرينيا من ٨٥٪ من مجموع السكان. وفي مجال مفهومة المرض العيادية ذاتها وباوسع المفهومات الاجتماعية للشخصية الفصامية (المصابة بالشيزوفرينيا) تقدر الحوادث بحوالي ٣٪ من عموم السكان. وهذه المفهومة ترتكز على الانسحاب(٢٦) الاجتماعي والشخصي، وغالبا مايكون مقترنا بالخجل والسكوت وغرابة الاطوار وجنوح الى الشك وزيادة الحساسية. وكثيرا مايحدث اقتراح واضح بين السّمتين الاخيرتين بينما قلما يحدث للسمات الاخرى بصورة ملحوظة. ووجود هذا الامتزاج ادى الى مايسمى بالشخصية الهذائية Paranoid personality(٢٧) ولما كان من المؤكد حقا ان الناس المتصفين بفتور العاطفة والتواد وبالقسوة المحتملة وغرابة الاطوار الخيالية او التفرد Lonely والخجل وعدم الثقة بالنفس diffident والحساسية والشك غالبا مايوصفون بانهم

يظهرون السمات الفصامية (الشيزوفرينيـة)، وهـذا هو سبب عـدم مقـدرتهم على التعـامل بنجاح مع الواقع الخارجي، وبخاصة الالفة مع الناس الاخرين ـ الذين تربطهم بها رابطة الحياة العملية.

وان نسبة عالية من هذه الاصابات توجد في المناطق الريفيـة النـائيـة، وكـذلـك في المناطق المتخلفة من المـدن الكبرى. وان هـذه الحـالـة الاخيرة وازديـاد هـذه الحوادث في الطبقات المتخلفة اجتماعيا، ربما تعزى لدرجة كبيرة الى قوة تيار الانحدار الفصامي المعوّق من الناحية الاجتماعية وفي حشود الجماهير المنعزلة داخل الحوافز الكبيرة، على الرغم من ان تحيز بعض الملاحظين من بين علمـاء الاوبئـة لايمكن ان نستبعـده في هـذا الوقت. اذ ان حالات من الشيزوفرينيا النموذجية تحـدث في جميع الثقـافـات Cultures ويمكن تشخيص اوصاف حالات مماثلة متكررة بصورة مدهشة في الاخبار التاريخية في الحضارات القديمة.

الوراثة: Heredity

لخص كولمان Kallmann سنة ١٩٤٦ المدى السلالي كما يلي:

بـدأ من دليـل المريض بـالشيزوفرينيـا، ان ١٠٪ من الـوالـدين سيكـونـون مرضى بـالشيزوفرينيـا، ١٥٪ من الاخوان والاخوات الاشقـاء[٢٨] و ٧٪ من الاخـوان والاخـوات من نصف الاشقاء. واذا تزوج امرأة سوية فان ١٠٪ من اطفـالـه يتوقع منهم ان يصبحوا شيزوفرينيين واذا ماتزوج امرأة شيزوفرينيـة اخرى فـان هـذا الرقم يرتفع الى ٥٣٪، وقـد اجريت بحوث كثيرة على ازواج من التوائم المتمـاثلـة Identical twins ممن اصبح احـدهمـا شيزوفرينيا ومن ثم وجدت حالة اصابة الاخر.

وهنالك مشاكل في تكوين التوأمين من البيضـة الواحـدة التي يتكون منهـا التوأمـان monozygosity (حـالـة التكوّن من بويضـة ملقحـة واحـدة) تتعلـق بـالسماح بـالانحراف المسبب عن وجود احد التوأمين الآخذ بسيرته نحو المرض بادئ ذي بدء بالسماح للاصـابـة المحتملة بالشيزوفرينيا مستقبلا عند الكبر، هبطت نسبـة الاتفـاق المسجلـة، من ذروة ٨٦٪ في سلسلة كولمان Kallmann الواسعة جدا الى ٠٪ في سلسلة تيناري Tienari.

ونتائج التوائم المتماثلة التي نشأ كل توأم منها بمعزل عن بيئـة اخيـه، وهـذه حوادث نـادرة جدا كانت غامضة.

وقد بدأت بالظهور حديثـا نتـائج دراسـات التبنّي، ويجب ان تكون هـذه الاختبـار الحـاسم للعـوامـل الـوراثيـة تجـاه البيئـة. والاطفـال الـذين ولـدتهم امهـات مصـابـات بـالشيزوفرينيـا ولكنهم تربـوا بعيـدين عنهن اظهروا نسبـة شيزوفرينيـة اعلى بكثير من

الافراد المهين عليهم مما ثبّت عامل الوراثة في علم اسباب المرض aetiology (تكتب الكلمة ايضا بهذه الصورة etiology)· ومن تلك البحوث التي تم انجازها عن سبب الشيزوفرينيا اصبحت «اما ـ او» عبارة بالية، والجميع الان متفقون ان هنالك دليلا وافيا للتفاعل بين العوامل الوراثية وبين البيئة·

فليست هنالك نظرية مندلية Mendelian كلاسيكية تنطبق على الاشكال طبق المرام· واصبحت الحاجة الان الى فرضية وراثية متعددة العوامل Malifactorial genetic hypotheses·

ان نسبة الانجاب لدى الشيزوفرينيين منخفضة، مما يتوقع ان يخفض التجمع الوراثي في السكان مالم تكن هنالك نسبة عالية من التغير المفاجئ في الوراثة يحدث مواليد جديدة مختلفة عن الابوين المنتجين اختلافا اساسيا، او ان تحصل ميزة بايولوجية لحاملي المورثات genes الذين لم يصبهم المرض· وهذا الاخير محتمل جدا، وقد سجلت احدى الدراسات نسبة كبيرة من هؤلاء الذين حصل لهم ذلك بصورة خيالية من بين البالغين من ابناء الامهات المصابات بالشيزوفرينيا، ممن أخذوا الى بيوت ترعاهم·

والاسهامات في تكوين الشيزوفرينيا التي تؤدي الى الشخصية الفصامية (التي ذكرت في العبارة السابقة) التي تحصل بسبب البنية الواهنة الضعيفة (من المحتمل انه عامل مرهق ثانوي) قد تحدث جزئيا من ناحية الوراثة، ولو ان العامل البيئي قد يكون مؤثرا بحق في الوقت ذاته·

من الناحية البايوكيمياوية Biochemical

لقد عُرضت عدة نظريات بايوكيمياوية ارتُضيت واختيرت ثم نُبذت بكل هدوء دون ان تحدث ضجة· لقد كان التقدم بطيئاً جدا ولكن يجب ان يستمر، لان الملاحظات العيادية تشير دائما الى احتمالات بايوكيمياوية في اسلوبها وعملها· فبحوث الغدد الصم على الرغم من حصول المرض بسبب الولادة وبعض اضطرابات الغدد الصم مثل الـ Cushing's Syndrome[٢٩] والعلاج المسمى Steroid[٣٠] لم تقدم غير القليل ويفضل ان يرجع من يود التوسع بهذه الناحية الى الكتب الطبية ففيها الكفاية·

بصورة عامة، كان المعتقد ان الشيزوفرينيا لاتظهر بصورة مباشرة وانما تتولد نتيجة الانعصاب الشخصي Personal stress كما في الاسلوب الذي تكون فيه الاستجابات العصابية. ولذا فنسبة مداها بقيت ثابتة خلال فترات الحرب واوقات الازمات القومية وفترات التحول الحاسمة في مجرى الحوادث الوطنية، وهذه حالات موجودة في العالم بصورة دائمة نسبيا. الفرد المصاب بهذا المرض غالبا ماتكون له اصول بطيئة جدا في تدرجها نحو الرسوخ قبل ان تُكتشف، لاتتصل بالازمة الظاهرة. ولايزال الموقف لحد الان ليس بالامر السهل.

وتُظهر البحوث القيمة التي تضم عددا من «احداث الحياة» من المشاكسة والانعصاب الشديد في حياة مرضى الشيزوفرينيا عددا متزايدا لحد يلفت النظر من الانعصاب stress في الاسابيع الموصلة الى البدء او الانتكاس وتكون هنالك متاعب متعبة لاحصر لها. ومما لاشك فيه ان الانعزال الاجتماعي يسهم في بدء المرض، ويصبح المرضى يدورون في حلقة مفرغة بطيئة وفي خلال عقود تفقدم شخصياتهم الفصامية اصدقاءهم وتعزلهم عنهم وتجعلهم اكثر غرابة في الاطوار وانحرافا عن المسار وهذه الحالة بدورها تجعلهم اقل احتمالا بالاتصال بمن يبقى ممن يألفهم قليلا وهكذا يسيرون نحو الانعزال التام. وفي المسنين يضاف صمم جزئي الى عادات الانعزال في الحياة كما يقترن ذلك بفقدان الاقرباء بسبب الموت، ويرتبط ذلك بنقصان في مرونة الادراك الحسي للواقع بسبب شيخوخة الدماغ. والملاحظات العيادية لعوائل الشباب الشيزوفرينيين التي غالبا ماتضم اشخاصا يختلفون في اطوارهم عن غيرهم ولهم اسلوب مستغرب في التفاهم مع غيرهم، ان هذه الملاحظات أدت الى نظريات مفادها ان انماط الاتصال في العائلة، في الواقع هي سبب الشيزوفرينيا. ومن الملاحظ ان الرسائل المرسلة بخاصة من احد الوالدين الى المريض محيرة في الجمع بين رسالة منفتحة واخرى معماة مناقضة، كأن يتعرض الكلام الى وصف الحرية والاعتماد على النفس في حين ان الامور الطفيفة وجميع المتطلبات الواقعية تُقوّض ذلك وتفرض البت فيه للبيت. ويقال عن المريض انه في قيد مزدوج (double bind) اي في حالة ركود وخيبة مسعى ولايستطيع ان يكسب موقفا مع الوالدين. وانما نموذجية من الزيجات التي ادت الى الانجاب قد تحققت عن طريق نظريات مقترحة مؤيدة مختلفة، ومن احداها النظرية المشهورة بأسم «الام الشيزوفرينية» ويمكن ان يقال عن المريض بأنه «منبثق» من العائلة حين ادخل المستشفى وانه كبش الفداء Scape goated او الضحية الفدائية التي تحملت جناية لم تقترفها اذ حصل له المرض ودُفع اليه دفعا بصورة كلية حيث كان الابوان حقا شخصين ذوي اختلال في علاقاتها الشخصية.

ولم تكن اية نظرية من تلك النظريات تستبعد بشكل مرضي احتمال ان الوالدين كانا من الناس ذوي الاختلال قبل بدء المرض لانهما كانا من الناس الحملين وراثيا بالشيزوفرينيا وهم بدورهم نقلوها الى اطفالهم. وبالتعاقب فان الحياة مع الطفل الشيزوفريني هي بذاتها مليئة بالانعصاب الشديد Highly Stressful وهي بلاشك خبرة مربكة. والشذوذ الابوي الظاهري يمكن ان يحدث بعد بدء المرض والاستجابة له. والنعوت المتنوعة لاعمال الوالدين الشاذة التي يتذرعون بها لاتبعث على الثقة.

وواقع الدليل حاليا هو ان نظرية التفاعل العائلي من حيث هي سبب مسهم في الشيزوفرينيا، مع انها في الغالب مقبولة ظاهريا في الوهلة الاولى في حالة المرء، فانها غير مثبّتة بالبرهان. فعلينا ان نتذكر دائما ان عددا كبيرا من الناس يصابون بالشيزوفرينيا في حين انهم لايعيشون مع والديهم، وان هجوم المرض يمكن ان يحصل في اية ظروف اجتماعية من ضمنها الشيخوخة المنعزلة. والحاجة الان الى نظرية عديدة العوامل فيما يخص الاسباب، كما هو الحال في ميادين الطب الاخرى بالنسبة لامراض رئيسة اخرى.

نظريات علم الاجتماع Sociological theories

ان الذين يدعوهم علماء الطب العقلي او النفسي Psychiatrists بأنهم مرضى عقليا انهم حسب النظرية الاجتماعية Social Theory اشخاص منحرفون عن معايير المجتمع الا انهم غير مجرمين. وعلماء الطب العقلي الذين استخدمتهم الدول انما استخدمتهم ليشخصوا هؤلاء باعتبارهم مرضى عقليا ويجعلوهم افضل توافقا وليجعلوهم مواطنين صالحين قدر المستطاع، وتعليمهم العودة الى اعمالهم مرة ثانية لان وضعهم بأنهم مجانين يعني سلخهم من المجتمع. ويبدو الانحراف .وأنه اتسع من خلال عملية الفرز التي جرت عن طريق التشخيص ويمكن ان يرى دار الاستشفاء للصحة العقلية وكأنه مؤكد فضح المريض وذلك باحاطته ببيئة محرمة مجردة من عناصر المجتمع تتوقع منه الاعمال الشاذة في كل المناسبات.
ان استهجان تشخيص المرض (الفرز) سيمنع بطبيعة الحال اجراء البحوث الاصيلة عن الشيزوفرينيا. واقامة الدليل تتعارض مع النظريات المضادة لعلم الطب النفسي ونظريات علم الاجتماع على نحو ماقال Kety اذا كانت الشيزوفرينيا اسطورة Myth(٣١) فانها اسطورة 'مرَكّب وراثي على مستوى رفيع.

واكثر من ذلك فانها من الصعب جدا ان تكون ظاهرة اختلال عقلي alienation من مجتمع رأسمالي وذلك بسبب حدوثها الشامل في جميع انحاء العالم ولانه في الصين «نعتقد ان مداها على المستوى ذاته» ولكن بيئاتنا المحلية تتقبل المرضى باستعداد افضل وتعالجهم

فيها. اننا نعتمد الى حد كبير على الخدمات التي تقدم للمرضى الذين يترددون على المستشفى وعلى ادوية الفينوثايزين Phenothizine drugs ولكننا نقوم بقسط كبير في تنوير عائلة المريض والمشاركين معه في العمل ولذا فان مرضانا يمكن ان يغادروا المستشفى بسرعة ويعودون الى المجتمع الذي يتقبلهم.

الملامح المرضيّة Clinical Features

يمكننا ان نلخص الملامح الجوهرية لهذا المرض باربعة خطوط رئيسة ومع ذلك. نقول انها ليست مميزة بعضها عن بعض بصورة دقيقة :

١ ـ اختلال التفكير بما في ذلك الهُذاء.[٣٢]

٢ ـ اختلالات الاتصال بالواقع ، مشاعر الوقوع تحت التأثير الخارجي Passinity feelings[٣٣] والهلوسات Hallucinations[٣٤] .

٣ ـ اختلالات الانفعالات .

٤ ـ اختلالات الحركة والسلوك .

هوامش الفصل السادس

١ - Psychiatry تعني الطب النفسي . والاصطلاح يتكون من كلمتين هما (كلمة Psyche التي تعني النفس + الكلمة الاغريقية iatreia التي تعني الاشفاء) وهو ذلك الفرع من الطب الذي يعنى بدراسة المرض العقلي ومعالجته والوقاية منه ، ومن فروعه :

أ - community psychiatry وهو اصطلاح واسع يشير الى تحريك وتعبئة جميع وسائل البيئة المحلية لدرء المرض الانفعالي.

ب - escr iptive psychiatry هو الطب العقلي الذي يستند الى الملاحظة ودراسة العوامل الخارجية التي يمكن ان ترى ويشعر بها وتسمع بصورة ظاهرية

ج - Dynamic psychiatry : وهو دراسة العمليات الانفعالية واصولها والميكانيكية العقلية التي تخضع لها .

د - Existential Psychiatry وهو الذي يستند الى الفلسفة الوجودية ، فلسفة Kierkegaard و Heidgger و Jaspers وامثالهم.

هـ - Forensic psychiatry علم الطب الشرعي العقلي هو الطب العقلي الذي يبحث الجوانب القانونية للاضطرابات العقلية .

و - Orthomolecular psychiatry : دراسة الامراض العقلية على اساس البيئة الجزئية للدماغ ، وخاصة عند مقارنتها بتركيز المواد الموجودة في الجسم بصورة طبيعية .

٢ - Thought : الفكر او الفكرة الواحدة او التفكير المشتمل على نشاط ذهني او الحديث الصوتي شبه المنطوق .

٣ - Feeling : الشعور

اصطلاح عام للدلالة على الناحية الانفعالية في التجربة مثل تجربة اللذة ونقيضها والاهتمام وما شاكل ذلك . يشتمل عادة التجربة العاطفية ، ويستخدم على صعيد شعبي بمعنى غير محدود الدلالة على اية تجربة ولا سيما للاحساسات اللمسية ، وعلى صعيد الانفعال هو بمثابة الحالة النفسية او التوتر النفسي المصاحب لهياج العاطفة . وقد يستخدم بشكل خاص فنقول شعور شبقي erotic feeling والشعور بالذنب guilt feeling والشعور بالنقص Inferiority feeling او شعور جنسي Sex feeling والشعور بالألفة Familiarity feeling والشعور بالكفاءة Feeling of adequacy والشعور بالانتماء Feeling of belonging والشعور بالتفوق Superiority feeling والشعور بان الواقع غير حقيقي Feeling of unreality .

٤ ـ Behaviour السلوك :

هو عمل الكائن الحي ونشاطه ، اي عمل يقوم به الكائن الحي بما في ذلك العمل الجسمي الظاهري والعمليات الفسيولوجية والانفعالية الداخلية والنشاط العقلي الضمني .

٥ ـ Psychosomatic : الطب النفسي الجسمي ، والكلمة تتكون من كلمتين(Psychoوتعني النفس + الكلمة الاغريقية soma وتعني الجسم) وتعني يتعلق بالعلاقة بين الجسم والنفس ، حيث تظهر اعراض جسمية ذات اصل نفسي وانفعالي وعقلي . ويستعمل الاصطلاح عادة ليشير الى مجموعة اضطرابات يعتقد ان سببها جزئيا او كليا اضطرابات انفعالية ولكنها تظهر للعيان كاختلال فسيولوجي .

٦ ـ Psychosis : الذُهان

اضطراب عقلي شديد يتميز بانحلال الشخصية وفقدان الاتصال بالواقع .

٧ ـ neurosis : العُصاب

اختلال انفعالي يُعزى الى صراعات لم تحل وقلق anxiety لاتزال خصائصه الرئيسه . والقلق (الحصار) يمكن ان يعبر عنه بصورة مباشرة او غير مباشرة ، كأن يكون عن طريق التعويض والتحويل وما شاكل ذلك . على عكس الذهان فان العصاب لا يتضمن تشويها شديدا للواقع الخارجي او إخلالا بنظام الشخصية ، ويدعى احيانا Psychoneurosis .

فالعصاب اذاً اضطراب انفعالي بسبب صراع داخلي وتصدع في العلاقات الشخصية واهم سماته القلق . وينشأ القلق العصابي من الشعور بعدم الامن الناتج من المواقف البيئية الضاغطة .

٨ ـ Psychotic : ذهاني

يتعلق بالذهان او يتميز بميزاته او مسبب عنه .

٩ ـ Introspection : الاستبطان

المعنى الحرفي لكلمة Introspection النظر في Looking in . ويعنى الاستبطان ملاحظة الفرد لحالته الشعورية وما يجرى فيها من عمليات مثل التفكير والوجدان .

١٠ ـ Element : عنصر (فنت وتتشنر)

ابسط مكونات الوعي ، وابسط مفهوم يمكن ان يتفرغ اليه مفهوم اكبر .

١١ ـ Aetiology : وتكتب ايضا etiology : علم اسباب المرض والكلمة متكونة من (الكلمة الاغريقية aitia وتعنى cause السبب + كلمة Logy التي تعني دراسة او علم او نظرية او مذهب او مقال) ويعني الاصطلاح دراسة او نظرية العوامل

التي تسبب المرض وطريقة تحري مصادرها ، مقدار المعرفة التي تتعلق بالاسباب .

١٢ ـ Constitution : الجبلّه

الكلمة من اللاتينية constitutio وتعني الجبلّة وهى التركيب البنيوي او العادة الوظيفية للجسم ، التي تحددها موهبة الفرد الطبيعية الوراثية والبايوكيمياوية والفسيولوجية . وتتحور الى حد بعيد بتأثير العوامل البيئية . ويعرفها صاحب موسوعة على النفس والتحليل النفسي (عبد المنعم الحفني) ص١٦٧ بأنها مجموع العوامل الوراثية المكتسبة التي تحدد الحالة الجسدية للفرد حاليا وتطورها في المستقبل .

١٣ ـ Handicap : العائق او العاهة

يشير هذا الاصطلاح الى اي نقص او عيب يعترى الجسم والعقل والسلوك ويعرقل السير الطبيعي للامور سواء على صعيد انجاز الاعمال أم بالنسبة للتعلم . والولد المعوّق handicaped هو من يتخلف في نموه العقلي او الجسمي لاسباب موروثه او مكتسبة .

١٤ ـ Infancy : (الكلمة اللاتينية Infans متكونة من كلمة In وتعني النفي Fans + neg وتعني الكلام Speeking وتعني كلمة Infancy الفترة المبكرة من الحياة نسبة الى Infant التي تشير الى الطفل الصغير من بني الانسان من الميلاد او من نهاية فترة الولادة (الاسابيع الاربعة الاولى من الحياة) الى وقت اقتدار الطفل على انتصاب قامته (من ١٢ ـ ١٤ شهرا) ويرى البعض انها تمتد الى ٢٤ شهرا وهذه الفترة هي ما ندعوها بفترة الرضاعة .

١٥ ـ Situation : موقف

توافق العوامل التي يواجهها الفرد . وفي علم النفس الرجوع الى نمط مثير ، او الكم الكلى لجميع العوامل المؤثرة في الفرد في وقت معين . ونمط المثير stimulus pattern هو مجموعة من المثيرات تكوّن مثيرا واحدا .

١٦ ـ Sadness الحزن : مزاج هادئ يشبه الأسى والكآبة فيه اقرار بتقبّل فقدان عزيز او ان كل شيً مصيره للزوال .

١٧ ـ Retardation : التخلّف ، التأخر

الكلمة اللاتينية Retardare وتعني التباطؤ Slow down والتأخر ،الاعاقة ، نمو متاخر .

وتـأخر الفكر Retardation of thought تـأخر في التفكير تـدخل فيـه عملية الفكر Process of thought تجربة بطيئة (التخلف الاولى Initial Retardation)

١٨ ـ Fanaticism : التعصب

وهي الحماس المفرط لفكرة او قضية ، او شخص ، قد يؤدي الى افعال فيهـا خطورة على الشخص او الناس . وكثيرا مـا يظهر التعصب كعرض في البـارانويـا والفصـام البـارانـوي . والتعصب بمعنـاه الضيـق احـدى السمات البـارزة للشخصيـات شبـه الفصامية والفصامية .

١٩ ـ Illusion : الخداع الحسي

يؤلف هذا الخداع ضربا من الانحراف الذاتي عن المحتوى الموضوعي او عن المعطيـات الحسيـة الواقعيـة وبـالنسبـة للـذاكرة ينطوي الخـداع عن تزييـف ذاتي عن طريـق الاضافة والحذف والاستبدال في استعادة التجربة الماضية واستحضارها .

٢٠ ـ Perception : ادراك

الادراك ، ومنه ضربـان ، خـارجي وداخلي ، والادراك الخارجي أو الظاهري يقوم على الاحاسيس القادمة من اعضاء الحس فهو ادراك حسي .

Senseperception امـا الادراك الـداخلي او البـاطني فينهض على الشعـور ولـذا يسمى بالادراك من غير الحواس Extrasensory perception واختصاره E.P.C. .

٢١ ـ Depersonalization: فقدان الصلة بالشخصية

حالة عقلية تتسم بفقدان الشعور بالشخصية وبـالواقع ، فلا يحس المرء بجسـه وربمـا يحس انه ميت ، ويشكو انه لايحس انه موجود مادي لـه كيـان . ويعتقـد البعض أن فقدان الشعور بـالشخصيـة عرض لبعض امراض العصـاب والـذهـان واصـابـات المخ .

٢٢ ـ derealization : فقدان الشعور بالواقع

فقـدان الشعور بـالواقع او الافراغ من الواقع : عرض يؤدي بـالمريض الى الشكـوى من انه لا يشعر بالواقع او ان العالم يبدو وكأنـه افرغ من واقعـه وصـار بلا واقع . وفقدان الشعور بالواقع حيلة دفـاعيـة يلجـأ اليهـا الفرد ليحمي الانـا او الشخصيـة كلها من المثيرات الخارجية ، وهو يشبه حيل الكبت والانكار والنفي .

٢٠ ـ Obsessional : استحواذى : و Obsession استحواذ والاستحواذ : فكرة او مجموعـة من الافكار تتسلط على الشخص المريض وتقلق شعوره قسرا عن ارادته رغم ادراكـه هو نفسه بـان تسلطهـا على هـذا الشكل غير سوي . وهـذه الفكرة او تلـك الافكار تكون عادة مشوبة بالعاطفـة والانفعـال كما تنطوى غـالبـا على نزعـة لترفع الشخص

نحو شكل من اشكال الفعل يتعذر على المرء ان يتخلص من الهاجس الاستحواذي فيجد نفسه في حالة عقلية او في وضع عقلي هو اشبه ما يكون بالحالة المرضية .

٢٤ ـ Judgment : الحكم .

وهو بالمعنى الواسع يمكن ان نعده جانبا جوهريا في كل عملية ادراك ، وبالمعنى الضيق ربما كان هو المعتاد . هو عملية نسبة شئ الى شئ اخر . وعموما فالحكم هو العملية العقلية التي تفسر من خلالها الخبرة المدركة في مصطلحات أعم ويصل الفرد الى ذلك بايجاد العلاقات والوصول الى نتائج وآراء ومعتقدات على اساسها ينتظم إطار القِيم . ويصل الفرد الى احكامه على اساس النمط الكلى لمحتوى خبراته السابقة ولذلك تميل احكام الفرد للثبات . ولكن حكم الشخص قد يشوبه الخطأ ، وهو شئ في حد ذاته لا يشير الى اضطراب عقلي . ولكن اخطاء الحكم التي تشير الى مرض عقلي هذاءات، والهذاء اعتقاد ثابت لا تبرره الحقيقة ، ويشير الى مرض عقلي خطير هو الذهان . ومن أخطاء الحكم المرضية توهم المرض او الفناء او التأثير او الإثارة او الاكتئاب او اتهام الذات .

٢٥ ـ Drive : الحافز

دافع يرتبط بادیٔ ذي بدء بحرمان جسمي (اى ، مثل الطعام ـ الماء ، النشاط الجنسي ، الهواء)

٢٦ ـ Withdrawl : الانسحاب

وهو وسيلة بدائية دفاعية يتعلمها الطفل في مرحلة تطوره النفسي الفمي ويلجأ اليها الانا للدفاع عن نفسه حيث يكون الطفل عاجزا عن النأى بنفسه عن المواقف المهدّده ، ومن ثم يزيح عن نفسه القلق بأن ينسحب من الموقف او بأن ينكر العنصر المهدّد ، او بالانشغال في توهم وجود ما يتمناه . ويرى (ليفين) ان الاحباط يؤدي بالفرد الى الانسحاب او الغضب او الى السلوك العصابي او الذهاني في الحالات المتطرفه .

٢٧ ـ Paranoid personality : الشخصية الهُذائية

سماتها الاساسية الحساسية الشديدة في العلاقات الشخصية مصحوبة بميل لاسقاط الشك والغيرة والحسد على هذه العلاقة ويشبه صاحبها بذلك الشخصية الفصامية ، ولكنه يكون اقل انسحابا واكثر جمودا واحسن تنظيما ، والشخصية الهذائية شرسة ومن الصعب التعامل معها وتستجيب للاحباط باللجوء الى القوة .

٢٨ ـ Siblings : الاشقاء ، الاخوان ، والاخوات

تتكون هذه الكلمة من (الكلمة الانكلوسكسونية Sib) قرابة + Ling وتعني قليل او صغير) ومعنى الكلمة اى اثنين او اكثر من الذرية من نفس الوالدين . الاخ او الاخت وتدعى ايضا Sib . وبهذا يكون الاخوة او الاخوات نصف الاشقاء ممن كانوا من ام واحدة مع اختلاف في الاب او العكس .

٢٩ ـ Cushings syndrome : اعراض كاشنك المتزامنه

حالة اكثر ما تشيع عند الاناث تعزى الى زيادة النشاط الوظيفي لقشرة (اللحاء) الادرينالين نتيجة اورام لحاء الغدة الكظرية او الفص الامامي للنخام . وقد تتضمن الاعراض سرعة تكوّن الشحوم بالوجه والشخوم بالوجه والرقبة والجذع وظهور الحدب في الظهر بسبب تطرية العمود وانحباس الطمث والافراط في امراض الشعر (في الاناث) وضعف القوة الجنسية (عند الذكور) ولون البشرة العتم مع ترقيش ارجواني والافراط في التوتر .

٣٠ ـ Steroid : اسم جماعي لمركبات عديدة بعضها يتضمن هورمون يهيىءالرحم لقبول البيضة الملقحة Progesterone والهورمونات التناسلية واحماض الصفراء والكولسترول والصابونينات Saponins ومواد اخرى .

٣١ ـ myth : اسطورة لاتقوم على اساس تاريخي او سند علمى ، تجسد فكرة شائعة تتعلق بالظواهر الطبيعية او الاحداث التاريخية او افعال الالهة والابطال .

٣٢ ـ Delusion : الهذاء

رأى او اعتقاد زائف لايزعزعه المنطق يتعارض مع ثقافة الشخص ومستواه العلمي والشخص المعرض للاصابة بالهذاءات هو الشخص الكثير الشك المحب للجدل والهذاء من اعراض اضطراب الحكم .

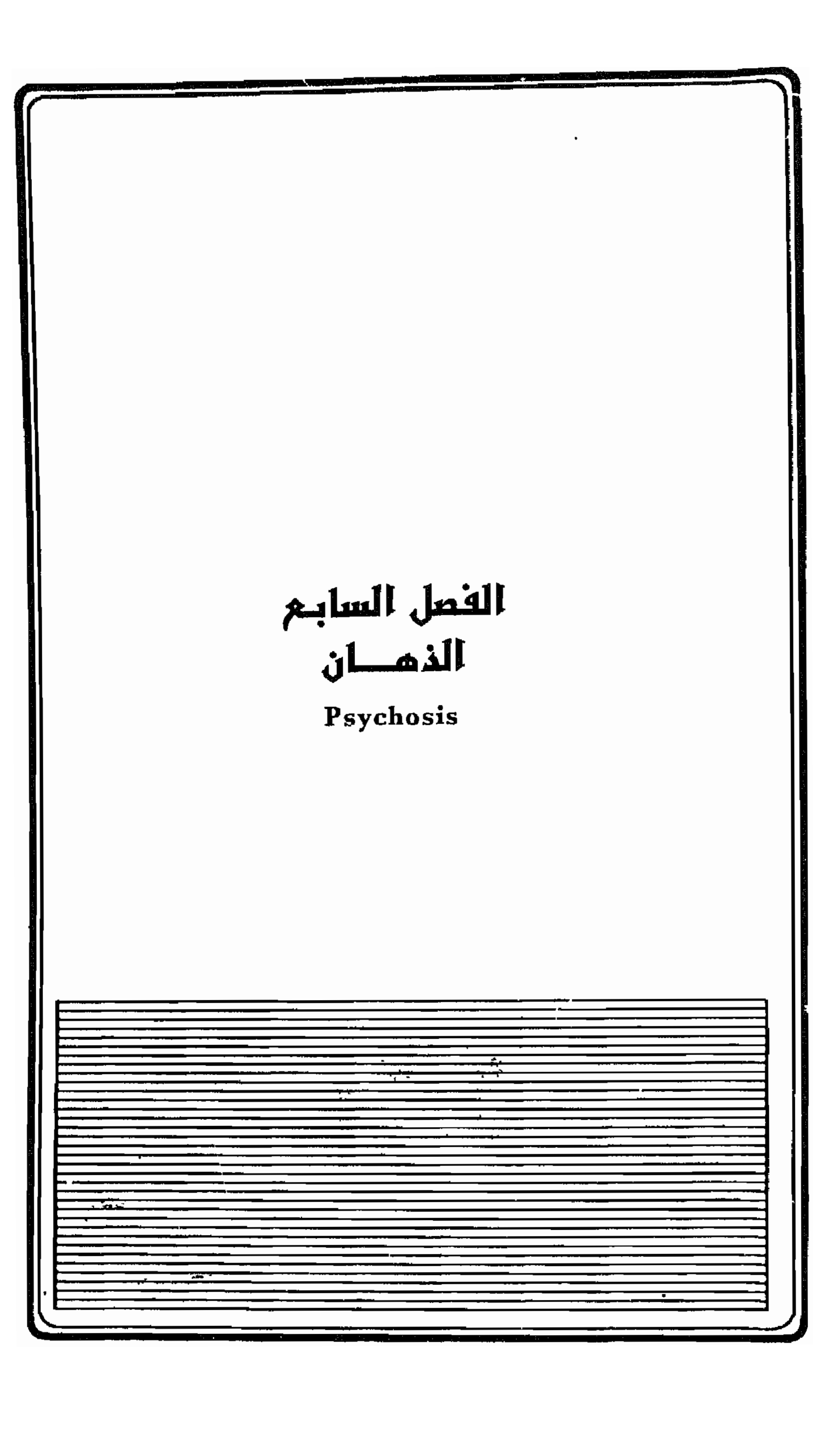
٣٣ ـ Passivity feelings :

مشاعر الوقوع تحت التأثير الخارجي : مشاعر يتوهم فيها الفرد انه واقع تحت تأثير الاخرين وانه مقصود بفعلهم وانه « معمول له عمل » وهي من سمات الفصاميين .

٣٤ ـ Hallucination : الهلوسة

ادراك خاطئ لمثير غير موجود في الواقع الخارجي ، كأن يسمع المرء اصواتا تحادثه في حين انه لا يوجد احد فعلا يتحدث اليه ، او ان يحس بحشرات تزحف على جلده حيث لا توجد قط حشرات . وعندما تظهر الهلوسة باستمرار وبشكل ثابت تكون دليلا على وجود مرض عقلي شديد . والهلوسة غير

الخداع الحسي لان الخداع الحسي خطأ في ادراك مثير حقيقي موجود في الواقع الخارجي كأن يظن المرء ظل شجرة شخصا يتربص به يريد قتله . وتقوم الهلوسة على رغبة ينكرها الانا ويكبتها، ومن ثم تستحيل لاشعورية . وتنشط مندفعة تشق طريقها من جديد الى الشعور مستعينة بالطريقة الوحيدة التي تستطيع ان تظهر من جديد بان تتنكر وتتقنع ويتم لها ذلك بالتموية على الانا بانها قادمة من العالم الخارجي بان تبدو للشعور في مظهر حسي خارجي . وقد تكون الهلوسة من اصل نفسي ، وقد تحدث بسبب التسمم او الاصابة بالمخ او بسبب اضطرابات فسيولوجية .



الفصل السابع
الذهــــان
Psychosis

من المقبول احصائيا انّ نِصف أسِرّة المستشفيات في الولايات المتحدة الامريكية يرقد عليها مرضى نفسيا . ولما كان المرض عصبياً فهم قلما يقيمون في المستشفى لغرض العلاج ، فيمكن ان نعرف جانب الصحة العامة لمشكلة «مرضى الذهان Psychoses بكل يسر بأن نقول ان المصابين بالذهان Psychotics يحتلون حوالى نصف اسرة المواطنين ، في اى يوم معين . ونصف هذه الاسرة تقريبا بدورها يحتلها اشخاص شُخّصوا على أنهم يعانون من الفصام (الشيزوفرينيا) والغالب هو ما يدعى الذهان الوظيفي Functional Psychosis واغلب الاسرة الباقية للمرضى النفسيين او العقليين يحتلها اولئك الذين يعانون من ذهانات عضوية Organic psychosis مختلفة . والسائد هو ان الناس المسنين يعانون من ذهانات الشيخوخة او ذهان تصلب الشرايين .

Arteriosclerotic psychoses . ومن وجهة نظر القيمة العددية للمشكلة وحدها فان امراض الذهان تستوجب اهتماما كبيرا . واذا احتفظنا بفكرنا أن مرضى الشيزوفرينيا من الممكن ان يصبحوا عاجزين او غير مؤهلين كما ينبغي في حياتهم الباكرة بستهل الوقت الكائن بين ٢٠ الى ٣٠ سنة من العمر ، أدركنا ان المشكلة قد بلغت من الاهمية حدا كبيرا . ومع ان معدل طول فترة المعالجة في المستشفيات للمرضى نفسيا نقصت بالولايات المتحدة الامريكية ١٠٪ ما بين سنة ١٩٥٤ و ١٩٦٤ ، فان عدد الداخلين قد تضاعف تقريبا خلال تلك الفترة .

والاحصائيات Statistic[1] بالطبع مجرد جزء صغير من المشكلة . انها لاتخبر عن التألم الانساني الواسع الذي تتضمنه امراض الذهان كما انها لاتصور الانتباه الذي يثيره الموضوع منذ عهد بعيد . وعلى العموم فان المصطلح الذهان (psychosis) استعمل كرادف ل«اختلال واسع في الطب النفسي» مع جميع حدود مثل هذا التعميم . وقدجعل مماثلا لكل ممسوس بالارواح او الشيطان . من الناحية الثانية فانه مُكرّم على انه مظهر للاهوت . كما أنه يشير غالبا الى الخَبَل Craziness[2] وينظر اليه من قبل كثيرين على انه كشف عميق Profound revelation لكل ما يجري في التجاويف العميقة من الدماغ الانساني .

والحقيقة هي ان اغلب العياديين الامريكيين في هذا العصر لاينظرون الى الشخص الذي يعاني من الذهان (المصاب بالذهان) أنه يختلف اساسيا او نوعيا qualitatively عن

يُدعون الناس الاسوياء normal . ان مثل هؤلاء الذهانيين قد يكونون مختلفين كميا Quantitatively . فمن المحتمل انهم اقل قدرة على الاحتفاظ بما في الطبقات العميقة في ادمغتهم (العملية الاساسية) من الظهور في نشاطاتهم اليومية ، ومن ثم قد يكونون في اساليب اخرى ، ناسا اكثر عمقا في تفكيرهم . واذا ما اراد شخص ان يقوم بمحاولة تجريبية محدودة جدا لتعريف الذهان وجب عليه ان يقول انه يشير الى اختلال نفسي كبير ، انه من جانب يبدو عادة صراعا ظاهرا مع الواقع ، او اختلافاً عن الطريقة التي يتصور فيها اغلبية الناس الواقع ،او اختلافا عن المعايير الحضارية المتوقعة التي تخص السلوك . وبالدرجة الاولى ان هذا التحديد او التعريف وحده يجعل من الواضح جدا ان هنالك مجالات للاختلاف . فليس كل من يُظهر مثل هذا الاختلاف او الصراع مريضا نفسيا . واكثر من ذلك ليس من الضروري ان جميع الناس الذين يعتبرهم الاختصاصيون ذهانيين يُظهرون اضطرابا حسب الطرق التي ذكرت حتى في تلك التصرفات التي تبعث بصالحهم او في تلك التي تعبث في المجتمع . وخلال معظم حياتهم قد لا يظهرون علامة لاي اختلال كبير مطلقا . ومن الممكن ان ينفجروا فجأة او انهم قد شعروا به بعد فترة ويتهربون منه او ان يكونوا متسترين في اشكال مقبولة حضاريا مثل التعصب الديني والسياسي .

والحقيقة القائلة بان السلوك الشاذ لمرضى الذهان يتضمن معايير اجتماعية حضارية يجعل من الواضح تماما ان امراض الذهان تتصل بصورة ملائمة مع علوم اجتماعية من امثال علم الاجتماع Sociology وعلم الانسان الحضاري[٣] Cultural anthropoloy وعلم النفس الاجتماعي وكذلك الميادين المقاربة مثل علم الشريعة وعلم الجريمة[٤] . ونزيد فنقول ان مظاهر مرض الذهان يتأثر بصورة جلية بالعوامل الحضارية . وهذا القول يمسك بزمام الحقيقة ليس للحضارات المختلفة والحضارات البدائية فحسب بل كذلك في التغييرات الزمنية ـ على سبيل المثال ـ داخل الحضارة الغربية فما كان معتادا ان يعتقد بأنه من امكانات الجن اصبح موضوعا لعظمة الانسان وقدرته على التحدي يتضمن مكائن توليد الكهرباء والراديو والتلفزيون والرادار او الاجهزة الالكترونية الاستطلاعية .

وعلم اسباب امراض الذهان etiology psychosis يمتد ايضا الى العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، وهنالك نقاش كثير حول الاولوية من حيث الاهمية لاسباب الذهان العضوية او «الوظيفية» .

وتصنف الرابطة الامريكية للامراض النفسية والعقلية الاختلالات الذهانية (١٩٥٢) حسب مايلي :

الاستجابات الذهانية الانتكاسية[٥]
الاستجابات الوجدانية.
استجابات الهَوَس الاكتئابي (النوع الهوسي، النوع الاكتئابي، اخر).
الاستجابات الذهانية الاكتئابية.

الاستجابات الشيزوفرينيه

النوع البسيط ، نوع خبل البلوغ helbephrenic النوع الكاكاتوني[٦]
النوع الهـذائي Paramoid النوع الحـاد غير المتميز ، النوع غير المتميزالمزمن ، النوع الفصامي الوجداني ، نوع الطفولة ، النوع المتبقي الذي يترك اثارا في السلوك .
الاستجابات الهذائية : الهذاء Paranoia الحالة الهذائية Paranoid state .

التشخيص والتحديد

ان الطب النفسي لاتكثر فيه التحديدات العمليـة ، والمصطلح «الـذهـان Psychosis لسوء الحظ لايُستثنى من ذلك . والتحديـد والتشخيص في الغـالب ذو علاقـة قريبـة من الطب . ولذلك نستطيع ان نقول انه من الناحية التقليدية والعياديـة ، ان الشخص قـد شُخِّص بأنه مصاب بالذهان بموجب حسـابـات عيـاديـة ذات دلالـة ـ فـان كان هنـالـك اضطراب في الادراك[٧] يتعلق بالزمان والمكان والذات ، واذا كان الوجدان والانفعـال[٨] affect غير منـاسـب ، اذا كانت العمليـات الفكريـة وجـدت بصـورة غير صحيحــة (غير متماسكة ، غير سديدة ، غير مترابطـة) ، اذا كانت الـذاكرة للاحـداث الحـاضرة والمـاضيـة مضطربـة ، واذا كان السلـوك غير منـاسب او انـه متـأثر بصـورة ظــاهرة بـالهــذاءات Hallucination .

ان هذا التحديد يتضمن طبعـا كلا الذهانَين . العضوي و الوظيفي . وبـالنظر الى هذين الاصطلاحين فان هنالك بعض المشاكل الاخرى التي تفلت من التحديـد حيث ان هنالك من الناحية التقليدية مدرستين فكريتين اسـاسيتين : (١) ان الـذهـانيين يختلفون نوعيـا من غير الـذهـانيين من النـاس ، ان هـذه المفهومـة يعتنقهـا اولئـك الـذين يرون الشيزوفرينيا او الذهانات الوظيفية Functional على أنهـا امراض مع منشـأ جسمي واضح المعالم .

(٢) ان الذهانيين بصورة عامة والمصابين بالشيزوفرينيا بصورة خاصة يختلفون من حيث الكم فقط quantitatively عن الشخصيات السوية normal غير الذهانية . ان ادولف ماير Adolf meyer ، ممهدا لمفهومة علم الاحياء النفسي Psychobiology صاغ مفهومة انواع الاستجابات الذهانية متمسكا بفكرة ان امراض الذهان انما هي انحرافات لانواع من الاستجابات الاعتيادية . وبالدرجة الاولى ، ان مدرسة التحليل النفسي للفكر تضع الذهان ضمن نظريتها العامة للشخصية ، وحتما فان مدرسة الفكر لا تبعد عوامل اسباب المرض العضوي .

وبكل تأكيد ، ان التفكير الواضح الجلي عن المفاهيم «عضوي» و «وظيفي» يبدو ان امرها قد انتهى وزال ، ولو ان المجلات يندر ان تعكس هذه الحقيقة . واكثر من ذلك ، فان احدى الصعوبات المتعلقة بالتدبير القياسي للتصنيف المتوازن للهذاءات هي الحقيقة القائلة ان كثيرا من النعوت مصطنعة بصورة واضحة . ولذا مما يغم اصحاب العيادات ، ان المرضى لايبدو عليهم انهم راضون في البقاء ضمن زمرة معينة ولا يتدخلون وفقا للاغراض فحسب ولكن يجنحون الى أن يسلكوا بصورة تؤدي بالعياديين الى ان يغيّروا تشخيصاتهم لذهان الهوس الاكتئابي ـ المرحي Manic depression Psychosis الى الشيزوفرينيا schezyophrenia واحيانا يكون العكس . ومما هو اكثر من ذلك ، ان تشخيصات مثل الذهانات النفاسية Puerperal psychoses[١٠] والذهانات الانتكاسية Involutional Psychoses وذهانات تصلب الشرايين وذهانات الشيخوخة ، والغالب على هذه نادرا ما تكون اكثر من اوصاف ظاهرية . ومن العسير على الفرد ، مع كثير من الذين ينعتون بذهانات تصلب الشرايين ان يلجأ الى اثبات تصلب الشرايين او على الاقل ان يجدهم اكثر تصلبا للشرايين من الناس الذين هم في سنهم من الذين لم يجر لهم تشخيص في حياتهم او بعد موتهم ، وفي كثير من هؤلاء المرضى ، يبدو ان الأعراض والسمات المميزة وهشاشة الدماغ انها موجودة قبل فترة طويلة من الحَبَل Pregnancy والتغيرات الارتدادية التي تصيب الجسم بسبب التقدم في السن فتضعف من حيويته (كانقطاع الحيض عند النساء) وقبل سن الشيخوخة . وافضل ما يمكن ان يظن به الفرد هو ان ظهور أيٍّ من تلك الاحداث :ـ

التغيرات الهورمونية hormonal changes والصدمة النفسية[١١] ونقصان الأكسجة oxygination (الامتزاج او التشبع بالاوكسجين) الذي تسببه شيخوخة جهاز الدوران ونقصان النفع الاجتماعي والاعتبار ـ انها في النهاية اما ان تزيد في التوتر الاعتيادي او تنقص الاستطاعة التكاملية Integrative capacity . وهكذا يحدث التغير من الاختلال الكامن الى الاختلال الظاهر .

والتحديد النافع - والنظرية Theory - للذهان يجب ان تجمع كل تلك الحقائق العيادية الظاهرة للعيان - وان تسمح للقوى ذات العوامل الجسمية الاساس والتجريبية الاساس، ان تلعب دورها متفردة ومترابطة ، على مستويات مختلفة من التفاعل : بصورة فردية واجمالية (على سبيل المثال ، في حالة الضرر الجرثومي او الجسمي) بصورة نفسية وكذلك اجتماعية وانثروبولوجية.

وانه يبدو ان النظرية الموحدة للذهان يمكن ان تصاغ بصورة تتكامل فيها نقاط المزايا العضوية والتجريبية وتقدم فوائد كثيرة .

والاطار الفكري المقترح آنفاً سيكون علم نفس التحليل النفسي للانا Ego . ان كشف اى ذهان مقترن باي سبب من اسباب المرض سيكون عندئذ موصوفا ومفهوما من حيث التغيرات في وظيفة الانا Ego ضمن اي نظام حضاري . ولاجل هذا الغرض ، فان الذهان يبدو على انه اعراض سلوكية متزامنة[١٢] Behavioual Syndrome وليس مرضاً واحداً، والاعراض المتغيرة قليلا المرتبطة بهذه النعوت التشخيصية يجب ان تفهم على انها المسلك المشترك النهائي لعدد من حالات قد تؤدي الى اضطراب شديد للانا وتكشف عن نفسها في ذلك الاضطراب الشديد للانا. وان تلك الحالات يمكن ان تصنف ابتداءاً من ضعف الانا النفسي المنشأ الخالص نسبياً الى الامراض الوظيفية للانا التي سببتها اضطرابات حدثت عن طريق حالات العدوى وتصلب الشرايين والانزيمية Enzymatic والحالات السامة او عن طريق عوامل الصدمات او عوامل وراثية او عوامل جبلّية Constitutional ، وقصارى القول باي عدد من العوامل الكيمياوية المنشأ او الانسجة العضوية من حيث المنشأ Histogenic او من عوامل منشأ وراثي genogenic او من عوامل منشأ اجتماعي او من عوامل منشأ نفسي او من مزيج من تلك . ولما كان العامل الجسمي المتميز قد يكون موجودا ، فانه عادة يجب ان يصطحب بشئ من الاستعداد النفسي Psychological predisposition (تعابير انماط الانا) لتعرض الصورة الذهانية . ومن الناحية المعاكسة ، فمن المحتمل ان عوامل جسمية معينة احدثت بصورة ثانوية سبب المرض النفسي المنشأ للذهان، وعلى الاقل لحالات الهجوم المبكرة وذات الحصيلة القاسية .

وباختصار، فان تعدد العوامل، والنظرية الجسمية النفسية للذهانات psychosomatic theory of psychosis تسمح للفرد ان يفهم الذهان على أنه النتيجة المشتركة لعوامل اسباب مرضية شخصية متنوعة. انها تمكن الفرد من ان يقوم بتشخيص على اسس دراسة متقنة للاسباب الخاصة للمرض المشتركة في حالة معينة وتسمح لمهنة علاجية افضل لمجموعة من العوامل الموغلة في الفردية يفضى بجلاء الى الممر المشترك للاغراض المتزامنة عن طريق مباشرة او غير مباشر جسمى او نفسى او بيئى يؤدى الى قيام الانا بوظيفته بصورة افضل.

تستند نظرية التحليل النفسي الى افتراضات تعنى بالتفاعل الديناميكي للقوى البيئية والقوى الانسانية (ناضجة خِلقية [١٣]«ولادية»)باستنجابات مكتسبة ولذا يمكن ان تفهم الاخلاق والشخصية على انها من القوى. وقيام الانا بعمله، من الناحية الدقيقة جدا يجب ان يوصف من حيث نمطه : وبما انه يقينا يمكن ان يكون متفاوتا ـ الانا عند شخص قد يؤدي وظيفته بصورة افضل من الانا عند شخص اخر ـ وان المزيج منفرد «فذ» unique في النهاية، فان كل نمط معين يمكن ان يصنف بوجه التقريب حسب وجهات تشخيصية ووصفية .

ولكون ان قياسات درجة القيام بالوظيفة مشمولة باوصاف انماط قيام الانا بعمله فان الافتراضات الكمية لايمكن تجنبها. ان نظرية التحليل النفسي تتضمن عدة كشوف كمية مما يمكن ان يتوقع في نظرية تلعب فيها مفاهيم القوى والاقتصاد ادواراً رئيسة.ان الشحنة النفسية[١٤] الشهوية (اللبيدية) برمتها في علاقات الموضوع [١٥] object والتشخيصات الداخلية هى طبعا، كمية quantitive من حيث الاساس. ومع ذلك فإن المحللين النفسيين بصورة عامة لم يحدّثوا انفسهم بمحاولات دقيقة التحديد ولذا وجب ان يكون من المحتمل ان تكيفٌ طرق القياس التجريبية وفقا لمتغيرات التحليل النفسي. ان الطرائق ذات المعنى الهادف لقياس قوة الانا ، امر محتمل اذا ما حددت قوة الانا على انها « المجموع الكلي لقابلية الانا Ego's Capacity لانجاز وظائفه المتعددة ».

ويمكن ان يكون كل عمل يؤديه انا بمفرده قد فحص كميا واعطى درجة موزونة وانضم ضمن درجة كلية يشبه الى حد كبير شأن حاصل الذكاء IQفي اختبار وكسلر ـ بلفيو[١٦]. وكذلك يجب ان تكون النظرة الى قوة الانا اجمالية كبيرة الشبه جدا لنظرة وكسلر للذكاء. ان الانا لايمكن ان يُتصّور عقليا طبعا على انه دائرة تامة وفي كل منطقة من اعمال الانا يشكل نصف قطر، بل لايمكن ان يقارن بهذا السياق بفلقات برتقاله. والصورة التي تطرح نفسها من التوت العلّيق غير المتساوى على كل سطح تتشكل نهاية الخط لواحدة من وظائف الانا العديدة . واكثر من ذلك ان توت العليق هذا المتغير يمكن ان يتكون من مطاط قابل للتمدد بحيث يمكن ان يغير شكله تطوريا ويكون موضوعا للتغيرات يوميا او في اية فترة . وفى اللوحة الاتية بعض المجموعات المهمة لوظائف الانا واضطراباته:

وظائف الأنا	الاضطرابات
اولا: من حيث علاقتها بالواقع	**اولا: الاضطرابات من حيث علاقتها بالواقع**
أ ـ التكيف للواقع	**أ ـ اضطرابات في قابلية التكيف**
١ ـ تمايز الشكل والخلفية (الاساس)	١ ـ سلوك غير ملائم تجاه المصاعب الذاتية والموضوعية
٢ ـ القيام بالدور او تمثيله[١٧] Role playinq	٢ ـ العجز عن مقاومة الانحرافات الاعتيادية في الروتين
٣ ـ التلقائية والابداع. النكوص ى في خدمة الانا	٣ ـ الاخفاق في التكيف الاجتماعي، الجمود[١٨]
ب ـ اختبار الواقع	ب ـ الاضطراب في اختبار الواقع
١ ـ دقة الادراك	١ ـ الاسقاط[١٩] projection
٢ ـ قوة الحكم	تعليل الموقف (الساحة[٢٠]، انكار[٢١]
٣ ـ الوعى بالموقف فى الوقت والمكان والناس	وتحريف الواقع عن طريق الهذيان (الهلوسة) والتوهمات debusions
ج ـ الاحساس بالواقع	ج ـ الاضطرابات فى الاحساس بالواقع
١ ـ حسن معرفة الفرد «لحدود ذاته»	١ ـ الاحساس بالابتعاد عن التلقائية والعجز عنها.
٢ ـ عدم الفضول فى تأدية الوظائف الاعتيادية	٢ ـ ٢ ـ زيادة الاحساس بالمشاهَد سابقا Deja Vu[٢٢]
	٣ ـ الاونيروفيرينيا Oneirophrenia[٢٣]
	٤ ـ الصور الذهنية المرتبكة للجسم
	٥ ـ الاوهام الواسعة[٢٤]
	٦ ـ اقحام سواء كان تابعا او متبوعا.
	٧ ـ المظاهر الفسيولوجية

ثانيا ـ تنظيم الدوافع والهيمنة عليها	ثانيا ـ الاضطراب في الهيمنة على الدوافع
١ ـ القدرة على استخدام السلوك في غير وجهته السائر فيها.	١ ـ اختلالات العادة والتصرف (نوبه الغضب، قضم الاظافر)
٢ ـ تحمل الاحباط frustration tolerence (ابطال طاقة الدافع)	٢ ـ الاهلية[٢٦] accident proneness ٣ ـ الافراط فى الاندفاعية.
٣ ـ تحمل القلق (الحصر)	٤ ـ حالات التوتر
٤ ـ الباعثية المتكاملة ٥ ـ تحمل الغموض	٥ ـ التهيج الواسع وتهيج الاغماء التخشبي الذى هو حالة من تصلب العضلات قد تستمر دقائق أو ساعات في بعض حالات انفصام الشخصية
٦ ـ الاعلاء[٢٥]	٦ ـ الارتفاع والانخفاض الحركى النفسى psychomotor[٢٧] للاغماء التخشبي والاكتئاب depression[٢٨]
	٧ ـ العجز عن (او الاحراز غير الكامل) الهيمنة على الوظائف الابرازية.
	٨ ـ المظاهر الفسيولوجية
ثالثا ـ علاقات الموضوع[١٥]	ثالثا ـ اضطرابات العلاقات بموضوع
١ ـ القابلية على تشكيل علاقات ملائمة مع موضوع	١ ـ امراض العجز النفسى والعقلى والامراض السامة نفسيا (فى الطفولة المبكرة Infancy
٢ ـ ثبوت الموضوع	٢ ـ النرجسية، التوُحد austism
	٣ ـ العلاقات التكافلية symbiotic Relationship.
	٤ ـ العلاقات الاعتمادية[٣٠]
	٥ ـ افراط الشحنة النفسية، الاثنينية[٣١] الخوف من عدم التعاون

رابعا ـ العمليات الفكرية

١ ـ التدقيق الانتقالى

٢ ـ القدرة على تجنب التلوث بمادة او دوافع غير لائقة

٣ ـ ذاكرة جيدة

٤ ـ قدرة مساعدة على التركيز

٥ ـ قدرة على التجريد Abstracting Ability

خامسا ـ الوظائف الدفاعية

١ ـ الكبت[٣٤] (باعتباره عائقا ومانعا ضد المنبهات الداخلية والخارجية)

٢ ـ صياغة استجابة اعلائية (التسامى)

٣ ـ الاسقاط projection (ان ينسب الشخص مابه من مشاعر غير مقبولة الى غيره)

٤ ـ الرفض، الانسحاب، الدفاعات الاخرى

سادسا:الوظائف المستقلة

ـ الادراك الحسى

٢ ـ القصد (الغرض)

٣ ـ الذكاء

٤ ـ التفكير

٥ ـ اللغة

٦ ـ الماسوشيه الساديه sado-masochism

١ ـ التفكير يَنْضَمُّ ويخضع بموجب الدوافع

٢ ـ انشغال البال باهداف غريزية

٣ ـ المنطق المترسل في التخيل تهربا من الواقع

٤ ـ فقدان دقة الحلقات المترابطة او فقدان معانيها

٥ ـ تحريف الواقع

٦ ـ فقدان الحوافز فى الزمان والمكان، التجسيد[٣٢] Anthropomorphism التحجرية، الرمزية symbolism النزعة التوفيقية[٣٣]٠٠ الخ

٧ ـ التفكير السحرى magical thinking.

خامسا ـ أضطرابات الوظائف الدفاعية

١ ـ بزوغ عملية الفكر البدائى

٢ ـ الافراط فى الاستجابة للمنبهات

٣ ـ العجز عن الهيمنة على الدافع

٤ ـ ازدياد الهنات السلوكية[٣٥]

٥ ـ عائق فى الهيمنة على الانفعالات

سادسا: اضطربات الوظائف المستقلة

١ ـ ضعف توافق وظائف الانا Ego المذكورة

٦ ـ الانتاجية (المنتجة) productivity

٧ ـ التطور الحركى

سابعا: الوظائف التركيبية	سابعا: اضطرابات الوظائف التركيبية
١ ـ لتوحيد وتنظيم وربط احداث قدرة الانا لتشكيل صورة متكاملة الخصائص تختلف عن خصائص اجزائها، gestaltالهيأة الكل المتكامل الاجزاء	١ ـ النزعة لعدم الترابط
	٢ ـ العجز عن تحمل التغير او الصدمة

٢ ـ التحايد neutralization

٣ ـ الاعلاء (التسامى) sublimation

٤ ـ الاتزان البدنى homeostasis

وعلى كل حال، فان علماء التحليل النفسى بصورة عامة لم يحدّثوا انفسهم بمحاولات لقياس دقيق التحديد، ومع ذلك فانه من المحتمل حقا ان تُكيف الطرق التجريبية حسب تغيرات التحليل النفسي.

والطرق الهادفة لقياس قوة الانا ممكنة اذا حددت قوة الانا باعتبارها «قابلية الانا الكلية لانجاز وظائفها العديدة». فكل وظيفة فردية للانا يمكن ان تفحص قياسيا من حيث المقدار وتعطى تقديرا score من حيث الوزن وتربطان بتقدير كلي كما حصل لحاصل الذكاء (نسبة الذكاء) فى اختبار ذكاء – wechsler's (Bellevue) وكذلك يجب ان ينظر الى قوة الانا Ego strenqth نظرة اجمالية كبيرة الشبه بنظرة wechslar للذكاء. لايمكن ان يتصور الانا على أنه كرة تامة، طبعا، بحيث كل منطقة منه تقوم بوظائفها مكونة نصف قطر، كما لايمكن ان تقارن في هذا السياق بفلقات البرتقالة (بالعامية العراقية شياف: جمع شيف) والصورة التى تطرح نفسها هى توت العليق الوعث حيث تكون فيه كل نقطة على سطحه نهاية واحد من وظائف الانا العديدة. واكثر من ذلك، ان هذا العليق المتخذ بسرعة اشكالا مختلفة يمكن ان يكون مصنوعا من المطاط القابل للتمدد حيث يغير شكله بصورة تطورية ويكون عرضة للتغيرات كل لحظة وكل يوم.

نظرية تعدد العامل:

ان مفهومة الذهانات psychoses باعتبارها اختلالات لها اسباب مرضية عديدة مختلفة ولكنها مشتركة فى ممر عام نهائى من اضطراب الانا Ego يؤدى بصورة منطقية واضحة الى مفهومة ان تشخيص الذهان فى الوقت الحاضر يمكن ان يحصل في الغالب على اساس اضطراب الانا عند مريض معين. وهى كذلك تعقب ان درجة اضطراب الانا الذى نرغب فى ان ندعوه الذهان psychosis تستند على الاصح الى قرارات كيفية. وكما ذكرنا، ان هنالك تباينات فى تأدية الانا بوظيفته عند كل شخص، اى ان الناس الذين يتمتعون بالصحة يظهرون وظائف معينة للانا ذات مستوى عال جدا. اما الذين هم دون ذلك فلهم شأنهم حسب مستواهم. وقد يكون صحيحا أن عددا مدهشا من اضطرابات الانا، واحيانا يكون عنيفا بصورة تلفت النظر، تظهر فى عدد كبير من الناس الذين هم عموما يعتبرون اسوياء احصائيا من حيث مزاولة اعمالهم مدى الحياة، وما زال هولاء ناسا اسوياء نظرا الى الحقيقة القائلة ان اضطراب الانا يحصل في جزء صغير نسبياً في شخصياتهم وكذلك قد يجد الفرد وهو يطالع بدقة تاريخ حياة، وجود حادثة هامة فى اضطراب الانا فى عمر معين.. وهى رغم شدتها كانت محددة بخاصياتها[٣٦] self - limited ولم يكن لها تأثيرات اضافية. ويدخل الحظ فى هذه المسألة: فان اضطرابا واضحا فى الخدمة العسكرية قد يصبح مصدرا لتسطير متاعب وبالتالى سببا لامراض فرعية. وبعض الاضطرابات الخاصة قد تبقى دائما غير معروفة وتصبح سببا لفقدان الذاكرة[٣٧] amnesia

وتحت وطأة ظروف معينة ، على سبيل المثال ان الذين يعانون من الحرمان الشديد[٣٨] Extrrme deprivation والمذاءات delutions والملوسات hallucinations (فيما يخص الطعام والشراب والرفاق) يجب ان ينظر اليهم باعتبار أن الوظائف التكيفية للانا Ego تختفى حالا حينما تشاء الضرورة: وهم فى الحقيقة قد يمتلكون قدرا متبقيا خلال الضرورة: على سبيل المثال انها قد تسند الشخص ذا المشاعر غير المنطقية الذى يزعم ان تدبيرا غذائيا معينا سيحميه وبكل تأكيد فان كل شئ سيكون حسنا.

ومن ثم فهنالك تنوع كبير من اضطرابات الانا العصبية التى يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار وكل تلك الحقائق ستساعد على القاء الضوء على الصعوبات فى كيفية تشخيص الذهان psychosis على اساس اعراض متزامنة syndrome محددة واحدة.

ومما يجب ان نتذكره دائما انه من الوجهة النظرية اننا نسلم جدلا ان الذهان ليس حالة واحدة، انه ليس نقطة فى السلسلة المتصلة لقوة الانا ولكنه مدى Range على

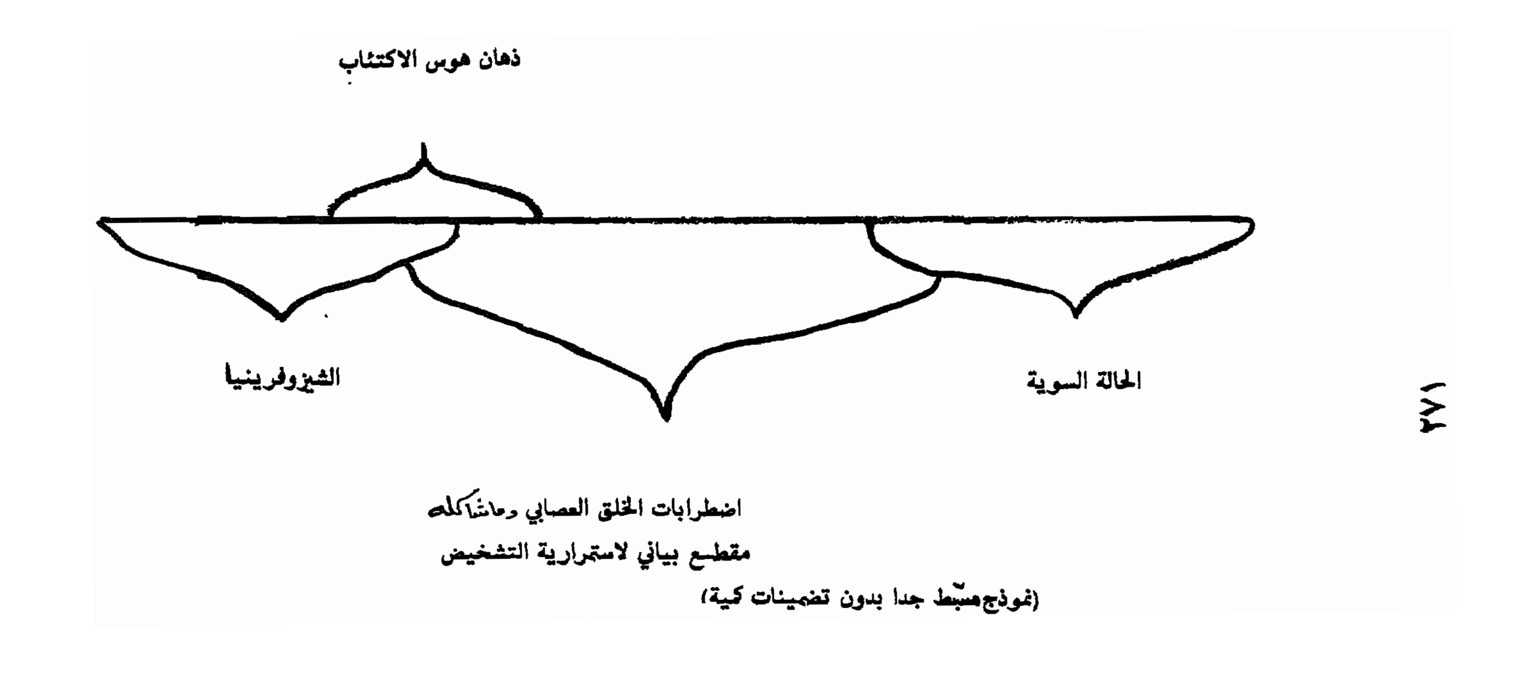
طول السلسلة المتصلة: ومن خلال جماعة شخّصت على أنها ذهابية يستطيع الفرد ان يصنف اولئك الذين هم اشد مرضا او اقل ، والاشخاص الذين يعانون كثيرا او قليلا من قوة الانا الاجمالية (وكذلك قوة الانا تتباين فى مجالات مختلفة فى اوقات مختلفة). وفى هذا المعنى فان قيام الانا بوظيفته يجب ان لاينظر اليه على انه قضية كمية فحسب بل ان ينظر اليه على انه اكثر او اقل فى مجالات مختلفة فى اوقات مختلفة.

ومن المفيد ان نتذكر من حيث الاساس ان تشخيص الذهان ظاهراتى phenomenological يستند الى اخفاق الانا في تأدية وظائفه بصورة تمكن ملاحظته (يتضمن التقارير المسجلة طبعا) ، اكثر من ان يستند الى الافتراضات التى تخص التركيب الديناميكى او اى معيار اخر.

استمرارية التشخيص: يمكن ان يُتصور الذهان على مدى ranqeفي النهاية الواطئة لقوة

الانا المتواصلة بشكل سلسلة، بينما تغطى الحالة الطبيعة السوية مدى النهاية الاخرى. وتخمينا، فان شيزوفرينيا ذهان هوس الاكتئاب ـ schezophrenia manic deperesisave psychosisوعصاب الوسواس القهرى obsessive compulsive neurosisواختلالات الشخصية الشديدة(٣٩) severe character disordersوقلق هستيريا الخوف والهستيريا الواقعة تقريبا فى هذا النسق، تقرأ من الشمال الى اليمين (فى الكتابة الانكليزية طبعا) بين تلك النقطتين والشكل التآلى يصور هذه السلسلة المتواصلة ، ومع ذلك فان وجهة النظر التقليدية هذه ذات قيمة محدودة ، اذ ان كل حالة من تلك الحالات يمكن تمييزها فقط عن طريق توضيح الاعراض التى تعرب عن تشكيل حل وسط دفاعى بارز واحد. ويمكن ان لايكون هنالك اى جدال، فى ان الهستيريا الحادة قد تشتمل على أنا EGo اضعف ويمكن ان تكون حالة اقرب نسبيا الى الذهان (الشيزوفرينيا) منه الى الاختلال الوسواسى القهرى او الرُهاب المحدود Circumscribed phobia.

ويكون من الصعب احيانا تشخيص الذهان فى مراحله الاولى لان الوصف العيادى قد يشتمل على انواع كثيرة من وظائف الانا. وهذه بطبيعة الحال قد تكون كذلك موجودة فى العصاب neurosisوالاختلالات العصبية المحدودة واضطرابات الخلق والشخصيات | المعتلة نفسيا (المريضة اجتماعيا) والانحرافات والاختلالات الاخرى وقد يتداخل مرض الذهان معها



مقطع بياني لاستمرارية التشخيص
(نموذج مبسّط جدا بدون تضمينات كمية)

ليس الهدف هنا ان تبحث بالتفصيل المشاكل العيادية (المرضية) clinical problems للتشخيصات المتباينة ولكن سنحاول بالدرجة الاولى أن نعرض ايضاحاً مفهوميا conceptual:

يجب ان يكون التشخيص العيادى المبكر للذهان مستندا الى قرار ان درجة اضطراب الانا حادة جدا وان الحماية تعتمد على معرفة اسبابها واعراضها المرضية Pathological الى حد كبير بحيث ان الفرد يتوقع تطور الذهان الى حده المكتمل ان لم يكن هنالك تدخل بارع .

وكما ان هنالك تباينات عديدة من الذهانات التامة، فان هنالك اشكالا عديدة من الاعراض المرضية[٤٠] الذهانية المبكرة. فعدم الشعور بالمسؤولية عند ذوى الشخصية المرضية اجتماعيا دلالة على التكامل الضعيف للأنا الاعلى[٤١] super Eqo وضعف تحمل الاحباط frustration والاختبار الضعيف للواقع وعلاقات الشخص الضعيفة (من قبل الانا Eqo) قد تحصل عند الفرد الذى كان قبلا ذا ضمير حي ومؤدبا ذا عطف على الاطفال والحيوانات. فما كان بالغاً فى القلة غالبا مايطبع سببا قائما فى الفرد من ابناء البيئة المحلية ممن نراه حسب الظاهر - يصبح فجأة مريضا نفسيا ومتورطا فى اعمال اجرامية. لذا فانه من المحتمل جدا ان دلائل الاضطراب قد تكون موجودة منذ زمن طويل. فالانعزال والاختلاء بالنفس seclusiveness شأنه شأن الانبساط[٤٢] Extrovertion المتطرف الفجائى، قد يكون المؤشر الاول للانهيار فى المرض النفس. فتغير المزاج mood يدل على هيئة ضعيفة.

وليس مجرد المظاهر الخاصة لاضطراب الانا العلامات المنذرة للذهان:

اذ ان شخصية ماقبل الذهان presychotic personality قد تكون معتلة اجتماعيا، فالطفولية (قلة الهمة وكثير من دوافع ماقبل المرحلة التناسلية) وشدة التأثر والمزاج العصبي الشديد (الاعمال العظيمة الفكرية او الفنية على حساب تطور ونمو اخر)، والمغالاة فى التديّن (مثل الاستجابة لعداء، المهنة عليه ضعيفة) والبلادة أوالجمود الحسى (بسبب اضطراب مبكر فى الوظائف الذاتية autonomus والعلاقات مع الموضوع الذى يشبع رغباته) او امتلاك تحصيل ضئيل (بسبب ما حصل قبل المهنة مع الوهم وما شاكله) على الرغم من الذكاء العالى .

لقد كتبت تقارير كثيرة للتباين الكبير لامراض الذهانات الكاملة . والخلاصة ان المريض الذهاني الواحد قد يختلف دائما كثيرا عن الذهاني الاخر مثلما يختلف اى فرد عن الفرد الاخر . فهنالك الذين لم يحرزوا اى تقدم وهناك الذين ارتدوا عن المستويات

العليــا في التحصيــل المــدرسي achievementواولئـــك الــذين هم شــواذ بصــورة ظاهرة ويصعب التعاطف معهم. وهناك الذين يحتمل ان ينظر اليهم النـاس على انهم اقل اضطرابا مما هم عليه على وجه الحقيقـة، بسبب مظهرهم الكاذب الـذى يبـدو حسنـا. ومن الـذهـانيين من يكــون وديــا، بينمــا يكــون اخرون فــاترين وســاديين sadistic يتلذذون بالقسوة. ومنهم من يكون خصبـا فى انتـاجـه وسريع التـأثر بينمـا نجد اخرين يبـدون كأنهم لايمتلكون الـدافع او القـدرة.لقـد أُنزل الـذهـانيون الى دون مـا يستحقـون ظلماً من الناحية الابداعية فقد افرط فى تقديرهم كفنـانين، وذوى اعمـال ذهنيـة، او كما يرى البعض انهم ثوريون تحتاج جمعياتهم ان تُحجب. وانه لمن الراحة للفرد ان يحرر نفسه من الكلام عن الذهانيين، اذا لم يكن يمتلك الكثير من الفهم والمعرفة عنهم.

المفهومات التشخيصية المتباينة:

عند تشخيص الدهان، غالبا ما يستعمل عدد من العلامات التشخيصيـة ذات المرتبـة الثانوية، وتكون احيانا فى طرائق غير واضحة او انها مربكة.

الذهان الحدّى (على الحافة):Borderline psychosis

يمكن ان يعرّف الذهان الحدى بصورة واضحة جـدا على أنـه حـالـة قوة الانـا وقيـام الشخصية باداء وظائفها التى تقع فى السلسلة المتواصلة بين حالـة مرض الـذهـان والحـالـة العصابية. وفى تحديد قوة الانا لمثل هذا المريض يجد الفرد ان التفكير والمهنة الوجـدانيـة affective control والثبات الادراكى وعلاقـات الموضوع(١٥)،جميع تلـك تتصف بسلامـة مشكـوك فيهـا من دون ان تكـون ذات اربـاك كبير من حيث كـونهـا اهـلا لتشخيص الذهان.

ان تشخيص الذهان الحدى يتضح اذا كانت الحالة الموصوفـة تشير بصورة ظـاهرة الى حالة استقرار من حيث القيام بالوظائف وربما طيلـة حيـاة الفرد، دون علامـات تـدرّج متدهور. وفى ذلـك المعنى فان الحد Borderline مماثل للمصطلح «الشخصية الـذهـانيـة psychotic character وهــو يتصــل بتكــوين شخصيـــة متعـــددة السمات الدفاعية السيئـة التى يحتمل أنهـا تجعل الشخص يظهر شـاذا تمـامـا (ولو انـه قـد يكون فى الغـالـب متقـد الـذكـاء brilliant تـزيـد نسبـة ذكائـه على ١٤٥ ونـافعـا فى قطـاعـات منفردة) من دون تكوينه الذهانى الدائم الواضح.

الذهان المبتدئ:

اذا كانت الصورة الغامضة فى الوظـائف التى وصفنـاهـا بـاعتبـارهـا الـذهـان الحـدى موجـودة ومصطحبـة بعـلامـات تغيّرٍ دائم متزايـد فى المـزاج mood والعجـز المتجـدد فى المهنـة على الـدوافـع(٤٣) وتحطيم متزايـد فى الـدفـاعـات، مـع ألفـة مشهـد(dega Vu) (٤٤) وممارسات ومشاعر غير واقعية ونوم ضعيف وشخصية ضعيفة ومستوى حصـار (قلق) متصاعد،حينئذ نجد انفسنا نتعامل مع الـذهـان المبتـدئ،ويجب ان نتخـذ خطوة لتجنب تصاعده الى اكثر مما هو عليه.

ان هذا النقاش يحتاج الى وضوح تام اذ ان فى تشخيصه اهمية فى تقرير ليس طبيعـة العمل ونوعية انواع الدفاع فحسب بل كذلك استقرار الانماط الدفاعية والممارسة العياديـة clinical تفتح امامنا منفذاً ضئيلا للشك حيث ان ناساً عـديـدين يصلون الى تكوين شخصيـة character معينـة ـ كثيرا او قليلا من النـاحيـة المرضيـة ـ يـلازمـونها طيلـة حياتهم. وقد يبقى بعض الناس على الذهان الحـدى مستقرين على مستويـات معينـة من المرض ولاينحدرون الى اكثر مما هم عليه، بينما ينحـدر اخرون. وبعض الـذهـانيين يحصل لهم خلال حياتهم اربع حوادث او خمس او اكثر من التى تلفت الانتباه فى سلسلة احـداث حيـاتهم المترابطـة Episode، (٤٥) والتى تـاخـذ دائمًا الشكل ذاتـه والتى تبـدى بعـدئـذ الزوال التلقـائى. ولبعض النـاس خصـوصيـات خلفيـة ـ ذهـانيين اوغيرهم ـ تستمر طيلـة حياتهم، دون علامة من علامات التقدم او التدهور. وتعرض الخبرة العيادية الفرضية التى مفادها أنّ لكل شخص قـدراً معينـا من قـوة الانـا Ego strenqth او بصـورة اكثر دقة، قوة الوظائف التركيبيـة للانـا ـ وهـذا فى الاغلب يتضمن الاستقرار فى مستوى معين من المرض تحت المستوى الذى لاينحدر دونه الشخص فى ظروف حيـاتـه الاعتيـاديـة بل من المحتمل حتىفي الظروف الاستثنائية.

الذهان الاحتمالى: potential psychosis

يكون تشخيص الـذهـان الاحتمالى نـافعـا اذا استطـاع الفرد ان يـلاحـظ قيـام الانـا الضعيف بوظائفه سوية مع دفاعات يمكن ان تقود اخيرا الى الـذهـان اى ، ان الفرد قـد يـلاحـظ العـلامـات ذاتهـا التى تحـدث فى الحـالات الحـدّيـة Borderline ولكنهـا مصطحبة بثبـات فى الانمـاط الـدفـاعيـة. ويمكن للفرد ان يلاحـظ فى الـذهـان الاحتمالى الاحـداث العـارضـة السـابقـة فى سلسلـة الحيـاة Episodes ذات التزعـزع المتزايـد فى

التـوازن بين الـدفـع drive وبين الـدفــاع defense مـع دفـاعـات متميزة من الانكار والاسقـاط projection وعـلامـات من فقـدان الهيئـة الادراكيـة الحسيـة والحركيـة. وبعبارة اخرى، ان تشخيص الذهان الاحتمالى قد يكون نـافعـا ليـدل على حـالـة يتراوح مـداهـا بين «الحـدّى» Borderlineوبين المبتـدئ الـذى هـو اكثر فى تغيره من السـابـق واقل فى تغيره من الاخير.

الذهان الكامن : potential psychosis

ان تسمية الذهان الكامن يمكن ان تستخدم حينما يكون هنالك، دليل ذهـان موجود بحيث، من الناحية العملية، قـد شغل اغلب الوقت، اى قـد يرى الفرد فى العلاج النفسى ان شخصاً ما ، عادة، تحت وطأة تـأثير عملية تفكير اسـاسيـة مكتنفـة كليـا، بتشـويهـات شديـدة للواقع ولكنـه يتـدبر الامر بـأن يبقي كل تلـك المشـاكل ذات صفـة ذاتيـة-priv ateباستعمال الذكاء والتبريرات الحـاذقـة. ان مثل هـذا الشخص يحتـاج الى بيئـة مواتيـة لاجـل ان يستمر فى الظـاهر انـه سـوى. وعـادة ان التغير القسرى فى البيئـة او التغير فى ظروف الحياة سوف يمزق فجـأة التـدبير الرقيق، وعنـدئـذ فـان المريض سيفـاجئ الهيئـة الاجتماعيـة بهـذاءات مكتملـة full – Blown ذات رسـوخ ظـاهر. فمفـومـة الكـون لذلك تشير من حيث الجوهر الى الانطباع الاجتماعى الذى يصنعه هذا الشخص. ان هـذا الانطبـاع اللاذهـانى قـد يتغلب فى فحوص عيـاديـة أعتيـاديـة اذا كان المريض لايشعر بـالتعـاون، ولكنـه من المحتمل جـدا ان يظهر فى الاختبـار الاسقـاطى او اى اختبـار تشخيصي وفى مواجهات التحليل النفسى ذات الامد الطويل.

كلمة في العلاج والوقاية

ان مشكلة العلاج المنظم الفعال للذهان، بطبيعـة الحـال، تتصل بصميم تـاريخ المرض فـالفرد عـاد يـود أن يبـدى تكلفـا او تصنعـا فى بيـان أسباب الاضطراب ولـما لم يكن هنالك اتفاق عام على اسبـاب الـذهـانـات «العضويـة» بل حتى الشئ القليل على تاريخ نشؤ مرض الذهـانـات العضويـة ، اى مـا يسمى ذهـانـات تصلب الشرايين-arter iosclerosis(٤٦) او ذهـانـات الشيخـوخـة(٤٧) فـلا يـوجـد اجمـاع كبير عن العـلاج لاى منها.

فاذا ما قبلنا الاقتراح القائل بوجود اسباب مرض متعددة فاننا سنرى ان علينا ان نحاول معالجة كل مريض قدر الامكان ضمن مجموعة شخصية من العوامل السببية.

هنالك علاجات قليلة لاقت انتشارا واسعا بصورة خاصة من حيث الاستعمال واما عن العلاج بالصدمة(٤٨) shock- therapy فان علاج الانسولين قد فقد اهميته التى كانت له فى العقد الذى تلا الحرب العالمية الثانية، ولكنه مازال يستعمل فى بعض حالات الشيزوفرينيا. وان ارتفاع ثمنه النسبي والحاجة الى الخبرة الواسعة الضرورية للموظفين لاستخدامها من جملة اسباب تضاؤله. ان العلاج بالصدمة الكهربائية electroshock او كما يدعى بكثرة E C T (علاج الرجفة الكهربائية Electro- convulsive therapy حل فى البداية محل علاج الانسولين الى مدى واسع لكلا الشيزوفيرينيا والاكتئاب Depressssion بصورة خاصة. وبدوره، فقد شهرته مع تطور العقاقير المؤثرة نفسيا(٤٩) psychtropic drugs فى الخمسينيات من هذا القرن . وبحلول سنة ١٩٦٥ بدأ كأن العمل قد عاد الى مدى محدود. وفضلا عن ذلك فان الواقيات او المخففات من الاكتئاب Antidepressants او الوسيلة التى تنبه مزاج الاكتئاب لدى المريض لم تنكشف عن معجزة من العقاقير، مع كونها ومن دون شك، غالبا ما تكون نافعة من الناحية العيادية وال E T C أدخلت فيه تحسينات كثيرة باستعمال المخدرات التى تعطى عن طريق الاوردة Intovenous Amrathetics وعقاقير استرخاء العضلات متحاشيا الرعب الذى يشعر به بعض المرضى وخطر التزيقات.

لقد كانت العقاقير المؤثرة نفسيا ، اهم الوسائل العلاجية فى وسط الستينات ومن حيث الشيوع بين الناس، فالعقاقير المهدّئة للاعصاب هى المعروفة بصورة واسعة ومن بينها بصورة خاصة هى الفينوثيازينات phenothiazines. وهنالك جدل ضئيل فى أن العقاقير المؤثرة نفسيا قد غيرت كثيرا من ممارسات الطب النفسى اذ انها غالبا ما تنقص اوتزيل الاعراض الذهانية، وتجعل المرضى المضطربين يسلكون دون عنف وينقص الذعر والهذاءات والملوسات.

ومع ان العقاقير المؤثرة نفسيا شافية اطلاقا، فان تأثيرها الفعال الذى تخطّى الشك وكذلك تأثيرها النافع امر غير متفق عليه، ومع ذلك ، فبكل تأكيد، يبدو انها تحدث على الاقل ظروف التحسن التلقائى التى تحدثها العلاجات الاخرى او على الاقل انها تجعل من الممكن لكثير من الذهانيين ان يسلكوا السلوك الاجتماعى المقبول مما لايستطيعون الوصول اليه بدونها.

وقد وجدت الجوانب الاجتماعية للعلاج سبل تعبيرها فى علم النفس الطبى الذى يستعين بالبيئة المحلية والمجتمع المحلي فى مهمته Community psychiatry(٥٠) وان الاحتفاظ

بالمريض قريبا من بيته وتزويده بالعلاج المبكر فى عيادات بيئته الاجتماعية بعد فترات من مغادرة المستشفى، كل ذلك يلعب دورا ملحوظا. كما ان برامج اعادة التأهيل (استعادة الشخص الى حالة الاعتماد على النفس (Rehabilication) وكذلك العلاج الجمعى والعلاج الذى يتركز على العائلة، كل ذلك يلعب دوراً بنّاء في اغلب الاحيان.

ان العلاج النفسى للذهانيين يلعب اكثر من دور بالنسبة للمريض الذى هو خارج المعاهد الدراسية، حيث ان المستشفيات الحكومية قلما يتوفر فيها الكادر الكافى من النفسانيين» وسواء كان هذا العلاج فى العيادات العامة أم العيادات الخاصة فانه يؤدى الى نتائج موفّقة عموما. وقد اخذ بالاتساع الان العلاج المساعد أعنى الاضافى عن طريق العقاقير والعلاج المحيطى Milieu therapy(٥١) والوسائل الاخرى

ولبعض مرضى الذهان العضوى، مثل الحالة الحادة لذهان الكحول انواع من العلاجات الجسمية الخاصة.

انه لمن الصعب أن نضع تعمياً عن فاعلية علاج امراض الذهان كمجموعة. ففي حالة الشيزوفرينيا الحادة او ذهان الاكتئاب، ليس من غير الطبيعي اليوم ان نسبة مرتفعة مثل ٨٠٪ من جميع الداخلين كوجبة اولى مستشفيات العلاج الفعال ربما يغادرونها خلال ثلاثين يوما. ومن الناحية الاخرى فان نسبة حوالي ٧٪ من الشيزوفرانيين الذين لم يلتحقوا للمعالجة في المستشفى مازالت مستمرة لمدة عشرين سنة .

والوقاية الاساسية في المعنى الصحى العام هي ايضا تتصل من قريب الى مفهوم تاريخ المرض . ولما كان حتى اغلب علماء الوراثة يعترفون باهمية عوامل البيئة على الاقل في اظهار الاحتمالات الكامنة، ومن الصعب ان يشك احد في اثر عوامل الخبرة فانه يمكن عمل شئ اكثر لوقاية مرضو الذهان عن طريق التربية العامة وعيادات رعاية الاطفال من الناحية النفسية، واذا اقتضت الحاجة من القوانين التي تعنى بشأن الاطفال الذين يعيشون مع والدين غير متلائمين اولئك الذين فرق بينهم الطلاق او انهما افترقا لامر ما.

والوقاية الثانوية عن طريق العلاج المبكر للاضطرابات عند بدئها بالتعاون بين المؤسسات الحكومية والشعبية لرعاية الصحة العقلية في المجتمع. وبالمثل فالوقاية الثالثة (للحالة المزمنة) عن طريق اعادة التأهيل فانها ضمن عملية التحسين .

لما كان ينظر الى الذهـانيين على انهم يعـانون من مرض، فقـد كانوا دائمـا يُـدرسون كأفراد منعزلين اينما كانوا. ومع الوعي المتزايد لاهمية علاقات الافراد مع بعضهم، فـان كلاً من نشوء الذهان، وسببه بعلاقته بالتفاعل الاجتماعي، حظي بـاهميـة كبرى. كما ان نظـام الرعاية واثرها على امراض الذهان، قد وصفت من قبل ستـانتون Schwartz سنـة ١٩٥٤ (في بحثهـا «المستشفى العقلي : دراسـة لإسهـام القـانوني في مرض الطب العقلي وعـلاجـه المنشور في نيويورك في سلسلة الكتب المبسطة).

اما الجوانب الاجتماعية وجوانب البيئة بالنسبة للذهانيين فقد كتب عنها الباحثـان هو لنكهيـد A.B.Hollnghead و ريـدلج F. C. Redlich سنـة ١٩٥٤ ايضـا وببحث عنوانـه الشيزوفرينيا والتركيب الاجتماعي «في المجلة الامريكية للطب النفس كما كتب عنها فـارس Robert E. L. Faris و وارن H دونهـام Warren H. Dunham سنـــة ١٩٣٩ ونشرا بحثهما سنة ١٩٦٠ بعنوان «الاختلالات العقلية في المناطق الحضرية: دراسـة بيئيـة للشيزوفرينيـا والامراض الـذهـانيــة الاخرى نشر في نيـويـورك. كما كتب في ذلــك Paul V. Lemkau وكروكتي Croctti سنة ١٩٥٨ جاء ذلك بصورة إحصائيات حياتية في الشيزوفرينيا ضمن مقال حرره ليوبولـد بيلاك بعنوان: الشيزوفرينيـا: مراجعـة الامراض المتزامنـة ص ٦٤ ـ ٨١ نشر في نيويورك.

والانماط المختلفة في تركيب العائلة، وبخـاصـة في الشيزوفرينيـا بحثهـا كثيرون مثل مارين ك أوبلر Marrin K. Oplor جيروم سنكر Jerome L. Singer في سنة ١٩٥٦ ببحثهما «الفروق السلاليـة في السلـوك والامراض النفسيـة: الايطـاليـون والايرلنـديـون في المجلة العاليـة للطب النفسي الاجتماعي وكـذلـك كتب فكتور د. سـانو Victor D. Sanua سنـة ١٩٦٣ بعنوان : الجوانب الحضـاريـة الاجتماعيـة للشيزوفرينيـا: مقـارنـة بين البروتستـانت واليهود الشيزوفرينيين في المجلة العالمية لعلم الطب النفسي الاجتماعي.

وبسبب ضعف الحكم Judjment ونقص هيمنـة الـدافـع لـدى كثير من الـذهــانيين واللجان الطارئـة التي تُشكل للنظر في جرائم الـذهـانيين فـانـه توجـد مشـاكل اجتماعيـة ـ قانونية خاصة بالنسبة للالزام القسرى للمرضى عقليا بالدخول الى المستشفيـات وملاحظـة حقـوقهم الـدستـوريـة في مثـل تلـك الظروف. واكثر من ذلـك ، فـان المشـاكل المحدَّدة للمسؤولية القانونية فيما يخص الجرائم يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار.

مـــراجع وقـــراءات

1. American Psychiatric association, Committee on Nomenclature and Statistics (1952) 1963 Diagnostic and statistical
Manual ; Mental Disorders.
Washigton ; The Association
2.Barry, Herbert, and Berry Herbert Jr. 1964 season of birth in schizophronics in relation to social class.
3. Bellak, Leopold 1958; Schizophrenia; a review of the syndrome. New York.
4. Hollinghead, A. B, and Redlich, F. C. 1954. Schizophrinia and social structure. American Journal of Psychiatry 110 ; 695 – 701.
5 Kety, Seymour S. 1959 Biochemical Theories of Schizophrinia Science 129 ; 1522 – 1532, 1590 – 1596.
6. Lemkau. Paul V. and Crocetti Guido M. 1958 Vital Statistics of Schizophrenia.
7. Lidz, Theodore, Parker, Beulah and Cornelison, Alieo 1956. The role of the father in family Emironment of the Schizophrenic patient. American Journal of Psychiatry 113; 126 – 132.

لقد ركزت البحوث في المرض الجسمى النفسي على العلاقات بين الحياة الانفعالية والعمليات الجسمية ـ كلا الناحيتين السوية والمرضية ـ وليس على المشاكل المنعزلة للعقل المريض او الجسم المريض . والانقسام الثنائي للجسم ـ العقل قد أبعد خلال هذا الشرح حيث ليست هنالك ثنائية العقل والجسم، الفكري والبدني ، بل مجرد وحدة للوجود الكلي. وانه لمن المفروض ان فسلجة المزاج والغريزة والذهن تختلف عن الفسلجة الاخرى في درجة التعقيد لافي النوعية . لذا لما كانت شُعب من فروع المعرفة في الطب مثل علم وظائف الاعضاء والطب الباطني، وعلم الطب النفسي قد تكون ملائمة للتطبيق الاكاديمي، فان هذه الاقسام من الناحية البايولوجية والفلسفية لاتمتلك الصدق Validity. والظاهرات النفسية وكذلك الجسمية تحتل مكانا في نفس الجهاز البايولوجي وانهما وجهان للعملية ذاتها.

ان الوفرة الاخذة بالتزايد المستمر في الملاحظات التي تعنى بعلاقة العمليات النفسية والفسلجية في الكائن الانساني الحي تسند هذا التوجية: : وان تأثير توترات انفعالية محددة على تغيرات بايوكيمياوية وعلى الغدد الصم وعلى تغيرات فسلجية قد درست كلها عياديا وتجريبيا، كما ان للتغيرات الفسلجية تأثيرا على حياة الانسان الانفعالية. ان علم الغدد الصم الحديث والكيمياء الحياتية قد يكونان بحق نتيجة النظرية الخلطية (٥٢) Humoral theory القديمة التي هدف الطب الى دحضها وعدم الاكتراث بها. والانسان بأجمعة ليس مجرد خلاياه وانسجته واعضائه، تكون موضوع الدراسة عند الباحثين المعاصرين في الجسم والنفس. فالحقائق تبدو على انها عناصر الكل (Whole) وشكل الانسان المتكامل الخصائص gestalt man تدرس مع الاعتراف بان الكل اكثر من كمية الاجزاء ، بل ان تلك الاجزاء على الرغم من ذلك متكاملة بطراز يسهم في الكل.

والشخصية هي التعبير عن وحدة الكائن الحي. فعلم الاعصاب وعلم فسلجة الاعصاب وعلم الفسلجة العام وعلم الغدد الصم والكيمياء الحياتية وعلم العقاقير وعلم الوراثة كل تلك تسهم في معرفتنا لتركيب الجسم ووظيفته.

ان علم النفس وعلم الطب النفسي والتحليل النفسي، تُسهم في معرفة الظاهرة الذاتية التي هي انعكاسات للعمليات الفسيولوجية ولكنها في الوقت ذاته نتاج العلاقات الماضية الاجتماعية والحضارية ومابين الاشخاص التي اصبحت مُذوّته Internalized(٥٢) ولهذا فهي جزء من تكامل الكائن الحي.

«الجسم ، تلك الماكنة المعقدة، ينجز اغلب النشاطات المعقدة والمهذبة تحت تأثير ظاهرات نفسية من مثل الافكار والرغبات. واخص وظائف الجسم الانسانية اعني به الكلام، ليس سوى التعبير عن الافكار عبر آلة موسيقية، مهذبة ، انها الجهاز الصوتي . وجميع انفعالاتنا التي نعبر عنها عن طريق العمليات الفسيولوجية، الحزن عن طريق البكاء واللهو عن طريق الضحك والخجل عن طريق تورد الوجنتين. ان جميع الانفعالات تصحبها تغيرات فسيولوجية، فالخوف بخفقان القلب ، والغضب بنشاط متزايد بالقلب وارتفاع ضغط الدم وتغيرات في تمثيل الكاربوهيدرات، واليأس بشهيق وزفير عميقين وهو مايسمى بالتنهد . ان جميع تلك الظاهرات الفسيولوجيه انما هي نتائج تفاعل عضلي معقد بتأثير الدوافع العصبية تحمل الى عضلات الوجه المعبرة والى الحجاب الحاجز في الضحك ، والى الغدد الدمعية في البكاء ، والى القلب في الخوف والى الغدد الادرينالية والى جهاز الاوعية الدموية في الغضب. وتظهر الاندفاعات العصبية في مواقف انفعالية معينة بدورها[تتولد من تفاعلنا مع الناس الاخرين. وظهور المواقف النفسية يمكن ان تكون مفهومة فقط... كاستجابات كلية شاملة للكائن الحي الى بيئته «(الطب الجسمي النفسي . أصوله وتطبيقاته ص ٣٨ ـ ٣٩ طبع سنة ١٩٥٠) ومظاهر جسمية متنوعة يمكن ان ترافق حالات انفعالية وقتية مختلفة في الكائن الحي السوي ولذا فاضطرابات المعدة والامعاء وجهاز التنفس قد يكون كل اولئك تعبيرات للقلق.

ان تلك الاضطربات عادة هي ذات وجهين وفي مثل تلك الحالات فان التغيرات المورفولوجيه(التشكلية (morphological للخلايا والانسجة او الاعضاء التي تشملها ،غير خاصة nonspecific. فالتركيب التشريحي ثابتا او متغيرا بافراط : ان الوظيفة فقط هي المضطربة. ولما كانت تلك الاضطرابات الوظيفية هي المثارة بالعوامل الانفعالية، فان الفهم النفسي للمريض السقيم ضروري اذا ماأريدت مساعدته حقا. ان هذا قد لايتطلب علاجا عرفيا، اذ أن ازالة الموقف الخارجي الضاغط انفعاليا قد يكون نفسه يعيد اقامة التوازن. واذا كانت التسوية الخارجية غير ممكنة فان فهم الميكانيزمات التشريحية والفسلجية المتضمّنة قد تسمح للتحولات البايوكيمياوية والعقاقيرية التي يمكّنها موقتا اعتراض مسالك التفريغ غير الطبيعي وهذا يخفف الأعراض خلال فترة اعادة اقامة التوازن.

وغالبا مايحدث الموقف المضطرب انفعالياً صراعاً يثير ظهور صراع سابق اصبح لاشعوريا بل على الاكثر في حالة سكون . وفي مثل تلك الحالات، فان الضيق الوظيفي قد لايمكن استبداله بضده بيسر وقد تنجم اعراض مرضية مزمنة. ولذا فان الاضطراب الوظيفي الذي استمر فترة طويلة او اكتنفته الشدة قد يؤدي الى تغيرات تشريحية معيّنة يمكن اقامة الدليل عليها والى الحالة العيادية ذات المرض العضوي الشديد. والبحوث في مثل هذه الامراض من امثال القرحة الاثنى عشري doudenal ulcer والتهاب غشاء القولون المخاطي القرحي Ulcerative Tolitis والنَّسَمة الشُّعَبية (الربو الشّعَبي) Bronchual asthma والتهاب الجلد العصبي neurodermatitis وفرط التوتر الاساسي[٥٤] وروماتزم التهاب المفاصل الرثياني والتسمم الدرقي ومرض البول السكري الأيضي والزرق (الماء الازرق في العين) والشقيقة (الم نصف الرأس) وفقدان الشهية العصبي[٥٥] nervosa anorexia. ان هذه البحوث تشير الى احتمال ان مجموعة من شخصيات من نوع معين لها قابلية للعطب في مواقف صراع خاصة،

ان الصراعات الخاصة المصحوبة بالاختلالات الذاتية قد شرحت بالتفصيل في « دراسات في الطب النفسي الجسمي »من قبل فرانزي الكسندر Franzy Alexander سنة ١٩٤٧ وهي منطلق لاسباب وعلاج اضطرابات الخول وهي من مطبوعات رونالد في نيويورك . وفي القرحة الناشئة عن عمل العصارات الهضمية ، على سبيل المثال وجد ان الفرد يمتلك محوراً اساسيا من الاعتماد الفمي الطفولي يستخدمه بطرق متعددة مثل الافراط في التعويض (وبخاصة عن شعور بالنقص) وفي العدوان ، او الاصرار . واذا مااصبحت ميكانيزمات الكفاح الناجح لمثل هذا الشخص معطوبة او ازدادت الرغبة الملحّة للاعتماد الفمي عنده فانه سرعان مايتعامل بصراعه الداخلي على المستوى السايكولوجي. وافرازات العصارة المعدية الزائدة او تقلص الاوعية الدموية قد يسبب اعراض آلام المعدة واذا ماتناقص الضغط على الكائن الحي وخف في الجهاز الداخلي او العضوي فعند ذلك قد يتضاءل الألم دون تدرج في الاعراض حتى يزول العَرَض. واذا مااستمر الاجهاد النفسي فان ماكان اختلالا وظيفيا في الاصل قد ينتهي الى الضرر الحقيقي ، القرحة الهضمية Peptic ulcer[٥٦] ويمكن ان تكون خصائص الاعتماد الفمي ملحوظة في الاحكام والسلوك وتركيب الخلق العام.

والصراعات الاخرى مرتبطة بامراض معينة: فالعداء المكبوت المصطحب بفرط ضغط الدم الاصلي (الشرياني بخاصة) والخوف من الفصل من الخدمة المصطحب بربو الشُّعَب[٥٧] والخوف من هدم الذات المصطحب بالتسمم الدرقي Thyrotoxicosis.

ان هذه الصراعات مشروحة بالتفصيل بدراسة في المجلد الاول من «خصوصية المرض النفسي الجسمي «بعنوان» دراسة ونتائج تجريبية» حررها فرانس الكسندر وتوماس فرانج وجورج بولاك نشروها سنة ١٩٦٨ من مطبوعات جامعة شيكاغو.

والان إن النظرية الوظيفية لاختلالات العضوية المرتبطة بمفهومة المرض النفسي الجسمي تتضمن الاعتراف بثلاثة من عوامل علم اسباب الامراض تعمل سوية. عوامل سببية خارجية معينة بمقدروها ان تعمل كمحدثات لعدم التوازن وتسبب التمزق العضوي او التركيبي. ان هذه العوامل الخارجية لها تأثيرها على اجهزة التوازن والتكامل الداخلية التي تقع تحت تأثيرها. ولذا فان كثيرا من الاضطرابات المزمنة ليس سببها عوامل خارجية او ميكانيكية mechanical اوعن طريق العدوى ولكن بسبب ضغوط من التنازع على البقاء. ان هذه الصراعات الانفعالية تحصل خلال الحياة اليومية، في التعامل الاجتماعي مع الناس المهمين في البيئة التي تمتلك رمزيتها كا تمتلك القيم الحقيقية. واخيراً على المرء ان يحمل فكره النزعات(٥٨) الى اختلال التوازن التي تعكس تأثيرات جِبِلِّيَّة وتجريبية على الكائن الحي وهي تتضمن عوامل وراثية وتأثير داخل الرحم والعوامل الفسيولوجية والمرضية خارج الرحم ، والمصدر الحاسم ـ تنظيم العلاقات خلال الفترات التطورية الحرجة للشخصية في العقد الاول من الحياة ، وبخاصة فيما يتعلق بقيام الوظائف العقلية ووقع التأثيرات الشخصية والاجتماعية والحضارية في ممارسات الطفل وتنشئته. إن هذه العوامل المهَيِّئة تجعل الرحم الواقع تحت تأثيرها | قابلا للانجراح في مواقف معينة تحدث بعد حين في مسيرة الحياة . ان المخاوف المستمرة المكبوتة، والعدوان والرغبات اللبيدية بمقدروهاعندالاشخاص السريعي التأثر ان تنتهي الى توترات انفعالية مزمنة دائمة تعكر وظائف اجهزة عضوية مختلفة. وبهذه الطريقة فان نشاطات مثل الهضم والتنفس والدورة الدموية تظهر في البداية علامات وتثير اعراض ألم عضوي : ومن ثم اذا لم يعمل شيٌ لتلطيف الموقف المضطرب، فقد يليه مرض عضوي. وقد عني باحثون كثيرون بدراسة صراعات انفعالية معينة وتنظيمات الشخصية من وجهة علاقتها لاعراض عضوية متزامنة وعلى سبيل المثال، ان استجابات وعاء القلب المرتبطة بصورة صميمية بالغضب Rage تبدو وكأنها مرتبطة بشدة توتر اصلي يوجد فيه تعبير الغضب المكبوت ليكون صراعا عنيفا.والنزعات التابعة الباحثة عن العون تبدو أن لها علاقة قريبة الى نشاط ذي علاقة بالمعدة والامعاء . كا هو موجود لدى كثير من مرضى قرحة المعي الاثنى عشري.

مفهومة المرض النفس الجسمي
The Psychosomatic Concept.

مع ان الدراسة العيادية والتجريبية لعلاقة العقل - الجسم تطوّر حديث نسبياً في الطب، فان المفهومة ترقى الى القدم. فالمصطلح «الجسمي النفسي» استعمله لاول مرة جوهان كريستن اوكست هينروث Johan Christian August Heinroth (سنة ١٨١٨) الذي نظر الى الجسم والروح على انها شيٌ واحد ونظر الى الجنون من حيث هو مرض الانسان باجمعه وذكر كريستن فريدرج ناس (سنة ١٨٣٨) Christain Friedrich Nasse أن مهمة التعرف والوقاية والعلاج لحالات الاختلال العقلي تستند على البحث الاساس لنشاط الجسم والروح في الانسان في آن واحد . فبذلك يجد سنده العلمي وبذلك اتخذ نوره وتعرّف الطريق » وان هذه العبارة من حيث هي ترديد لمبدأ قديم بالنسبة للكائن الحي من حيث هو كلٌّ متكامل، مازالت مقبولة باعتبارها مفهومة سلوكية.

ولغرض الاستيضاح يجب على الفرد ان يفرق بين عملية الطريقة النفسية الجسمية Psychosomatic وبين الاختلالات disorders وبين الامراض Illnesses. وهناك استجابات كثيرة ، اختلالات كانت او امراضاً، لايمكن ان تفهم بصورة كاملة مالم يتمكن الباحث من ان يفهم الموقف الكلي للفرد. والطريقة النفسية الجسمية، تتضمن كلا التوجيه الفلسفي للفرد باجمعه ووسائل علم الطريقة للحصول على المعلومات (البيانات data) لغرض تقويم استجابات الانعصاب Stress الحاضرة والماضية. انها تحاول الحصول على المعلومات الوراثية والبدنية والنفسية والحضارية الاجتماعية- الضرورية لتفسر القوى المؤثرة في حياة الفرد. ويستعمل الباحث تقنيات متنوعة في جمع المعلومات (الوقائع data) منها المقابلات Interviews والاختبارات Tests والفحوص العيادية Clinical examinations والدراسات المختبرية Laboratory Studies. وتشير العملية النفسية الجسمية الى تلك السلسلة الزمنية المتتابعة للاحداث التي تحصل في الفرد ، وقد تكون النتيجة النهائية استجابة انفعالية ووظيفية ونفسية وقتية سريعة الزوال (اختلال نفسي جسمي) لاتؤدي الى تعاقب التركيب العضوي الاساس للفرد او ان النتيجة النهائية قد تكون اعراضا متزامنة Syndrome معينة تُظهر تغيرات عضوية وقتيه او دائمة (الاعتلال Ilness النفسي الجسمي او المرض disease)(٥٩) وقد دخل الطب النفسي الجسمي الى الاستعمال العيادي العام مع اعادة تحديد كلمة نفسي جسمي Psychosomatic من قبل العلماء فلكس وفكتور وهلين وفرانز Victor Von Weizsacher , Felix Deutsch

و Helen Flanders Dunbar و Franz Alexander واخرين وكلهم اكدوا ضرورة النظر الى الفرد على انه كلّ وليس مجرد مركب من كينونات واعضاء (مثلا عقل - جسم) .

وقد عرض دوتش Deutsch مفهومة النفسي الجسمي في التحليل النفسي عن طريق ادراك تأثير الصراعات الانفعالية المكبوتة واللاشعور على قيام عضو بوظيفته .

وقد اوضح دوتج Deutssch ان الاعراض الجسمية هي اخر حصيلة العمليات النفسية الديناميكيةالطويلة الوجود اي التي تستمر لفترة طويلة والتي لها أصولها في اختلالات سابقة. وقد اثبت ان الاختلال الوظيفي للعملية العضوية يختفي حينما تجعل الصراعات اللاشعورية شعورية. وقد عرّف الطب النفسي الجسمى على انه «المعرفة المنظمة لكيفية دراسة ومعالجة عمليات العضو المصطحبة والمدمجة مع العمليات الانفعالية» وترى دوتش Deutsch ان ازالة الاعراض النفسية الجسمية دائما تتطلب معالجة ليست للأعراض ولكن للمرض الذي يستكن تحتها وبضمن ذلك الصراع النفسي اللاشعوري الملازم لها .

وفي مرحلة الاختلالات النفسية الجسمية ، ان فكرة السبب الواحد لكل اضطراب لم تعد يمكن الدفاع عنها، فلدى كل مريض عوامل عديدة - تعمل بصورة مفردة او مترابطة - تلعب ادوارا مهمة. والطريقة النفسية الجسمية تسعى لتشخيص وفهم تلك المتغيرات وعلاقتها، واسهاماتها الخاصة في ارباك حالة التوازن.

الاتزان البدني Homeostasis

ان السمة الاساسية للاتزان البدني هي النزعة للوصول الى حالة ثابتة او حالة توازن في وقت معين. والاتزان البدني صفة متميزة من عمليات نفسية وانفعالية وفسلجية وتتضمن تفاعل ميكانزمات مختلفة. ان الكائن الحي يمتلك بيئة داخلية ثابته. اول من وضع مفهومتها كلودبرمارد Claude bermard شأنها شأن البيئة الخارجية . ولما كانت الكائنات الحية غير قابلة للتجزئة وظيفياً فانها لايمكنها ان تكون منقسمة الى اقسام تقليدية تعكس اصناف التخصص. فالكائن الحي والبيئة يشكلان زوجين Pair غير قابلين للانفصال في التوازن الديناميكي. والبيئة البايولوجية الداخلية نتيجة عمليات الانتقاء الطبيعي والارتقائي. والبيئة النفسية الداخلية فضلاً عن اساسها البايولوجي ، أنها حصيلة تطور شخصية الفرد وتعكس البيئة الاجتماعية الحضارية التي يعيش فيها ومع ان الاستعداد النفسي الى انماط خاصة من استجابات الضغط[٦٠] reactions Stress قد تنتج جزئيا عن عملية الوراثة النفسية التطورية هذه ، فان التكيف قد يسمح

لاشكال مختلفة من الانعصاب والتوترأن يعالج عن طريق دفاع مختلف او الميكانيزمات المقاومة وبنتائج باثولوجية(٦١) مختلفة،إن مفهومة كانن w. B. Cannon عن الاتزان البدني في كتابه (حكمة البدن المطبوع بنيويورك سنة ١٩٣٢) تؤكد بكل وضوح ملامح اجهزة المعيشة التي بواسطتها تنزع الى المحافظة على ذاتها كائنات حية كاملة تقوم بوظائفها. وان عمله الرائد عن علاقة الانفعالات بالتغيرات الجسمية ثَبَّتَ المرحلة النظرية والتجريبية لكثير من الدراسات الاخيرة في ميدان الطب النفسي الجسمي.

الانعصاب والتوتر المثير:

نظر هارولدولف Harold Wolf (في مقالة الانعصاب والمرض سنة ١٩٥٣) الى الانعصاب Stress على انه القوة الداخلية او قوة المقاومة التي تستحضر للعمل عن طريق القوة الخارجية او الاعباء. فالتغير في حجم كينونه (entity) اوشكلها كنتيجة لانكباب قوة خارجة يدعى توترا تشويها . والمثيرات (المنبهات) او العوامل البيئية الخارجية هي الاعباء Loads : وقد تكون هذه ثابتة ويمكن تحملها ، وقد تكون متكررة او ذات تأثير قصير مع حدة عالية. والتفاعل بين البيئة الخارجية وبين الكائن الحي هو انعصاب. والتوتر هو التغير او التشويه في الكائن الحي والذي يكون نتيجة ذلك . ومقدار التغير وقابلية الكائن الحي على مقاومة التوتر تحدد ماإذا سيكون هنالك اعادة بناء توازن البدن ام لا، او ان يكون انهيار (عقلي او جسمي او عصبي) مع تمزق او اختلال او مرض واخيرا الموت.

وعلى عكس كانن Connon يرى Wolf التغيرات العاطفية والجسمية ليس وجودها بسبب علاقة سببيه، بل وجودها كظاهر منفصلة من الاستجابات صوب المنبة تخضع للخبرة السابقة. وكان برنارد Bernard يرى المرض حصيلة محاولات في التوازن البدني حيث تكون فيه الاستجابات التكيفية للقوى المضرة، ومع كونها ملائمة في النوع ، فانها مع ذلك ضعيفة وناقصة. ويرى ولف Wolf ان الانسان حينما يواجه بتهديدات، خاصة تلك التهديدات التي تنتظم قيمه واهدافه، فانه يبدأ باستجابيات غير ملائمة في النوع كما هي غير ملائمة في المقدار. ان مثل تلك الاستجابات تستخدم بصورة ملائمة لامور اخرى وبمقدورها ، حينما تكون غير ملائمة ، ان تكون مضرة للفرد اومدمرة له.

ان التهديدات او علائم الخطر تستدعي استجابات انفعالية وفسيولوجية يكون فيها الاشخاص الحصينون مختلفين في الاستجابات للاذى الجسمى الحقيقي. وقد لفت فرويد Frued الانتباه اولا الى الوظيفة المثيرة الى القلق باعتبارها استجابه داخلية لمثل

هذه الاخطار الداخلية والخارجية. لذا فان الاستجابة المتوترة الناتجة عن موقف (عبْ) تستند جزئياً على الطريقة التي يدرك فيها الفرد المتأثر، المبه والصراع اللذين سينتظمان من ثم في حركة . والادراك الحسي وتفسير مايدرك، ذلك التفسير الذي يليه قد يكون مستندا الى عوامل متعددة تتضمن وراثياً الحساسية المحددة، والحاجات الاساسية والرغبات الشديدة والخبرات الاشراطية Conditioning Experiencs خلال السنوات ذات الاثر الفعال في التكوين، والعلاقة مع الوالدين اوعلاقات الاخوة والقرابة وانماط إثبات الذاتية، كا تشتمل على خبرات اخرى مما يتضمن المحددات الوراثية والحضارية الاجتاعية. ويمكن ان يعبر عن الاختلالات الانعصابية سايكولوجيا وفسيولوجيا. فالكائن الحي الانساني يستجيب بنشاط الى الانعصاب Stress في مواقف الحياة. فالميل الى استجابة الانعصاب ، والحساسية ومستوى العتبة Threshold(٦٢) والطريقة الخاصة للاستجابة، كل تلك انما هي النتائج النهائية لعوامل عديدة، وقد وصف فرويد Frued سلسلة العوامل المتصلة هذه من العوامل البايولوجية الى الانفعالية الاجتاعية الحضارية كحلقات متتامة، يُتم بعضها بعضا. فمجموعة الامراض التي يظهر فيها التوتر Stress أنه العامل الرئيس تدعى اختلالات الانعصاب ، لاجل ان نتجنب استعمال الاصطلاح «النفسي الجسمي» وسيتحدد شكل الاستجابه العقلية والجسمية بواسطة التأهب diathesis(٦٢) البايولوجي ونمط الشخصية وخاصة الموقف. وحينما يكون مصدر الانعصاب خارج وعي الشعور او ان يكون النشاط action معوّقا برقابة داخلية او كبت خارجي، تظهر نتائج حالة تنافر او فقدان الاتزان البدني وعلامات مرضية. ولابد من ان نذكر ان الانعصاب هورد فعل داخل الكائن الحي وليس القوة التي تعمل وفقه من الخارج . ولذا فان الديناميكيا النفسية والفسيولوجية وكذلك اقتصاديات الفرد والعوامل الاجتاعية والحضارية السابقة والحاضرة، تبدو انها ذات اهمية. وهنالك ظاهرات معقدة داخل النفس Intropsychic وراء كل مرض، كا ان هنالك تعاقبات أيضية فسلجية بل حتى تشريحية . وقد تتصل تلك باوهام وتخيلات لاشعورية تقع تحت تأثيرها ، وكذلك الدلالات الانفعالية التي تعانيها اعضاء الجسم المختلفة ووظائفها عند الشخص . قد تكون تلك نكوصات Regressions تحت وطأة لانماط سابقة من العملية او انعكاسات للتعلق المرضي.

ولما كانت الانطباعات الميادنية تشير الى ان هنالك علاقة حاصة بين التوتر النفسي Psychological Stress وبين الاختلال البدني disorder ى بليه فانه ليس من الواضح كيف يحدث مثل هذا التحول. وقد لخص تقرير ة العالمية عن الاختلالات النفسية الجسمية (١٩٦٤، ص٩) الافكار السائدة عن ندماج المتتابع كايلي:

أ ـ النزعة[٩٤] الجبليّة Constitutional المستندة الى الوراثة.

ب ـ النزعة الجبليّة المختزنة على انها حصيلة الخبرة الباكرة والتطور (كلا الفسيولوجية والنفسية وفترة ماقبل الولادة وكذلك مرحلة الحضانة « الرضاعة infancy[٦٥] تندرج هنا).

جـ ـ تغيرات الشخصية في اخريات الحياة التي تؤثر في الأجهزة العضوية Organ Systems

ء ـ ضعف العضو كأن يكون بسبب تلف او عدوى[٦٦]؛

هـ ـ حقيقة ان العضو في نشاط (عمل action) في لحظة الاجهاد او الجيشان الانفعالي Emotional upheaval

و ـ المعنى الرمزي Symbolic للعضو في جهاز شخصية الفرد.

هـ ـ تثبيت العضو كنتيجة للتطور النفسي الموقوف arrested.

والبحوث المبنية على ملاحظة الواقع والتجربة والبحوث العيادية والبحوث الديموغرافية[٦٧] والبحوث التجريبية المختبرية التي تشمل الانسان والحيوانات، كل تلك درست تأثيرات الانعصاب النفسي في اشخاص خالين من الاعراض ، كادرست في المرضى الذين يعانون من تلك الامراض من امثال قرحة الاثني عشري والتهاب القولون المتقرح[٦٩] وربو الشعب والتهاب الجلد العصبي والتسمم الدرقي (من زيادة افراز الغدة) وزيادة ضغط الدم والتهاب المفاصل الريثاني وداء البول السكري والزرق[٧٠] (علة في العين) ومرض الشقيقة (الم نصف الرأس) ومرض الانسداد التاجي في القلب. وقد كشفت الدراسات العيادية لمرض بني الانسان العلاقة الزمنية بين بداية المرض وبين تفاقة مع الاضطرابات الانفعالية المميزة. فحينما عولج امثال هؤلاء الاشخاص علاجا مركزا ، مثلا بالتحليل النفسي ، وعلى فترة طويلة من الوقت ، حصلت معلومات كثيرة ، وامكن تكوين افكار تجريدية على مستوى عال للانماط النفسية التي لوحظت. وبعض تلك الدراسات العيادية المبنية على ملاحظة الواقع نشرت في مجلد من قبل الكسندر فرانز ورفقائه سنة ١٩٤٨ م بعنوان « دراسات في الطب الجسمي: منطلق الى سبب وعلاج اضطرابات الحياة النامية» المطبوع بنيويورك بمطبعة رونالد .

ان القدرة على التمييز لصيغ سبعة من تلك الامراض نوقشت في موضوع « خصوصية المرض الجسمي النفسي: دراسة تجريبية ونتائج » كتبها فرانز الكسندر وتوماس فرانج وجورج بولوك سنة ١٩٦٨ م في المجلد الاول من مطبوعات جامعة

شيكاغو. وفي احدى تلك الدراسات فرقتان متناظرتان من المحللين النفسيين واطباء الامراض الباطنية Internists ودرسوا مراسيم مقابلات متماثلة حصلوا عليها من مرضى يعانون من واحد من تلك الامراض (القرحة الهضمية، التهاب القولون المتقرح، ربو الشُعَب، التهاب الجلد العصبي الزيادة في ضغط الدم الذي يحصل دون اكتشاف سبب عضوي، والتهاب المفاصل الريثاني او التسمم الدرقي) وبعد ان هذبت هذه المقابلات بكل دقة لازالة اية اشارة او دليل على مرض المريض، قُوِّمت من قبل المجموعتين من وجهة نظر اوصاف المرض وتشخيصه. ومن المعلومات العيادية الاولى، اعدت الصياغات التي كانت توضح كيف ان الحالات النفسية الاجتماعية والانفعالية مهدت الى المرض وعجلت به وادامته . وتلك التشخيصات المقارنة (من قبل المحللين والاطباء الباطنيين) قُوِّمت احصائياً قورنت وأشارت النتائج بصورة عامة الى انه كان من الممكن ان تميز اغلب تلك الامراض السبعة بصورة صحيحة على اساس التجريدات(٧١) النفسية Psychological abstractions وقد كانت تلك التجريدات تنبعث من الملاحظات الواقعية للمرضى الذين شوهدوا تشخيصيا او لاغراض علاجية . وتلك الاوصاف اصبحت الان تُختبرعن طريق دراسات اضافية لعوائل فيها من يعاني من الامراض النفسية الجسمية وذلك بدراسة اطفال يعانون من الامراض النفسية الجسمية وبفحوصات مفصلة لتفاعلات المريض العلاجية مع تلك الامراض وعن طريق بحوث مختبرية وتجريبية حديثة تستخدم الانعصابات الاصطناعية artificial مثل الافلام وتسجيل الوقائع الفسيولوجية والنفسية التي تلي كشف مواقف الصراع.

ان الدراسات التجريبية التي تجرى على المرضى والجماعة الضابطة Control group(٧٥) تمكنت من توحيد وتثبيت بعض اوجه العلاقة بين المنبهات الانفعالية وبين التغيرات الفسيولوجية المرضية لأمراض معينة. ومع ذلك فان تلك الدراسات لاتوضح نشوء المرض بالمعنى العلمي لاسباب المرض. وكل ماتفعله انها تُظهر أن هنالك انعصابات انفعالية لدى اشخاص حساسين وسريعي التأثر بما يوجه اليهم وموجهين لذلك قد ينشطون الميكانيزمات المرضية الفسيولوجية التي بامكانها بين حين واخر ان تسبب تغيرات تشريحية ومن ثم انماطا متميزة من اعراض المرض المتزامنة Syndrome (لزيادة الفائدة راجع كتاب فرانز الكسندر، الطب النفسي الجسمي: اصوله وتطبيقاته المنشورة سنة ١٩٥٠ في نيورك، من مطبوعات نورتون اذ فية مناقشات لتلك الدراسات الخاصة) ان مواقف التهور والمواقف الحرجة المشددة ذات

معنى انفعالي معين بالنسبة للمريض ، وذلك بسبب ارتباطها بخبرات حياته السابقة وبتطور شخصيته ،وتكو بنه وبصراعاته التي لم تحل بعد والتي اصبحت تعالج بصورة تعويضية وبطرائق شتى الى ان آل الموقف الخارجي بانعصاب شديد جداً ومع الانتهاء الى فقدان توازن داخلي. وفي هذه الحالة يجب ان يدرك الفرد ان الاخفاق في التعويض العادى للميكانيزمات التكيفية قد ينتهي من المطالب الخارجية المعظمة جداً التي لايمكن ان تُسوّى داخليا بنجاح او من الانهيار breackdown او اضعاف الهيمنة الداخلية او ميكانيزمات التكامل جاعلا الفرد اكثر حساسية (سرعة تأثير وشعور) لتأثيرات فقدان التوازن.

التطورات الرئيسة:

لقد حدثت ثلاثة تطورات رئيسية بوقت مبكر من القرن العشرين:
الاكتشافات الاثارية ونظريات سيموند فرويد، التجارب التقليدية والاساسية الفسيولوجية والفسيولوجية العصبية ، ونظريات والتركانن Walter Cannon وبحوث Ivan Pavlov إيفان بافلوف ودراساته عن الانعكاسات الشرطية . وقد حظي ميدان الامراض النفسية الجسمية من مستويين نظريين: الاول كان ينشد بناء نظريات عامة وان يستخرج مبادئ Principles ومفاهيم Concepts شاملة، بينما كان الثاني يتعامل مع نظريات تتعلق بدراسات امراض معينة للانعصاب النفسي الجسمي فيها مكانه رئيسة. واستمر البحث في كلا الميدانين . والمستوى الثاني ، مع صياغة نظريات محدودة نوعا ما، فانه قدم فرصة لاختبار الجوانب التفسيرية لكثير من النظريات العامة والشاملة لاداء الوظائف النفسية الجسمية.

التحليل النفسي

اود ان اتكلم عن هذا المجال بشيْ من التفصيل ، لقد اسهم التحليل النفسي في فهم العلاقات النفسية الجسمية بتوفير اجراء التداعي الحر(٧٢) الذي جعل من الممكن تتابع ظواهر نفسية وفسلجية. انه تضمن ربط الافكار اللاشعورية التي لم تكتشف سابقا . وفضلاً عن الملاحظة السديدة وجميع الوقائع data فان نظرية التحليل النفسي زودت وسائل ، مقبولة ظاهريا ، في تعليل وفهم ظواهر غامضة وغير عقلانية Irrational مثل الاحلام والاعراض العصبية. ان طريقة التحليل النفسي لم تتح الفرصة

لاعادة بناء الحلقات الدافعية motivational اللاشعورية والصراعات فحسب بل كذلك سمحت لها ان تُستخرج الى الشعور ، ومن ثم ان تستعمل علاجيا.

ان اكتشاف فرويد للظواهر العقلية اللاشعورية ولعمليات الكبتRepression القى ضوءا جديدا على التعابير الجسمية عن الظواهر العقلية . ويمكن لتلك التوترات العقلية ان تتحرر جسميا في :

١ ـ نشاطات عضلية تؤدي الى تغير الجسم فيما يتعلق ببيئته.

٢ـ الضحك، الصراخ ، القهقهة او الكلام.

٣ـ اجهزة التنفس، الاوعية الدموية القلبية والاجهزة المعوية الاخرى.

والتأثير النهائي لاساليب التحرر تلك ، تمارس بصورة ذاتية مثل الوجدانات والانفعال Feelings. ان الوجدانات والانفعالات يمكن ان تكبت ومن ثم بعد لأي تُمارس كما هي، ولو ان العمليات التي تحررها في اجهزة جسمية معينة يمكن ان تبقى تحدث. وقد اكتشف فرويد في دراسته للاشعور ان الخيالات الموغلة المكبوتة ، والصراعات والذكريات وجدت تعبيرا مشوها في الاعراض الجسمية وفي افساد الوظائف الجسمية . ولقد اكتشف ان تلك الاعراض كانت تعبيرات في لغة جسمية رمزية، للصراعات النفسية وكانت تدعى «الاعراض التحولية) Conversion Symptoms من اعراض نفسية صرفة الى اختلالات تظهر ذاتها مبدئيا بواسطة اعراض جسمية ليست بذات صلة بمرض عضوي. ولذا فان الانسان يمكن ان يجد الشلل المستيري Hysterical Paralysis وفقدان الذاكرة المستيري والتقيؤ المستيري .. الخ.

واستنادا الى فرويد . ان المظاهر الفسيولوجية للحُصار anxiety ذات معنى نفسي . وقد كتب اوائل اشتغاله انها تحتوي على اعادة للمظاهر الفسيولوجية التي حدثت في وقت ميلاد الفرد. وفي كتاباته الاخيرة شبه فرويد القلق باشارة استعملت لتحذير الفرد الى خطر من مصدر داخلي او خارجي. هكذا فالتهديدات الاخيرة للبقاء Survival سوف تثير الاستجابات الفسلجية التي حدثت في اقدم موقف للانعصاب وهو عملية الولادة.

ويجب ان لاتدعى الاعراض المستيرية التحولية اختلالات نفسية جسمية،لانها لاتنتهي الى عمليات عضوية مرضية اوآفة عضوية ولو انها تؤثر في الجسم٠ومع ذلك فبامكانها ان تنتهي باضطرابات عضوية ثانوية٠ وعلى سبيل المثال، اذا استمر الشلل المستيري في الذراعين او الرجلين فسيحصل عندئذ ضمور متدرج في الاوصال Limbs المشمولة بسبب فقدان النشاط العضلي٠ لقد كان للتحليل النفسي في بدايته هدف واحد،هو ان يفهم

بعض الشيء عن طبيعة ما كان يعرف او انذاك الامراض العصبية«الوظيفية»· وقد سعى علماء الاعصاب مع علو تقديريرهم للحقائق المرضية الفسيوكيمياوية والتشريحية الى ابعد،لتكوين علاقة صميية خاصة محتلة بين وظائف معينة واجزاء خاصة من الدماغ،انهم كانوا محتارين بالعامل الجسمي ولم يبد انهم فهموه· وفي الحقيقة، انه كان سلوكا غير علمي ان يُنظر الى تلك الظواهر بدون كشوفات عن الاعصاب· وتأخر الحال الى سنة ١٨٨٥م حينما كان فرويد يدرس في السلبتريير Salpetriere حيث وجد ان الشكل الهستيري قد فسر عن طريق اضطرابات وظيفية طفيفة لنفس اجزاء الدماغ التي حينما اصابها التلف بشدة ادى الى الشلل العضوي المماثل .

وفي الثمانينيات من القرن التاسع عشر زود التنويم المغناطيس Hypnotism بدليل مقنع على ان التغيرات الجسمية اللافتة للنظر من الممكن انها تسببت لوحدها عن طريق التأثيرات العقلية التي نظّمت في حركة من قبل المريض وكانت عمليات«لاشعورية»· وقد لعب التنويم دورا مهما في دراسة فرويد للهستيريا· وقد اقرت به تجارب شاركوت charcot(٧٤) خاصة حينما كان شاركوت ـ عن طريق ايحاء اصابة تحت تأثير التنويم المغناطيسي قادرا اصطناعيا ان يسبب شللا وقد كان بييرجانيت Pierre Janet تلميذ شاركوت، قادرا على يظهر أن بمساعدة التنويم المغناطيسي، ان اعراض الهستيريا تعتمد على افكار لاشعورية معينة. وقد عزا جانيت Janet الى الهستيريا عجزا بنيويا افتراضيا في ضبط العمليات العقلية والاحتفاظ بها سوية ـ عجز ادى الى عدم تكامل (ترابط) الحياة العقلية.

لقد كان جوزيف برور Josef Breuer اول من درس وعالج الهستيريا بالتنويم المغناطيسي، وأن عمله مع شابة مريضة جعل من الممكن لاول مرة الحصول على نظرة اكثر اكتمالا لحالة من الهستيريا Case of Hysteria· حيث فهم معانى تلك الاعراض،وسجل ان تلك الاعراض تنشأ عن موقف صراع عقلي: دافع تجاه تصرف كان قد كبت بسبب الحضر الاخلاقي moral prohabitation المضاد وظهرت الاعراض في لحظة من لحظات التصرف· ان انفعالات المريض المتضمّنة في الصراع النفسي،تعجل بالمرض، ولوان اسباب تعجيل الصدمة وجميع الدوافع العقلية المتصلة بها قد فقدت من ذاكرة المريض وبتأثير التنويم المغناطيس تكشفت الذكريات وفي التنفيس Catharisis التالي اختفت الاعراض وقد ذكر Breuer و Freud (١٨٩٣ـ١٨٩٥) انه في الهستيريا تغير الوجدان المحبوس الى تهيج اعصاب جسمي غير اعتيادي(تحويل conversion) وانتهي الى الاعراض·وبعد اعلان هذا مباشرة افترق برور Breuer و Freud عن بعضهما ،واستمر فرويد في تطوير التحليل النفسي واقلع عن التنويم المغناطيس متجها الى التداعي الحر

Free association ووضع نظرياته في المقاومة Resistance[٧٥] والطرح Transference[٧٦] والكبت repression والصراع العقلي والقيام بالوظائف العقلية اللاشعورية وطبيعة الدوافع الجنسية والعدائية؛ وتطورها، ومن ضمنها اهمية الجنسية الطفلية Infentile sexuality[٧٧].

وقد رأى فرويد ايضا ان التوهم او وسواس المرض[٧٨] hypochondria والهذاءات الجسمية، وعلاقتها بالناحية المرضية التي تُرجع النكوص Regression الى حالة سابقة للتنظيم النفسي، انما هي كينونات entities عيادية اخرى تتصل بالتزامنات النفسية الجسمية، ولو انه لم يلاحظ مرض عضوي يمكن اثباته في تلك الاختلالات، كما هو في المستيريا التحولية. ان وصفه ونظرياته في الالم واللذة pleasure وعلاقاتها بالمشاعر والانفعالات زودتنا بفهم لحالة التوتر. وكتاباته عن الحصار Anxiety والصدمة النفسية هيأت لنا ان نفهم فساد النظام النفسي: مظاهرة ووظائفه الاشارية Signal Functions، وهكذا من وجهة نظر علم ترتيب الامراض وتنسيقها nosology يكون فرويد قد عرض ووصف وعلّل ثلاث مراتب عيادية مازالت مهمة: المستيريا التحولية وحالات الحصار(القلق) والوسواس المرضى والهذاء الجسمي. ومفهومته عن العصاب الحقيقي هي ايضا ذات اهمية حيث انها قررت ان اشتداد التوتر وحصائل التسمم بدون تفريقها يمكن ان تؤثر في الكائن الحي.

وقد ذكر فرويد(سنة ١٩١٠) انه ليست جميع التغيرات الجسمية التي سببتها القوى النفسية كانت تحولات conversions كما انه ليست الاعراض البدنية جميعها تعبيرات عن تخيلات خاصة اوحلول وسطية. انه اشار الى ان الاتجاهات اللاشعورية قد تؤثر في الوظائف العضوية بطريقة فسيولوجية من دون ان يكون للتغيرات اي معنى نفسي معين.

ومع أنّ فرويد لم يوجه نفسه مباشرة الى الجانب الجسمي من الوجدان، فان تلميذه كارل ابراهام Karl Abraham كتب عن مناطق تشريحية مختلفة تتصل بالشخصية(المرحلتين الفمية والشرجية) كما تعامل ساندر فرنزي Sandar Ferenczi بصورة مباشرة اكثر مع علاقة الانفصال واداء الوظائف العقلية بالامراض التي يمكن اثباتها عضويا. وقد وصف Ferenzi(سنة ١٩١٦) مرض العصاب الذي يليها على انه نتيجة لمرض عضوي حقيقي اوتلف. وعلى عكس وسواس المرض حيث تكون التغيرات الممكن اثباتها في العضو غير موجودة، ولاوجود لها مطلقا، فان امراض العصاب تكون موجودة في حالات من اصابة سلامة الجسم بأذى. وفي سنة ١٩٢٢ وصف Hollos و فرنزي Ferenczi

في بحثها«التحليل النفسي والاختلالات النفسية للشكل الخفيف العام«ردود الفعل النفسيه التي تلي زهري(سفلس) الجهاز العصبي المركزي.وهنا التشخيص لمرض العصاب يستعمل الان بصورة اكثر عمومية لوصف ردود الفعل النفسية لامراض عضوية organic.

وقد وصف Ferenzi ايضا مظاهر الطرح Transference ذات المضامين النفسية الجسمية التي أثبتت بوضوح فكرة فرويد الاولية للتثبيت Fixation والنكوص الوقتي صوب حالة اقدم من الوظيفة الفسيولوجية التي تسببها الحالة الانية وكذلك فرّق فرنزي Ferenzi العصابات العضوية عن الهستيريا التحولية سنة (١٩٢٦) وفي الاخيرة في الغالب هنالك، اضطرابات رمزية وذاتية تشمل الجسم بينما في الاولى توجد في الغالب عقبات موضوعية يمكن اثباتها واقامة الدليل عليها تؤثر في اداء العضو بوظيفته. وقد شرح فرنزي Ferenczi الربو العصبي nerous asthma والاضطرابات المعدية العليا والصعوبات المعوية والاختلالات القلبية واوجاع الرأس والاغماء fainting ودوار البحر seasickness على انها عصابات عضوية.وقد لاحظ ان الشكاوي العضوية البحته تخلّف بعدها اضطرابات عصبية عضوية بعد ان تكون قد زالت.

ويمكن ان ينظر الى هذه على انها ظواهر«الكسب الثانوي» secondary gain او epinosi gain وهوموقف تكون فيه تحسنات نفسية في مجموعة عصبية متنوعة ثانوية مرتبطة بامراض عضوية كانت سابقا موجودة ولكنها اختفت الان.

ومن الرواد الاوائل من المحللين النفسانيين في الميدان النفس الجسمي، جورج كرودك Georg Groddeck (١٩٢٣) وقد رأى نشاطاً هادفاً في جميع الآلام التي تولد الامراض. وهكذا. كان ينظر الى الزكام على انه الرغبة لتجنب الشم، كما كان ينظر الى اختلالات الامراض النسائية على انها الرغبة اللاشعورية للعفة Chastity ونظرية كرودك ربما هي المثل الاكثر تطرفا للتوجيه النفسي الشامل. فهو الذي ادخل الاصطلاح .ES (اللفظ الالماني لكلمة الهو Id او It) باعتبار انه الاصل المكوّن اللاشعوري لجميع الجسمية السوية وغير السوية. والكتابات الاولى التي صدرت عن دوتش Deutsch تبين كذلك استعمال مفهومة فرويد للتحويل Conversion على جميع الاختلالات الوظيفية في الجسم . وفي الولايات المتحدة حاول Smith Ely Jeliffe تفسير جميع المظاهر النفسية الجسمية كتعبيرات مباشرة للافكار او التخيلات المكبوته الخاصة جداً (١٩٣٩) وقد استند عمله على دراسات عيادية متقنة ، وقد ابتدأ من اوائل ١٩١٦ حينما نشر اولا بحثا عن داء الصداف (مرض جلدي) ويسمى الصداف Psoriasis. ومن ثم كتب هو وزملاؤه عن الجوانب النفسية عن السل Tuberculosis وتصلب الانسجة المضاعف ومرض العظم bone disease والاختلالات الدماغية المتأخرة والامراض المتعلقة

بجهاز الغدد الصمم، وا ختلالات العيون . وقد كان جليف Jeliffe اول عالم امريكي طبق مفاهيم التحليل النفسي على الامراض العضوية.

الاسهامات الفسلجيه Physiological Contributions

لم يميز الباحثون الاوائل بين

أ ـ التحويلات المستيرية المستندة الى الاعضاء الحسية اوالإعضاء الخاضعة لهيئة الاعصاب الارادية(وجهة نظر فرويد) وبين:

ب ـ التغيرات في اعضاء الانماء والنضج الداخلية المرتبطة بوظائف احشائية اساسية وليست مرتبطة بالتعبير عن المضامين النفسية وبايصال الافكار والاراء والوجدانات. فالجهاز الصوتي وتعابير الوجه والبكاء والضحك واحمرار الوجه خجلا والنشاط الحركي،كل تلك تنفس،وتعبر عن توترات عصبية خاصة. والاعضاء الداخلية مرتبطة بعمليات جسمية مختلفة تشمل الهضم والتنفس والدورة الدموية والغدد الصمم والتكامل(٧٩).... الخ.

يستطيع القلب ان يدق فقط،والمعدة ان تفرز،والامعاء ان تقلص والاوعية الدموية ان تنقبض وتتمدد، ومع ان تلك الاعضاء الداخلية تستجيب للانفعالات فان مدى استجابتها محدود، فالاعضاء الداخلية لاتستجيب للافكار الخاصة المكبوتة مثل تلك التي تقع تحت تأثير الاعراض المستيرية ولكن تستجيب للحالات الانفعالية العامة.ولا تقوم هذه العمليات كما هو الحال في الاعراض التحولية بتنفيس التوترات بل تحافظ على استمرارها.

وقد وضع الكسندر Alexander تمييزا مهما بين اعراض التحول المستيري وبين التغيرات التكيفية في وظائف الاغناء Vegitative التي تثار عن طريق التوترات الانفعالية. وقد تبعث افكاره مفاهيم كانن Cannon، الذي نسب الحالات الانفعالية مثل الخوف والغضب الى وظائف فسيولوجية منشطة متتابعة تشمل الهضم والغدد الصمم واجهزة الاوعية القلبية.

وقد اصبحت الرغبة في العوامل النفسية في الامراض العضوية جديرة بالاهتمام في المانيا بعد الحرب العالمية الاولى، ويعتبر عمل ليوبولد الكان Liopold Alcan على الاخص ذا اهمية بالغة. فقد بيّن ان الاضطرابات النفسية المنشا(٨٠) Psychogenic داخل الجهاز العصبي المستقل Autonomic nervous system(٨١) قد تؤدي اخيرا الى تغيرات عضوية، الميكانيزمات التشكلية morphological Mechanisms التي تشكل الحلقة الاخيرة من

السلسلة السببية. انه افترض ان الصراعات النفسية الداخليـة[٨٢] Intropsychic conflicts قد يُعبَّر عنها بدنيا ويمكن ان تنتهي الى مرض عضوي لايمكن ان يعكس.

وقد اثبت كارل فاهرنكامب Karl Fahrenkamp اثر الانفعالات في تحول ضغـط الـدم واعطى وضعا هاما لاصل المنشأ النفسي لزيادة ضغـط الـدم الاصلي (١٩٢٦). وان فكتور فون فيزاكر Vector von Weizsacker الذي كان متأثرا جدا بوجهة نظر فرويد اكد تأثير الانفعالات على النفس. واوضحت معطياته العيادية العامل الانفعـالي ومقـدمـات المرض الجسمي. وارتأى بركان Bergmann ووستفال Westphal الاصل العصبي في قرحـة الاثنى عشري.

هوامش الفصل السابع

١ـ Statistics : علم الاحصاء

فرع من علم الرياضيات استخدمه العالم الانكليزي ستفنسون في علم النفس فيما يسمى تصنيف Q أو Q – sort وهو نوع من الاختبارات الموضوعية يتكون من عدد من الجمل يطلب من المفحوص تصنيفها الى عدد من الاكوام او الصفوف طبقا لمعيار معين.

٢ـ Craziness : (تقليعة جنونية ـ خَبَل):

جنون التقليد والتقبل بلا تمحيص ولا منطق كارتداء ملابس ذات اسلوب خاص او تقليد سلوك معين تقليدا او تقبلا يرقى الى حد الهوس. وبعبارة اخرى هو ظاهرة تنجم عن تأثيرلايحاد الجماهيري او الجماعي والتقليد، وتنطوي على التبني الاهوج وغير المدقق لنمط في الزي او طريقة معينة في السلوك دون تمحيصها، بحيث يصل الامر احيانا الى درجة الهوس. وتطلق اللفظة احيانا على حالة الفرد الذي تصدر عنه رغبة غير مألوفة او يتخذ موقفا شبه جنوني.

٣ـ Anthropology علم الانسان:علم الانسان،هو دراسة التطور الجسمي للنوع البشري واصول الجماعات السلالية وتطور المدنية،وهو يبحث الثقافات المتعددة وبخاصة منها مايدعى بالثقافات البدائية. (للاستزادة راجع للمؤلف: المدخل في علم النفس صفحة ٣٧٢ ـ ٣٧٨ مطبعة جامعة الموصل ـ مديرية مطبقة العاصمة ١٩٨٤ ـ ساعدت جامعة صلاح الدين على نشره)

٤ ـ Criminology : علم الجريمة

دراسة الجريمة والمجرمين والسلوك الاجرامي والعقاب. وكانت اولى الدراسات تلك قام بها الفرنسي توبينارد، وسيزار بيكاريا(١٧٣٨ـ١٧٩٤) وجيرمى بنتام (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢) ولكنها كانت جميعا بحوثا نقدية للجريمة كظاهرة اجتماعية، وكانت اول دراسة منهجية انثروبولوجية اجتماعية تلك الدراسة الرائدة لسيزراد لمبروزو(١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) وتلميذه انريكوفيرى(١٨٥٦ـ١٩٢٨) زعيمي المدرسة الوصفية في الجريمة ولكن علم الجريمة الحديث يشتمل على نواح اجتماعية وسايكولوجية وسايكيتريكية.

٤ب ـ Involutional psychotic reaction ويقال له ايضا .Involutional melancholia

الاستجابة الذهانية الانتكاسية او السواد الانتكاسي: اضطراب عقلي يصيب الفرد في منتصف العمر اوفي الشيخوخة اوفي سن اليأس غالبا، تسبقه خبرة محزنة، أعراضه الخوف من الماضي والمستقبل وتوهم المرض والفناء واحتمال الانتحار وهذاءات الذنب لخطايا واثام لاتغتفر،والارق والبكاء. وعلاجه

بالصدمات الكهربائية والمترازول والهرمونات الجنسية، ولكن الحالات الحادة لايؤثر فيها هذا العلاج·

٥ ـ Catatonia الكاتاتونيا : استجابة مرضية يميزها انحراف السلوك الحركي في اتجاه كف الحركة والتخشب والسلبية·

٦ ـ Orientation:

الوعي بموقف المرء مكانيا وزمانيا واجتماعيا، وخاصة موقفه الفكرى، او هو اتخاذ وضع في المكان بفعل منبه له اتجاه· وقد يضطرب هذا الوعي لسبب نفسي او عضوي الاصل·وقد يكون هذا الاضطراب كاملا اوجزئيا·والاضطراب في التوجيه قد يسببه عدم التنبيه او تشتت الفكر· وقد تدفع الانفعالات القوية المريض الى الخطأ في ذكر تاريخ توليه عناية خاصة وتسبلة الظروف القدرة على التوجيه او التوجه·اما جزئيا اوكليا·

٧ ـ affect الوجدان· وغالبا ماتستعمل كلمة الوجدان Affection كرادف لكلمة الانفعال Emotion·

٨ ـ Psychobiology أوBiopsychology :

علم الاحياء النفسي|اوعلم النفس الاحيائي: فرع من علم الاحياء يأخذ بنظر الاعتبار التفاعل بين الجسم والعقل في تشكيل الشخصية والقيام بوظيفتها،انه الدراسة العلمية لوظيفة الشخصية· اسسه ادولف ماير(١٨٦٦ـ١٩٥٠) الذي قال بضرورة دراسة البناء والميول الوراثية وخبرات الحياة وضغوط البيئة للمريض اذا ما اردنا ان نفهم سلوكه فهماً حقيقيا·

٩ ـ Puerperal Psychosis الذهان النفاسي·

وهو ذهان يتلو الوضع او يتسبب فيه ويعجل به الوضع، ويحدث عن بعض النساء ممن يكون لهن الاستعداد لذلك، ويدفع اليه الشجار بين الام والاب،وعدم رغبتها او رغبة الام في الطفل·

١٠ ـ Psychological Trauma صدمة نفسية·

الصدمة في الطب النفسي هي التجربة غير المتوقعة التي لايستطيع المرء تقبلها للوهلة الاولى ولايفيق من اثرها الا بعد مدة· وقد تصيبه بالقلق الذي يولد العصاب المعروف بعصاب الصدمة·

١١ ـ Syndrome: تناذرات او اعراض متزامنة(مجموعة الاعراض المرضية): تواجد معقد لمختلف الاعراض العائدة لمرض ما، ويقال ايضا: مركَّب او عقدة اعراض مرضية للدلالة على مجموعة الاعرض التي تظهر وتوجد في وقت واحد لدى العليل·

١٢ـCongenital خِلْي او ولادي: موجود منذ الولادة،اما في الواقع اوبالامكان، ولكنه ليس موروثا· ويرجع وجوده الى تأثير بيئة ماقبل الولادة،اي البيئة الرحمية. والعصاب مثلا ليس خِلقيا،ولكن الاصابة بنوع معين منه ،اي اختيار نوع العصاب امر تؤثر فيه العوامل الخلقية· فمثلا الشخص من الطراز الشهواني الذي يعاني من تثبيت وجمود على المرحلة القضيبية قد تنمو لديه اعراض الهستيريا التحولية· بينما شخص ثان من الطراز الاستحواذي في حالة الثبوت على المرحلة القضيبية،قد يصاب بالهستيريا الحصرية·

١٣ ـ Cathexis :

شحنة نفسية : تراكم الطاقة النفسية على فكرة معينة او ذكرى اوخط فكري اوفعل،وتشبّه الشحنة الكهربائية بالقوات العسكرية التي يمكن نقلها لاستخدامها في مكان اخر،ومن ثم الفعل يشحن Cathect ويُفَرِّغ decathect ويبالغ في الشحن Hypercathect اي يبالغ في استثمار الطاقة في عملية ليسهل كبت عملية اخرى، ومن ثم سحب شحن الطاقة withdrawal of Cathexis·

١٤ ـ Libidinal : شهوية

النسبة Libido لفظة لاتينية الاصل تفيد معنى الشهوة· استخدمها فرويد معتبرا اياها بمثابة طاقة ، شبقية في جوهرها(Erotic)· تتمثل فيها غريزة الحياة· تستثمر هذه الطاقة في الانا والغير او في الاشياء· والبرهان على ذلك هو في انتقال اللبيدو من الانا الى الموضوعات وبالعكس· ويؤلف مجموع الاهتمام المستثمر في الموضوعات وفي الانا مقدارا ثابتا فكلما ازداد حب المرء لذاته قلت محبته للموضوعات والعكس وبالعكس· ومن الملاحظ ان لبيدو الانا ولبيدو الموضوع متماثلان في الطبيعةوالاصل·

١٥ ـ Object الموضوع:

تتجه اليه الرغبة اوالفعل كي يحقق الراغب او الفاعل لنفسه الاشباع الغريزي وقد يكون الموضوع شخصا او جزءا من شخص او رمزا للشخص او للجزء، وهو في هذه العبارة يدل على الشخص·

١٦ ـ Wechsler Belleuve test:

اختبار وكسلر ـ بلفيو لذكاء الراشدين افضل اداة لتقويم ذكاء المريض في مراحل المراهقة والبلوغ، ويشتمل على خمسة اختبارات لفظية(المعلومات العامة والفهم العام، وتذكر الارقام، والمسائل الحسابية، والكلمات المتشابهة)· وخمسة اختبارات

ادائيـة(تكيل الصور، وترتيبها وتجميع الاشياء ،وبناء المكعبات،ورموز الارقام) ويشتمل كذلك على اختبار فرعي اضافي للمفردات.

١٧ ـ Role Playing : القيام بالدور او تمثيله، ويفيد في العلاج النفسي وفي التربية والتدريب على القيادة والزعامة.

١٨ ـ Rigidity: الجمود، الصلابة

الجمود من اضطرابات الارادة،وهو فقدان المرونة في التحول من سلوك الى سلوك اخر، وصورته القصوى التصيم الجامد Stereo type. واكتشف كاتل وتاينر(١٩٤٩) ان الجمود قد يشكل استعدادا جامدا اي يكون بشكل مستمر،ويرجع هذا الاستعداد الى وجود عطالة ذهنية.

Mental Interia اي عجزا دائما عن التخلي عن العادات الفكرية. وهو اصطلاح قدمه نيسر(١٨٩٤) ويميز جولد شتين في اصابات المخ بين الجمود الاولي وهو العجز الكامل عن تغيير العادات والجمود الثانوي وهو العجز عن تغيير موقفه حيال المسائل العويصة فقط.

١٩ ـ Projection : الاسقاط

حيلة دفاعية يحمي بها الفرد نفسه من مشاعره غير المقبولة بان ينسبها الى الاخرين. ونظرا لانها تؤدي الى خداع الذات فانها حيلة تضر بتوافق الشخصية مادامت تعمل على التقليل من وضوح الرؤية عند الفرد او تفقدها تماما، ولانها تؤدي الى الارتياب فانها تضر بالعلاقات الشخصية.

٢٠ ـ Rationalization : التبرير

حيلة دفاعية يخفي بها الشخص الد وافع والاسباب الحقيقية لعمل ما مختلقا اسبابا تبدو مقنعة ولكنها ليست حقيقية.

٢١ ـ dinial : انكار، رفض:

احدى الوسائل اللاشعورية لتجنب الصراع النفسي

٢٢ ـ deja vu عبارة فرنسية تعني (already seen) اي ما اعتاد البصر ان يقع عليه: وهو تصور كاذب ينظر فيه الفرد الى موقف جديد نظرة غير صحيحة إذ ينظر اليه على انه اعادة لموقف قديم.

٢٣ ـ oneirophrenia هذه الكلمة تتكون من (كلمة oneiro المأخوذة من الكلمة الاغريقية التي تعني الحلم dream وهي بصيغها الحالية oneiro صياغة للربط تشير الى العلاقة بالحلم + الكلمة phren التي تعني العقل ia + mind).

والكلمة oneirophrenia بصيغتها الكلية اصطلاح وضعه مدونا Meduna لنوع من الشزوفرينيا يتميز باضطرابات مركز الاحساسات في الدماغ(خداع الحواس

Illusion الالتبـاس او الخلـط confusion وفقـدان الـوجهـة او القـدرة على التـوجـه disorientation اي فقدان الحس او الادراك بـالمكان او الزمـان. وفقـدان الـذاكرة(النسيان المرضي) والخدر او الـذهول stupor وهو فقـدان عـام للاستجـابـة لاي مثير ويظهر في صـورتـه الخفيـة في شكل غيـاب الشعـور Clouding of consciousess وفي صورته الحادة انعدام النشاط العضلي والاستجابة لاي مثير، واخيرا الهـذيـانـات Hallucinations.

٢٤ ـ Consmic delusions الاوهام الواسعة

الوهم : delusion اعتقاد كاذب لايمكن تصحيحـة عن طريق العقل وهو موجود من النـاحيـة المنطقيـة ولايمكن ان يصحح عن طريق المنـاقشـة والاقنـاع بل حتى عن طريق شواهد من احساسات المريض نفسه.

٢٥ ـ Sublimation اعلاء، تصعيد، تعلية، تسامي:

والتسامي تحويل المشاعر البدائية والدوافع المكبوتة الى نشـاطـات اعلى تحضى برضى المجتمع وتقديره. وهو مصطلح ابتدعه سيموند فرويد للدلالـة على تلـك العمليـة التي يتم بهـا تحويل طـاقـة الميول المكبـوتـه واستنفـادهـا في ميـادين اخرى من ميـادين النشاط والانتاج تقرها الاوضاع الاجتماعية والتقـاليـد، وتنطوي فكرة الاعلاء عنـد فرويد على حكم اخلاقي من احكام القيمة

٢٦ ـ accident proneness :

اهلية الفرد وقابليته لايقاع الاذى بنفسه، بتكرار الايقاع بنفسـه ضحيـة للحوادث، وخاصـة اذا كان هونفسـه الـذي يستـدعيهـا عن رغبـة لاشعوريـة لايـذاء نفسـه او بسبب تكوينه الماسوشي. ويؤكد(دنبار) وجود نمط من الشخصيـات مؤهل لارتكاب الحوادث والوقوع فيها ووصفـ(فينخل) هذا النوع بالقلق.

٢٧ ـ Psychomotor : حركي نفسي، نفسي حركي

حركي نفسي : خاص بالعمل العضلي الناشيء عن عملية عقلية.

٢٨ـ Depression: اكتئاب، انقبـاض، كـدر ، كآبـة،همود، شعور بـاليـأس والاسى والارق وفقدان الثقة بالنفس.

وهو اتجاه او موقف عاطفي ـ انفعالي . يشير احيانا الى حالة مرضية واضحة المعـالم، وينطوي على شعور من جـانب المرء بـالقصور فيصـاحبـه انخفـاض عـام في النشـاط النفسي ـ الجسمي.

٢٩ـ autism:
التوحُّد ، اجترار عقلي: الاسترسال في التّخيل هروبا من الواقع.
٣٠ ـ Anaclitic اعتمادي:
الاعتماد على موضوع خارجي للحصول على الاشباع، وينقسم الناس في ذلك الى صنفين صنف اعتمادي يقول «اريد ان أتملكك» وصنف نرجسي يقول«اريد ان اشبهك او ان اجعلك تشبهني» ويقول فرويد ان الرجل اعتمادي عندما يختار المرأة، اي انه يريدها لاشباعه، اما المرأة فهي نرجسية الاختيار، اي انها تختار الرجل لتتشبه به او لتجعله يشببها
٣١ـ ambivalence : الاثنينية
ثنائية المشاعر ـ اوتناوب مشاعر الكراهية والحب نحو انسان او موضوع والاصطلاح استعمله بلولر (١٩١١) وتتسم به المرحلة قبل التناسلية التي تختلط فيها الدوافع الجنسية والعدوانية.
٣٢ـ Anthropomorphism:
التجسيد ، التشبيه، التأنيس: تصور الله في ذاته اوصفاته على غرار الانسان.
٣١ـ Syncretism: النزعة التوفيقية: ميل الى التوفيق بين الفلسفات المختلفة للخروج منها بفلسفة واحدة.
٣٤ـ Repression كبت : ابعاد الخبرات غير السارة عن الذاكرة او خزنها في اللاشعور.
٣٥ـ Parapraxis : الهنات السلوكية
اصطلاح عام يشمل فلتات اللسان وعثرات القلم واخطاء النسيان وهفوات العمل وماشابه ذلك ، بسبب تدخل رغبة لاشعورية او صراع اوسلسلة من الافكار المختلفة.
٣٦ـ Self-limited: محدود في نطاق مميزاته الخاصة به وليس بسبب تأثير خارجي، ويقال الى المرض الذي يسري في مساق محدود مقصور.
٣٧ـ amnesia : فقدان الذاكرة
النسيان المرضي: نسيان ينجم عن اضطرابات نفسية او امراض دماغية عضوية.
٣٨ ـ deprivation الحرمان : قد يكون اجتماعيا او عاطفيا او ثقافيا او قتصاديا
٣٩ـ Character disorder اختلالات السجية (الخلق، الطبع). من انماطها الخلق الهستيري (الشبقى) والقهرى (الشرجي) والنرجس (الفمى) والخلق المختل هو الخلق الذي يدفع بصاحبه الى التصارع مع بيئته المباشرة والمجتمع عموما، مثل جناح الاحداث وادمان المخدرات ومعاودة الاجرام.

٤٠ـ Symptomatiology علم الاعراض المرضيـــة، وهـو فرع من علم الطب : وهـو يبحث في الاعراض وبمقتضاه انماط السلوك الشاذ.

٤١ـ Super – Ego : الانا الاعلى ، الذات العليا:

وهو ذلك الجزء من الشخصيـة الـذي يحمي افكار الخطـأ والصواب التي تعلمهـا الفرد منذ الطفولة ، وهو في صراع مستمر مع الهو ID متوافقا مع الشعور ويمثل الانـا الاعلى التأثير المكتسب من النـاس والوالـدين والمجتمع. انـه الوارث للوالـدين والمربين، الذين اشرفوا على اعمال الفرد في السنوات الاولى من حياته، انـه مجموعـة المثل العليـا التي يؤمن بها الفرد التي تشكل مايسمى بالضمير وتبقى هذه الانا الأعلى في صراع مع الهو والانا، وهو من مفاهيم فرويد

٤٢ـ Extroversion:

تتكون هذه الكلمة من كلمة Extroversio اللاتينيـة التي تعني extra (outside) خارجا Vertere (To Turn) تحول.تكتب الكلمة Extraversion. وفي علم النفس يعني هـذا الاصطلاح الكلمـة العربيـة (الانبسـاط) اي : اتجـاه يوجـه الشخص نحـو العـالم الموضوعي. والانبساطي اجتماعي محب للعمل اكثر من التـأملي تتحكم فيـه الاحـداث الخارجية في دوافعة. وعكسه الانطواء . والانطواء هو انكفاء على الـذات اي انشغـال المرء بافكاره ومشاعره الخاصة بدلا من تطلعه الى الاخرين.

٤٣ـ Impulse الدافع:

الميل الى الحركة بلا تعمد وفورا بمجرد وجود الموقف . وفي النظرية التقليديـة للتحليل النفسي تمر الدوافع من الهـو الى الانـا، حيث تفرغ في الحركـة او تكف، او تحولها ميكانيزمات الدفاع او تتسامي.

٤٤ـ deja vu، ألفة المشهد (راجع رقم ٢٢ للزيادة):

يصف المريض مشهداً ثم يتبين له فجأة ان مايصفـه قـد سبق لـه ان سمعـه او شاهده اوعاناه، والواقع انه لم يشهده ولم يسمعه وماعانـاه وانمـاهي حيلـة يلجأ اليهـا الانا عندما يتذكر شيئا يتهـدده وعنـدئـذ يلجـا الى هـذه الحيلـة المشوهـة للادراك، فيحسب المرء ان نفس المشهد قد انتصر فيه فتكراره عنده يحمل معه انتصاره فيه من قبل.

٤٥ـ Episode:

حـدث او سلسلـة من الاحـداث التي تلفت النظر تحـدث خـلال الاحـداث المستمرة بشكل حدث مرضي.

٤٦- arterioscleroses : تصلب الشرايين، وخاصة شرايين المخ ومـايتبع ذلـك من تـدمير انسجته وفقدان الذاكرة وعدم القدرة على تركيز الانتباه وتدهور الحكم والشخصية.

٤٧- Semile Psychosis:

ذهان الشيخوخة : اعراضـه تمركز الاهتمامـات حول الـذات وضعف تـذكر الاحـداث القريبة وسهولة الاستثارة.

٤٨- Shock Therapy: العلاج بالصدمة:

العلاج بالصدمة الكهربائية او صدمة الانسولين او المترازول او العقاقير

٤٩- Psychotropic : العقاقير المؤثرة نفسيا:

تحـدث اثرهـا في الجهـاز العصبي في منـاطق مختلفـة بحسب نوع العقـار وتتفـاعل مع العصارات الخلطية العصبيـة ، وتؤثر اكثر مـاتؤثر في النواحي الـدافعيـة والوجـدانيـة والتعليمية والذاكرية للسلوك، وهي الادوية المعروفة بالمنومات والمهدئـات والمنبهـات ومزيلات الاكتئاب.

٥٠- Community Psychiatry

فرع من الطب العقلي او النفسي، وهـو اصطـلاح واسـع يشير الى تحريـك وتعبئــة وسائل البيئة المحلية لدرء المرض الانفعالي.

٥١- Milieu Therapy: العـلاج المحيطي : محـاولـة لتكامـل كل النشـاطـــات اليـوميــة للمريض مع العملية العلاجيـة بتغيير بيئـة المريض، او بخلق تعـاون ومشـاركـة بين كل الموجودين في المحيط اليومي للمريض. ولايمكن تحقيق ذلك ووضع تخطيـط سليم لنشـاط المريض الابوضعـه في مستشفى ، وبـذلـك نخلق تعـاونـا بين الموجودين في المستشفى من مهنيين وغير مهنيين لانجاح العملية العلاجية .

٥٢ Humoral Theory : النظرية الخلطية

الخلط سائل بـدني زعمت الفسيولوجيـا وعلم النفس القـديمـان أنه احـد اخلاط اربعـة تكوّن الامزجة المختلفة ، وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء ان الامزجة المقابلة لهـا هي الدموي والصفراوي والبلغمى والسوداوى.

٥٣- Internalized: مُذَوَّتَة:

اضفيت عليهـا صفـة ذاتيـة ، وبخـاصــة أُدمجت في النفس بحيث اصبحت مبــدعــا هاديا. والفعل Internalize معناه يـذوت اي يضفى عليـه صفـة ذاتيـة ، والمصـدر

Internalization يعنى تذويت اي تشرب الفرد لقيم الجماعة واتخاذها هاديا لسلوكه.

٥٤ـ Essential Hypertension: **فرط التوتر الاساس.**

وهو ارتفاع في ضغط الدم ليست له اسباب عضوية ، ولفظة اساس لتميزه عن ضغط الدم الذي يرجع الى عدم كفاية الكليتين

٥٥ـ Amorexia nervosa : **فقدان الشهية العصبي .**

الانصراف المرضى عن الطعام نتيجة اضطراب انفعالي يكن خلفه مقاومة للنمو ومقاومة عدوانية لمطالب الوالدين وعقاب الذات نتيجة شعور بالذنب، وخوف من الحمل نتيجة سوء فهم طفلي لعملية الحمل، حيث كان المريض وهو طفل يعتقد ان الحمل يرجع الى التعاطي عن طريق الفم. وإعراضه فقد الشهية ونقص في الوزن وانحباس الطمث والقيء.

٥٦ـ Peptic ulcer **القرحة الهضمية**

اضطراب نفسي جسمي يشتمل على تغير باثولوجي في السائل الخاطي في المعدة، والاثنى عشري، مسببا الما وانقباضا وتقيأ ونزيفا ومضاعفات اخرى كثيرة. ولا يختص هذا الاضطراب من الناحية النفسية بنمط من الشخصية ولكنه يرتبط دائما بنكوص فمى خطير.

٥٧ ـ Bronchial asthma: **ربو الشُعَب**

كلمة Bronchial مأخوذه من الكلمة اللاتينية (Bronchialis) تخص شعبة هوائية او اكثر . وكلمة Asthma اغريقية تعنى لاهث خافق Panting.

وربو الشُعَب : احيانا يكون لسبب مرض نفسي،الا ان الاخصائيين بدأوا يقللون من اهمية الاسباب السايكولوجية بعد تطور بحوث الحساسية. وفي الحالات التي تأكد فيها الاصل السيكولوجي ، كان النمط السائد زيادة الاعتماد على الام والخوف من الانفصال عنها ، والارتباط بشكل غير مقبول بالابوين والاعتماد الطفولي عليهما والحساسية المفرطة والطموح والعدوان والقهر.

٥٨ـ Disposition: نزعة: استعداد فطري لدى الفرد يؤيد التطور في اتجاه معين، او يؤيد تطور سمات دون اخرى ، وهو نزوع اوميل يؤيد تقبل عقائد معينة ، اويتبنى خطوطا معينة في العمل.

٥٩ـ كلمة **IIlness وكلمة disease.**

تستعمل في العربية كلمة المرض للدلالة على كل كلمة من هاتين الكلمتين ولكن اريد هنا ان اضع الحدود لكل كلمة حسبما جاء في القواميس الطبية المعتمدة:: فكلمة **IIlness** تعنى حالة تتميز بانحراف واضح عن الحالة الصحية السوية ، وهي تعنى نفس ماتعنيه كلمة Sickness.

اما كلمة disease فجاءت من الكلمة الفرنسية des ومعناها حرف الجر «من» + aise ومعناها ، راحة ، طمأنينة والكلمة تعنى عملية مرضية محددة ذات اثر متميز من الاعراض . وقد تؤثر في الجسم كله اوأي جزء منه ،أما تاريخها واسبابها وتشخيصها فقد يعرف او يبقى مجهولا.

٦٠ـ Stress reaction :استجابات الضغط

استجابة الضغط : قد تستجيب الشخصيات بالخوف الشامل لمواقف الضغط ، وتلجأ لذلك الى انماط من الاستهجان تواجه بها خوفها ، ثم تضخم الاستجابات في ظل الضغط الشديد وهي استجابات لاتفيد عادة في مواجهة الازمة. ولكن هذه الاستجابات الموقتة تختلف من ذلك عن الاستجابات النفسية الدائمة . والامثلة على استجابات الضغط كثيرة منها العصبية وشدة الحساسية والتعب . وقد تكون حادة مثل فقدان الذاكرة والقدرة على التوجه والذهول والكابوس الليلى

٦١ـ Pathology: علم الامراض (اسبابها واعراضها)

هو ذلك الفرع من الطب الذي يتعامل مع الطبيعة الاساسية للمرض ، وبخاصة التغيرات البنيوية والوظيفية في انسجة الجسم، واعضائه التي تسبب المرض او يسببها المرض.

٦٢ـ Threshold : العتبة

الحد الادنى الذي يجعل لمتغيرما حداً أدنى من التأثير الذي يمكن ادراكه

٦٣ـ Diathesistion : الاستهداف ، التأهب:

قابلية او استعداد وراثي للاصابة بمرض معين اوبعيب ، تحت ظروف بيئية معينة . وقد اطلق المجمع العلمى على هذه الكلمة مصطلح «النحيزة».

٦٤ـ Predisposi نزعة

تتكون الكلمة من Pre التي تعني يمهد لـ ، مقدما ، + الكلمة اللاتينية disponere التي تعني يميل الى» والكلمة تعني استعداد كامنا للمريض ان ينشط تحت ظروف معينة مثل الضغط . هذا ماتشير اليه القواميس الطبية.

اما القواميس النفسية فتقول: انه استعداد فطري لدى الفرد يؤيد التطور في اتجاه معين. او يؤيد تطور سمات دون اخرى، او هو نزوع او ميل يؤيد تقبل عقائد معينة، او يتبي خطوطا معينة في السمل.

٦٥ـ Infection : العدوى

المدوى قد تحدث العدوى باي مرض اضطرابا عقليا، وتتوقف الاضطرابات عقليا ، وتتوقف الاضطرابات العقلية الناجة عن الاصابة بعدوى على تركيب الفرد المصاب ، فبعض الافراد لديهم الاستعداد والقابلية للاصابة بعدوى الاضطرابات العقلية اكثر من غيرهم. ويعتبر الاطفال والمسنون اكثر قابلية لذلك من غيرهم ممن يكونون في منتصف العمر . واعراض العدوى ، في المرحلة الحادة، من النوع الهادي، مثلما يحدث عند الاصابة بالالتهاب الرئوي او التيفوئيد.

٦٦ـ Infancy: بداءة العمر (الطفولة المبكرة)

مرحلة الحضانه، وهي فترة عجز تام واعتاد كلى، وتمتد من الميلاد حتى النصف الاخير من السنة الثانية ، وتدور معظم مشكلات هذه الفترة حول الامومة والرضاعة ، ويسيطر عليها تأثير الانتقال الانفعالي.

٦٧ـ Fixation تثبيت

تستعمل كلمة تثبيت في التحليل النفس لتعني التعلق بمرحلة باكرة من التطور النفسي الجنسي للفرد او بموضوع من تلك المرحلة ويجعله ذلك عاجزا عن التعلق بموضوعات جديدة، او تنمية اهتمامات جديدة او ان تكون له تكيفات جديدة.

٦٨ـ Demography: الديموغرافيا (الجغرافية البشرية):

وهو الدراسة الاحصائية للسكان من حيث التوزيع الجغرافية والوضع الاجتماعي والسمات البدنية والنفسية ، والانماط الثقافية وحركة السكان الحالية والمستقبلية والعوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والمؤثرة في هذه الحركة.

٦٩ Ulcerative Colitis :

التهاب القولون المتقرّح : اثبتت الدراسات التي قام بها (موراي) ١٩٣٠ و(سوليفان) و (شاندلر) ١٩٣٢) و (دانيالز) ١٩٤٠) و (سبرلنج) ١٩٦٠ على ان الضغوط الانفعالية المستمرة والاستعداد الوراثي هما العنصران اللذان يعوّل عليهما في الاصابة بهذا المرض. وتظهر اعراضه في شكل نوبات من التقلصات البطنية والاسهال المصحوب بالدم والحمى وفقدان الشهية ونقص الوزن ، وتأتي النوبة بشكل مفاجئ وكثيرا ماتكون حادة حتى تستدعي جراحة عاجلة.

٧٠ـ Glaucoma: الزَّرَق

مجموعة من امراض العين تتميز بزيادة الضغط داخل العين يُحدث تغيرات مرضية في القرص البصري Optic disk وعيوبا في مجال الرؤية.

٧١ـ abstraction : تجريد

هو العملية الذهنية او العقلية التي يتم فيها تكوين الافكار والمفاهيم المجردة التي تصدق على افراد النوع الواحد بصرف النظر عن المميزات الخاصة،وتجريد الشيً او صفة هذا الشيً معناه القيام بعملية فكرية لفصله عن الكل الذي ينتمي اليه ، بحيث يتم حصر الذهن في نقطة واحدة.

٧٢ـ Control Group: الجماعة الضابطة

جماعة اختيرت بعناية لتماثل في كل ناحية جماعة التجربة ، فيما عدا عدم انطباق المتغير التجريبي او المستقل عليها.

٧٣ـ Free association : التداعي الحر.

هو اختبار في حقل التداعي والترابط النفسي،مثلما انه طريقة في ميدان التحليل النفس. يعطى الشخص في الاختبار كلمة منبهة من مجموعة كلمات مدرجة

في قائمة خاصة، ثم يطلب منه ذكر اول كلمة تطرأ على ذهنه بفعل المنبه. وقد استحدثه المحلل النفساني كارل يونك Carl Jung الطبيب السويسري في اختباره التشخيص. ومن حيث طريقته ، انه اختبار يقوم على مجرى الافكار وتداعيها ، اذ يعطي الشخص كلمة منبهة ثم يترك له امر التداعي او سرد الافكار بحرية واستمرار حسبما تخطر في باله ودون التقيد بعنصر الزمن. والطريقة في جوهرها اسلوب التحليل النفسي.

٧٤- Charcot, Jean Martini:

جان .مارتاني شاركو (١٨٢٥ - ١٨٩٣) طبيب اعصاب، نجح في عزل بعض الحالات ، واطلق اسم الهستيريا على المريضة المصابة بها. تتلمذ عليه جانيه وفرويد ودرسا عليه الهستيريا ثم كان لكل واحد منهما رأيه الخاص به.

٧٥- Resistance: المقاومة

يلقاها المحلل خلال محاولته دفع العمليات اللاشعورية حيث يبدى المريض مقاومة لتأويلات المحلل، وعند مايتم التغلب على مقاومة المريض فان المكبوت في اللاشعور يظهر في الشعور.

٧٦- Transference: الطّرْح. العملية التي ينقل بها المريض مشاعره وافكاره ... الخ، التي يستمدها من شخصيات سابقة في حياته الى معالجه والتي يجعل المريض بها معالجه كما لو كان شخصاً سبق ان التقى به في حياته الماضية . والتي يسقط بها المريض على معالجه صوراً اختزنها في نفسه من الاستدماجات القديمة والتي يضفى بها على محللة مكانة ومعنى كانا لشخص سابق في حياته.

٧٧- Infantile Sexuality الجنسية الطفلية

الظاهرة الجنسية التي تلازم المراحل الطفلية من التطور اللبيدي ، والتي تستمر الى مرحلة الرشد . وسمتها الاساسية عقدة اوديب.

٧٨- Hyponchondria: وسواس المرض

الاعتقاد الراسخ بالاصابة بمرض جسمى رغم عدم وجود دليل على ذلك وهو كعرض يظهر في كثير من الامراض العقلية وهو اظهر مايكون في الاكتئاب وخاصة في النوع او المرحلة الانتكاسية وفي الفصام واحيانا يكون حالة هستيرية ولكنه

يوجد ايضا كمرض مستقل ويصيب العجائز عندما تنسحب اهتماماتهن بالعالم الخارجي وتتركز على انفسهن وشكاواهن الجسمية المزعومة، وكثيراً ماترتبط اوهام المرض باعراض جسمية بسيطة كالا مساك مثلا حيث يتوهم المريض ان امعاءه قد سُدّت.

٧٩. Integration: التكامل

العملية التي بها تتحد المادة العضوية والسكايكولوجية والاجتماعية وتنتظم في مكوّن كلّي له مستوى اعلى.

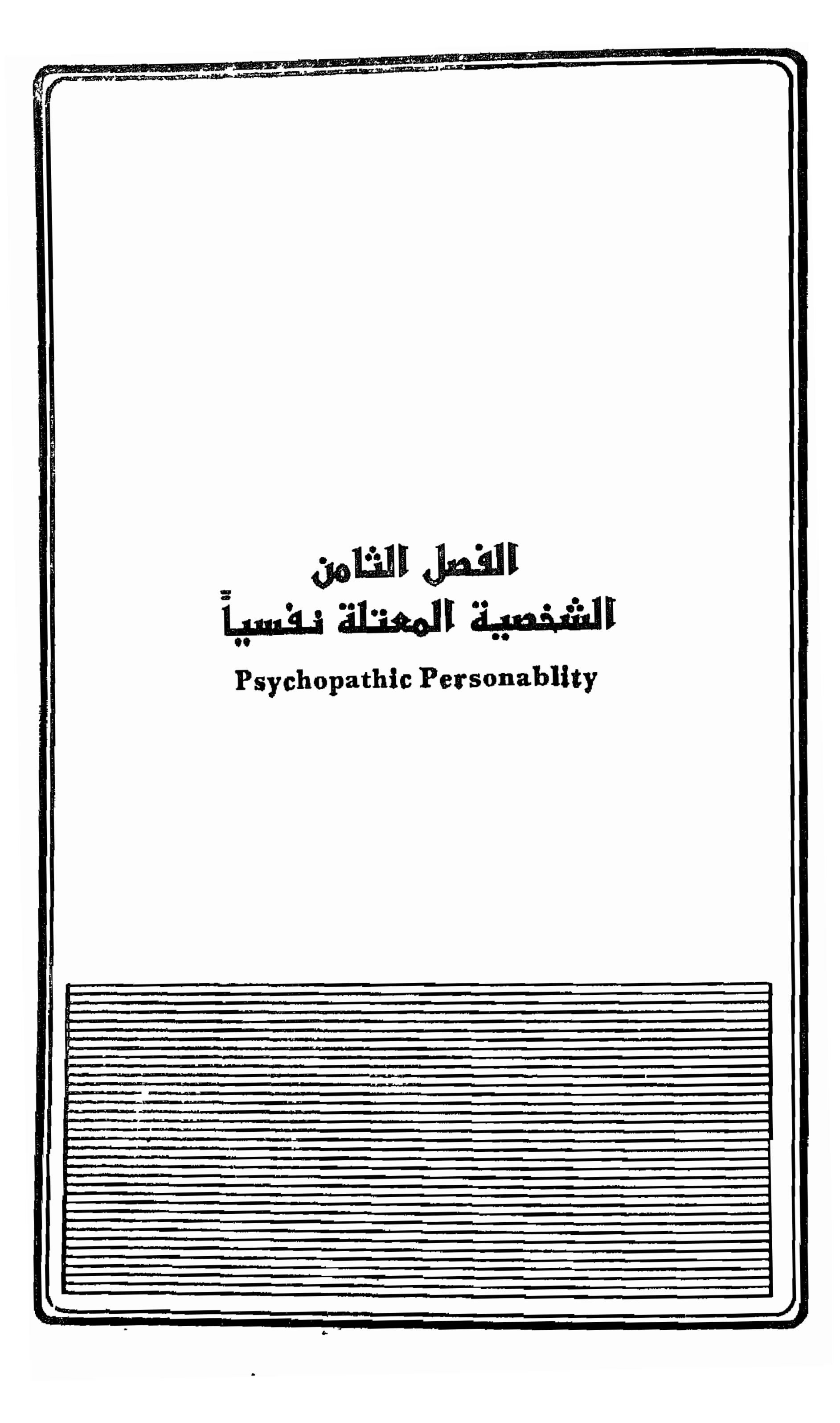
٨٠ Psychogenic : نفسي المنشأ

صفة الاضطرابات والاعراض التي يفترض انها ذات منشأ نفسي ، مع انها قد تتضمن تغيرات فسيولوجية نتيجة هذه الظروف النفسية.

٨١. Autonomic Nervous System:

الجهاز العصبي المستقل: احد اقسام الجهاز العصبي، ويتكون من عدد كبير من الالياف المحيطية والصادرة التي تنظم الاستجابات الحشوية والغددية . ويتركب من قسمين هما : السمبثاوي والباراسمبثاوي

٢. Intropsichic Conflict : الصراع الداخل النفس او ضمن النفس ، اي الواقع داخل النفس والعقل بين اتجاهين عكس الصراع الخارجي بين شخصين مثلا.



الفصل الثامن
الشخصية المعتلة نفسياً
Psychopathic Personablity

كان المصطلح (الشخصية المعتلة نفسياً والسايكوباثية) لسنوات عديدة الاسم الرسمي المقبول لدى رابطة الطب النفسي الامريكية.

American Psychiatric associatin.

لانواع كثيرة من سوء التوافق لدى الاشخاص الذين كان ينظر اليهم من نواح اخرى على انهم متحررون من الذهان Psychosis والعصاب النفسي[١] Psychoneurosis والقصور الذهني[٢]. وعدد كثير من الاختلالات المتغايرة العناصر وغير المتجانسه Hetergeneous. وكثير منها كان قليل الشيوع ،كان مُنْظَمّاً الى هذا الصنف . وفي سنة ١٩٢٥ م نقلت الرابطة هذا المصطلح بصورة رسمية الى الصنف العام «اختلالات الشخصية» ويضم هذا الصنف ايضا انحرافات عن السوى كثيرة،ويضم أيضا سوء التوافق كما يضم اختلالات كثيرة في نوعها وفي درجتها. وفي برنامج المصطلح الحالي فان هذا الفرع من الشخصية المعتلة اجتماعياً[٣] : استجابات معادية للمجتمع تتضمن نموذج المريض المعروف جيدا عند علماء الطب النفسي والعقلي والذي كان يشار اليه من عدة عقود خلت بالمصطلح غير الرسمي «المعتل نفسياً».

التعريف : الكتيب التشخيصي والاحصائي «الاختلالات العقلية «الصادر عن رابطة الطب النفسية الامريكية يعّرف الاستجابات المعادية للمجتمع كمايلي:

يشير هذا الاصطلاح الى الافراد المعادين للمجتمع بصورة مستمرة والذين هم مصدر أزعاج ومتاعب لاينتفعون من خبرة او عقاب ، ولايحتفظون بولاء حقيقي لاي شخص او جماعة او قانون . وهم في الغالب قساة وينشدون ارضاء متعهم وتبدوعليهم فجاجة انفعالية Emotional Immaturity وافتقار الى الالتزام ولهم القدرة على تبرير سلوكهم، لذا فهو يبدو مباحا ومعقولا وعادلا ويتضمن المصطلح حالات صُنِّفت على أنها «حالة إعتلال نفسي تكويني»، وفي الوقت ذاته فانه ذو صفة معينة خاصة ، من حيث تطبيقه.

والمرضى المصنفون في هذه الجماعة يتميزون عن المرضى الاجتماعيين الاخرين ، فالمرتبة التي تضم اولئك الذين يعانون من الانحراف الجنسي ، والادمان على

الكحول. والادمان على المخدرات فان هذه الفئة ايضا تختلف عن اولئك الذين يُظهرون الاستجابات الاجتماعية السيئة والذين يصفهم الكتيّب كما يلي:

هذا الاصطلاح ينطبق على الافراد الذين يظهرون عدم اكتراث للانظمة والقوانين الاجتماعية المعتادة وكثيرا مايكونون في تعارض معها، وحصيلة حياتهم كما لو أنها كانت حياة في بيئة غير سوية اخلاقياً . قد يكونون مقتدرين على صلابة الاخلاص والولاء وهولاء الأفراد طبقا لما هم عليه يظهرون انحرافات شخصية كبيرة خلافا لاولئك الذين ينتظمهم تمسك بقيمهم ونظمهم في السلب والانحراف وبزملائهم من المجرمين او اية فئة اجتماعية اخرى. ويضم المصطلح تلك الشخصيات مثل «الشخصية الاجتماعية الزائفة » و « الشخصية المعتلة نفسياً مع اتجاهات غير اجتماعية وغير خلقية».

ويجب ان يلاحظ ان المرضى الذين وصفوا على انهم يظهرون الوفاء والولاء ويبدون وهم في تمردهم ضد المجتمع أنهم يمتلكون بعض المعايير الخاصة بهم ولو انها قد تكون غير خلقية ومما يستنكره القانون.

ان التصنيف يغطي ظاهريا المجرمين المتمدين الاعتياديين الذين يعملون كليا نحو اهداف غير اجتماعية ولكنها اهداف يمكن فهمها وادراكها.

وفي الصفحات التالية سنعُنى مبدئياً بدراسة المرضى الذين يُظهرون استجابات غير اجتماعية، ممن سوف نشير اليهم بالمصطلح غير الرسمي ولكنه عملي «المعتلين نفسيا «Psychopath» ان هذا المصطلح مألوف لدى جميع الاطباء النفسيين، وانه بكل وضوح يميز ويشير الى وجود عيادي مشهور.

لقد سبقت تعاريف حديثة قليلة، وصف بريجارد J. C. Prichard الذي قدمه سنة ١٨٣٥ لجوانب رئيسه معينة للشخصية المعتلة نفسيا (.. والاصول الخلقية والناشطة للعقل منحرفة او دنيئة جداً،وقوة النفس مفقودة او ضعيفة اوفاسدة الى حد كبير ويظهر الفرد غير قادر ليس على الكلام والتعليل في رأي موضوع يطرح امامه بل على ادارة نفسه بلباقة وحشمة في جدول اعمال الحياة (مقتطفة من Cleckley 1959, P 569)K . ويعزو بريجارد Prichard عوما صياغة مفهومة» الجنون العقلي »[٤] الذي مازال

مستعملاً في بعض بقاع العالم للاشارة الى الشذوذ الذي يظهر عند المعتلين نفسيا . وفي دراسة حديثة يعطي مكورد Mccord ومكورد McCord تعريفاً اخر نافعا جداً.

العليل نفسيا: غير اجتماعي ، وهو عدائي ، وهو شخص نزق الى حد كبير ، وقد لا يشعر بالاثم وان شعر فقليلا ، وهو غير قادر على تكوين روابط دائمة مع الناس الاخرين.

خصائص المريض نفسياً

المريض نفسيا لا يعطي انطباعا، حتى بعد تفحص دقيق ، على انه مريض عقليا او معاق، او مضطرب انفعاليا. ولاهو من حيث الشكل يبدى اي اتجاه او مظهر او احتمالات بأنه سوف يصدر عنه مايشير الى انه ينقصه الالتزام بما يمليه الضمير او العقل او انه اختار التمرد او الاهداف الاجتماعية الدنيئة. فتعليله Reasning (حججه وبراهينه) ممتاز . ومايحدّث به عن اخلاصة ووفائه واهدافه وفهمه وادراكه يبين انه سوى normal[5] وثقة يعول عليه reliable ومخلص تماما . وعلى الرغم ذلك ، فان تصرفه السابق وماسوف يظهر في المستقبل من المحتمل جداً ان يدعم عبارة لندر Linder بانه هنا نواجه انواع السلوك المنحرفة المعروفة بكونها الاكثر شذوذا وتكليفا.

والمريض نفسيا حسب الشكل النموذجي لهذا المصطلح يظهر انه يمتلك على الاقل المعدل من المقدرة بل غالبا مايظهر منها ماهو اكثر من الاعتيادي،وهو يبدو وأنه يعي بكل وضوح ماتطيب له النفس ومايسرها كما يبدو عليه اقراره بالقوانين الخلقية . واحيانا يظهر ذكاء متفوقا ومصادر قوة اخرى ، ومن المحتمل ان ينجح بالمعية لوقت ما في العمل وفي الدراسات وفي جميع علاقاته الانسانية ولكن من المحتم انه سيخفق ويفقد عمله وينفر من اصدقائه، وربما يفقد زوجته واطفاله.

وانه لمن الصعب تبيان اسباب تلك الاخفاقات . وقلما يستطيع الفرد ان يجد الدافع المناسب لتوضيح لماذا أن شخصاً وهو في قمة النجاح ، ينكمش على نفسه بفضاعة بل ربما يتنازل عن عمله ، ويبدو للمشاهد من خلال دوافع الهياج لم يكن الامر اكثر من شكوى نزوة تافهة. ومهما يبدى من القدرة في نفسه خلال فترة محدودة من الزمن ، فانه حينما يمنح وقتا كافيا ، يثبت له انه لم يكن بالتصرف المناسب.

وان اخفاقاته تجرده مما يخبرنا انها اهدافه الرئيسة وكذلك تجلب العناء والخجل وتجلب الكوارث لزوجته واطفاله ووالديه وجميع المتصلين به عن قرب (المصدر Cleckley).

والى جانب مثل هذه الانواع السلبية من الاخفاق فالمرضى نفسيا الذين تملأوا بهذا المرض يقترفون الاعمال العدوانية والدنيئة اجتماعيا. انهم يزيفون الشيكات ويختلسون وتتعدد سرقاتهم ، وباستخفاف واستهانة يجيزون التزوج باثنين (الرجل المسيحى) يتزوج بامرأتين ، والمرأة تتزوج برجلين) ولايظهرون وخز الضمير تجاه سلوكهم الجنسي وان ظهر شيٌ من ذلك فطفيف ، ولايأبهون بالعواقب كائنة ماكانت. ومن المعتلين نفسيا ممن يجتذبون بلطف فئة كبيرة من الناس ويقترفون الجرائم والخيانات العظمى الفظيعة الاخرى وعادة يفعلون ذلك باستثارة بسيطة وربما بدون اشتثارة . وغالبا مايحصل ذلك من دون دافع مفهوم (المصدر Cleckley 1941).

والاغلبية على الرغم من كثرة مناقضتهم للقانون، يظهرون انهم يتجنبون الجرائم كليا، وقد تطهروا نتيجة انتقالهم من المجتمع الى السجن لفترة طويلة . والمريض نفسيا قد يتلقى العقاب تكرارا، كما انه من المحتمل ان يعود شخصا اعتياديا اذا اصلح نهجه. ولكن يبدو انه يفيد شيئا من خبرته . انه ملم تماما بالمعايير الخلقية الصحيحة ويدعى الولاء لها ويطالب بذلك ويستطيع ان يصوع عبارات فاضلة بالنظم والقواعد لاجل ان تُتّبع. ولايبدو عليه انه يكذب بتلك البساطة التي عليها الكذابون الذين تعرف دوافعهم عادة . وفي بعض الاحيان، لايبدو ان المريض نفسيا يعي انه يكذب اويدرك انفعاليا جوهر الكذب وكيف ان الكذب يختلف عن الصدق. ففي بعض الاحيان يبدو وهؤلاء الناس انهم يقصدون في تلك اللحظة ان يعملوا مايتعهدون القيام به بقناعة كافية ولكن قرارهم قد بتوا به في حين ان الكلمات تأخذ طريقها الى النطق بها.

يعبّر المريض نفسيا عن الاستجابات السوية (الحب ، الاخلاص ، عرفان الجميل. الخ) بمظهر مؤثر جدا من الالتزام والعمق ، ولكن روابطه الانفعالية والاتجاهات التي يقربها تخفق في ان تمنعه عن الاعمال التي تناقض دائما ادعاءاته التي يتفوه بها . وهنا يبدو ان فيه نقصا مستهجنا في التبصر Insight او بعبارة ادق نقص تام في واحد من الابعاد

التي تكوّن التبصر. وبعد كذبات لاتكاد تحصى لكثرتها يعرف انها افتضحت لايفتأ يتكلم بثقة على انه يطلق عباراته بكل امانه وصدق، مطمئنا ظاهريا بان هذا الاسلوب سينهى الموضوع بصورة مباشرة وحاسمة وعلى الرغم من انه قد يظهر، خلال فترات وافية ، قدرات عامة مناسبة ، بل ربما موهبة متميزة، فانه يضيّع كل مايكسبه. وكل اصداره منصبّ على اهدافه الرئيسة ومايتعلق بها. ولايمكن ان توجد دوافع فاضلة بل حتى مُتَخَيَّلَة تفسر تصرفاته والمغريات التي يمكن تصورها تافهة الى حد كبير، ولكنها تستدعي اعمالا لايمكن التخلص منها، مما يؤدي الى فقدان الفرص والاصدقاء الفضلاء وتدمير الحياة الزوجية، والسجن او الحجز داخل مؤسسة من مؤسسات الطب النفسي .والمعتل نفسيا يبدو في الغالب وكأنه مجرّد كليا من الندم الحقيق بل قل أُعفى منه وكذلك من المشاعر العميقة بالذنب والخجل.

مثال : وفي هذا الموقف تقول انه من المناسب ان نلاحظ حالة شابة في اوائل العشرينيات من عمرها، ذكاؤها العالي معزز باختبا القياس النفسي، وبمستوى عال من التحصيل المدرسي في دراساتها وفي العمل خلال فترات محددة متفوقة مارسته فيها.وعلى الرغم من هذا الذكاء، فقد كانت هذه الشابه مشكلة حادة لوالديها منذ طفولتها المبكرة. لقد كانت كثيرة السرقة من عائلتها ومن الغرباء ومن المخازن. وغالبا ما كانت تشتري مالا حاجة لها به من الملابس والحاجيات الاخرى، كما اصبح الكذب لها عادة،فهي تكذب بكل رباطة جأش كما لو كان ماتقوله حقيقة واقعة· وفي بعض الاحيان، قد تزداد مشاكلها في امور مثل ان تصل والدها قوائم حساب لاعلم له بها فيجد نفسه في مصاعب مالية خانقة ولم يؤثر بها عقاب او حرمان قيد شعره· وكفتاة كانت تتغيب من المدرسة في اغلب الايام ولاتتورع عن انتهاك حرمة اي وقت عليها ان تلتزم به في سبيل حضور صالات الرقص او اتخاذ مواعيد مع الشباب dates وهي مع ذلك لم تكن متحدية قط بصورة صريحة اومباشرة، وكانت عادة تعترف بالخطأ عندما تفتضح اكاذيبها الباردة وغير المحكة وهي تعاهد دائما بقناعة ظاهرة وباسلوب مخلص ان تصلح ذاتها بصورة كلية، ولكن بعد فترات من السلوك الصالح تعاود اساليبها القديمة من عدم الشعور بالمسؤولية ومن الطيش· كان لها عدد من الاصدقاء الشباب ولكن كان يبدو عليها انها تشعر بميل جنسي دون المعدل· وغالبا ما كانت تظهر وكأنها غضبة شيئا ما ولكن من النادر انها ترى غير مبتهجة بصورة جلية· وخلال السنة التي سبقت دخولها المستشفى كانت تقضي ساعات في كل اسبوع تكتب رسائل عاطفية فاترة الى حد ما·

وبصورة خاصة الى اولاد في الخدمة العسكرية اوفي الكلية. وهي تعرف بعض هؤلاء معرفة طفيفة. ولما ان صادف ان واحدا ممن كانت تعرفهم جيدا وتعتبره حبيب قلبها بحق، توفي على اثر حادثة سيارة لم تظهر من الاسى والاهتمام سوى شيء طفيف تافه. وقد بقيت محتفظة ببكارتها الى سن الثامنة عشرة حيث في احد الايام،دون اي سخط او اثارة او استفزاز قوي، تركت البيت سرا ولم يسمع عنها الابعد اسبوعين،حيث اكتشفت الشرطة مكانها في مدينة على بعد مئة ميل تقريبا. ولم تبد اي ندم او تأنيب ضمير على ماعاناة والدها من القلق ولم يفارقها الغرور والامتعاض عن عدم جدوى مغامرتها والتصرفات البشعة التي كانت تمارسها احيانا.

وقد قالت في تفسير تصرفها، انها تركت البيت على نية زيارة احد اصدقائها من الشباب حيث كان يقيم في مخيم عسكري في ولاية state اخرى. واعترفت انه كان يجول في فكرها انها من المحتمل ان تتزوج هذا الرجل،ولكن هذا لم يكن التصميم النهائي الذي استقرت عليه،اما هو فكان احتماله لهذا الامر اقل. واعترفت كذلك انها قد منحت هذا الامر الجزء اليسير من تفكيرها، وتستطيع ان تحكم من وجهتها انها اندفعت الى تصرفها على اثر نزوة.

وغادرت البيت وليس في محفظتها سوى قليل من الدولارات. وركبت الحافلة الى مدينة تبعد خمسين ميلا عن بلدها، وحاولت ان تتصل بالشاب بواسطة التلفون لتسأله ان يرسل لها حوالة بشيء من المال.ولكنها لم تستطع الاتصال به. وصممت ان تذهب الى بيت شاب اخر، من الاجانب،وكانت عائلته تعيش في المدينة التي وجدت فيها نفسها. وسألت هؤلاء الناس ان يسمحوا لها بالمبيت عندهم تلك الليلة.انهم رحبوا بها. وبعد ان مكثت معهم ساعة او ساعتين شكّت بانهم قد يخبرون والديها. ومن دون ان تنبس ببنت شفة معهم غادرت البيت خلسة، وركبت حافلة في اتجاه اخر، وفي اواخر الليل نزلت في مدينة صغيرة غريبة لها.

وقد جلست فترة قصيرة في ردهة فندق يبدو عليها الهدوء وعدم انشغال البال. وبسرعة اقترب منها رجل وجرها الى محادثة. وفي الاستماع الى قصتها،قدم لها ماتدفعه لغرفة ترتاح بها. وقد تحققت منه انه يريد ان يقضي الليلة معها ولكنها لم تبد اي اعتراض. ومدى الحديث معها عما مارسته لم تكن مرتبكة ولامهتاجة ولاتدفع عن نفسها، بل لم تكن يشغلها الامل الذي يمكن ان تنظر اليه العذارى بعدم مبالاة. واقتادها الرجل علنا باسلوب فج متهور واظهر استخفافا صريحا بها ولهنتها ،ووجه لها من دون مايوجب ذلك كلمات بذيئة تحط من الكرامة. وخلال ممارسة العلاقة الجنسية، شعرت بألم

خفيف نتيجة افتضاض بكارتها، ولكن لم يظهر منها تهيج جنسي او استجابة جنسية. ودفع اليها بعض الدولارات التي اخذتها منه بسرة على الرغم من قلتها.

وفي اليوم الثاني كلمت بالهاتف صديقها العسكري في معسكره ولم تكن قد نبذت فكرتها في احتمال الزواج منه، كما انها لم تخط قدما تجاه تثبيت تصميمها. انه لم يشجعها على المجيء اليه بل ثبطها بكل قوة كما انه لم يرسل لها مبلغا من المال وحثها بكل تأكيد على ان ترجع الى بيتها.وعلى مايبدو انها لم ترتبك بتقلب الاحداث وباهتمام قليل بالموضوع صممت الذهاب الى المدينة التي اكتشفت فيها مؤخرا. انها اعترفت بانها لم يكن لها غرض معين في الذهاب الى هناك،وقد دفعت الى ذلك دون استثارة قاهرة للمغامرة ولم تكن تعي اي سبب قوى لعدم رجوعها الى البيت بل لمغادرتها الدار بادىء ذي بدء وفي المدينة الغريبة حصلت على عمل صغير ليوم او يومين ولكن ماكسبته لم يكن ليضمن لها اجرة المنام والطعام. ولهذا السبب اخذت تقضي لياليها مع رجال مختلفين سعيا وراء المغامرات الجنسية الليلية، على انها لم تمارس متعة جنسية حقيقية من تلك العلاقات الجنسية كما انها لم يحصل لديها اي تأنيب ضمير. وحينما اكتشفت من قبل رجال الشرطة، ومن ثم،عند لقائها اصدقائها في البيت،لم يظهر منها اي خجل او حياء بل اية أمارة من أمارات الندم على ما حصل منها.

وتكررت حوادث طارئة مماثلة بصورة قليلة وقتا بعد وقت. وفي مناسبات مختلفة كانت تقول انها ترغب في الذهاب للتدرب بصفة طالبة في التمريض،او ان تعمل سكرتيرة في عمل، او ان تحصل على عمل في وكالة حكومية. ولوطأة الاعمال المالية والمتاعب ساعدت حالة الاسرة على تمكينها من تنفيذ محاولات لمثل تلك الخطط ولخطط اخرى غيرها. وفي كل وقت كانت تؤكد الضمانات الوثيقة بانها لن تتسبب في متاعب اخرى، وفي كل مغامرة جديدة تعطي انطباعا مناسبا في البداية تظهر في نفسها بانها قادرة على النجاح وربما النجاح بتفوق. ومع ذلك وبالسرعة، تتخلى عن كل وظيفة،واحيانا تهرب الى مدن اخرى تعيش فيها كثيرا او قليلا كمتشردة وفي مرة من المرات هربت بمبلغ من المال حصلت عليه من وكالة تسليف تدار من قبل الشركة المساهمة التي تعمل فيها. وكثيرا ما كانت تسرق اشياء لاتستعملها ولاتستفيد منها. وكانت بعض الاحيان، ومن دون اي سبب معين وبكل بساطة ترفض الذهاب الى دائرة عملها، وفي هذه الطريقة فقدت وظائف جيدة كانت ترغب فيها اشد الرغبة واظهرت لها ارتياحا وقد ابدت فيها نجاحا ببذل مجهود قليل.

وبعد عشرات المرات من امثال هذه الاخفاقات اخذت تُظهر التفاؤل التام باستمرار، وتضمن اتجاهها altitude ارتياحا ذاتيا مبهجا.

وبعد زيارتها للمستشفى لعدة مرات للكشف النفسي والعلاج كتبت الى طبيبها:

«لقد وهبتني حياة جديدة وبشائر مستقبل جديد، وجعلتني انظر الى الاشياء على غير ما كانت تتبدى لي. وانني سعيدة - ولي وطيد الامل باني سأجعل اولئك الذين تستطع ان تقول عنهم انهم انقذوني يفخرون بي وسواء عندي،أعدت الى مهنة التمريض اوالى كوني امرأة في محل تجاري،او كوني مجرد زوجة،فانني امتلك املا جديدا لاني سعيدة وامتلك حياة نافعة مما لم اكن اتوقع ان يتيسر لي في يوم ما. وفي هذه الحياة، اذا مالاح لي ان عزمي سيثبط،وان الامل سائر نحو الفقدان.فانني سأنظر اليك واستلهم منك الشجاعة والامل ثانية. انني الان افهم نفسي وافهم مشاكلي،اشكرك . ساواصل المسيرة وسانجح وسأكون سعيدة».

وبعد مرات من التمهل المتكرر بسبب الاخفاق السابق اخذت تعرض اسم طبيبها النفسي بصفة تزكية لطلب الوظائف اثباتا«لسلوكها الصالح» و «الثقة»و«المستوى الخلقي العالي»... الخ. واصبحت تبدو واثقة كل ثقة ان مثل هذه التزكيات ستكون افضل تعبير دون ان تحتاج الى مؤهلات».

انه ليس بالامر السهل ان نستقصي دوافع مثل هذه الانسانة.فلو انها في هلوسات Hallucinations وانها سمعت صوتا ملائكيا خفيا يحثها ان تترك البيت، او بأنها اعتقدت انها كانت في زيارة لتقضي الليل مع نجم سينمائي لامع او عشيق من النبلاء فان سلوكها سيكون اقرب للفهم.انه سيكون من حيث دقة المعنى اقل من غير المعقول. وسيكون كذلك ايسر للتعليل اذا ما كانت قد اندفعت بتأثير رغبة جنسية قوية ملحة، اوببعض الحوافز الرئيسة الاخرى لتضحي بسمعتها الطيبة وربما بفرصها المستقبلية السعيدة بمغامرة جنونية. وان تكن فاتنة برأيها فانها وحشية.

الخصائص المميزة

.ان هذه الشابة التي لخصنا حياتها في السطور السابقة تظهر الكثير من الخصائص التي تميز المريض نفسيا بصورة حقيقية عن غيره من الناس. وفي النقاط التالية درج لبعض الخصائص التي دخلت في دراسة مرضى كثيرين من هذا النوع:

١ ـ سهولة الافتتان والذكاء التقني الجيد.

٢ ـ الاسلوب الجريء والصريح الذي يوحى بالثقة.

٣ ـ اعتزاز ظاهر وجدية تعطي انطباعا عن اخلاص عميق.

٤ ـ لايوجد الهذاء delusion ولاتوجد الملوسات وجميع علامات التفكير الذهاني Psychotic او غير المنطقي Irrational ،

٥ ـ التحرير من الحصر الشاذ abnormal anxiety واي مظهر اخر من العصاب النفسي Pychoneurosis،

٦ ـ القدرة على رسم خطط حياة فضلى مما يشير الى حكم متين وقرار ثابت.

٧ ـ الولاء للقوانين والانظمة الخلقية والعرف والتقاليد التي يقرها المجتمع والتعبير عن ذلك بقوة وبمظهر القناعة العميقة.

ومن المحتمل ان تكون هذه النقاط مؤثرة خلال الفحص الطبي النفسي او اية مواجهة اخرى تقتصر على الانجاز اللفظي للمريض حينما تتعارض مع سلوكه. وحينما ندرس سلوكه عبر فترة من الزمن وافية تدخل نقاط اخرى تتناقض بصورة تلفت النظر مع القائمة المذكورة سابقا:

١ ـ فقدان الثقة وعدم المسؤولية في السلوك حتى في المواضيع العامة جدا حين تتعرض للخطر وحتى في القضايا التي تتضمن السعادة والمصالح الشخصية

٢ ـ النقص في تأنيب الضمير او الخجل على الرغم من اقامة الحجة البليغة لمثل تلك المشاعر.

٣ ـ تكرر السلوك الاجتماعي الرديء المشار بالا يستوجبه مرة بعد مرة على الرغم من فترات التوافق الحسن.

٤ ـ التصرف الذي يتبين فيه الحكم البالغ في الرداءة. والاخفاق في الاستفادة من تجارب الحياة.

٥ ـ العجز عن حب الاخرين، والانانية المرضية Pathologic.

٦ ـ ضحالة الانفعالات الانسانية الرئيسة وفقرها.

٧ ـ فقدان خاص للتبصر على الرغم من القدرة على استعمال الكلمات التي تعطى بصورة مقنعة انطباعا معاكسا.

٨ ـ عدم الاستجابة للقضايا الهامة التي تنبعث من العلاقات التي تربط الناس مع بعضهم.

٩ ـ السلوك المستهجن وغير الجذاب وغالبا مايحصل بسبب استثارة طفيفة ظاهرة (او اكثر مايحصل هذا عند شرب المسكرات).

١٠ ـ نزعة للتهديد بالانتحار في الغالب، ولكن من النادر جدا محاولة ذلك على الرغم من وجود ظروف تهيئ الحوافز القوية للانتحار وبما يمكن تفهمها بسرعة.

١١ ـ تكامل الحياة الجنسية ضحل وتافة وضعيف وغير متأثر بشعور شخصي.
١٢ ـ الاخفاق في اتباع خطة حياة ثابتة.(على الرغم من حصول النجاحات البارعة، فان نتائجها غالبا ماتتبدد وتتحطم بسبب دوافع تبدو ليست اكثر من نزوة).

طبيعة الاختلال :ـ علم اسباب المرض

ان اختلال المرض النفسي يختلف كثيرا من حيث الدرجة ، وبعض اولئك المرضى على الرغم من سلامة عقلهم التقنية Technical يثبتون انفسهم انهم اقل بكثير من حيث المهارة واقل قدرة على ان يعيشوا حياتهم بكيفية مؤثرة وفعالة او دون ضرر كبير لانفسهم وللاخرين، ومن الناس الذين يبدون مظاهر ساذجة من الذهان Psychosis. فالعليل نفسيا مع انه متحرر كليا من المنطق اللامعقول وغالبا مايكون لامعا في جميع الاختبارات اللفظية، ينتهج مسيرة في حياته من الصعب ان نفسرها بانها نتاج سلامة عقلية.

فما طبيعة الاختلال اوالقصور عند هؤلاء الناس؟ ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قدمت اجوبة مختلفة لهذا السؤال. لقد قيل انهم يعانون من تغيرات مرضية تتعلق بـ «ملكة خُلقية Moral Fculty» افتراضية Hypothotical. وقد قيل كذلك بانهم يعانون من نقص تكويني عام General constitutional Inferiority ومن شائبة وراثية جنينية ومن الحرمان السائد في حياة بعض سكان المناطق المزدحمة القذرة الموبوءةوتأثير رفقاء السوء الفاسدين واهمال الوالدين. وان بعض هذه التفسيرات التي ربما تكون قد برزت من ملاحظات المرضى، تعزز الان على انها تظهر الاستجابات الاجتماعية الرديئة واستجابات انواع اخرى من االاختلال تختلف اساسا عن تلك التي هي مرض نفسي حقيقي، ولكنها وضعت تعسفا في المرتبة ذاتها. وخلال العقود الاخيرة بدأ اهتمام زائد يوجه الى تأثير العوامل البيئية والنفسية المنشأ(٦) Psychogenic اكثر من العيوب الفطرية او العضوية المحتملة.وقد اعرب بعض الشاهدين عن اعتقاد راسخ ان المعتل نفسيا نتيجة تخريب ابوي متطرف.واظهر اخرون عن ثقة ان النبذ الابوي المزري المبكر عامل رئيسي في تطور المرض (Eleckley).

منذ الثلاثينات من هذا القرن جذبت مفهومات فرانز الكسندر الانتباه الكثير، ومن دون شك، كانت قد قبلت من قبل عدد من علماء الطب النفسي على انها تزود بتفسيرات علمية عن المشكلة. واستنادا الى استنباط الكسندر، ان سوء توافق المريض نفسيا والسلوك المعادي للمجتمع ينبعث من صراع داخلي مشابه للاعتقاد الواسع بانه يكتنف اعراض عصاب نفسي Psychoneurotic symptoms على الرغم من النقص اللافت للنظر للحصار المألوف ordinary anxiety او ادانة الذات self – condemnation في المرضى نفسيا حتى تحت وطأة الظروف التي تكون فيها هذه الاستجابات سوية Normal اثبت الكسندر ان هنالك صراعا داخليا لاشعوريا واحساسا بالذنب.

وفي الاستجابة لهذا الصراع فان المريض بالعصاب النفسي Psychoneurosis يعتقد انه يُكوِّن اعراضا ذاتية وانه يشكو الحصار anxiety ووجع الرأس headache والضعف weakness واضطرابات جسمية اخرى. وربما يصبح مزعجا بسبب شعائر قسرية(٧) Compulsive rituals والتفكير الاستحواذي obsessive thinking والشلل الهستيري(٨) hysterical paralysis والعمى المؤقت Temporary blindness. وقد اكد الكسندر ان المريض نفسيا يعوض عن استسلامه لمثل هذه الاعراض الذاتية الكريهة بأن يستجيب الى الصراع اللاشعوري المفترض وذلك بعكوفه على سلوك مخرب فيه هدم للذات وعداء للمجتمع. وهذه العملية نالت الاهتمام من الكسندر على ان «افراغ» actingout المشاكل الداخلية من حيث علاقتها بالمجتمع والبيئة.

وكثير من اولئك الذين ارتضوا هذه الفرضية يعتقدون ان المريض نفسيا بصورة عمدية ولكن غير شعورية يختار الاخفاق وباصرار يرتكب الجرائم والاعمال العدائية الاخرى ليحصل على العقاب الذي يرغب فيه دون ان يعلم على انه تكفير عن القساوة ولكنه كليا شاعر بالذنب وتأنيب الضمير لاشعوريا Unconstious. وحسب هذا التفسير يمكن ان ينظر الى المريض نفسيا على انه يمتلك اسبابا حقيقية وافية لما يبدي من حماقات وعداء للمجتمع واعمال يقترفها لامبرر لها يخرب بها نفسه وغيره. ويقال انه لايعرف شيئا عن تلك الاسباب ولا عن تأثيراتها فيه. وقد نظر بعين الاعتبار الى حد كبير على تقديم تفسير ديناميكي (Dynamic) للمريض نفسيا. وينزع ايضا الى ان يجعله شخصية دراماتيكية Dramatic ولابتعاث العطف لنظاله الاعمى الذي يتذرع به لتخلصه من الخطيئة.

وهناك تفسير اخر اكثر حداثة قدمته اديليد جوهانسون Adelaid Johnson (سنة ١٩٥٩) وهي ايضا اكدت ان هنالك عوامل تعمل في اللاشعور، ليس فقط لدى المريض بل لدى والديه، واستنادا الى هذا الاستنباط فان لدى الوالدين دوافع(٩) اجرامية بقيت لاشعورية كليا، دون تحقيقها ولو قليلا، تعمل عن عمد ومثابرة للتأثير في الولد او البنت لتقوم بالنشاطات المعادية للمجتمع المتسمة بعدم المسؤولية واللاخلقية وبالتخريب ليحصلوا لانفسهم على بدائل اقتناع ورضى لايجرأون على نشدانها بصورة مباشرة. واستنادا الى هذه النظرية: فان الطفل وحتى بعد ان يصل الى حياة الرشد، لايصبح شاعرا بدوافعه التي يتذرع بها او بالتأثير المضلل الذي قالت عنه جونسون بأنه ممارسة غير مقصودة من الوالدين. ومن خلال هذا التدريب الهادف، يمكن ان يقال عن الطفل انه ادخل من قبل الوالدين مهنة جنوح ليست بذات خير ودفع الى سلوك انهزامي معاد للمجتمع.

تقويم هذين الاستنباطين :

ان فرضية جونسون شأنها شأن فرضية الكسندر، تبدو انها تعرض تفسيرا «ديناميكيا» حسب التعبير المشهور دافع اللاشعور. وربما لهذا السبب فان كلتيهما اجتذبتا انتباها كبيرا وقبلتا على مدى واسع. وقد نظر اليهما كثيرون بعين الاعتبار على انهما اكتشافان علميان مبنيان على دليل يمكن اثباته وايضاحه والبرهنة عليه.

ولكن علينا ان لاننسى ان كُلّاً من تلكما النظريتين المثيرتين للاهتمام والرغبة والفضول تستندان على مزاعم تحكمية عما هو في اللاشعور المفترض. هكذا يقول هارفي كليكي (Hervey cleckley) ويؤيد نظرته هذه بقوله: لااحد من المرضى الذين درستهم ابدى اي شيء يمكن ان ينظر اليه بصورة معقولة على انه دليل على الاحساس بالذنب الخفي والطلب المتهور عن طريق العقاب الذي وصم به الكسندر المرضى نفسيا. وكذلك فاني لم اجد اي شيء يبين ان والديهم ارادوهم ان ينهمكوا في سوء التصرف، ومن دون فهم وادراك لسوء التصرف هذا، وانما أثّروا فيهم تجاهه بصورة نشطة فعالة. ان مثل هذه الدوافع والمشاعر او اية اشياء اخرى يمكن ان تفترض انها موجودة لا في المرضى نفسيا فحسب , ولكن في اي شخص اخر اذا ! ما نحن افترضنا انها باقية في اللاشعور. انه لابد ان توجه العناية للتمييز بين ماهو افتراض وبين ماهو مبني على الدليل. والطرائق المألوفة

في علم الطب النفسي وفي علم النفس ينظر اليها عادة بان القوة المحركة (dynamic) تجعلها من السهل ان تولي فعلا كل شيء الى اللاشعور وان نحصل على دليل زائف لكل شيء وتريد ان تعززه، مستعملا المشابهة والتفسير الكيفي arbitrary للاحلام والرموز. والمؤلفات في الطب النفسي التي تزخر بالامثلة لهذه الطرق اصبحت تستعمل لغرض كشف التفسيرات المشكوك فيها عن الاختلال النفسي في احداث تخيلها الطبيب النفسي استنادا الى نظريته، حصلت من قبل عشرات السنين، خلال الاشهر الاولى من حياة المريض او بلاشك منذ كان جنينا في رحم امه .

ويزيد كيكلي بقوله: ربما يقوم نفر من الناس باعمال اجرامية بصورة متكررة بسبب اثم لايعرفون انهم ينشدونه. وربما يوجد هنالك موالون للقانون والذين محترفون يرغبون بصورة لاشعورية ان يتمرد اطفالهم على المجتمع، وينهمكوا بكل حرية بالتزوير والسرقة والتزوج باثنين(بالنسبة للاناث) وباثنتين(بالنسبة للرجال ـ الكلام عن المسيحين .)bigamy والبغاء Prostitution اوشكال اخرى من سوء التصرف وكيفما يكن الامر، فانه لم يظهر اي دليل في خبرتي الشخصية مع المرضى نفسيا يبين ان مثل هذه التأثيرات من المحتمل ان تلعب دورا في اختلالاتهم. والى ان يقدم دليل، وليس مجرد افتراض، حقيقي لبناء مفاهيم الكسندر وجونسون، دعنا الان ننظر اليها باهتمام شاك.

منذ زمن طويل كان العرف الجاري يفترض انه يمكن ان يوجد في الصراع اللاشعوري تفسير الاختلال النفساني والجنوح وبلاشك، السلوك الانساني بصورة عامة. ويرى جنكنز Jenkins انه يستوجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار التأثيرات المحتملة للجانب المقابل، جانب الافتقار الى الصراع تحت ظروف تسبب اعتياديا حصول القلق والصراع وتجعل ذلك حتميا على وجه الحقيقة. وهو بمناسبات كثيرة يشير الى انه اصبح من المعروف منذ اوائل تاريخ الطب ان مايأكله الانسان يمكن ان يسبب له مرضا. وبعد زمن طويل من ذلك اصبح من المعروف ان مالم يأكله الانسان قد يسبب له مرضا اكثر ضررا من خلال نقص الفيتامين.

اختلال الشخصية المقنّعة

Masked personality disorder

هل هنالك عيب او اختلال في داخل المريض نفسيا يجعله يفتقر الى القابلية على الشعور بالذنب؟ اذا كان الامر كذلك فان هذا النقص الافتراضي يبدوا ايضا انه يتعارض واستجاباته الى الاهداف السوية في الحياة بل وفي السعي لها بصورة مستمرة.

وهو يبدو انه يفتقر الى القدرة على الاسهام الملائم في ممارسات الحياة الانفعالية الرئيسة.
ان القدرات الفكرية المتازة لدى المريض نفسيا، وتحرره من اظهار الاختلاف النفسي الاعتيادي يجعل من الصعب الاعتقاد بأنه قد يكون في اعماقه عجز مخفي يؤول ليس الى الصراع او الذنب اللاشعوري ولكن بدلا من ذلك يجعله غير مقتدر على الشعور السوي بتأنيب الضمير وفي تقبل ممارسات الحياة الانفعالية الرئيسة بالصورة المناسبة (كليكلي Cleckley).
والخصائص الخارجية للمريض نفسيا تبين بمتانة دماثة الشعور والحنان والاخلاص وعزة النفس والشجاعة والاحساس العميق بالشرف والقدرة الحقيقية للحب والولاء. ومثل هذا المظهر الخارجي يمكن ان يكون نتيجة وظيفة خارجية مختارة في الكائن الحي مما تزود بحجة قوية مقنعة لصحة قوية فيه كما تجعل من الصعب ان تشك بوجود عجز رئيسي جدي في داخليته، ومع ذلك ،فان تصرف المريض نفسيا متساوق مع عجز حاد في نفس الصفات التي يعرضها مظهره الخارجي وأداؤه اللفظي بالصورة الغنية بالادلة. قد يقول قائل، ان الميكانيزمات الخارجية لكيانه الوظيفي غير مخربة وانها تعمل بصورة جيدة، وهي تظهر ذكاء تكنيكيا وتماثل بصورة مقنعة التعبير عن خبرة داخلية سوية. ولكن الممارسة الداخلية التي تتضمنها والاسهام الانفعالي الحق المتأجج ليس هنالك.
واذا نحن قارنا اختلالات الكلام مع اختلالات الشخصية تظهر مماثلة قد تكون مساعدة في ايضاح هذه المفهومة. حينما يخرب الجهاز الفسيولوجي الخارجي المشترك في اصدار الكلام، فان العجز يكون ظاهرا، ويكون من السهل عادة معرفة سببه. وحينما يكون اللسان مصابا بعطب او ان عصبه الحركي معطوب فعندئذ من المحتمل ان تكون هناك صعوبة كبيرة في نطق الكلمات وربما حتى في تحريك اللسان نفسه. وبذل الجهد لاجل التكلم قد يتسبب فقط في جَمجَمة صوتية(عدم الوضوح وعدم القدرة على التعبير) لاتوصل شيئا. ومع ذلك فان الاستعمال العقلي للغة ومعناها عند الشخص الذي يعاني هذا الضرر باق سليما وغير مصاب: على عكس ماهو في حالة عسر الكلام dysarthria[10] التي يكون فيها الجهاز الخارجي للكلام مصابا. دعنا نرى الحبسات (aphasias)[11] التي تسببها اضرار lesions اكثر مركزية تقع في الدماغ. وفي هذه تكون الميكانزمات الخارجية للكلام سليمة.
واذا كان لدى المريض نفسيا خلل محدود المكان عظيم ورئيس يمنعه من الاسهام بصورة نافعة بالانجازات والاستئناسات الانسانية، اليس من المحتمل ان هذا العجز في الاسهام يساعد على الاستياء والضجر؟ وأليس هذا بدوره يحثه على ان يعكف على اعمال

طائشة مخربة لايرجى منها خير: ان هذه الفرضية ذات المرض الرئيس الحاد المتطرف او العجز البايولوجي مخفية عن الوظائف الخارجية الخادعة بما يمكن ان ندعوه«قناع سلامة العقل» القادر على التأثير - لايمكن ان يبنى على دليل موضوعي في الوقت الحاضر، ولكنه من جوانب كثيرة مهمة متماسك مع سلوك المريض نفسيا.

وانه لمن المفيد ان تلاحظ حالة المرضى المتأثرين بما يدعى غالبا«الشيزوفرينيا المقنّعة». ومع ان هؤلاء المرضى ليس لديهم اوهام او هلوسات وهم في الغالب منطقيون في تعبيرهم اللللفظي عن افكارهم،فان الذهان Psychosis قد يكون حقيقيا وان درجته كبيرة شأنها في مريض الهبفرينيا Hebephronia[١٢] الذي يكون فيه اختلال العجز البالغ الشدة ظاهراً. والمريض بالشيزوفرينيا المقنّعة لايشبه المريض نفسيا، فهو كثيرا مايظهر عند الفحص هشاشة، وبعض الصفات الاسلوبية غير القابلة للتحديد وبرودة انفعالية او ربما تعبيرا عن صدق مصطنع او يعبر بحركات يدوية او جسمية او يعبر عن اتجاهات تشير الى انه سوى تماما. ويمكن ان يقال ان مرض الذهان عنده مخفي ولكنه مخفي بمظهر دون السوى،لدى شخص ذي مظهر تنكّرى شاذ غريب الاطوار.

العــــلاج

قبل سنوات، كان اغلب الملاحظين متأثرين باخفاق المرضى نفسيا للاستجابة الى علاج او ان يتغيروا اساسا بسبب اي تأثير. وهنالك نفر من علماء الطب النفسي ابدوا تشجيعا لمعالجة المرضى بطريق التحليل النفسي ممن يرونهم مرضى نفسيا. وقد ذكر لندر Linder بحماس انه احرزنجاحا باستعمال التحليل التنويمي hypnoanalitic[١٣]. اما الاخرون فقد ذكروا انهم اصابوا تحسنا احيانا عن طريق استعمال العقاقير drugs من خلال تأثيرات ارشاد بسيط ومن خلال العلاج البيئي milieu therapy[١٤] ومن خلال طرائق الدلالات العامة للالفاظ وتطورها ومن خلال انواع مختلفة اخرى من العلاج النفسي. وتأثير علماء الطب النفسي من رضى احيانا بتقارير استعمال الرجات الكهربائية Electric shocks وعمليات الجراحة الفصية Lobotomy operations(جراحة تجرى في فصوص المخ الجبهية). وربما ان بعض تلك التقارير المتفائلة التي تتعارض بشدة مع خبرة المراقبين observers يفسر سببها بنزعة المريض نفسيا استعمال قابلياته المتفوقة وقتيا وربما يمكن ان يقول المرء ايضا حالة مزاجية - لينجح لفترة قصيرة في كل مايأخذ على عاتقه . ان هذا التخفف الذاتي من المرض قد يؤدي بالقائم بالعلاج الى اعتقاد خاطىء بأنها نتيجة معالجته. وكثير من علماء الطب النفسي يشتركون في الرأي القائل

بأنه لايوجد علاج فعال متوفر في هذا الوقت للمرضى نفسيا الحقيقيين الذين تنطبق عليهم هذه التسمية بجميع مدلولاتها.

اقتراحات للتعامل مع المشكلة

يبدو انه لابد من اتباع خطوات مهمة للوصول الى وسائل افضل للتعامل مع المشاكل المربكة العديدة التي تصدر عن المريض نفسيا. اولا. الحاجة ماسة الى معرفة عامة بان اختلاله عجز محض او شذوذ يتعلق بالطب النفسي،نوع خاص من القصور malfunctioning (سوء التشغيل،عجز العضو اوالنظام الالي عن العمل على وجه صحيح). حيث في الحالات الحادة، يسبب عجزا تاما يجعله من المستحيل ان يقوم بدوره كعضو مسؤول في البيئة الاجتماعية. ان اغلب المرضى نفسيا في الوقت الحاضر يتهربون من كل ما من شأنه التقييد.

وليست القوانين الجزائية ولامستشفيات الطب النفسي تمتلك الوسائل الشرعية المباحة لحجزهم فترة كافية لتقديم الحماية للمجتمع او ان تقدم الممارسة المناسبة لاي معايير علاجية يمكن القيام بها.

ومع ان سجل المريض نفسيا في العجز البالغ الشدة قد ييسر جهودا للحصول على تبرير او رفق في الحاكم حينما يواجه بالسجن، وكما هو الثابت حاليا.فانه لايمكّن المجتمع من اخضاعه للطب النفسي خلال الحكم بالحبس ولعدة مرات يكرر المرضى نفسيا بصورة ظاهرة سرقات دون اية غاية كما يكررون حوادث تزييف واختلاسات وخيانة الامانة وتزويج الانثى برجلين وتزوج الرجل (المسيحي) بامراتين والتدليس والاعمال المستقبحة او المعيبة علانية امام الناس،ومع كل ذلك فبسبب الصنف العلاجي الذي وضعوا فيه والذي جعلهم صحيحي العقل واكفاء استنادا الى ما هو مدون وماهو من التقاليد والاعراف، فانه لايمكن الحكم عليهم بدخول مؤسسات الطب النفسي لغرض العلاج الطبي اولحمايتهم هم انفسهم ولحماية الاخرين منهم. واذا ماحكم عليهم صدفة، وهذه حالة استثنائية فان سلامة عقلهم وصحته sanity[١٥] ستؤيدها هيئة من علماء النفس العقلي المقتدرين في المؤسسة التي يرسلون اليها،حيث ستشخص حالة هؤلاء بصورة صحيحة على انهم شخصيات معتلة نفسيا. ومهما يكن نصيب اختلالهم الحقيقي من المستوى فان هذا يحررهم(كأشخاص اعتياديين وذوي اهلية وكفاية من الناحية القانونية) من المهنة والاشراف عليهم.

ومن النـاحيـة الاخرى، فـان هـؤلاء الاشخـاص عـادة،وفي اغلب الحـاكم حسب المألوف،مقتدون على ان يتملّصوا من احكام السجن بسبب تصرفـاتهم المعـاديـة للمجتمع.وان محاميهم قادرون على ان يبينوا ملامح العجز الظاهرة في اعـالهم واعضـاء المحكمـة الحلفون بالرغم من براهين خبراء الطب العقلي للنقض فانهـا في الغـالب ترفض معـاقبـة من تُظهر تصرفاتهم مثل هذه الادلـة الواضحـة على الشـذوذ العقلي. وقـانون دورهـام Durhan Rule ان المتهم بريء من المسؤولية الجرمية اذا كان تصرفه نتيجـة مرض عقلي ـ حسب الظـاهر لم ينجم عنه اي اصلاح لهذا الموقف المضطرب.

واذا كان بمقدور بعض الوسائل ان تجعل من اليسير توفير الحصول على هيمنة منـاسبـة على المرضى نفسيا ممَّن يظهرون انفسهم بوضوح انهم غير لائقين لحرية غير مقيدة في البيئة الاجتماعية، فسيكون عند ذلك من الممكن وضع وسائل تُصمّم بصورة خاصـة للتعـامل مع مشاكلهم.ان مؤسسات الطب العقلي الفدرالية في الولايـات الكبرى في الولايـات المتحـدة التي وضعت لمعالجة المرضى نفسيا في المعنى التقليدي لم تكيف لهـذا الوقت الحـاضر بصورة جيدة لمعالجتهم. وكثير من المستشفيات الخاصة سواء كانت صممت منذ البدايـة لمتطلبـات مرضى العصاب النفسي Psychoneurotic patients اولمرضى الذهـان Psychotic تفتقر الى وسائل ضبط المرضى نفسيا وغير مقتدرة للتعامل بالصورة المناسبة مع المشاكل التي تصـدر بسببهم. وسيكون عندئذ ممالا فائدة فيه انشاء مؤسسات للمرضى نفسيا اساسـا مـالم توضع وسائل قانونية للهيمنة عليهم. ان النفقات التي ستخصص لمؤسسات من هـذا النوع والعمل بها ستكون باهضة. ومع ذلك،فان هنالك سببا صالحا للايمان به، وهو ان تلك المبالغ مع ارتفاعها فـانهـا ستكلف اقل ممـا يكلف المرضى نفسيـا ابنـاء مجتمعهم الـذين يعيشون فيـه. وحتى لو انه لم تكتشف معـالجـة جـادة فـان اسـاليب من التعهدات ومن اخضـاع الافراد للتجربة توضع بصورة خاصة للمريض نفسيا تصاغ بكل دقة في ضوء حاجاته وقـابليـاتـه يمكن ان تُقَدَّم لكل مريض التحرُّر الكثير من الكبت ممـا يجعلـه ينتفع بمـا يمتلـك من قدرات بصورة سلبية.وفي المواقف المهين عليها بالصورة المناسبة والمتواصلة فان من الممكن لكثير من المرضى نفسيـا ان يستفيـدوا من قـدراتهم المتميزة بصـورة بنّاءة واخيرا فـانهم سيحصلون على توافق افضل مما هم عليه.واذا اراد الناس الاعتيـاديون(غير المتخصصين من ذوي المهن) ان يصبحوا اكثر احاطة بهذا النموذج المبهم من الناس خلف قناعـه المضلل من سلامة العقل ربما فيه من الحزن الدائم التجمع والمتضرر من المشـاكل، والقنوط والارتبـاك والمهازل والنكبات التي يتركها كل مريض نفسيا في اعقـابـه، فـان الجهـد المنظم يمكن ان يجند لوضع وسـائل طب شرعي medicolegal تلائم لقمعـه في مسيرتـه الواقعيـة الحـاضرة المندفعة في الرعونة والتخريب غير الهادف.

هوامش الفصل الثامن

١ - psychoneurosis:

العصاب النفسي: ينشأ من الصراع بين الانا والهو ويختلف عن الذهان. فمريض العصاب يدرك انه مريض وان اعراضه مَرَضيّة ، ويختلف عن العصاب الخلقى Character Neurosis لان العصاب النفسى ينتج اعراضا بينما الاخير ينتج سمات خلقية ،ويختلف عن العُصاب الحاضر Actal Neurosis لان الصراع في العصاب النفسى يرجع الى الماضى . ويتفرع العصاب النفسى فروعا ثلاثة هى الهستيريا التحولية والهستيريا الحصرية والهستيريا الاستحواذية وتشترك جميعا فى سمات عامة وفى قابليتها للعلاج بالتحليل النفسى

٢ - mental deficiency:

القصور العقلى: وهو الذكاء المنحط الذى يشمل المأفون والأبله والمعتوه

٣ - Sociopathic personality :

هى الشخصية التى تنحصر اضطراباتها فى مجال علاقاتها الاجتماعية، خاصة الشخصية اللااجتماعية او المعادية للمجتمع او الشاذة جنسيا.

٤ - insanity:

الجنون: اصطلاح قانونى طبي، عام اكثر منه علميا، يغطى كل اشكال الاضطرابات العقلية التى تعنى عدم المسؤولية وعدم الاهلية القانونية.

٥ - normal:

سَوِيّ: الكلمة من اللاتينية norma وتعنى المسطرة، ومعنى المصطلح ما يتفق والنموذج المنتظم المقرر.

٦ - psychogenic

نفسي المنشأ: صفة الاضطرابات والاعراض التى يفترض انها ذات منشأ نفسي مع انها قد تتضمن تغيرات فسيولوجية نتيجة هذه الظروف النفسية.

٧ - Compulsive Rituals:

فى علم الطب النفسى، سلسلة من الأعمال المعادة تتم بصورة قسرية لتخفيف القلق كما هو الحال فى العصاب الوسواسى القسرى - obsessive - compulsive neurosis

وهذا يتسم بالافكار الثابتة، غير المرغوب فيها (الوساوس) والقيام بالاعمال القهرية النمطية الطقوسية غير المعقولة مثل غسل اليدين بين الحين والاخر او فرك اليدين

ولعـق الشفـاه بـاستمرار وهـدفهـا التغلب على القلـق وإطفـاء مشـاعر الـذنب (فقد يكون غسل اليدين يسبب الشعور بالذنب لممارسة العادة السرية) .

٨ ـ Hysterical paralysis:

الشلـل الهستيرى: شلـل يصيب طرفـا كامـلا من اطراف الجسم او يجعلـه عـاجـزا عن الاتيان بحركة معينة، يصيب العضلات المقربـة، بعكس الشلل العضوى الـذى يصيب العضلات المبعَّدة ، كما ان العضلات المصـابـة يمكن ان تمـارس حركـة معينـة ولاتمـارس حركة اخرى.

٩ ـ Impulse:

دافع: الميل الى الحركـة بلاتعمـد وفورا بمجرد وجود المـوقف. وفى النظريـة التقليـديـة للتحليـل النفسى تمر الـدوافـع من الهـو الى الانـا، حيث تفرغ فى الحركة اوتكف او تجعلها ميكانيزمات الدفاع، او تتسامى.

١١ ـ dysathria: ويقال لها ايضا Dysphasia

عسر الكلام: اختلال النطق لمرض او عيب فى الجهاز العصبى او المخ.

١٢ ـ Hebephrenia:

الهبيفرينيا: نمط من انماط الفصـام يصعب تمييزة عن الانفصـام التخشبى لاشتراكهما فى بعض الاعراض، غير ان الهبيفرينيا تصيب المرء فى سن أبكر كما ان عدم انتظام حبل الافكار يكـون اكبر يصحبه اضطراب عـاطفى وفترات هيـاج تتراوح بين البكاء والاكتئاب، وغالبا اوهام وهلوسـات، ويتسم الشخص المصـاب بـالهبيفرينيـا بوجود تاريخ من الاضطراب الانفعالى ونوبات الغضب والشراسة، وكثيرا ما يكون شـديـد التَّدين يقظ الضمير مثاليا دائم التفكير فى موضوعات غامضة، ويصفه معـارفـة بـأنـه شخص غريب ، واستجابـاتـه العـاطفيـة ضحلة ويبكى ويضحـك لاسبـاب واهيـة، وينفجر غاضبا للاشئ ثم يهدأ بسرعة.

١٣ ـ hypoanalysis:

التحليل التنويمى: شكل من الطب النفسى، يعطى فيه المريض مهدئـا فيصيبـه النعاس قبل ان تبدأ جلسة العلاج ويقلل نعـاس المريض من مقـاومتـه ويجعلـه اكثر تجاوبا مع تأويلات وايماءات المعالج. وفى هذه الطريقـة يستخـدم التحليل النفسى ملتحما مع التنويم.

١٤ ـ milieu:

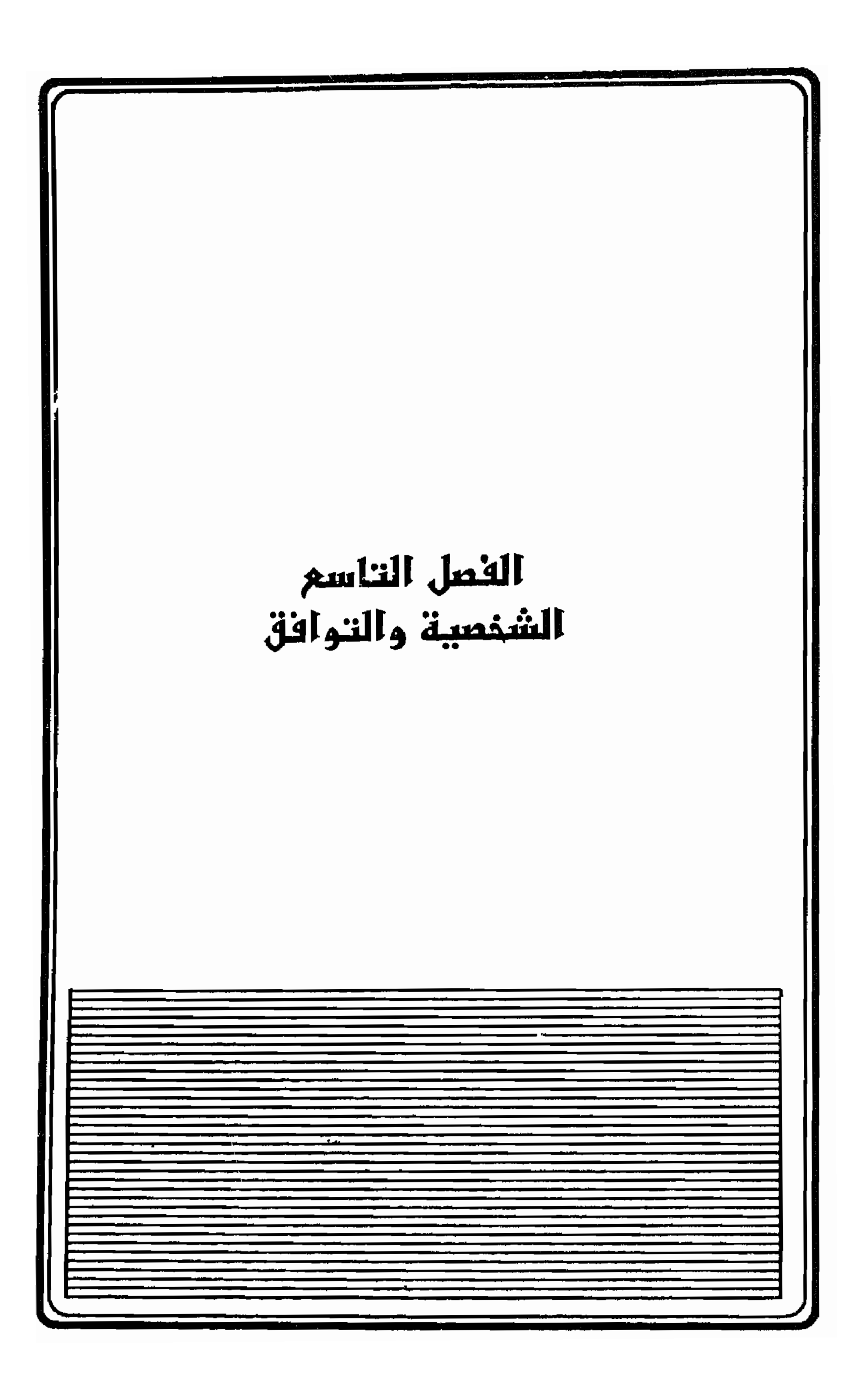
الكلمـة فرنسيـة، وهنـا لابـد من التفريـق بين استعمالهـا فى علم النفس كما وردت فى

النص وبين استعمالها الطبي. ففي استعمالها في النص السابق تعني كل ما يحيط بك اي البيئة. والبيئة نوعان خارجية

External Environmentوبيئـة داخليـة Internal Environment. امـا في الطب فقـد استعملها Claud Bernartللدلالة على الدم واللمف الذي يغمر خلال الجسم.

١٥ ـ sanity :

اصطلاح قانوني طبي يستخدمة الاخصائيون عنـدمـا يتعـاملون مع القـانون. والسليم العقل saneهو الذي يمكن ان يمثل امام المحكمة وهو الذي تعد تصرفاته قانونية.



الفصل التاسع
الشخصية والتوافق

من المعلـوم انـــه لاشئ لنـــا اقرب وامتـع واهم من شخصيـــاتنـــا وسلـوكنـــا. ولعلـــه امر متنـــاقض فى طبيعتـــه، أن اغلب النـــاس لايفهمـون شخصيـــاتهم وانهم لايعرفـون انفسهم تقريبـــا كما يعرفـون (او يظنـون انهم يعرفـون) غيرهم من النـاس. وربمـا ذلـك لشـدة قربنـا من انفسنـا، حيث أننـا لانستطيـع ان نرى الغـابـة بسبب الاشجـار، وربمـا لاننـا مهمـون جـدا عنـد انفسنـا الى حـد لانستطيـع ان نبصر شخصيـاتنـا بصـورة مـوضـوعيـة منزهـة من التحيز. ان أغلبنـا ينقـد غيره، واننـا لنتبين اخطـاء اصـدقـائنـا (عـادة فى حـالـة غيـابهم)، واننـا متـأكـدون من أن احـدا «قـد عمـل شيئـا» بحيث كان احمـق نـوعـا مـــا او ان احـــداً كان حســودا او قصير النظر. ولكن هـل نرتضى نحن ان تكـون فينـا مثـل هـذه الصفـات؟ ومن الـواضـح، انـه لحصـافـة وشـأن سـام ان تكـون افضـل اصـدقـاء شخص مـا،ولكن لمـاذا بعـد فترة تكـون من اخبث اعـدائـه؟ وتســاعـدنـا دراســة علم النفس على فهم الاخرين والتقـدم خطـوات نحـو دراســة انفسنـا. كما نتعلم أن كل صفـة او خطـأ اوعـدم اكتمال نـلاحظـه عنـد الاخرين، انمـا هو موجودبمقياسٍ ما(وربمابمدى واسع) في أنفسنا وعلم النفس يعلمنا لماذا توجـد تلـك الصفـات وما تقوم به لاجلـ ومتسبب لـ. وباختصار يعلمنا علم النفس ما هية شخصياتنا كما يعلمنا ماذا يعنى سلوكنا.

ومـع ان الشخصيــــة هى المجمـوع الكلى لكل شئ يشكل التركيب العقلى والانفعـالى والمـزاجى فـانهـا تـأخـذ الى حـد كبير الجـوانب الجسميـة للشخص. حيث اننـا نجـد ان الصفـات العقليـة تتـأثر لـدرجـة كبيرة بـالجسم وبـالاجهـزة الجسميـة، فعقـدة النقص على سبيـل المثـال ، الشـائعـة لـدى افكار العـامـة، والتى أسيْ فهمهـا الى حــد مخجـل هى بنظر «ادلر» Adlerتكـون فى العـادة من رد فعـل لبعض انـواع النقص العضـوى Organic Inferioity وهـو النقص الـــذى يكـون مرتبطا بعضو وهذا النقص العضوى يـدفع صـاحبـه الى تـأكيـد ذاتـه بـاستمرار كنوع من التعـويض . وقـــد تبين كرتشمر kretschmer (١٨٨٨ - ١٩٦٤) مـؤسس علم النفس الجبلّي Constitutional paycholoqy الـذى يـدرس العلاقـات بين السمات المورفورلـوجيـة والفسيولوجية والبدنية والكيميـاويـة الحيويـة للفرد، التى تحددهـا العنـاصر الوراثيـة التى

تتـــأثر بـــالبيئـــة وظروفهـــا ، والعـــلاقـــات بينهـــا وبين السمات المرضيـــة النفسية والسلوكية . أقول لقد تبين هذا العالم النفسى الالماني وجود ثلاثة طرز أساسيـة للبنـاء الجسمى هى: الطراز الـواهن asthenic ذو البنيـــان الجسمى الضعيف الطويل ،والطراز الريـــاضي Athletic ذو البنيـــان الجسمى العضلى القـوى والطراز البـــدين piknic الـذى تظهر فيـه جوانب بـارزة الانحراف فى البنـاء تبـدو لعين المـلاحـظ العـابر نـادرة ومـدهشـة وقبيحـة . وقـد ذكر هـذا العـالم النفسى أن الشخص الكبير الوزن لفرط سمنته يحتمل ان يكون مرحـا ذا طبيعـة جـذابـة ومبتهجـا ، بينما الشخص الخفيف الوزن النحيف الجسم فانه فى الاغلب يحتمل ان يكون انعزاليـا حـاد الطبع مهموما . وقد ورد ذكر ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب.

و ووجد بولتن Bolton لتنان القدرة البدنية الفـائقـة كما ظهرت فى اختبـارات السرعـة Rapidity والاستعـداد Readiness والـدقـة precision فى العمل تتماشى ومستوى التحصيل المدرسى . والدراسات الحـديثـة التى اجريت فى هـذا الميـدان تظهر ان العلاقـة بين الجسم والعقل طفيفة ولكنها تكشف حقا عن وجهة ان الصفات الجسميـة والعقليـة الحسنـة معـا هـو في الحقيقـــة طفيف الى حـــد انـــه لايمكن ان نـزعمـــه بـــاطمئنـــان فى اية حالة فردية. وفى لغـة العـامـة تشير الشخصية عـادة على الانطبـاع المبـاشر الـذى يأخذه الشخص عن الاخرين . ان هـذا الاستعمال المحدود للاصطلاح مما يتجنبـه علمـاء النفس . فهنالك الكثير عن الحياة العقلية الـداخليـة ، وهى مهمـة جـدا فى فهم الشخص ولايمكن ان تظهر للاخرين بهـذه السهـولـة = وعلى الاقـل لاتظهر فيما تحـدثـه التـأثيرات الاجتماعية المباشرة. ان شخصية الانسان حصيلة جميع خبراته السـابقـة تعمل وفق مزاجـه الذاتى لذا فهى تتضمن عـددا ضخما جـدا من العنـاصر ذات الاهميـة الحيويـة لفهم سلوكـه إن اسلوكك وسلوك زملائك فى العمل ليس مظهرا سطحيا يمكن ان يرى بنظره.

ولابـد من التفريـق بين الشخصيـة والاخـلاق بصـورة واضحـة. فنحن نتحرى فى الاخـلاق Characters سلـوك الشخص فى مقـاييس معينـة او مستـويـات تعرف بأنها «صحيحة» ولما كانت المستويـات الصحيحة او الخـاطئـة تتغير من حين لاخر فـان اخلاق الفرد تكون اليوم حسنة وبعد فترة سيئة كما قـد يكون العكس، في حين ان الفرد لم يغير سلوكـه . وقـد اعترف بـذلـك وشبرن Washburne فى مقـالـه «تحـديـد فى معيار الاخلاق» الذى نشره فى مجلة علم النفس الاجتماعى، كما اعترف بصعوبات اخرى فى تحديد الأخلاق مستنتجاً أنه لايوجد تعريف مقبول للاخلاق بوجه عام كما لايوجـد اتفـاق ضمنى على المعيـار الـذى يمكن ان يحتكم بـه على الاخـلاق اوايـة صفـة خلقيـة. ومن

حسن الحظ ان هـذا ليس معقوّقا حدّيا في دراستنـا ، لان اهتمامنا الرئيس انما هو فهم السلوك ـ سواء منه (الصالح)، و (الردئ) ـ وليس فى تصنيفـه او ادانتـه. وليست هنـالـك كلمة نهائية تقال عن الاخلاق والتربية الخلقية فى الوقت الحاضر، وربما تخمينـات علماء النفس افضل من الكتابات ذات الاراء المعتد بها من التربيـة الخلقيـة التى سطرتها اقلام غير مختصة بعلم النفس، والحقيقة ان الاهمية البـالغـة للاخلاق والحـاجـة الشديدة لطرائق فعالة لتعليم الصفات الخلقية الصالحة واضحة عند كل فرد.

بعض خصائص الشخصية

(١) الشخصية شعورية: ان الصفة المشتركة فى جميع الشخصيات والتى هى فى الوقت ذاته احدى المفهومات Concepts ذات الاهمية البالغة فى جميع حقل علم النفس، انما هى الشعور، تلك القابلية الفريدة التى نمتلكها وندرك بها ما يجرى . والشعور لايتصل بعمل المشتغل بالفيزياء او الكيمياء او اى طالب فى دراسة المواد اللاعضوية أو غير الحية. ولكن المختص بعلم الاحياء Biologist وعالم النفس فى ملاحظته للسلوك يلاحظ لاول وهلة ان الكائنات الحية مدركة لما يجرى وان سلوكها متأثر بهذا الاطلاع،

ان علاقة الشعور، او الادراك بالاشياء المادية لم يسبق لها ان فسرت من قبل العلماء. فحينما ترى وردة حمراء، فان الموجات الضوئية. يمكن أن تقاس، ولكن اللون «احمر» - شعور اللون - شئ جديد لايمكن ان يفسر بل حتىأن يفسر باصطلاحات فيزياوية. تصور نفسك تصف هذا اللون لشخص مصاب بالعمى منذ الولادة. انك لاتستطيع ان تقول «الاحمر هولون التفاحةالناضجة» لان الشخص الذى لم يرّ التفاحة الناضجة لايجد فى هذه المقارنة ايّ معنى. كما انه ليس من النافع ان تصف اشعة الضوء التى تنتهى برءيتنا للاحمر. وحتى الذى يتمتع بنظر سوى Normal لايستطيع ان يستدل على اللون من معرفته بان الموجات الضوئية ال ٧٦٠ مليون من الملتر فى الطول متشابكة نوعا ما . ان الشعور - فى ابسط اشكاله كادراك للون - جديد شيئا ما، وفريد شيأ ما انه شئ لايمكن ان يوضح بتعابير مادية ومع ذلك فانه اكثر انواع الفعالية التى نقتدر عليها من حيث الاهمية حيث يعتمد عليها عدد كبير من ردود الفعل الاخرى. ان سبب حركة الاشياء غير العضوية قوى خارجية، وان سلوكنا فى غالبيته يكون مختلفا جداعما هو عليه لو كنا بدون شعور وكنا عرضة لقوى خارجة عنا فقط/ والمشاهدات العامة وكما هو الحال فى التجربة تثبت حقيقة ذلك . فالشخص الذى يمشى وهو نائم انما هو فى خطر لانه غير شاعر ولايقوم بالمشاهدات الضرورية لضمان سلامته. والشخص الذى يتكلم وهو نائم او تحت تأثير المخدر غير مسؤول عن كلامه لانه غير شاعر بما يقول. ان جزءاً من مجموع ذاته هو الكلام ولكنه ليس الذات التى هى الشعور عادة. وطالما الانسان فى حالة نوم عميق او انه متأثر كليا بمخدر فانه لايستطيع ان يقوم باى تكيّف باستثناء اولئك الذين لهم طبع فسيولوجى physiological character . فحينما يكون الانسان في حالة نوم عميق أو إنه متأثر كليا بمخدر، قد يحترق البيت من حوله دون علمه ولايفيق الا بعد استحالة المحرب. بينما تجدنا حين نكون بحالة شعورية تامة، نعلم بما يجري نحونا، وإننا مطلعون كليا أو جزئيا على الاحتمالات المقبلة ونستطيع ان نوجه سلوكنا حسب ذلك.

والشعور بطريقة ما. متصل بكل لون من السلوك الذى نقتدر عليهتقريباحتى الافعال الانعكاسية قد تتأثر بكيفيةٍ ما بالشعور اوعلى الاقل تتصل به .

فالفعل الانعكاسى انما هو استجابة ثابتة .لمنبّه معين ويسببه ارتباط فطرى فى الجهاز العصبي بين العضو الذى يتسلم المنبه وبين العضلات او الغدد التى قامت بالاستجابة وورجة الركبة Kneejerk☆ خير مثال لهذا اللون من الاستجابة . فاذا كانت الساق مدلاة على خوطليمو اي بعير انتضم على مسند كاهو خل حيث تكون الساق الواحدة فوق الاخرى عند الجلوس) وتوجه دقة شديدة الى الرضفة (وقاء الركبة) تماما فان الساق سوف تنبسط . ان هذه الاستجابة تحصل بصورة ذاتية من دون جهد يبذله الشخص . ولكن فشر Fisher اظهر ان الشخص الخاضع لتأثير التنويم المغناطيسى الذى ليس له اطلاع شعورى واضح تمام عن المنبه لايبدى هذا الفعل الانعكاس ، والتنويم المغناطيسى وهو حالة انتباه مقيد ـ يبدو انه يبعد الانعكاس فقط ، بابعاد او تقليل الشعور بالمنبه patellar – tendon Reflex1 والشعور من الموضوعات التى شغلت الكثير من اوقات علم النفس. إننا جميعا نمارس الشعور، ونحن نعرف اننا نستيقظ من اللاشعور ونستقبل مجرى من الافكار الشعورية ، ولكن ما ماهية الشعور حقيقة ، هذا سر غامض على الاقل بالنسبة للكتاب فى العصر الحاضر. نحن نعلم ان الافكار تظهر داخل عقولنا وخارجها فى اسلوب منظم حينما نعمل وحينما نكون يقظين. ونتأرجح بصورة عشوائية حينما نكون فى حالة ارتخاء ونترك مجرى الشعور يأخذ طريقه. اننا جميعا نمارس بحثنا عن فكرة او كلمة او اسم لايحضرنا بصورة جلية. ونحن نرى على سبيل المثال وجه زميل ونعرف عنوانه وشهرته العامة و نزهة قمنا بها فى داره فى فصل الصيف حيث طال الحديث هنالك عن الطبيعة الاساسية للشعور، كما نتذكر اننا امتطينا الخيول وقمنا بجولة حول البحيرة. ولكن ماذا كان اسمه المزعج ؟ لم يكن اسمه فلان او··· او··· الخ، ثم يأتى اسمه جندب الحرباوى اننا نشعر الاسم او بانه فى شعورنا، انه اسم قديم وقد نسيناه قبل لحظه ان اسمه سيكون خارج شعورنا مرة اخرى بعد لحظات قلائل حينما نستمر فى كتابة جانب اخر من جوانب الشخصية.

ويجب ان لانشعر بان الشعور دائما اما ان يكون حاضرا كليا واما ان يغيب كليا فى الواقع، هنالك درجات للشعور. فخلال اللحظات التى تسبق تماما النوم العميق يأخذ شعورنا بالضعف التدريجى وتبدأ درايتنا لبيئتنا تقل شيئا فشيئا. وبالمثل خلال وقت التعب او الانهاك، قد نكون اقل شعورا واقل ادراكا لبيئتنا منا حينما نكون فى حالة يقظة كاملة اونشاط

☆ وتسمى أيضاً انعكاس عصب الصلاة الربانية :

Patellar – Tendon Reflex

٢ ـ الشخصية تتوافق باستمرار مع بيئتها:

ان جميع نشاطات الفرد هى توافق أورد فعل لبيئته وحياته الداخلية فالمقامر والقاتل واللص والخارج على القانون ورئيس العصابة ـ رجل السياسة ورجل الدين والطبيب والواعظ ورجل القانون ـ ان تصرفات كل من هولاء انما هى سلسلة من التوافقات الشخصية الخاصة، ولخلفيته Backqround ولبيئته وان سلوك اى فرد انما هو عقلى بالنسبة له. ان سلوكنا هو الذى يبدو لنا انه اكثر احتالا للوصول بنا الى تلك الاهداف التى نصبناها (او التى نصبت لنا)باعتبارها غايات)مرغوب فيها لحياة الانسان. وقد تغير اهدافنا احيانا سلوكنا كا هو الحال فى وقت الزواج ، وحينما يحصل هذا يجب ان تقام توافقات جديدة فسلوك الشخص العزّبَ (او العزباء)الذى يكونّ لنفسه حياته الخاصة به ، لايتأثر نسبيا بحاجات الاخرين . انه يكوّن لنفسه اسلوبا من السلوك ويتجه الى اهداف ينهج فيها فى الفكر او العمل نهجا مستقلا الى بارز . فسلوكه منصرف لحياة يحياها بمفرده . أما فى حالة الزواج فان هذا الاسلوب غالبا ما يتعارض ومتطلبات المشاركة . ولاجل ان يكون الزواج سعيدا فمن الضرورى اتخاذ توافق جديد . حيث ان اسئلة لم تكن لها قيمة بل لم يكن لها وجود سابق مثل متى واين وكيف تقدم وجبات الطعام وتؤكل ، واين تقضى العطلة هل فى سفرة لصيد الاسماك او فى مصيف قريب او فى البيت اقتصادا فى النفقات ، ان أسئلة مثل هذه تجد مكانها اللائق بها في الأمور التي ترافق الحياة الزوجية السوية المبهجة والصحية الحسنة، التوافق لمثل هذه المشاكل يعتبرامراحيوياً. وميكانيكية التوافق شرط فى تحريرنا من العناء والتوتر

وان تصرفاتنا حين نكون متوافقين توافقا تاما تكون هادئة وتدعو الى الارتياح كا تتصف بالانسجام والنجاح . واللحظة التى يضطرب فيها هذا التوازن التام تبدأ مساعيناالاعادته . فبالذكاء والادراك نجد المساعدة فى تفسير الفشل فى محاولاتنا ، وبمعرفة ان أمنامامستقبلا ينتظرنا ننظم جهودنا ونحاول ان نتوقع ما يلائمنا . وتلك التوقعات التي نريدها ندعوها «اهدافنا» ، وبتلك الاهداف يرتبط بدقة كل نشاط التوافق .

٣ـ الشخصية تسعى لتحقيق اهداف خاصة:

ان وجود الاهداف فى حياة الانسان هى الخصيصة الثالثة العظيمة للشخصية . فحينما نجهد انفسنا لضبطمادةدرسية،وحينماتقتصد من مالنا لقضاء نهاية الاسبوع خارج الدار ، وحينا نحاول ان ننجح فى الانتخاب لنكسر شوكة خصم ، اننا فى كل تلك نسعى الى

هـدف . يفسّر السلوك الانسـانى عن طريق فهم تلـك المقـاصـد والاهـداف التى توجـه تصرفاتنا . وافضل تعليل لكونك طالبا جامعيا هى النهـايـة التى تنتظرهـا ـ فـاذا كنت تأمل ان تكون مهندسا فانـك تنتمى الى كليـة الهنـدسـة لان هـذا هو نوع السلوك الـذى يقود الى هذه الغاية . وحينما اظهرت الاحداث سلسلة من الوسائل والغايات فـان فكرة الهـدف هـذه تسـاعـد كثيرا جـدا فى الحصول على تفسير صحيح . ومن النـاس من تكون اهدافه متصلة اساسا بتركيبه العضوي وبحاجاته ، فتستطيع ان ترى ان هنالك هـدفـا فى رغبتـه للطعـام والمسكن ولـلاحتماء من البرد والحرارة ، وللراحـة وللتمـارين الريـاضيـة وللنوم وللنشاطات الجنسية . هنالك اهـداف اخرى لاعلاقـة لهـا بحـالتـه الفسيولوجيـة . فالانسان ، يبدى على سبيل المثال نزعة لحماية ذرتيه وحماية شيخوختـه بصورة عـامـة كما يبدى رغبتـه فى الفهم وحب الحقيقـة ورغبـة فى حب الشهرة ، وان يقوم بواجبـاتـه وان يبتكر ويمتلك اشياء جميلة.

ان مساعى الانسـان تتصل جـذورهـا بطبيعتـه الموروثـه . فهى تنبعث من الدوافع الموروثـه التى تسمى الغرائز Instinctاو الميـول الفطريـة propensities ويعـدل سـلوك الانسانى حسب معايير التصرف المكتسبة وبالخبرة التى لاتزود بالوضوح الذى ترود به الدوافع الفطرية من السلوك كما يفعل سلوك بعض الانواع الدنيا فى حياة الحيوان.

وعلى سبيل المثال ، ان الميول الفطريـة لـدى جميع الكائنـات الحيـة فى تكاثر نوعهـا هى فى الانسان مزدانة بخصائص مكتسبة مثل الحب الرومانسى ومثاليـة الابوة والامومـة (وبخاصة الامومه) والاخذ بنظر الاعتبار الفضائل الاجتماعية . وان سلوك الانسـان متـأثر كثيرا بهذا الاسلوب الذى ارتضاه المجتمع وصيّره نظـامـا من سلوك الجمـاعـة راسخ الجـذور معـدودا جـزءا اسـاسيـامن حضـارتـه وثقـافتـه بحيث لايمكن ان يفهم منفصـلا عن تلـك الاعراف والتقـاليـد مع التـأكيـد على الالتزام بـالطقـوس وعلى النقيض من ذلـك سلـوك الحيوان . فذكر الفقمه (عجل البحر) مثلا يعمل الـدافع الجنسى على أبعـاد جميع الـدوافع الاخرى. فقبل موسم التزاوج بعدة اسابيع يبدأذكر الفقمة يسبح على الشاطئ ويكون لـه حق التملـك على واجهـة ضيقـة من المـاء . ولاجـل ان يمنع غيره من ذكـور الفقمـة من مشاركتهفي الواجهة التى كوّنها فانـه يقـاتل حتى الموت ولايترك محلـه مطلقـا ولو احتـاج الى الطعام. وحينما تصل الاناث يتقابل الذكور للتملك ويستمر هذا الحال لمدة ثلاثـة أشهر وخلال هذه الفترة لايأكل الـذكور ولا يشربون. يعودون الى المـاء بعـد قتـال استمر ثلاثـة اشهر او اربعـــة شهـور من اجـل الانــــاث ومن الامتنـــاع عن الطعـــام والماء فانهم «يرجعون اشباح عظام لما حصل لهم فى تلـك الاشهر القلائل السـالفـة، مثقلـة بالجروح، بحالة مزرية، خـائرى القوى. يحملون انفسهم بجهـد زحفـا للرجوع الى البحر »

وسلوك ذكر الفقمة يخضع كليا للميل الجنسي بحيث يتجاهل الجوع والعطش والآمه والسلامه

لكون قدر كبير، ان لم يكن كليا، من السلوك الانساني يكون مباشرا فـان الشعور او اللاشعور للحصول على اهـداف معينـة يرغب فيها الانسـان يمكننـا ان نقـول ان سلـوك الانسان يتأثر (بالدافع) اوبالنزعة tendency لطلب الاهداف. والكلمة دافع motive ترجع الى الاصل الذى ترجع اليه كلمة محرك motor ويمكن ان تفسر بـانها تعنى بعض المصـادر الخاصة لقوة الحفز التى تحرك نشاط الشخصية. والحقيقة ان الـدوافـع هو مجرد طريقـة تَصرُّف، طريقـة نشـأت من ميـل مـوروث Heriditary Inclination او من الخبرة او من كليهما.

فحينما تقول ان انسانا دفع بعامل رغبة فى الثناء، فاننا نعنى انه كوّن اساليب من السلوك تجلب له الثناء وانـه ينتفع بتلـك الاسـاليب من السلوك قـدر الامكان. ان العبـارة» دفع بعامل الرغبة فى حب الثناء طبعا تثير اسئلة اكثر تمكن الاجابة عنها فقـط حينمـا نعرف (لماذا؟) يبدو هذا الشخص بحاجة الى الثناء بمقدار اكبر من القدرالاعتيادى. قد يشعر هذا الشخص انه غير متثبت من سلوكه اوعمله ولابد له من الثناء ليـدخل الى نفسـه القنـاعـة بان له اهمية وشأنا.

وقد اجريت عدة تصانيف للـدوافع او اسـاليب التصرف. وحينمـا يتركز البحث عن السلوك على انـه موروث وشـائع عنـد جميع (اوتقريبـا عنـد جميع) اعضـاء الجنس فـان السلوك يدعى (غريزيا Instinctive).والغريزة مجرد كلمة للسلوك العام الذى لايحتـاج ان يكتسب. انها اصطلاح وصفى مفيـد ولكنهـا اصطلاح لايعلل او يفسر اى شئ. فقولـك ان هـذا السلـوك غريـزى لايعنى اكثر من قـولـك انـه غير مكتسب. وتُظهر المـلاحظـة والتجربـة ان كل كائن عضـوى سـوف يكافـح من اجـل حيـاتـه. ولكن لن يثري هــذه الملاحظة بشئ اذا ما اضفنا القول ان غريزة المحافظة على الـذات تـدفع بـالكائن الحي الى الكفاح.

ومن الـواضـح ان اسـاليب تختلف كثيرا من جيـل الى جيـل كما تختلف من مكان الى مكان . وقد لاحظ بارين par.in الاشكال المتنوعة لمسـاعى الانسـان للتفوق superiority ، والتعرف Reccognition والقـوة power بـاعتبـارهـا اوجـه التطبـع الاجتماعى للنزاع البـايـولـوجى Biological struggle ومـع التغيرات التي تحصـل في شكل المجتمـع والتنظيم الاجتماعى تحصـل تغيرات متماثلـة في التصرف او السلـوك الـذى ينـال بـه الفرد التقـديـر المناسب .

ولقـــد اجريت دراســـات تجريبيـــة كثيرة عن الـــدوافـع اظهرت اننـــا اذا عالجنا الظروف التى تضفى على الفرد مظهرا عاما او على طاقتـه فـاننـا نستطيع ان نغير السرعة التى يتقدم بها تجاه هدفه. اننـا نستطيع ان نحـدث تحسنـا فى المظهر او زيـادة فى الطاقة، التى بدورها ستزيد من انجازه. ومن الدراسات النموذجيـة، دراسـة قـام بهـا سمس sims اظهرت ان مكافأة فرد او منحه علاوة اقوى تأثيرا عادة من مكافأة جماعة

ولفهم اى فرد او الوصول الى تبصر حقيقي لمعرفة السبب الذي بجدوبـه الى ان يفكر ويتصرف بالصورة التي هو عليها ، علينـا ان نحتفـظ بـالعوامل الاربعـة التـاليـة بفكرنـا بصورة دائمة.

ا ـ الانسان يريد اشياء ويقوم باعمال للحصول على مـا يريـده . وان مـايريـده من اشياء هي اهدافه. والصفة الرئيسة في الانسان هى انه غير مكتمل الحاجـات وانـه يمـارس طاقاته المدهشة في خدمة ما يصبو اليه بالدرجه الاولى .

ب ـ ان حاجات الفرد تتستر بلباقة وفق المؤثرات الاجتماعية، ولكنها من حيث الاسـاس حوافز شائعة وقديمة جدا، احدها حب الاستطلاع الفكرى Intellectual Curiosityولكنـه نادراً ما يكون اقواها.

جـ ـ اهداف الانسان بسيطـة وواضحـة ومنظمـة في الكتب فقـط ، أمـا في الحيـاة فهي مرتبكة وحضارية وحينما يكون النـاس متقلّبين في سلوكهم فسبب ذلـك انهم يسعون الى اهداف متناقضة .

د ـ الانسان في الغالب غير دار تماما عن حقيقـة اهـدافـه ومطـالبـه. مـا الـذى احـاول حقيقـة ان عملـه ؟ سؤال دقيق جـدا بنظر الكثيرين حتى في عرضـه، وقليل ساجداً أولئـك الـذين يجيبون عنـه بـأمـانـة وصـدق ولكن السلوك كلـه مـا هو إلا محـاولـة للوصـول الى بعض الاهـداف . ان ايـة اشـارة Gesture او زلـة انتبـاه تعني شيئا ما Some thing فلفهم انسان، ضع في مقـدمـة فكرك دائمـا: مـا هى الاهـداف الحقيقة لهذا الانسان؟ وما مدى معرفته هو باهدافه؟.

ء ـ الشخصية تؤدي عملها من حيث هي كُلّ : as a whole

حتى الاشكال الساذجة من النشاطات تتأثر بالكائن العضوى كله. فاجزاء الكائن العضوى لاتعمل بانعزال. وقد اظهر ذلك هالدن Haldaneفى حسـابـه التنفس. ان معـدل التنفس يخضع لظروف متعددة، ليس فقط بالظروف الخارجية كضغط الجو ومقدار ثانى اوكسيـد الكاربون فى الجو وفى الاكياس الهوائية فى الرئـة، بل ايضـا بواسطـة الاحوال الـداخليـة:

الحالة القلوية للدم متأثرة بما يقوم به الكائن الحى من جهد، نشاط منطقة صغيرة فىالسفلى من الدماغ، ونشاط الكليتين والكبد إننا تقول بصورة غير دقيقة، ان الكائن الحى يحتاج الى اوكسجين اكثر، ونقول أن معدل التنفس يزداد بسبب النشاط الذى يأخذ محله فى تلك الاعضاء المختلفة. ولكن الشئ المهم الحقيقى هو ان زيادة معدل التنفس والدورة الكاملة للنشاطات التى تسببه كلها تأخذ مكانها وذلك لحاجة الكائن الحى للاوكسجين، ونحن لانستطيع ان ندرك بحق نشاط اى عضو بمفرده الا فى هذا الارتباط. وان اعضاء اى كائن حى فى خدمة الكائن الحي كله .

ان وحدة الشخصية في نشاطها العقلي هي كذلك كثيرة التعقيد فالرضيع والاطفال مستسلمون الى حافز ومزاج الوقت الذى هم فيه، وقلما يكونون مستعدين لاتباع توجيهات الاخرين وحين يكبرون يكبح جماح الدوافع أو الرغبة ويصبح السلوك متكاملا فى شخصية موحدة. وهذه الوحدة تتميز كثيرا باشياء عن شخصيات الاخرين. وحتى الاشخاص الذين حصلوا على درجة عالية من الوحدة من الممكن أن يصيبهم الانهيار بتأثير عناء او خيبة امل قاسيين وطويلين ويظهر انهيار الشخصية بعلامات مثل فقدان الذاكرة وتصادم الافكار والمخاوف البالغة والقلق واوهام العظمة، وفى بعض الاحيان يفقد حتى الشعور بالبيئة ومعرفتها ولكن مثل هذه الاحوال شاذة وهى توجد عند المرضى عقليا فقط، وهم الذين يعانون من انحلال جوانب عديدة من شخصياتهم. والتصرف الاعتيادى للشخص ككل يعطى دليلا قويا على أن كل شئ له نصيب من الاهمية. وفى قراءتك لهذه الصفحة من الكتاب، انك لاتواكب عينيك فحسب، وذلك القسم فى الجهاز العصبى الذى يشملها مباشرة ولكنك تواكب ايضا وجبة الطعام التى تناولتها لها قبل ساعة، وفى حالة عدم تناولك وجبة طعامك فانك تحت تأثير معدتك الخالية هذا وان دقة جرس التلفون او عدم دقه، وضغط حذائك اذاما كان مشدودا بشدة، ان مثل هذه الاشياء كتلك الامور السابقة لها تأثير على ما أنت عليه فى لحظاتك الحاضرة وعلى ما تقوم به. قد يكون فى هذه اللحظة الغالب عليك انك عالم نفسى، ولكن مع ذلك فان العالم النفسى يتصرف من حيث هو شخص بكله as a whole person مثل اى انسان اخر، وغدا حينما تدخل حجرة الدراسة فانك لاتحمل معك ماكلفت به من عمل كتابى فى بيتك والدفتر والخطوط العامة للمذكرات ولكنك تحمل ايضا عضلات كتفيك وامعاءك واثار اعباء كثيرة او قليلة مما تركته السنون السابقة فيك . وليس بمقدور احد ان يطمح فى فهم سلوك شخص اخر (او سلوكه ذاته) من دون معرفة مفصلة واسعة لتاريخ الفرد التطوري، كما لايمكن الحصول على هذا التاريخ من دون اعادة تنظيم جديد دقيق لماضيه يتطلب جهدا مضنيا.

ان هـذه الخصـائص الاربع للشخصيـة ـ الشعور والتـوافـق والسعى وراء هـدف والعمل ككل تساعدنا فى كل مجال نوجه به جهودنـا لفهم السلوك الانسـانى .ويجب علينا ان ندرك ان ليست هذه الخصائص التى ذكرناها ولأيّة خصائص اخرى للشخصيـة يمكن ان تسهم كثيرا جدا فى فهم السلوك الانسانى مالم نـدرسهـا اولا كما هى متمثلـة فى سلوكنـا نحن وثانيا كما هى واضحة بينـة فى سلوك من نعـاشرهم. والحقيقـة، مـالم تمتلـك نـاصيتهـا بـدراسـة دقيقـة مستمرة فـان فرصتـك فى الحصول على تبصر Insight للسلـوك الانسـانى (اعمق من المعرفة المشوشة والسطحية والمبنية على الاحسـاس او الفطرة السليـمة common sense) سيكون قليلا من دون شك. وان مثل هـذه الـدراسـة ستكون نـافعـة ليست من وجهة نظر فهم السلوك الانسانى فحسب بل من وجهة نظر الاهتمام الذاتى بعلم النفس.

ان التوافقات التى تقوم بها تختلف من كونها استجابات نفسية بسيطة نسبيا الى كونها نشاطات متطرفة التعقيد تشمل كلاً نفسيا كبيرا ومعقدا. ولاجل ان نبقى احياء يجب ان نحصل من بيئتنا على مايكفينا من الطعام والماء والاوكسجين وأن نحصل كذلك على درجة حرارة ثابتة مناسبة وأن حرماننا من اى من هذه الاشياء يسبب لنا الموت. وأن جهود الانسان ليضمن لنفسه مؤنة وافية من الطعام والماء والحصول على الملبس والمأوى كوسائل ليحفظ جسمه بدرجة حرارة ثابتة سبب انظمة اقتصادية معقدة. الهواء متوفر بحيث لم تكن له اية قيمة اقتصادية، مع أن التوافقات الفسيولوجية التى يقوم بها الفرد لتغطى حاجته من الاوكسجين جديرة جدا بالاهتام. وفى الظروف الاعتيادية يكون تنفسنا منتظما ويسيرا. ولكن فى غرفة يكون فيها ثانى أوكسيد الكاربون كثيرا نجد انفسنا بصورة لاشعورية نتنفس سريعا اذ من الواجب ان نستنشق قدرا مساويا من الاوكسجين. ويحصل الشئ ذاته حينما يكون الهواء قليل الكثافة كما هو الحال فى قمم الجبال العالية. فيتغير معدل التنفس بتغير كية الاوكسجين الموجودة فى حجم معين من الهواء. ونحن نتنفس ايضا بصورة اسرع حينما نكون قد اجهدنا انفسنا بعمل ما. فالإجهاد يحتاج طاقة أكبر وتحويل الطاقة الكامنة الى أشكال ظاهرة هي عملية أكسدة وبسببها نحتاج الى نزود مناسب بالأوكسجين وحينما يكون الاوكسجين قليلاً او حينما يحتاج طاقة اكبر وتحويل الطاقة الكامنة الى اشكال ظاهرة هى عملية اكسدة وبسببها نحتاج تزود مناسب بالاوكسجين وحينما يكون الاوكسجين ذاته قليلاً او حينما يحتاج الكائن الحى الى قدر اكبر من الاوكسجين لاغراض خاصة، يكون التنفس سريعا اخرى ان الانسان بنفسه السريع يوافق نفسه للظروف المتغير.

والتوافقات الفسيولوجية من هذا النوع ذات اهمية لنا لانها تظهر انه حتى مثل هذا السلوك البسيط للكائن الحي ، مثل التنفس السريع ، هو ثمرة الموقف الكلي الذي يحصل فيه السلوك . فالحاجات العضوية المحددة من جانب ومن الجانب الاخر بيئة دائمة التغير ، نرى ان الكائن الحي يكافح ليوافق حاجاته حسب تقلب البيئة التي تحيط به . ولذا فان العضلات سوف ترتجف لتحفظ درجة حرارة الجسم . ولكن هنالك نوع اخر من التوافق بجانب التوافق الفسيولوجي . فالشخص بصورة لا شعورية تماما يصبح مشمولا بارتجاف نفسي ليحافظ على درجة الحرارة الاجتماعية الى حد انه يشتري مالا يحتاجه ويثقل عليه دفع ثمنه . اذ أن الكائن الانساني كائن حي يتوافق للحفاظ على ماء

وجهه اذا ما هُدّد بفقدانه ، كما يتوافق تماما للحفاظ على درجة حرارته الجسمية اذا ما هدد بفقدانها . وان من التوافقات ما هو صالح - تستخدم على المدى الطويل «مراعاة العرف» وبعضها ردئ - لاتستخدم . وكثير من الناس بين هذين الطرفين . والتوافق قد يكون صالحا في عمر معين . او في كُلٍّ نفسي معين قد لايكون صالحا في عمر اخر او في كُلٍّ نفسي اخر . وانه لمن المناسب ان تقول تكلمت كطفل «..وحينما اصبحت رجلا نحّيت عني كل ما هو طفلي..» .

وعلى الفرد أن لاينتظر حتى يصل الى عمر معين ليبدأ عمله في التوافق . فالرضيع الذي يجوع يصرخ ، واذا أحضر له الطعام اكل وبعد قليل يغشاه النوم . انه قد قام بتوافق . ويصرخ الطفل الصغير اذا شعر بما يخيفه وعندئذ تحمله امه وبين ذراعيها يسكن روعه وسرعان ما يغشاه النوم مرة ثانية ، وهنا يكون قد حصل توافق اخر . والنهاية المبهجة للنضال من اجل التوافق هي تخفيف توتر الكائن الحي وتخفيف ما يعانيه ، انه نقل الكائن الى حيث ما كان ، الى سلام مع نفسه وبيئته .

وكلما نضج الفرد قل اعتماده على الاخرين في اقامة التوافقات . والطفل الوحيد يتمنى الرفقاء ويمتلكه الفرح حين يحصل على رفقاء اللعب واذا ما رفض هؤلاء اللعب معه فانه يبتكر لنفسه رفقاء خياليين ويلعب بكل قناعة ورضى . فقد يرغب الطفل ان تكون عنده دراجة هوائية ولا يملك ابواه المبلغ الكافي لشرائها ، ويتوافق ليتغلب على ذلك بان يأخذ بجمع المال حتى يقتدر على شراء واحدة بنفسه . واذا شكت زوجة لزوجها كثرة انهاكه في عمله بحيث لا يوفر الانتباه الكافي لبيته فانه يوافق على إعادة تنظيم عاداته .

وتوافقات رجال السياسة ، مع كثرة تعقدها ، انما هي على نفس المنوال . فاختلاف الناخبين Constituents يؤول الى مطالبة مختلفة واهتمامات قطّاع من قطر قد تتضارب مع اهتمامات القطاعات الاخرى . ان وضع خطة تحقق العدل بين المطالب المتضاربة والاهتمامات المتضاربة هي توافق على مستوى عال للغاية . انها معقدة بسبب الضيق الذي قد يؤول الى اعادة الانتخابات ، بينما الهزيمة الشخصية هي سوء توافق ، وقليل من الناس يمتلك الصلابة للتفكير فيها . وكثير من التصرف المضطرب والمضني الذي يصدر عن قادة الجمهور يعزى الى حقيقة وجوب توافقهم الى عوامل متضادة كثيرة جدا . فعلى السياسي ان يضع اذنه على الارض كما يضع قدميه عليها في وقت واحد . وكثيرا ما تقابل المشاكل بدون روية ، وعندئذ يخفق الانسان في اقامة توافق مناسب . وعلى سبيل المثال ، قد يجد التلميذ نفسه انه غير قادر على القيام بالواجب المطلوب منه . وبسبب فشله ربما يسعى لايجاد منفذ للتوتر الذي يحصل له كأن يصبح مشاكسا في ساحة اللعب

او يسبب ارتباكات في قاعة الدرس ، او بعد فشل طويل مستمر قد يصبح قليل الاهتمام وغير مبالٍ او بليداً فاقد الشعور والعواطف ، وتلك توافقات غير مرضية .

والتوافق متدرج المدى بين ما هو مرضٍ كليا الى ما هو غير مرضٍ كليا . والتوافق الشائع لدى الناس الذي في منتصف الطريق هو جهود كثيرين من الناس ليخفوا عن انفسهم بعض النقص ، حقيقيا كان ام متخيلا عن طريق توجههم الى التطرف المضاد . ان هذا النوع من السلوك يدعى التعويض Compensation . كانت احدى النساء أنانية جدا ولتحقيق دناءةسلوكها كانت تجلب انتباه الاخرين بالقيام باقصى ما يبعث البهجة في نفوسهم . وكثيرا ما يحصل الشخص الذي يعتقد انه بامكان الاخرين ان يؤثروا عليه بسهولة يغطي ضعفه باتخاذ اتجاهات مضادة Antagonistic attitudes . والشخص الخائف بسبب انحداره الى هوة الجبن قد يصبح طائشاً او انه يقاوم هذا النقص (الخوف) بانتحال اجواء من الثقة البالغة بنفسه . وكل تلك امثلة عن التعويض . ان مثل هذه الاستجابات مُرضية من بعض الاوجه ، فاذا كان شخص ضعيفا ، فالسؤال هو ماذا سيقوم به تجاه هذا الضعف ؟ فهل سيكتفي الشخص المتصف بالجبن بقوله «انا اعرف انني لست جبانا» ويتركها كلمة عابرة ، ام انه ينصب حربا على جبنه ؟ هل الشخص ذو الطبيعة الشهوانية الشديدة سيخضع نفسه لكل ما تشتهيه او انه يسعى للهيمنة عليها ؟ وقديما نصح ارسطو اولئك الذين صوّبوا وجوههم شطر التهور Rash ان يوجهوا دفتهم تجاه التعقل والاحتراس ، واولئك الذين مالوا نحو هاوية الجبن ان يغيروا مسيرتهم تجاه التهور . وما نصح به ارسطو نقوم به نحن الان بصورة ذاتية Automatically حينما يقودنا الصراع ضد الضعف الى الافراط في التعويض Over compensation (بخاصة عن شعورنا بالنقص) ومن جهة اخرى فانه من الافضل لنا ان نعترف بضعفنا وان نقاومه بصراحة وذلك خير من أن نغمض عيوننا عنه . ان هذا المسلك لا يحدث توترا داخليا ولا يولد اتجاهات خاطئة ، ويعمل لغرض التوازن ومرونة الخلق ، اما الاخر فيتضمن خداع الذات Self deception وتوترا داخليا ويفني بمجرد اخفاء حقيقة كريهة ، طاقة يمكن ان يستفاد منها للقيام بعمل ما في العالم الخارجي .

طالما تجرى عملية ما بسهولة فاننا لانتنبه الا قليلا . ولكن حينما يحصل ما يوقعها في اضطراب فاننا نضطر الى أن نلاحظ باعتبار اكثر ، وكنتيجة لذلك فاننا من المحتمل ان نتعلم عنها الشيء الكثير . وهذه حقيقة توافقاتنا التي تلفت النظر . فانها تؤدي عملها بيسر فان ميكانيكيتها غير ظاهرة ولكننا حين نفشل في اساليب مختلفة في الوصول الى اهدافنا فان سلوكنا يسلم نفسه بسهولة كبيرة الى التحليل . وهذا احد الاسباب التي تجعلنا نصف عددا من حالات سوء التوافق ، وبياننا سيكون له قيمة ارشادية طالما هو يتعامل مع بعض المآزق الشائعة التي قد نقع فيها .

ولاجل ان يكون التوافق عقلانيا وملائما وجب ان يحرر الكائن الحي من التوتر من دون ان يلقي به الى سوء توافق اخر يعادله قساوة او يزيد عليه . لاحظ انه يوجد هنا طلبان :

الاول : يجب ان يزيل التوتر الذاتي الحالي.

والثاني : يجب ان لا يجعل بلوغ الحاجات والغايات الاساسية في المستقبل اكثر صعوبة مما هي عليه .

ان الاحساس بالارتياح والرضى والتخفيف من توتر الاعصاب او تحقيق الامال التي ترافق التوافق هو ما يتضمنه المعنى الدقيق لكلمة التوافق . واذا ما تحقق التوافق الذي هو نشاط للسعي الى هدف ، فان السرور يلازم نجاحنا في بلوغ الهدف . واذا ما بقينا متبرمين فمعنى ذلك ان التوافق لم يحصل ، ومع ذلك فان السرور وحده لا يضمن التوافق المرضى . ولو كان السرور المقياس الوحيد لكان المدمنون على الخمر والمرضى عقليا من ذوي الهذاء العضيم Grandiose delusions ينظر اليهم على انهم كوّنوا لانفسهم توافقاً مرضياً . فلاجل ان يكون التوافق مرضيا يجب ان لا يجعل الحصول على الغايات الانسانية الاساسية مشوبة بمشاكل اكثر ، مثل الحصول على التطور وحفظ النوع والتقدير الاجتماعي . Social approval . ويجب ان يجرى تقويم على التوافقات من وجهة نظر حياة الفرد باعتباره كُلاً كما يجب ان تُقَوَّم من وجهة نظر التحرر الوقتي من التوتر . والسؤال الفاحص الحاسم الذي نوجهه بصدد التوافق هو : هل هو يحقق جميع الاشياء ذات الاهمية والاعتبار ، بصورة عادات خاصة تؤدي عملها على المدى الطويل ؟.

وعلى العكس حينما يتصرف إنسان بصورة تجعل بلوغ غاياته الاساسية أكثر صعوبة فإنه يكون قد أحدث سوء توافق له . واستناداً الى ذلك يمكن أن تقسم التوافقات البيئية على وجه التقريب الى صنفين

١ـ تلك التي تخفق في تزويدنا بالرضى.

٢ـ تلك التي تزودنا بالرضى على حساب المستقبل الصالح.

فالصنفُ الأول ندعوه التوافقات العقيمة Futile adjustment والتعبير «الزقاق المسدود» Blind Allay أفضل ما يوصف به .

والصنف الثاني هو التوافقات المبذِّرة Spendthrift انه يكلف كثيرا ليكون مرضيا . ولما كان هذا الصنف بصورة عامة تطورا عاجزا ومعوقا ، فبالامكان ان ندعوه التوافقات المعوِّقة Thwarting adjustments .

وفي التوافقات العقيمة يسعى الفرد الى أن يزيل حالة من التوتر وسوء التوازن ، ولكنه بدلا من أن يقوم بذلك فانه يقوم باعمال عديمة الفائدة ، بل ربما توقعه في متاعب اكثر . مثله مثل الشخص الذي يمشي في ارض رملية تهيل كلما بذل مجهودا اكبر لانتشال نفسه غاصت قدماه اكثر . والتوافقات المعوقة ، من جهة اخرى ، قد تزيل التوتر الاصلي ، الا انها بدلا من ان تعمل للاستغلال الكلي لامكانات الفرد وذلك بتزويده بهذه الراحة ، فانها لا تفعل اكثر من أن تجعل هذا التحسن اكثر صعوبة . انها تقدم رضى محدوداً ولكن هذا الرضى يكتسبه الفرد على حساب النفع الاجتماعي وعلى حساب اهداف عظيمة تمنح الحياة قيمة ومعنى .

بعض التوافقات العقيمة

١ ـ التبجح Bragging : التباهي سعى لكسب اهتمام مناسب من الزملاء ربما لاخفاء نقص او الدعوة لغرض الرياسة . وعالم النفس يعرف القوى التي تدفع الفرد الى ان يكون متبجحا ، وانه لحظ سعيد ان لايعرف هذا الشاب البائس اضطراره الى التبجح ولا العقم النسبي لمثل هذا التصرف . وبدلا من الحصول على المقاصد فان التبجح ذاته قد ينظر اليه على أنه نقص في شخصية المتبجح الذي لم يخفق في الحصول على الاستحسان فحسب بل من المحتمل علاوة على ذلك انه يُحتقر ويُسخر منه . وحتى لو تبجح في الحصول على اعتبار احسن فان النتيجة النهائية ستكون رديئة ، او انه بدلا من ان يتوجه الى انجاز حقيقي ، انه سيدفع الى أن يغير باستمرار المظاهر الخارجية لما يهم به من عمل ، وهو بهذا لايخدع غيره فحسب بل يخدع نفسه ايضا .

ومن حسن الحظ انه كلما نضج الناس تضاءل عندهم التبجح وذلك لاتساع الاهتمامات وبسبب التأثير الاجتماعي . فالشخص الناضج يتعامل مع جماعات مختلفة وبسبب اعتزازه بنجاح اية جماعة يعايشها فانه يجد قناعة تشبه تلك التي يجدها الفرد عندما ينجز عملا ما ينجح به . تأثير الجماعة يجنح الى ان يحقق الى الفرد النتيجة التي يصبو اليها . والجماعة لاتستصوب تبجح الفرد بنفسه ولكنها تؤيد وتبتهج اذا ما تفاخر الفرد بجماعته . واكثر من ذلك ان تبجح الانسان يجب ان يقاس بما يؤديه من عمل ، فالشخص الذي اثبت قيمته عند نفسه وعند الناس لا يندفع الى التفاخر المكشوف لان عمله يغنيه عن ذلك .

٢ ـ الاغاضة والعنف : الاغاضة غالبا ما تكون سعيا وراء جلب الانتباه فلاشيٌ اشد عبًأ عليك مثل ان تكون مجهولا . فالطفل الذي لا يستطيع ان يجلب الانتباه يكون قد ادرك قيمة ذلك اذا ما أساء معاملة غيره او اعتدى عليه . والطفل الذي تكون مشاعره بقيمته قد انخفضت بسبب رسوبه او قلة الاعتبار في الصف ، قد يسعى في ساحة اللعب لاسترداد مشاعره بقيمته عن طريق المشاكسة . وبالمثل ، نجد الطفل الذي يهمل في دار الحضانة يسعى لجلب انتباه امه بأن يعتدي على اخيه الاصغر منه او اخته . وفي مثل هذه الحالات ، لا يكون نوع الانتباه الذي يوجه الى الطفل هو النوع الذي يسعى اليه ، ولكنه على الاقلّ قد استعاد قناعته ورضاه بان اصبح شيئا يُلتفت اليه وانه استطاع ان يظهر من القوة ما يجعل الغير يتصرف تجاهه تصرفا ما .

ان رغبة الفرد في أن يكون قويا وذا سيادة من اشد اهتمامات الانسان القوية ، وتملُكها ذو قيمة كبيرة عند الراشدين . وعلى هذا القول علينا ان لانكون قساة جدا في نقدنا او كيدنا . وانه لمن الافضل للطفل ان يحاول في هذا السبيل ان يثبت ويثق بنفسه من ان يقبل الهزيمة ويرفض النزاع . ولما كنا مضطرين على ان نناصر ونؤيد الطفل الذي أسيئت معاملته فان المعتدى سيشعر ان الكبار قد اتفقوا ضده وبذلك فانه ضحية ذلك الذي ناصره الكبار . وهذا بدوره يولد استئياء وتصرفات جديدة من العنف والكيد . وعلى هذا فان الطفل يستمر يرفض التوجيهات الحسنة والزمالة التي يتشهاها ويأنس بها . وبمثل هذه الحالات علينا ان نساعد الطفل في ايجاد سبل بناءة للحصول على الانتباه . وحيثما يتوفر ذلك ، فان الدافع الذي يدعو الى الاغاضة والعنف يجد له منفذاً في تصرفات ليست لمجرد الانتباه ولكنها للانتماء المناسب . ان الاغاضة والمشاكسة في اكثر اشكالها بالنسبة لعالم النفس رموز لمتاعب عميقة هي بالضبط مثلما تكون الحناجر الملتهبة وآلام الاذن علامة يعرف الطبيب ما بعدها .

٣ ـ التهيب والخجل Timidity and bashful .

قد تولّد الرغبة في جلب الانتباه المناسب احيانا سلوكا مغايرا لـذلـك الـذي وصفنـاه سابقا . فبمجرد ان يدب الخوف الى العمل الذي يستلزم النشاط او يشل العمل كليا فان الرغبة في جلب الاهتمام قد تجعل الفرد عدائيـا من دون مـا يوجب العـداء او هيـابـا من دون ما يوجب التهيّب .

والشخص المفرط في التهيّب عرضة لان يكون انانيا (اى يركز جل اهتمامه الى نفسـه) ويكون ذا رغبة عظيمة في الاهتمام المشعر بقيمتـه . وقلـة اكتراثـه بـاراء الاخرين وزيـادة اهتمامه بعمله يجعله يفقد بعض وعيه لذاته Self – consciousness ويجعله يتصرف بدون مبالاة مما يجعل النـاس لا يستحسنون عملـه . والاهتمام الزائـد للحصول على الاستحسـان يقلل القدرة كثيرا شأنه شأن من يمشي على لوح من الخشب على ارتفـاع خمسين قـدمـا ، ولو سار عليه وهو على الارض لكان ذلك امرا هينا بالنسبة له .

والخجـل ، ولعلـه اكثر انـواع سـوء التـوافـق ، ينبئ عن نقص عظيم في الشخصيــة . والذي يعانيه يحتاج الى اقصى حد من المساعـدة ، انـه يحتـاج الى ان يشـارك في المواقف الاجتماعيـة التي تـدمـج الفرد في الجمـاعــة . والالعــاب ، التي يختلـط فيهـا النــاس بسرعة والحفلات التي تخلق جوا مبهجاً ساراً في نشاطاتها الظريفة الاجتماعية حيث تكون التصرفات الى جانب القاء الكلمات تدعو الى التعـارف وتبـادل النكات كل ذلـك يقـدم العون المفيد . ويستطيع الكبار ان يسـاعـدوا الاطفـال الخجولين بـالتقليل من الالتفـات اليهم وبالنظر الى تصرفاتهم واعمـالهم بـاسلوب موضوعي Objective . فـالطفل الخجول لا يريـد ان يكون مركز الانتبـاه . وهو بـالحرى ان يسـاعَـد بـان نشعره انـه ليس مركـز الانتباه من بين الموجودين .

٤ ـ العَبُوس المزاج والسريع الغضب Pounting and Tempertantrum

وهو ما نسميه ضيق الصدر ونعني بذلك فقدان الصبر على التروي)

يتجهم الاطفال غير الناضجين انفعالياً بصورة عامة ويغضبون فجأة Fly into a range اذا ما رفضت رغباتهم . وكلا الطريقتين تـدلان على توافق ضعيف . فـالعبوس بصورة كليـة يعتبر تصرفـا عقيمـا ، والتـوتر لا يمكن ان يحـل بـالانسحـاب من ميدان العمل والتفكير بشأن الناس باسلوب العنف والفضاضه او باغتنـام فرص الانتقـام واذا كان هذا السلوك سيئاً جداً اذا ما صدر عن الاطفال ، فانه عنـد الكبـار امر لا يمكن

اغتفاره او تعليله . ولذلك وجب ان يُستأصل من البداية . وان سرعة الغضب عادة شخصية تنمو وتطرد استنادا الى مقدار النجاح الذي تكسبه عند تكررها . فاذا لم يحصل الطفل على شئ - ولو حتى على الانتباه - عن طريق تهيج فانه بتكرر هذه الحالة سيتعلم ان يضبط نفسه . ونقول للوالدين عند اول ظاهرة من هذه يشاهدانها عند طفلهما ان لايعيراه التفاتا ابدا . وقد يكون الامر صعبا في حالة وجود ضيوف ، ولكنها افضل وسيلة بحق عند مواجه الموقف . واذا ما فقد الطفل الالتفات اليه بدلا من ان يكسبه بسبب التهيج الشديد فان الطفل سوف يبعد هذه الاستجابة من قائمة توافقاته . والكبار الذين يتهيجون سريعا (ومع الاسف الشديد هنالك كثرة منهم) ممن لم يتبين اباؤهم وامهاتهم في تنشئتهم اهمية هذا العامل . ومازال لدى اغلب الناس جزء كبير من طفولتهم ، وبمعنى ادق ان نضجنا لم يتبوأ مكان طفولتنا ولكنه استقر فوق قمتها ، وغضب الطفولة ينطلق من خلال القشرة الخارجية العليا عند توفر التأثير اللازم في حالة غياب العوامل الرادعة .

٥ ـ الغيرة Jeolousy

يرغب جميع الناس في الصحبة والمودة والانتباه اللائق . على أن كثيرين يمتلك قلوبهم الحسد حينما يرون غيرهم قد لفت الانتباه الذي يودون لو انه وجه اليهم او يعتقدون انهم احق به من غيرهم . ويجب ان يحارب الحسد كما يحارب المرض الوبئ وغيره من الامراض المستعصية ، فانه غالبا ما يختفي كليا ويكمن خلف السلوك الذي يبدو سليما منه . والانسان في الغالب يستطيع ان يخفي حسده ببراعة مدهشة مستعملا النفاق الاجتماعي . ونستطيع ان نذكر ثلاثة انتقادات رئيسة عن الحسد اذا ما اتخذه الانسان توافقا .

أ ـ ان الحسد يقلل احترام الذات عند الحاسد ، فالشخص قد يتبجح حينما يغضب وقد يضحك على مخاوفه ، ولكن الحسد يؤثر في احترامه لذاته بصورة مزرية تعود عليه بالشؤم سواء تبجح ام ضحك .

ب ـ الحسد يجعل صاحبه غير مرضي عنه اجتماعيا ، فهو عرضة لان يصبح غير محبوب ، وبحرمانه من الاتصالات الاجتماعية المألوفة يتأصل عنده اعتقاد بأنه مظلوم او مضطهد . وحينما يحصل عنده ذلك ، يزداد عداؤه للنظام الاجتماعي ويسعى لايذاء اولئك الذين يتصورهم اعداءه . واذا ما اخفى حسده الى اقصى حد يستطيعه فانه عادة يعوزه التفكير السليم ومن ثم ينفجر ليؤذي انسانا بريئاً . ويزداد الحاسد في كل اوقاته مشاكسة وتركيزا لذاته كما يزداد كرها عند الناس .

ج ـ ان الحسد يجعل من المستحيل ان يأنس الناس بصحبة الحاسد حتى من هم اقرب الناس اليه .فنحن لانحسد الغرباء وانما نحسد أصدقاءنا الحميين ومن نعرفهم معرفة حسنة بالدرجة الاولى . ولعلنا نجد هنا تفسيرا للقول «لاكرامة لنبي في قومه» فالحسد ينبعث في اعضاء العائلة الواحدة او بين المواطنين من بيئة اجتماعية واحدة . والحسد في داخل العائلة قد يحطم الحياة فيها ، لااعنى حياة الحاسد فحسب بل اولئك الذين يسيرون في خط تأثيره . وعلى الرغم من آثاره المؤذية يبدو أن بعض الاباء يأخذهم بأن يثيروا الطفل الى الحسد بمنح طفل اخر الالتفات الكبير بحضوره . وهذا التصرف يصدر عن الكبار غير الناضجين الذين ، كالاطفال ، يحبون ان يكونوا سببا لشئ ما ، على سبيل الدعاية الموهومة بارباك مزاج الطفل وايقاعه باذى لاحاجة له . واذا ما دب الحسد في افراد العائلة فانه يستطيع ان يعمل من السوء الشئ الكثير . وفي القرآن الكريم «اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة» دب الحسد في ابناء يعقوب وحصل ما حصل لهذه العائلة .

٦ ـ الكذب Lying

قد يكذب الفرد ليجلب اليه التفات الاخرين . فقد يفتعل المبالغات في افعاله ، او انه يقسم انه لا يستطيع ان ينجز ما يُسأل عنه او أنه يزوّر كلاما عن الآخرين . والجانحون Deliguents يتجنبون العقاب عن طريق الكذب عما فعلوه ومن المؤسف ان الكذبة اذا لم تكتشف ، يحصل مُروِّجُها على توافق وقتي .

ويستمر هذا التوافق طيلة الفترة التي لم يكتشف به الكذب حتى يصبح نمطا ثابتا من التوافق . والمستقبل الذي يبنى عليه يكون مزعزعا غير ثابت الاركان . أن اى توافق ، يراد له النجاح انما هو توافق ضعيف طالما فرض صاحبه كتمه ولم يكشفه للاخرين لان الكاذب لابد من ان يكشف امره عاجلا ام اجلا ، وعندئذ يتقوض جميع تركيب توافقه . ومهما كانت وجهة الفرد الاخلاقية فان «الصدق افضل اسلوب» واكثر من ذلك ، ان الكذب ، وهو يعبر عن دناءة مثاليات صاحبه الخلقي ، نتائج الشعور بضآلة القيمة الاخلاقية ، في تحقيق النجاح للوصول الى الهدف المباشر .

وعلى عالم النفس الشاب ان يحرر نفسه من وهم الطفولة القائل بأن الكذب مجرد قول شئ لم يكن كذلك . فالكذب يستعمل وسائل اخرى بجانب الكلمات . الكذب لون من الوان الغش والخديعة . وفي شؤون الحياة الوان متعددة من الخداع

ولكنها مواقف سليمه . فاكثر مواقف الدفاع الحسنة في لعبة كرة القدم تستند الى المراوغة والخداع كما ان إعلام الطبيب مريضه بحقيقة مرضه في بعض الحالات مما يزيد عند المريض آلاماً او قلقا لاداعي له . ولكن الكذب والوان الغش الاخرى بالنسبة لأغلبنا هي في العادة علامات اكيدة للدلالة على الضعف . والهيئة الاجتماعية تعلمنا بكل صراحة باننا اذا ما كذبنا فعلينا ان نتحمل عقاب مغامرتنا .

٧ ـ السرقة Stealing

قد تستخدم السرقة طريقة للحصول على احترام زميل له . مثال ذلك ، ان ولدا معينا نال قبولا حسنا عند زملائه فسرق خمسة دنانير من حقيبة امه ليدعو زملاه الى وليمة او نزهة . اكتشفت السرقة ، والولد بدلا من ان يحصل على التقدير الذي كان يأمله من زملائه ، نجده ينال من الازدراء ما يناله اى لص . واذا كانت السرقة لم تكشف فانه سيفقد ما نال من القبول والتقدير حالما تنتهى نقوده .. ولذا فربما يدفعه ذلك للسرقة ثانية . ولذلك سيكون قد اشترى احتراما اخر على حساب مشاعر الخيانة لامه وانتهاك قيمه الخلقية وبذلك يكون قد ولّد في نفسه شعورا منتقصا لتقدير الذات .

بعض التوافقات التي تعوق التطور

بما أنّ سيئي التوافق ينظر اليهم على أنهم لا يخففون من توتراتهم او انهم لا يحصلون على التوافق ولو على المدى البعيد فقد دعوناهم ذوي التوافقات العائقة ، سوء التوافق الذي نحن بصدده قد ينجح في تخفيف التوتر المقصود ولكن الحصول عليه يكون على حساب التطور وحظوة المستقبل ولهذا دعونا هذه التوافقات العائقة او المعترضة .

١ ـ الافادة من الخلل (العلل)

قد يستغل بعض الناس ما بهم من خلل لكسب عطف الاخرين او التهرب من مسؤوليات الحياة . فقد يتجنب الفرد اعمالا كثيرة لاتروقه ويجعل من نفسه جبارا طاغية بين اعضاء بيته بالادعاء المتواصل لألم الرأس Headache . والطفل الاعرج قد يتعلل بضعفه متخذا اياه وسيلة للهرب من الالعاب الرياضية التي تقام للاولاد . وعلى النقيض من اولئك الضعفاء هنالك اشخاص على الرغم مما بهم من معوّقات

ينجحون ببذل جهد جهيد شديد في جعل انفسهم اعضاء في المجتمع لهم قيمتهم واحترامهم . وديموشين Demosthenes هو القائل ، عليك ان تناضل سنوات لتتغلب على خلل النطق . لقد كانت هلين كيلر Helen Keller صماء عمياء وقد اغنت عقلها باكثر مما يستطيع الشخص المتوسط الذي لايعاني اى معوق . وعلى الرغم من العمى فقد وصل رجال الى مكانات ادبية وادارية عالية . والاولاد الذين يعانون العرج والكساح بامكانهم ان يمارسوا لونا من الوان الرياضة المنشطة . وهنالك رجال بلا ساعدين تعلموا الكتابة عن طريق أرجلهم وافواههم بل منهم من اصبحوا ماهرين بالرماية .

لماذا يستعمل بعض الناس ما بهم من معوّقات سببا للهرب من الحياة النشطة (بعض الناس يختلقون صعوبات خيالية لنفس الغرض) بينما تجد اخرين يرتفعون عن ذلك . هذا ما يجب ان يُفَسَّر من حيث الكل النفسي . ربما تمنح الوراثة شيئا من الاعتماد على النفس اكثر من الاخرين . والبيئة لها من الاهمية مالا يدخله شك فاذا ما سمح للطفل المعوّق ان ينال اشباع رغباته عن طريق استعماله معوقه كعذر فعلينا ان لا نعجب اذا ما اكثر من هذه الطريقة . ومن ناحية اخرى ، اذا ما وجهت حوافز الى الطفل لاستغلال قابلياته وامكاناته الى الحد الاقصى فانه سيمارس اشباع رغباته عن طريق الكسب من طريقه الايجابي ويتعلم كيف يتغلب على المصاعب . ان ممارسة النجاح ذات اهمية كبرى في مواصلة النجاح عند الاطفال المعوّقين ، فعن طريق هذه الخبرة ، تتولد وتزدهر الثقة بالنفس والرغبة الاكيدة في النجاح . ولما كانت المعوقات لايمكن التغلب عليها دائما ، فان الثقة والعزم مما يمكّن الانسان من كسب المباراة . وديموسثينس قد كان| فأفاءً اصبح خطيبا مشهورا . و كلن كاننكهام Glen Cuningham الذي اصاب رجليه عند طفولته حرق مزر وكان يعتقد وهو طفل انه سيكون في كبره مقعداً ، اصبح الاول في ركض الميل . وعلى كل حال يستطيع الفرد ان يعوض عما يعوقه ، ومن الناحية الاخرى ، فان الاعتماد الزائد عن الحد على قوته غالبا ما يخلق نقاط ضعف له .

٢ ـ التعليل Rationalization او ايجاد العذر Excuse – Making

(نعني بالتعليل ان يفسر المرء سلوكه باسباب معقولة ومقبولة ولكنها غير صحيحة) .

حينما يصدر عن المرء خطأ او أنه يتصرف بصورة هو يخجل منها ، نراه يتحرى حقائق عمله ويحاول ان يفهم خطأه ويعقد النية على القيام بعمل افضل منه في

المستقبل . ومن ناحية اخرى قد نرى شخصا يقوم بخطأ ، ولكنه بدلا من ان ينظر بأمانة وانصاف الى خطئه لاجل ان يصلحه ، نجده يحاول ان يقنع نفسه بانه تصرف تصرفا سليما . فهو يبحث عن الاسباب التي تدعم تصرفه ، ولما كان هو نفسه المحامي والقاضي وهيئة المحلفين في آن واحد وانه متحمس لان يصون غروره ، فانه سينجح في بحثه بيسر . ولما كان قد برّأ نفسه من جريرة عمله الذي قام به ، فانه سيقوم في المستقبل باعمال مماثلة . ان الخداع قبيح دائما ، وخداع النفس يعوق نمو الفرد وتطوره .

لقد اصبح من المألوف لدينا ان نعذر الناس الذين يعلّلون او يوجدون الاعذار حينما لا يوافقوننا . والحقيقة ان علينا ان نتريث كثيرا قبل ان نتهم من يخاصمنا بأنه يتعذر بالتعليل . اذ ان مثل هذه المخاصمة عقبة كؤود في سبيل التفكير الاجتماعي . ومن المألوف ايضا اننا نجد افكار اكثر الناس متأثرة بالتعليل ، اذ أنه من الصعب حتى على الشخص الذي عاهد نفسه ان يكون مؤتمنا عليها ان يقرر بالضبط كم تؤثر رغباته ونقاطه العمياء Blind Spots في تعليله Reasoning . وانه لاسهل بكثير ان تكتشف التعليل في كلمات الشخص من ان تكتشف تفكيره الخاص به . فبعد اصغائك الى زميلك يوضح لك الاسباب الطويلة والعريضة التي ألجأته الى أن ينفذ خطته ، فمن اليسير حقا ان تقول «الان وقد استمعت بكل أدب الى تعليلك ، فاخبرني عن الاسباب الحقيقية» ولكنه من الصعب جدا ، بل ومن المهم جدا ان تصر على معرفة الاسباب الحقيقية التي دفعت شخصا الى تصرفه وتصاميمه ان كان الامر يتطلب ذلك .

وفي علم نفس الشواد ، يكثر استعمال مفهومة التعليل ، ومع ذلك ، فانه لمن العبث ان نتهم انسانا بالتعليل . والطبيب النفساني مع انه قد يعتقد أن كل ما قاله مريضه من قبيل التعليل ، فانه بدلا من ان يلجأ الى الجدل بشأن ذلك فانه يختبر اقواله بحكمة وعناية باعتبارها رموزا ليتفهم جيدا الخلل الكامن تحتها . وحينما يتحتم اكتشاف ذلك ، يكون الطبيب النفسي عند ذلك في وضع يستطيع فيه أن يساعد مريضه للوصول الى توافق افضل . مثلا ، اذا وجد الطبيب النفسي رجلا في اقصى درجات اليأس ويتهم نفسه بذنوب كثيرة ويعرب عن خوف من عذاب جهنم الدائم ، ثم يظهر بعد الفحوصات ان هذا الشخص المتألم كان مواطنا صالحا وأبا ، فان الطبيب عند ذلك يعرف ان ما يصدر عن المريض مجرد محاولة لايجاد اسباب لحالة انقباض نفسي .

والطبيب النفسي هذا بحاجة الى معرفة السبب الحقيقي لهذا الانقباض ليساعد المريض على ان يكوّن له اتجاها وضاء بالبهجة والسعادة Bright attitude . وانه لمن العبث ان تبين للمتعذب ان عباراته ليست صحيحية ، لان مثل هذا القول سيجعله يغير عباراته ولكن الى خطإ مماثل . فالانقباض النفسي يجب أن يُستأصل من جذوره . واذا كان بالامكان استئصاله فان التعقل سيعنى به .

٣ ـ اللامبالاة واشباع الذات Apathy and Self – absorption .

حينما يصاب الفرد بهزيمة تلو الهزيمة فانه قد ينهي محاولاته ويفقد الاهتمام بعمله . وهذا ما يحصل للتلميذ حينما لا يستطيع فهم المادة الدراسية . واذا كانت المساعي الخائبة لشخص ما موزعة على حقول متعددة ، او انه يشعر انها كذلك فانه سيتخذ اتجاه عدم المبالاة بصورة دائمية . وفي النهاية ، فان إخفاقة في عمله أو مهنته وإخفاقه في كسب الاصدقاء وإخفاقه في حبه و اخفاقه في صحة جسمية جيدة ، كل ذلك سيفقده قواه بسبب هذا التفكير وذلك لانه اصبح لا يكترث بشئ . ان مثل هذه الحالات من عدم المبالاة غالبا ما ترافقها احلام يقظه . وفي احلام اليقظة هذه يلقى الفرد الرضى بدلا من الانكار الذي يجسده الواقع . وان هذه الطريقة في تخفيف التوتر توصل الى الحد المرضى الاقصى من الفصام «الشيزوفرينيا» وانشطار الشخصية Schizophrenia وهو مرض من امراض الاختلال العقلي الشائعة كثيرا وله من صفحات هذا الكتاب نصيب .

ان افراط الفرد في احلام اليقظة كبديل عن الرضى بالحياة والحقيقة والتمتع بباهجها يؤدي الى هزال الشخصية ويجعل الفرد تدريجيا غير قادر على أن ينتزع من الهيئة الاجتماعية الاهمية المناسبة له ليلعب دوره الجدير بالاهتمام . يمكن استخدام احلام اليقظة ولكن بقلة حينما تكون حافتا الواقع حادتين جدا . ولكن في أحسن الاحوال يجب ان تشابه طلاء الزركشة على الكعكة Cake بعد تناول وجبة متكاملة من شطائر اللحم والبطاطا والخضروات . وانه لافضل ان تلعب الكرة على كثيب من الرمل يهيل من أن تتخيل نفسك وانت قابع في مكانك بطلا من سلسلة ابطال العالم . كما انه لأفضل حقا أن تمتلك دراجة قديمة اشتريتها رخيصة من المزاد وتسوقها من أن تحلم انك تسوق سيارة روز رايز Rolls Royce وبجانبك فتاة احلامك الحسناء . ان احلام اليقظه المستحسنة كالاسبرين النفسي Psychological Aspirin وقد اصبحت تستخدم كبضاعة تجارية على مستوى واسع فكثير من الافلام

السينمائية والمجلات والروايات التمثيلية ليست سوى احلام يقظة تقدا الى اولئك الـــذين هم كســـالى جـــدا لتخلـق لهم جـواً من الهروب الى الاوهـــام . وانه لمن السهل ان تشخص نفسية انسان عن طريق البطل او البطلة ، وبعد فترة يندرج الانسان في تضليل نفسه شيئا فشيئا في دنيا الاوهام .

والمدرسون الجادون ومدرسو المستقبل الذين يدرسون الاداب بامكانهم ان يستعملوا المقطع السابق كتخدير لئلا يؤذي تدريسهم الطلاب الذين يغلب عليهم الهدوء التام والاذعان وذلك لاختيار افضل ما تستحسن قراءته . فالطالب الذي يحصل من المدرس على درجة عالية لمطالعة القصص الجيدة الواحدة تلو الاخرى يتعلم كيف يغذي خياله وبتحليل مقبول يتعلم كيف يعشق الادب الرفيع .

٤ ـ التعبيرية Expressionism

(المذهب التعبيري : مذهب في الفن يسعى لا الى تصوير الحقيقة الموضوعية بل الى تصوير المشاعر التي تثيرها الاشياء والاحداث في نفس الفنان)

الاطفال بطبيعتهم مخلوقات من اندفاع impulse* ويحتاج الى الخبرة والتبصر والضبط لتحويل الاندفاعات الى هيئة معقولة واحدة . ولدى قليل منا ، ربما ، يكون هذا التحويل معقدا الى حد أننا احيانا نشعر بأننا مدفوعون بقوة للتخلص من جميع القيود لنعيش ثانية حياة الاندفاعات . ان الرجوع الى عهد الطفولة له منافعه ، ولكن ينصح بشئٍ من الاعتدال في هذا الشأن . فالمدنية ذاتها ما زالت في طفولتها ، وجميعنا ما زلنا عندنا البقايا من سن رضاعتنا وطفولتنا مما جعل الحياة مليئة بالتوتر . وفي الهيئة الاجتماعية النقية المضبوطة ، نجد الناس الناضجين تماما قد لا يلتمسون الاعذار عن القيام بالاعمال التي هي في مستوى الراشدين . ولكننا الان نجد التسامح لدى اكثرنا يعبر عن الحكمة النفسية Psychological wise . فالعمل كما هو مألوف ينظر اليه على أنه جيد لنا بقدر ما يدر علينا . والاحتفالات بالاعياد بحضور الاطفال قد تدخل المسرة في قلوب الوالدين اكثر مما تدخل المسرة في قلوب الاولاد . والجماهير المشاهدة لالعاب كرة القدم تظهر ان لعبة الولد تمنح الكبار شيئاً هم بحاجة اليه . ولكن الاهتمام الزائد عن الحد في الالعاب الرياضية من جانب

*Impulse حافز ، دافع ، اندفاع ، والاندفاع موجة من الهياج تنتقل عبر الانسجة وبخاصة عبر الانسجة وبخاصة عبر الاعصاب والعضلات وينشأ عنها نشاط فسيولوجي

الكبـار او الاستغراق غير الضروري بشؤون الشبـاب قـد يكـون دليـلا على نقص في النمو .

وخلل التعبيريـة الرئيس بـاعتبـارهـا تكيفـا يقع في صميم طبيعـة الشخصيـة . وسواء اردنا ام لم نرد فان أرضاء حافز واحد يؤثر في ارضاء الحوافز الاخرى . فيجب ان يأخـذ الاختبار مجراه . ان المهـارة الفنيـة لكاتب مـا لاتتوقف على وصف كل شئ فيما يعـالجـه . ماذا ننتظر من كاتب يحاول ان يصف كل شئ يتجلى لعينيه في بلاج مزدحم ؟ فقد ينال كاتب ميزة كونه كاتبـا وصفيـا حسب مـا تهيؤه لـه فرصتـه وخبرتـه . ولكن ايضـا بقـدر تناوله للمواد المنتقاه . وكذلك الامر في الحياة ، يعتمـد نجـاح الفرد على الفرص التي تُهيّـأ له كما تعتمد على الطريقة التي يتصرف بها في الموقف الذي اختاره لنفسه .

٥ ـ التحليق في اجواء الواقع : Flight Into Reality

حينما تصبح الحياة قـاسيـة ، نرى بعض النـاس ، بـدلا من ان ينسحبو الى عـالم الخيال يسلكون الطريق المغايرة ليلقوا بانفسهم في تيهٍ بدائرة من النشاط .

وهؤلاء الذين يفعلون ذلك يصادفهم زخم من الانتكاسات لا يطـاق . هؤلاء لا يستطيعون ان يحتملوا ساعة من التفكير في الاشياء التي تحيط بهم او بعد الظهر حينما يختلون مع انفسهم . فعليهم ان يكونـوا دائمًـا في شغـل مستمر . وعشـاق الملـذات من هذا الطراز تماما ، والنتيجة المَرَضيّـة النهـائيـة لهـذه الحـالـة هي تهيج الهوس manic excitement وتنـاقض الانهاك في الشؤون الـذاتيـة الشيزوفريني الـذي لـه في هـذا الكتـاب من الكـلام نصيب . والانسـان السـوي هـو الـذي يشغـل فكره في العـالم الخارجي وفي الوقت ذاته لا يبتعد عن التفكير في اشيـاء يتواصل بهـا التعمق في فهم نفسه وفهم العالم بصورة عـامـة . والانحراف عمـا هو طبيعي الى ايـة جهـة كانت أمر وبيل . وسلوك اولئك الـذين يشكون من ان التزامـاتهم في حضور النوادي وحفلات الرقص واجتماعات اللجان لاتسمح لهم بالاستئناس بـالامسيـات الهـادئـة في البيت ، انما شكواهم هذه بالنسبة للاطباء النفسانيين المبرزين صراخ يدل على أنهم يهربون من شئ ما .

لقد اوضحنا عددا من سوء التوافق . وسنذكر عـددا اخر منهـا في سيـاق وصفنـا لمختلف العمليات العقلية . وفي الوقت ذاته سيحسن القارئ عملا اذا مـا اضـاف عـددا من سوء التوافق المعوق او العقيم . وسيجد من النافع ان يلاحظ كيف انه في الغالب

في حياته الخاصة يتصرف بطريقة اما انه يخفق في إزالة توتره او انه تصرف تصرفه المعهود على حساب النمو المستقبلي اي انه دفع ثمنه من تطوره في المستقبل . ومن التوافقات التي لا تعود بفائدة ، الانهماك بالقيل والقال ونشر الشائعات وبعض الوان الانهيار العصبي والكره والمطالبة بالثأر وحمل الحقد والحسد . ولا تتوقع انك تستطيع ان تفهم الطبيعة الانسانية ما لم تفهم كيف ان الناس يقيمون توافقاتهم تجاه "توتر الداخلي وتجاه مصاعب الحياة الاجتماعية .

الجهاز العصبي والتوافق

The Nervous System and Adjustment

كل نشاطاتنا تعتمد بطريقة أساسية خاصة على الجهاز العصبي، وتستند هذه العبارة على الحقائق التالية.

١ـ بدون اعضاء الحس مثل العيون والاذان وارتباطاتها العصبية لن تكون لدينا احساسات: وكثير من الخبرات في حياتنا اليومية تظهر ذلك. فاننا نغمض عيوننا لنمتنع من رؤية شيْ لاتروقنا رويته او لنيسر لانفسنا الاستمتاع بمشهد فكري تعكره موجودات العالم الخارجي. واذا ما أردنا ان‌نصد عنا رائحة كريهة اغلقنا انوفنا، وطبيب الاسنان يحقن المريض بابرة مخدر قبل ان يقتلع سنه، ليخدر العصب اي يخدر العصب الذي يوصل المنطقة المجاورة للسن الى المراكز العليا في الدماغ. وبهذه الطريقة نمنع حركات العصب من الانتقال من السن الى الدماغ وبذلك يمتنع الالم. وقد تصاب أحيانا يدنا او رجلنا بالخدر ولفترة ماتصبح غير حساسة نسبيا اذا مامسها احد . وهذه الظاهرة تُعزى الى الضغط الذي يخدر العصب الذي يصل جزء الجسم المتأثر ببقية الجهاز العصبي واذا ماحرم انسان من جميع الاحساس فانه سيبقى جزء قليل (ان بقي شيْ) من الحياة العقلية متصلا بالعالم الخارجي.

٢ـ المخدرات والامراض التي تربك الجهاز العصبي تؤثر في الحياة العقلية:

ان الكحوليات التي تؤثر في الجهاز العصبي تغير بطرق خطيرة عملياته العقلية وحالاته الشعورية. والتأثير العام المشابه الذي يحصل في حالة هذيان الحمى يمكن ان تسببه حرارة الحمى الشديدة.

٣ـ الامراض ، مثل الفالج الطفيف او الجزئي (الذي يشل الحركة دون الشعور) Paresis الذي يتضمن انحطاط الجهاز العصبي يسبب تدهوراً عاما للحياة العقلية فالفرد

، بصورة عامة ، بسبب كثرة تعقد دماغه وجهازه العصبي ، تعقّد سلوكه كثيرا.
فدماغ الانسان اكثر تعقيدا الى حد كبير من دماغ اي كائن حي اخر.

ولهذا السبب نجد الكئيب المثقل بالهموم يفقد القدرة على اصدار الاحكام السلبية كما يفقد القدرة على ادارة شؤون حياته بالصورة السلبية وقد تكون عنده آراء خاطئة وأوهام فيما يخص اهميته الاجتماعية ورزقة وعبقريته الخلاقة.

٤- يزداد تعقيد السلوك بازدياد وتعقد الجهاز العصبي:

للسمكة جهاز عصبي بسيط نسبياً، وعلى ذلك فسلوكها بسيط نسبيا . واللبائن (الثدييات Mammals) لها جهاز اعصاب اكثر دقة وتنظيما ولها مراكز عصبية، وعلى ذلك فسلوكها اكثر تعقيدا، اي انها تقوم باستجابات كثيرة ومختلفة ولها امكانات واسعة للتوافق على التغير الذي يحصل في بيئتها . ومن جميع الثدييات ، امتلك الانسان جهازا عصبيا اكثر تعقيداً ، ولذلك فسلوكه يعرض الوانا من التوافق والاستجابة اكثر من اي اشكال الحياة الاخرى. والتعقيدات المختلفة الاشكال المختلفة من الحياة تبين الفروق الموجودة في التنظيم العصبي.

٥- لاتتقلص العضلة في الظروف الاعتيادية مالم تنبه بحافز عصبي:

ان العجز الجزئي الذي يحصل حينما تصاب رجل او قدم بالخدريبين اهمية المر للحافز الحركي للعصب . والعجز الاكثر شدة يحصل حينما تكون الاعصاب مصابة بعطب او بمرض او حينما يهاجم المرض المنطقة الدماغية المخصصة لجزء معين من الجسم، فقد يحصل في مثل هذه الاحوال فقدان تام لاستعمال قسم التراسل في الجسم. وللجهاز العصبي أربعة اقسام كبيرة . الاولى: المجموعة الكبيرة لمادة العصب في الرأس ، وتشتمل على المخ Cerebrum والمخيخ Cerebellum والمهاد البصري في الدماغ .Thalamus

والثاني : ساق الدماغ والحبل الشوكي Spinal Cord والثالث الاعصاب الكثيرة الخارجية من الجهاز المخي الشوكي Cerebro – Spinal. الى جميع اجزاء الجسم، والرابع: حشد كبير من العقد العصبية على طول الحبل الشوكي. وهذا الجهاز العظيم بليونات من الوحدات البنائية او الخلايا التي تدعى الخلايا العصبية (العصبونات Neurones)(ولكن من بين تلك بلايين الخلايا العصبية توجد ثلاثة انواع فعالة . فهنالك:

أ ـ الخلايا العصبية الحسية اوتلك التي تنقل حوافز impulses العصب نحو الدماغ اوالجهاز العصبي المركزي.

ب ـ الخلايا العصبية الحركية اوتلك التي تنقل الحوافز من الجهاز العصبي المركزي الى العضلات اوالغدد.

جـ ـ الخلايا العصبية الرابطة اوتلك التي تصل الخلايا العصبية الحسية والحركية.

ويؤدي الجهاز العصبي وظيفته كشركة متقنة التنظيم ، وهو على درجة عالية من الانسجام ، ولكن كل جزء منه يؤدي مهمة خاصة . فقسم واحد من الدماغ يقوم بمهمة الحواس البصرية واخر لحواس السمع وهكذا . وكل نوع من الحواس يواصل نشاطه بالدرجة الاولى بواسطة جزء معين من الدماغ. واقسام اخرى من الدماغ لها مهمة القيادة لتقدير عمليات الحركة . وأقسام معينة من الدماغ لها اعمالها المحدودة جداً الخاصة بها . فاذا ماتعطل جزءمن الدماغ عن تأدية واجباته فهنالك بعض من الاجزاء الاخرى تضطلع بواجباته.

وجزء واحد من الجهاز العصبي، وهو مجموعة العقد على طول الحبل الشوكي تكون على درجة عالية من الاستقلالية في انجاز واجباتها ، ويدعى الجهاز العصبي الذاتي الحركة . وهذا الجهاز ينقسم الى ثلاثة اقسام:

أ ـ الاعلى القحفي Crinial .ب ـ الوسط او السمبثاوي (الانجذابي)

جـ ـ الاسفل او العجزي Sacral.

وهذا الجهاز يتولى امر العناية بالعمليات الحيوية مثل الهضم والدورة الدموية والتنفس.

والقسم الاعلى يعزز نمو البدن وخزن الطاقة . والقسم الاسفل يسيطر على طرد الفضلات وعلى اعضاء الجنس «SEX» والقسم الوسط يسيطر على التفريغ السريع للطاقة. وعلى هذا فالقسم السمبثاوي مخالف للقسمين الاخرين وقد منح حق التقدم حينما يكون هنالك طارئ ، اذ لدى حدوث الطارئ لايتوفر وقت لخزن الطاقة بل عوضا عن ذلك كل الطاقة يجب ان تجند لتواجه الازمة.

واستقلالية الجهاز الذاتي الحركة كاملة على الاطلاق ، كموظف مرؤس في شركة لايتضايق طالما تسير الامور بهدوء. وحينما تظهر المصاعب على سبيل المثال، حينما يهيمن شخص على اظهار الخوف او الغضب، فان الكائن الحي بكله يصدر له اوامره الجديدة.

ويدعى الممر من نهاية عضو حس الى نقطة إفراغ عصب حركي ، القوس المنعكس Reflex arc. وهو يمتلك درجة معينة من الاستقلالية . وعلاوة على ذلك ، فان كل عمل انعكاسي سواء كان تحت هيمنة شعور الكائن الحي ام لا، انه يتحور بسبب الموقف العام. وحتى الافعال الانعكاسية من امثال انعكاس وتر الرضفة الذي يسببه ضرب الساق بشدة تحت الرضفة حينما يكون الساق متعلقا بصورة طليقة ، فانه يتحور بمسكة قبضة اليد او بسبب صياح صاخب ، وبتكرار عدةانعكاسات نستطيع ان نتدرب على هيمنة شعورية. اننا نسحب يدنا بصورة انعكاسية من شيٍ موذٍ ولكنا لانسقط صحنا ساخنا، حيث اننا نجد له مكانا مناسبا. أن مهمة تكوين رأي عن الموقف وتوجيه السلوك حسبما نريده يتم بواسطة مراكز الدماغ العليا. والشخصية بكاملها او ان الكائن الحي بكاملة عن طريق تلك المراكز يهين على عمل المراكز السفلى، ولكن هيمنتها على الانعكاسات ليست مطلقة كما يظهر دليل ذلك في امثال الارتقاء على خشبة المسرح امام جمهور من الناس.

ودور المناطق العليا من الجهاز العصبي في توجيه السلوك أسيء فهمه كثيراً. اذ يجب ان لاينظر اليها على انها توجيه وردع المراكز السفلى كما لو كانوا ملوكا صغارا يحكمون بقية الكائن الحي. بل يجب ان ننظر الى الشخص بكليته كزاول للهيمنة. مثلا ، اذا مالمس شخص فرنا حارا فان حافزه الاول هو ان يسحب يده . بينما نجده يستطيع ان يكبح هذا الحافز اذا ماشاهد سكينا فوق يده مباشرة. فبدون المناطق العليا لدماغه لايستطيع ان يستجيب لمثل هذه الاغراض اكثر مما يتستطيع ان يرى بدون عينيه. ولكن السلوك لايمكن ان يفسر باستناده فقط على التغيرات في المراكز العصبية العليا. فالتغيرات التي تحصل في الدماغ شأنها شأن تلك التي تحصل في العضلات تتغير بطرق عمل ، انها ليست السبب في النشاط . ويجب ان يلتمس السبب في الظروف التي دفعت الى العمل، التي تتضمن الظروف الموضوعية وطبيعة الفرد وخبرته . فالتفكير ليس مجرد وظيفة النسيج العصبي الذي يؤلف الدماغ ، بل هو وظيفة الكائن الحي من حيث هو كل As a Whole organism.

ودور الجهاز العصبي هو إحداث تنسيق وتكامل بين نشاطات اقسام الجسم المختلفة . فالانسان مجهز بتراكيب متخصصة . ومع أن الأميبا* تهضم الطعام انها لاتمتلك تركيبا متخصصا لتلك الفعالية، ومع أنها تتحرك فليس لها تركيب متخصص للانتقال، ومع انها تحس بطريقة ماطبيعة بيئتها فليس لها اعضاء حس متخصصة. اما في الانسان فكل

---

* - Amoeba حيوين وحيد الخلية يتغير شكلة باستمرار

ذلك مختلف . فلنا تراكيب متخصصة للهضم والانتقال والاحساس بالخصائص المختلفة لبيئتنا ولفعاليات اخرى كثيرة . وبسبب هذا التخصص الواسع كان من الضروري وجود بعض الوسائل لغرض التنسيق . والجهاز العصبي يقوم بهذا المهمة. ونحن نستطيع ان نتصرف ككل عضوي ، وهذا بطبيعة الحال افضل من التصرف كمجموعة اعضاء متصلة بدون نظام . وبدونه فان سلوكنا سيكون مشوّشا فاقد الانتظام بدلا من أن يكون متساوقا متكاملاً. وبدونه لايستطيع الانسان ان يستجيب لمقاصده ولا أن ينظم بيئته. وباختصار ، ان الجهاز العصبي ضروري لغرض تكامل السلوك ولغرض النشاطات العقلية العليا.

والجهاز العصبي لايقوم بمهمة التساوق والتوحيد فقط بل انه منظم بصورة يمنح بها الفرد درجة كبيرة من الهيمنة الشعورية على سلوكة والاستجابة للتنبيه الخارجي تتضمن اربع خطوات:
(أ) استقبال التأثير. (ب) تفسير التأثير. (جـ) التهيؤ للتعامل مع الموقف (د) التنفيذ . وكل تلك الخطوات الاربع خاضعة الى حدما لهيمنة الفرد ككل ويمكن ان تظهر بتحليل بسيط لاستجابة إرادية لمنبه خارجي. مثلا، قد تكون ام منهمكة في عملها بحيث لاتسمع ضحك اطفالها ولاثرثرتهم في ساحة الدار. هنالك حجز للتأثير في البداية. ولكن اذا استغاث الطفل بفزع او ألم ، فانها تنتبه اليه حالا ومن دون شك تستعد عقليا وجسميا للتعامل مع الموقف . ان حجز التأثير يكون قد زال ، ولذا فقد استُقبل التأثير و فسّر وأخذت بنظر الاعتبار خطط معالجة الموقف. ولكن بعد اتخاذ الاستعداد للاستجابة قد ترى انه من الافضل للطفل ان يعالج مشكلته من دون مساعدة، واستنادا الى ذلك تستأنف عملها. وبعبارة اخرى، قد يراجع تنفيذ الخطة. ويجب ان نستنتج ان الارتباط يحصل في الدماغ في كل خطوة من الخطوات الاربع في الاستجابة الى التنبية الخارجي، وبعكسه فان التنبيه سيؤدي الى نشاط ظاهر overt action. ثابت بلا تغيير. في الواقع ان استقبال منبه حسي يمكن ان يُعاق ،اويرد بسبب الرغبة في شئ اخر، او اذا استقبل التأثير الحسي فانه قد يبقى بدون تفسير او غير ملتفت اليه. واخيرا ، فانه اذا مافسر وخططت له خطة من التصرف مناسبة ، قد يقرر الكائن الحي في الدقيقة الاخيرة ان لايتصرف . ان هذه الدرجة من الهيمنة على جميع مراحل الاستجابة للمنبه تعني ان هنالك حالات كثيرة في الجهاز العصبي حيث يستطيع الكائن الحي فيها ان يأخذ على عاتقه الهيمنة.

المنبهات والتوافق

اي شئ يثير الكائن الحي Organism الى ان يتصرف تصرفا مايدعى منبها Stimulus. والمنبهات قد تكون حالات اما في داخل الجسم او خارجه. فلتوضيح امتعاض شخص ما، علينا طبعا ان ننظر خارج الفرد على الحالات التي استثارت استجابته . واذا ما اظهر الفرد علامات الم شديد ولم نجد شيئا موذيا في بيئته فاننا نتوقع ان نجد بعض الحالات في داخله ، فربما عنده ألم اسنان سبب له هذا الالم . وتخميننا في مثل تلك الحالات انما هو عن فطرة سليمة قوية. فقد عرفنا بالخبرة نصف الشعورية ان الكي او وجع السن يحدث الالم ، والقصة الهزلية تحدث الضحك وان تفريق الاحبة يحدث الحزن. فمن الطبيعي اذاً في محاولة فهم اي تصرف يصدر من شخص، علينا ان نبحث عن حالة مثيرة مناسبة اما داخل الفرد او خارجة أدت الى هذا التصرف . وقد جعل بعض علماء النفس تصرف الفطرة السليمة حجر الزاوية (أو مايسمى حجر العقد والارتكاز Keystone) في نظرتهم الى السلوك . فلاجل ان نفهم تصرفا، يقولون ، علينا ان نجد المنبه. وهدف علم النفس كما يتصورونه ، أن نجد العلاقات الموجودة بين المنبهات والاستجابات وعلى ذلك ، فان منبها معينا يُمكّننا من الاستجابة، وان استجابة معينة تجعلنا نستطيع ان نعرف اي منبه سبّبها . وعلى سبيل المثال، معرفة ان شخصا وخزت يده بدبوس فسحب يده ، نستطيع اذا مارأينا يد شخص توخز ان نتوقع انه سيسحبها وعلى العكس اذا مارأينا انسانا انتزع يده بعيدا عن شئٍ فاننا نستنتج انه كان يستجيب لمنبه مؤلم . ان هذه النظرة يمكن ان تبين في الرسم البياني التالي:

S	- O	R
لمنبه	- كائن حي	- استجابة

ان هذه التشكيلة تنظر الى الفرد وهو يؤدي استجابة مباشرة منبه . انه يأكل لان الطعام ينبهه ، انه اصبح غضبان بسبب اهانة، انه يدرس لان المدرس استثار همته . وهؤلاء الذين يستعملون التشكيلة يدركون ان في هذه الصيغة بساطة بالغة . وقد يخفق شخص في تناول طعام موضوع امامه ، لانه غير جائع او انه ينتظر الوانا اخرى ستقدم له او انه يعتقد ان الطعام مسموم . وقد لايغضب باشارة اهانة توّجه اليه بسبب استخفافه بالشخص الذي صدرت عنه تلك الاهانة او بسبب وجود مثبطات من

الاخرين او بسبب ادراكه ان الاهانة هي اسلوب الخصم للمشاجرة صدرت لمجرد اثارة غضبه واستنزاله الى الشجار. وقد يخفق في الدراسة على الرغم من الجهود الفاضلة التي يبذلها المدرس اما لانه مهتم في شئ اخر غير الدراسة او بسبب ارتباك الاحوال المحيطة به . فالتشكيلة، لذلك يجب ان تعد لتمثل تلك الاحوال المتغيرة في داخل الفرد والظروف التي يشكل المنبه المعين جزءا منها وبناء على ذلك يمكن ان تطور بادخال القدر الضروري من التعديلات على المنبة. والكائن الحي لتعرض بسداد تعقيد المنبه الذي يتلاعب بالكائن الحي والاحوال المتغيرة للكائن الحي نفسه . فاذا ماحوّرت التشكيلة بهذه الصورة ، يكون بامكانها ان تعرض كما يلي (الحرف M يشير الى المحور او المعدل Modified):

منبه ــــ الكائن الحي ــــ الاستجابه

S   O   R

المنبة المعدل(١) ــــ الكائن الحي المعدل/(١) ــــ الاستجابة(١)

M_1 OM_1 R_1

المنبه المعدل(٢) ــــ الكائن الحي المعدل(٢) ــــ الاستجابه

SM_2 OM_2 R_2

وسواء كان النشاط انعكاسا بسيطا ام استجابه عقلية معقدة فانها دائما نتيجة لكلا الكائن الحي والبيئة ـ انها الكلّ النفسي Psychological Whole.

وليس مجرد الحالات الانفعالية والاحكام الارادية ثمرة الموقف الذي تحدث فيه ، ولكن اعمال الادراك ، مثل النظر والسمع ، يجب أن تُفسّر ايضا من حيث الموقف الكلي الذي تحصل فيه . تحت اية ظروف يحصل النظر؟ الشخص النائم لايرى مطلقا.

والشخص الشارد الفكر نهائيا يخفق في رؤية اشياء كثيرة تجرى حوله . وحتى الشخص المتيقظ لايمكن ان يرى مالم يكن هنالك شئ يُرى. ولذلك فالشئ المرئي ضروري للرؤية ضرورة الكائن الحي الذي يرى . وباختصار، ان الاعمال الحسية مثل تلك التي ذكرت انما هي ثمرة الكل النفسي. انها بامكانها ان تحصل فقط حينما يكون كائن حي مجهزا بتراكيب ضرورية للادراك الذي يلزمه وحينما يكون هنالك شئ يدرك.

وبـالمثـل التفكير نتـاج الكل النفسي. وهـو يحصـل فقـط حينمـا يـوجـد شخص مقتدر على التفكير ويواجه مشكلة وجها لوجه . ومن الواضح انه لايحصل اي تفكير من دون وجود كائن حي يستطيع التفكير والحقيقة المماثلة لهذا أن لايحصل اي تفكير من دون مشكلة. والوضع العام يحدد الى درجة جديرة بالاعتبار عمليات التفكير. وافكار خطيب جماهيري متدرب كفء وثيق الصلة بسامعيه ليست مجرد ثمرة اهتماماته الخاصة به وخبرته ، فهي تحدد من جهة اخرى باتجاهات المستمعين. فهو حين يتكلم الى مستمعين راغبين متعاطفين ، فان عملياته الفكرية مختلفة عما هي عليه حينما يتكلم الى جمهور حيادي اوعدائي.

وكذلك اظهر فئات البحث والنقاش ان التفكير يتـأثر بـالموقف ككل . وفي مثل تلك المناقشات تتولد الافكار من إسهام المُثل العامة ومن تبـادل الافكار المتعارضة . وكما ان الشيء يعكس على المرآة فيبدو طويلاً ونحيفا وفي مرآة اخرى قصيرا او سميكا كـذلـك تفكير الجماعة ، ينعكس بصورة مختلفة او تنعكس صورته في افكار كل مشـارك ، والانعكاسات تختلف تبعا لقدراتهم واهتماماتهم.

ولما كان من الواجب ان يفسر السلوك من حيث الموقف الكلي الـذي ابتعثه فهـو كذلك يتضح بالتغير الجوهري الذي تحدثه الظروف الاستثنائية في السلوك . فالشخص الذي لم يُظهر اية مقدرة غير اعتيادية او اية شجاعة يمكن ان يصبح اذا أزم الامر وادلهم دعامة قوة وقائداً مجيداً وكم من شخص لم يدهش له اصدقاؤه واعداؤه فحسب بل دهش هو نفسه للسلوك الذي ظهر منه في ظروف جديدة او غير اعتيادية . كيف إتفسّر مثل تلك التغيرات؟ فهل سدّادة الطوارئ تحتفظ بطاقة في داخل الانسان أو أن الطوارئ تسبب حصول طاقة جديدة ؟ ومن اية وجهة نظر من هاتين فان الشجاعة والقيادة مبتكرات وثمرات الموقف الذي ظهرتا به . واهمية البيئة كبيرة جداً بحيث ان الشخص الذي يصبح قائدا بتأثير ظروف معينة قد لايظهر اي ميل للقيادة تحت تأثير ظروف اخرى . والاثيني العظيم تيموستوكليس Themistocles اخبره مرة احـد مـواطني سيريفوس Seriphus ان عظمته تعزى فقط لكونه مواطنا اثينيا ، فأجابه بدهاء ومكر لوكنت انا من سيريفوس وانت من اثينا، لما كان احد منا عظيما.

وانه لمن الصعوبة دائما ان تقول ماالمدى الـذي يستغرقه الوقت ليخلق الانسان ، ومن الناحية الثانية ماالمدى الـذي يستغرقة الانسان نفسه ليخلق الوقت. الى أي مـدى كانت مشاكل العصر عن ظهور صلاح الدين الايوبي كرجل عظيم ؟ ولو انه لم يولـد فهل كانت تلك المشاكل كفيلة بظهور عملاق عظيم يسد مسده ويبلي بلاءه ويقوم بماقام بـه ؟

والى اية درجة اسهمت الاحوال السيئة في اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية في خلق هتلر في المانيا النازية وموسوليني في ايطاليا الفاشية؟ ولو لم يقوما بدورهما فهل كان هنالك شخصان اخران يلعبان دورهما ؟ البيئة . ؟ لما كانت طرفاً لاهميتها فانها جانب من الكل النفس. ومع اننا يجب علينا ان نأخذ في الحساب جميع عناصرها الكثيرة ، الدقيق والجلي، في محاولة فهم انسان فان مركز الاهتمام هو الانسان نفسه نتاج التركيب البايولوجي وآلاف الخبرات التي مارسها.

ان جميع العوامل الوثيقة الصلة بموضوع فهم تَصُرف او عمل تكوّن الكل النفسي ، وبعبارة دقيقة ، ان الكل النفسي يشتمل على كل شيْ ، وذلك لاننا اذا اردنا ان نفهم اي شيْ كاملا فنحن من الناحية المنطقية مدفوعون بوصله بكل شيْ اخر . فلتفسير ، لماذا انت تقرأ كتاباً في علم النفس ، يجب ان نأخذ ،، لمر الاعتبار ثقافتك السابقة والمُثُل الى سادت عائلتك . وهذه بدورها لايمكن ان تفهم منفصولة عن اسلافك والجماعة الحضارية التي تنتسب اليها. وهذه مرة ثانية ، يجب ان توصل بطبيعة الانسان ، كما انها هي ذاتها يجب ان توصل بطبيعة الحياة والظروف البيئية التي جعلت الحياة على كوكبنا على ماهي عليه . وعلى هذا النمط نصل الى مفهومة جهاز وظيفي شامل كلي .. ومع ذلك فلاغراض العملية في تفسيرنا تصرفا ما او حالة عقلية ، اننا نجهل اشياء كثيرة ونختار لمايهمنا تلك الظروف المتنوعة التي نعتقد انها اكثر الاسباب اهمية في التصرف المخصوص او الحالة التي تهمنا. واننا لثاقبو الفكر بل محضوضون اذا عثرنا حقا على الاسباب الصحيحة . فالتلميذ الذي يبدو وعليه الكسل ، وقد يكون مهملا لان فكره مشغول بمشاجرة والديه في البيت . وان معلمه لمحضوض جداً اذا ماوصلت اليه هذه المعرفة ليعرف سبب كسل تلميذه .

وفي استعمال مفهومة الكل النفسي بطريقة عملية ، فان اول مشكلة لعالم النفس هي ان يختار للاخذ بنظر الاعتبار والتأمل تلك العوامل التي سببت الاختلاف حقاً. وفي هذه، يتبع عالم النفس التطبيق السديد الذي يمارس في العلوم العريقة مثل الكيمياء وعلم الطبيعة . فالظواهر الطبيعية لم تكن كما هي عليه اليوم لولا جذب الشمس والارض بعضهما بعضاً ، ولكن في دراسة مشاكل معينة نرى علماء الطبيعة يهملون مثل هذه الامور الثابتة. ولهذا السبب لايحتاج عالم النفس أن يأخذ بنظر الاعتبار الاحوال الثابتة او الطفيفة التي عرفها لانها ذات قيمة ضئيلة في التعامل مع انحرافات السلوك . وقد أُلقي ضوء ضئيل على احوالنا الانفعالية وذلك بوصلها بقانون الجاذبية والانواء

الكونية التي تحصل في مناطق نائية من الفضاء. وبقدر مايتعلق في الموضوع ، انها قلما تُفسَّر بالاحداث التي تحصل في قارة اخرى او حتى في الدار المجاورة لنا . وقسم ضئيل من البيئة فقط مهم في القاء الضوء على اي تصرف . فلون شعرك ، ومعرفتك بالكيمياء وحبك لعائلتك لاعلاقة له بتفسيرك اداعاءات اسرائيل الباطلة في حكم فلسطين المحتلة. الا ان مثلك السياسية والاجتماعية وفهمك للطبيعة الانسانية ومعرفتك العميقة في التاريخ هي التي تستأثر بالاهتمام فيما تقرر في هذا الشان.

والمشكلة الثانية في استخدام مفهومة الكل النفسي هو ان تجد جميع العوامل ذات الاهمية الحقيقية. فالعوامل الحاسمة في الغالب تختفى كليا عند الملاحظات العرضية Casual ، انها تختفي على الجميع، عدا الباحث الماهر العبقري الصبور.

تنوع تعقيد الكل النفسي

في بعض الاحيان، تكون الظروف الضرورية لفهم تصرّف ماقليلة ولايلقى الباحث عناء في تقرير ماهيتها. وهذا صحيح حينما تكون صلة قريبة بين ظرف واستجابة. وان جميع الاحوال التي يغلب عليها هذا الوصف وتفسر هذه السهولة لانهم كثيرا في كل حال . وفي احوال اخرى ، تكون العوامل ذات الاهمية كثيرة جدا او مخيفة تماماً بحيث يكون الموقف معقداً ، اي انه من الصعب ان تُكشف العوامل الاكثر اهمية وفي اي سياق تعمل . وفي حسابنا للكل النفسي سنتدرج من المواقف البسيطة الى المواقف المعقدة .

(١) الانعكاسات غير الارادية Involuntary reflex

ان ابلغ تأثير مباشر للمنبة على الاستجابة يوجد في الانعكاسات اللاارادية - وهي استجابات محدودة لمنبه محدود تصدر ذاتيا عن تأثير التنظيم الفطري للجهاز العصبي . ومن امثلته الانعكاس الرضفي Patellar reflex اي هزة الركبة Knee Jerk والانعكاس الحدقي Pupillary المنظم لكمية الضوء الداخل الى العين. والمنبة لرد الفعل الاول دقة شديدة تحت الرضفة Kneecap تماما حينما يكون الساق معلقا بانطلاق (دون نظام) ، اما الثاني فاختلاف في شدة الضوء الضارب على العين. وفي الحالتين، هنالك استجابة محدودة تلي تغيرا محدودا في البيئة ومع ان الحالة العامة للكائن الحي قد تؤثر في الاستجابة ، فان النشاط نسبيا غير مرتبط ببقية الكائن الحي . ولذلك، فالموقف النفسي ، بسيط جداً. وحالما ينبّه قوس عصب معين التنبه

اللازم فان الاستجابة تحصل باطراد . وفي مثل هذه النشاطات ينظر الى المنبه بحق انه ابتعث التصرف .

٢- الانعكاسات المهيمن عليها جزئيا
Partially Controlled Reflexes

في الانواع البسيطة من الانعكاسات التي يستطيع الفرد فيها باعتباره كلاً ان يمارس قدرا من الهيمنة الشعورية، مثل رمش العين ، تقل اليد من فوق شيء مؤذ ، العطاس، نجد ان تعقيد الكل النفسي يكون اكثر شيئا ما. وللتأكد من ذلك ، فان عيوننا حينما تهدد بشيء فاننا غالبا مانرمشها . وكقاعدة اننا ننقل ايدينا من الاشياء الحارة ونحن نعطس دائما بصورة ذاتية بتأثير تنبيه خاص . ولكننا احيانا نمنع هذه الانعكاسات كما لو أبقينا قليلا شيئا حارا على الرغم من الالم . اذ ان شيئا اعظم من الالم او الانعكاس البسيط يحدد استجابتنا ولهذا السبب فالكل النفسي من الوجهة التي يجب ان تفسر بها تلك التصرفات يتضمن اكثر من منبه محدث انعكاسا بسيطا لانستطيع الهيمنة عليه . ويجب ان يؤخذ بالحسبان ايضا اتجاه Attitude ورغبات الفرد القائم بالفعل الذي منع الفعل الانعكاسي.

وقد يسيطر الموقف الخارجي احيانا على السلوك حتى من ذلك النوع المعقد نسبيا. والمثال الشائع هو رهبة المسرح التي تصيب الانسان عند ظهوره امام الجمهور . ففي مثل تلك الحالات لايتصرف الفرد حسب رغباته او اغراضه ، ولا استنادا الى متطلبات الموقف. وبدلا من ذلك فان سلوكه يخضع لسمات معينة من الموقف . الا ان طبيعة الفرد عامل مهم في تلك المواقف ، فبعض الخطباء لاتعتريهم رهبة المسرح في ظروف تكون جالبة للويل بالنسبة للاخرين . واذا اردنا ان نفهم سلوك شخص تغلب عليه رهبة المسرح فعلينا ان نتأمل ذلك الشخص المتكلم نفسه . قد لايكون ذا خبرة ، وقد لايكون مستعدا ، وربما كان اهتمامه بوجهة نظر الجمهور تجاهه اكثر من اهتمامه الى رد الفعل الذي يحدث عندهم لمايقول .

٣ـ ردود الفعل المهين عليها شعوريا Reactions consiously Controlled.

يكون الكلّ النفس كثير التعقيد حينما يكون الفرد ممسكا بزمام الوضع بصورة نهائية ويقرر بصورة شعورية كيف سيتصرف. والامثلة المألوفة لهذا النوع هي تصميمنا كيف نقضي احدى الامسيات ، ماذا سنتناول في وجبة الغداء، كيف ننتقم من اساء الينا. وحتى في الموقف الانفعالي قد يبقى الفرد مسيطرا على الموقف ومحتفظا بزمام المبادأة. وكمثال، اذا اهين شخص فانه يختار اي اسلوب من اساليب النشاط المتعددة او انه يفضل ان يلتزم بالسكون وان لايحرك ساكنا فقد يستعمل قبضة يديه فيكيل اللكمات اوانه يختار وسيلة اخرى من وسائل الخصام المتعددة وقد يلجأ الى الحيلة في الايقاع بخصمه . وقد يجعل خصمه يندم اذا ماردّ إساءته بالاحسان اليه ويبدي له المزيد من الخلق السموح . وقد يكبت اي نشاط معاد كليا . وقد يضبط نفسه الى حد لاتبدو عليه اية علامة غضب نهائيا وقد يلجا الى هذه الوسيلة الاخيرة لانه صمم وكأصحاب الفلسفة الرواقية (جماعة زينون)ان لايسمح للاشخاص الا خرين ان يضايقوه او انه يأسف لما بدر منه وانه لم يتعمده . وان طبيعة الاستجابة في مثل تلك الاوقات ، من الواضح جداً لايحددها المنبه، فالمبادرة تخص الشخص الذي قرر كيف يواجه المنبه . ان هذه الهيمنة والسيطرة الذاتية تكتنف كلاً نفسيا معقداً متكونا من عوامل عديدة.

٤ـ ردود الفعل المعقدة استثنائيا Exceptionlly Complex Reactins

ان سمات الاتجاهات والشخصية ، مثل الشجاعة والاخلاص والطموح تكتنف مااستكن من الكّل النفس الاغزر والاكثر تعقيدا. فلنفسر مثلا، لماذا نرى شخصا في حالة دفاعية دائمية وعلى استعداد للنزاع، قد يستلزم هذا مراجعة ماضيه برمته وبيئته في باكورة حياته ، زملائه وخبراته المدرسية وحالته الجسمية . وكلما زاد قدر معرفتنا لخلفية Background شخص ماالتي تظهر سلوكة الشاذ والمربك كلما اصبح تفهمنا لسلوكه اكثر .

والذي ينقصة التبصر بعلم النفس هو الوحيد الذي يعتقد انه يستطيع ان يفهم شخصا بمعرفة احواله الحاضرة. ان عيّنة الموقف الحاضر مفيدة، ولكن فقط حينما تكون عند الفرد افضلية زائدة وجهة نظر طولية دقيقة تتصل باحداث طفولته عند ذلك يكون فهمة للشخص مما يوثق به . ان الشخصية الانسانية شيٌ معقد للغاية وكثير منا يناضل في الحياة بمعرفة بسيطة عن نفسه ـ اكثر بكثير من معرفته لغيره .

والعوامل التي تزود الفرد بالتبصر كثير متعددة ، وبعض تلك العوامل المهمة تبلغ من الدقة بحيث انها لحد الان لم ينلها القياس المتقن. وحتى اذا مابذلت اقصى جهدك لتستعمل مفهومة الكلّ النفسي فانك غالبا ماتقف مذهولا متحيراً امام السلوك الانساني.

اختبر معلوماتك

بعد قراءتك هذا الفصل

أ ـ حاول ان تسترجع معلوماتك بالاجابة عن الاسئلة التالية:

١ـ ماالفرق بين الشخصية والخلق؟ ايها اكثر سعة من الآخر.

٢ـ ماالمقصود بالعبارة التالية: نحن نتوافق باستمرار مع بيئتنا

٣ـ لماذ نحتاج الى ان نأخذ الاهداف بنظر الاعتبار لنفهم السلوك ولانحتاج لذلك لفهم حركات الاشياء الجامدة؟

٤ـ اذكر بعض الادلة التي تستند عليها العبارة التالية:

«الشخصية تؤدي وظيفتها دائما كَلّلّ »

٥ـ مالتوافق الناجح؟

٦ـ ماالانواع الرئيسة لتوافق الزقاق المسدود؟

٧ـ ماالأنواع الرئيسة للتوافق المعوق؟

٨ـ اشرح اعمال الدليل الذي يثبت اهمية الجهاز العصبي في السلوك.

٩ـ ماوظائف الاعضاء الرئيسة للجهاز العصبي.

١٠ـ ماالفعل الانعكاسي ؟ وكيف يختلف الفعل الانعكاسي عن غيره من انواع السلوك.

١١ـ ماالمراحل الكائنة بين المنبة والنشاط الذي ينتج عنه ؟

١٢ ـ ماالمقصود بالكُل النفسي ؟ ولماذا يلزمنا ان نهتم بالكُل النفسي لمعرفة السلوك اكثر من مجرد شخصية الفرد التي يكتنفها؟

١٣ـ ماالأجزاء المهمة للكل النفسي ؟

ب ـ والان حاول ان تناقش مايلي:

١ـ كيف يستطيع جسم الفرد ان يؤثر في شخصيته ؟ هات امثلة من اشخاص تعرفهم.

٢ـ تصور ان شخصاً من المريخ Mars لم ير قط اللون الازرق قد هبط لزيارتك. هل تستطيع ان تشرح له اللون؟ وفي اية ظروف يستطيع الفرد ان ينقل خبراته الشعورية الى الاخرين؟

٣ـ هل الهدف موجود دائماً في الشعور؟

٤ـ هات بعض الايضاحات من خبراتك الخاصة عن اشخاص مارسوا مايلي من التوافق او سوء التوافق:

أ ـ التبجح ب ـ العنف جـ ـ الخجل

دد ـ مزاج المشاكسة هـ ـ الحسد د ـ الكذب

زز ـ السرقة.

٥ـ اذكر مثلاً لماياتي:

أ ـ الاستفاده من الخلل جـ ـ تعليل الموقف

بـ الاهتام بالذات دد ـ التعبيرية هـ ـ الانغمار في الواقع

٦ـ ـ هل التعليل يعطل التوافق دائما ؟ وضّح.

الخاتمة

يختلف النـاس الاسـويـاء فيها بينهم اختـلافـا كبيرا في السمات الجسميـة والنفسيـة وتعنى دراسـة الشخصيـة بتـوضيـح اوجـه التشـابـه واوجـه الاختـلاف بين الافراد . ويمكن ان نعرف الشخصيـة بـانهـا « الجمـوع الكلي للسبـل التي يستجيب بهـا الفرد على نحو مميز في تعامله مع الاخرين ».

وان مثـل هـذا التبـاين بين الافراد كما يثمنـه مخبرو الحظ وبـاحثـوا البـوليس مـع النـاس الـذين يتعـاملـون معهم ، يستنـد الى النظريـات الـزائفـة للشخصيـة المبنيـة على المحـاولـة والخطـا trial and error وكما تسمى ايضـاً التجربـة والخطـاً. وهنـالـك عـدد من نظريات الشخصية التي هي على مستوى عال من التنظيم من ضمنها النظرية الفرويدية والفرويـــديـــة الجـــديـــدة (القـــائمـــة على التحليـل النفسي) ونظريـــات التعلم ونظريات المجال العضوي ونظريات العامل.

واستنـادا الى نظريـة فرويـد ، ان جميع السلـوك (لاشعـوريـا) يستمـد قـوتـه من دافعين اسـاسين : حب الجنس Eros (الغريـزة الجنسيـة sex اوغريـزة الحيـاة) وغريـزة الثـاموس (الغريزة العـدائيـة او غريزة المـوت) . وتـدعى الطـاقـة التي تقـع تحت الجنس اللبيـدو Libido وقـد صور فرويـد الشخصيـة على انها تشتمل على ثلاثـة اجـزاء الهـو ID (مستودع الـدوافع الاسـاس) والانـا الاعلى Super Ego (الضمير) والانـا Ego الـذي يعمـل كملطف بين مطـالـب الاثنين الاخرين وكثمن رسمي للـواقـع . وغـالبـا مـايستعمـل الانـا ميكانيزمـات دفـاع الـلاشعـور . والافراط في استعمال مثـل هـذه الميكانيزمـات يكـون العصاب neuosis.

ومن وجهـة نظر فرويـد ان اغلب الصراعـات الـداخليـة ممكن ان نقتفي اثرهـا الى خبرات الطفـولـة التي حـدثت خـلال التطـور الجنسي النفسي. وفي مجرى الحيـاة اليومية قد تقتحم دوافعنا اللاشعورية الى السطح كما يقول الفرويديون.
وحتى اضطرابـات السلـوك الحـادة تبـدو كتعبير للعمليـات الـلاشعـوريـة ، حيث بموجب مبـدء الحتميـة النفسية بـان السلـوك جميعـه مهما يكن مظهره لاعقـلانيـا انمـا يصدر عن سبب .
لقـد انتقـدت النظريـة الفرويـديـة لكونهـا تركز الى حـد كبير على دراسـة الافراد الـذين ليسو اصحـاء عقليـا ولانـه من الصعب تقـويمها تجريبيا.ولقدقدمفرويد ثـلاث اسهـامـات عظيمـة لـدراسـة الشخصيـة في تـأكيـده على اهميـة (أ) العمليات اللاشعورية (ب) الناحية الجنسية Sexuality (جـ) خبرات الطفولة .

ونظريـات الفرويـديين الجـدد من امثـال يونك ، Jung وادلر Adler واركسون Erikson حـافظـوا على هيكل Framework النظريـة الفرويـديـة ولكنهم وضعـوا تـأكيـد اقـل على دور النـاحيـة الجنسيـة Sexuality. واكـدوا على الـدوافع الاسـاسيـة الاخرى والتأثيرات الاجتماعيـة بـدلا من التـأكيـد عليهـا وكان هـاري ستـاك سـوليفـان Harry Stach Sullivan احـد اولئـك الـذين اكـدوا على اهميـة التفـاعـل الاجتماعي. ومفـاهيمـه الرئيسـة تتضمن الـدينـاميـة Dynamism (انمـاط السلـوك المتكررة الـوقـوع ذات الامـد الطـويـل مثـل نظـام الـذات) و مـادعـاه سـوليفـان Personification ويعني بـه تصـوراتنـا عن الاخرين اي الصـورة التي يحملهـا شخص عن واحـد اخر وهي مركب المشاعر والاتجاهـات والمفـاهيم التي تحـدد الى حـد كبير كيف انه سيتصرف تجاه ذلك الشخص .

ونظريـات التعلم هي الاغلب اتساقـا مـع التجريب بين نظريـات الشخصيـة . وقـد بـدأ دولارد Dollard وميلر Miller وضـع المفـاهيم الفرويـديـة في صـورة اكثر انقيـادا للـدراسة التجريبيـة . لـذا كانت دراستهم للشخصية تتضمن بحث العلاقـات بين الـدافـع Drive والقرينـة او التلميـح Cue والاستجـابـة response والتعـزيـز reinforcement. ونظريـة التعلم الاجتماعي التي وضعهـا بـانـدورا Bandura وولترز Walters قـد وضعت على سبيل تعلم الانسان للموضوعـات في مـواقف اجتماعيـة . لـذا ، لغرض توحيد المفهومات الاساسيـة للاشتراط الاجرائي (تعزيز مقصود لاستجـابـة معينـة وفقـا لبرنـامـج محـدد) Operant Conditioning انهـا اكـدت على اهميـة التعلم القـائم على النماذج Modeling لامحـاولـة - no trial - الـذي يتعلم فيـه الشخص بملاحظـة سلـوك شخص اخر. والنقـد الرئيس الـذي يـوجـه الى نظريـات التعلم هي أنه في الحين الـذي يستطيعون ان يفسروا التعلم والاحتفـاظ بـاستجـابـات معينـة فليس عنـدهم سـوى الشيء القليل من الكلام عن الشخصية من حيث هي كل as a Whole

وترى نظريـة المجـال ، الشخصيـة والسلـوك على انها متشكـلان بموجب تـوازن وتفاعل قوى عديدة . وتؤكد نظرية كولد ستين Goldstein العضوية على اظهار القـدرة الكامنة الموروثة للكائن الحي ككل تستمد قوتها من دوافع اساسية لتحقيق الذات.

ونظريـة الـذات لراجرز Rogers المجـال الظـاهراتي Phenomenal – Field العـالم الخاص للفرد. ومفهومـة الـذات عنـد الفرد تنمو بسبب خبراتـه وانـه سوف يسلـك بطرق متسقة معها. ومن هـذه الوجهـة، انـه لمن العجز ان ترتضى ذاتٌ أحـدٍ مـايقود الى المرض العقلي.

لقد اكد ماسلو Maslow في نظريته تحقيق الذات، دراسة الاشخاص السليمين انفعاليا. لقد رأى ترتيباً هرميا للحاجات needs مصنفا حسب نظام من الحاجات الفسيولوجية مابين حاجات الأمن والسلامة ، وحاجات لغرض التملك والحب ، وحاجات لغرض الاحترام (التقدير) esteem وحاجات تحقيق الذات اي حاجات لغرض المعرفة والحاجات الجمالية.

وبمجرد ان يُطَمْئِن المرء حاجاته التي على المستوى الادنى . فانه ينطلق لتطمين تلك الحاجات التي على المستويات العالية . وقد رُكِّز النقد لهذه النظريات الثلاث على غموض « تحقيق الذات » باعتباره عرضة للدراسة العلمية.

وقد انتفع عمل علماء العامل من التقنية الاحصائية لتحليل العامل في محاولة تشخيص سمات شخصية معينة . وقد شخّص كلفورد Guilford في دراستة للشخصية نموذجين مختلفين من السمات:

العوامل الدافعة والعوامل المزاجية. وهو كذلك طبق تقنيات تحليل العامل في دراسة الذكاء محّدداً تركيباً ذا ثلاثة ابعاد لنموذج الذكاء. وبينما المعلومات التي عرضت سابقا من قبل علماء نظريات العامل تعتبر من افضل ماينتفع به في دراسته الشخصية ، فانها جميعاً وجهت لها انتقادات على انها مجزأة شيئا ماواصطناعية artificial والعلماء السلوكيون من أمثال ميشيل يصرون على أن الثبات في السلوك ينتج عن ظروف الاستمرار والتعزيز في البيئة اكثر من النوعيات الكائنة في داخل الفرد.

والاختبارات المصّمة على انها معايير للشخصية تستعمل بصورة عامة لواحد من الاغراض الثلاثة التالية:

(أ) للتنبؤ عن النجاح في المدرسة او العمل .

(ب) لتشير الى العلاج الثقافي او الطبي.

(جـ) لتوسع فهمنا للسلوك الانساني.)

وكانت المحاولات الاولى لقياس الشخصية غالبا تستند الى الخصائص الجسمية مثل البروزات في الرأس (فراسة الدماغ Phrenology) وخصائص الوجه (فراسة الوجه Physiognomy) وبناء الجسم (تحديد النمط الجسمي للفرد Somatotype) ودراسات السلوك التعبيري Expressive Behavior مثل الكتابة اليدوية ولفظ الكلام كان يُركن اليها في بعض الجوانب،والقياس المحكم للسلوك يتطلب اكثر تقنينا للمواقف وادوات قياس، كما في معايير التصنيف والمواجهات المقننة. وتقنيات نماذج السلوك تتضمن ملاحظة سلوك الاشخاص في مواقف نموذجية سواء بذلك الطبيعية منها والمثارة. والتقنيات الاسقاطية projective مثل اختبار رورشاح واختبار تفهم الموضوع .

Thematic apperception test. يتضمّن ان نضع الشخص مع مثيرات مبهمة او محايدة وننظر اي معنى يسقط عليها.

ولغرض الدقة العائقة والنفع الكبير يجب ان يكون القياس النفسي Psychometric يتسم بالثبات والصدق والموضوعية ويجب ان يكون قد قُنن على جماعة من الاشخصاص الممثلين يمثلون اولئك الذين صممت لهم. ومن وسائل القياس التي كثيرا ماتستعمل هي استبيان الجرد الذاتي.

اما مقاييس الذكاء ، فقد سبقت بها فرنسا في اوائل السنوات بعد ١٩٠٠ من قبل سيمون Simon وبينه Binet وقد بنيت على مقارنة الانجاز الفكري للفرد مع انجازات الاخرين من العمر نفسه. ومايشار اليه iQ او معامل الذكاء او نسبة الذكاء) وحاصل الذكاء والذى هو

$$\frac{\text{العمر العقلى} \times ١٠٠}{\text{العمر الزمني}}$$

يشير الى نسبة العمر العقلي الى العمر الزمني . واختبارستانفورد وبينه Stanford – Binet للذكاء العام ثلاثة تشتمل على الاختبارات اللفظية واختبارات وجسلر Wechslr (واحد للراشدين adults وواحد للاطفال) وكل منها يشتمل على كلا معايير لفظية ومعايير الانجاز . والذكاء ليس قدرة مفردة، ولكنه يتضمن عدداً من القدرات العقلية الاساسية ، التي يحاول علماء تحليل العامل تشخصيها.

ومن طريق وضع الرسم البياني النفسي Psychograph (الصفحة النفسية: وهو رسم يعبر بيانيا عن درجات الشخص في اختبارات نفسية متعددة) وصفحة الشخصية Profile (لمحة موجزة عن حياة الشخص ، وهي رسم بياني للقيم التي سجلها شخص مافي مجموعة من اختبارات الشخصية نستطيع ان نحصل على صورة لنمط سمات الفرد بصورة شاملة. وعلماء النفس المهتمون بدراسة الشخصية يميلون الى أن يتابعوا اما الطريقة الافتراضية monothetic approach (وهي طريقة في البحث العلمي والتربوي تقوم على الافتراض والتجريب لاعلى الحدس والتخمين) مدعين ان جميع الافراد يختلفون في اوضاعهم في نفس نظام الابعاد ، او الطريقة الفردية Idiographic approach (ذات علاقة بالدراسة المركزة الحالة فردية) ومدعين ان كل فرد إنما هو فذٌ مهما قيل وحصل .

وحينما ننتقل الى الدراسات التي تبحث في الاختلالات العصبية نجدها اصبحت مما يبتهج لها الناس حتى اولئك الذين يرتهبون منها . وقد كان الناس ينظرون الى المرضى عقليا انهم يختلفون عنا جيعاً وان ينظر الى الاختلال العقلي على أنه شيٌ متمكز في قرارة اولئك المصابين به بينما نحن لانحمل مثل هذا العبٌ. وتطور النظرة الى هؤلاء

الاشخاص على انهم ليسو «ممسوسين» أدت الى علاجات اكثر انسانية والى محاولات لاشفائهم بل شجعت الثقة لديهم حيث قدمت لهم بشائر تحقيق الذات. ويعتقد الان كثير من العياديين ان السلوك المختل انما هو مفهومة تتعلق بالتعلم الخاطىء وسوء التوافق في التعامل الاجتماعي اكثر مما يتعلق بالجانب الطبي. وبعض تعاريف الحالة السوية يتعلق بالاستعداد والطاقة الكامنة اكثر مما يتعلق بالمعايير المتداولة . والحقيقة ان المعايير الاجتماعية يمكن ان تسهم بعلم الامراض النفسية حينما تهاجم مستويات يشعر الناس انهم قاصرون في مواجهتها .

يرغب كل انسان ان يرى نفسه سويا normal وعقلانيا Rastional. واذا لم يستطع ان يثبت هاتين الصفتين له فانه يمكن ان يتخلى عن واحدة منهما ان كان باستطاعته ان يضمن لنفسه الثانية. والتقمّص عملية سوية يستطيع بها الطفل ان يتشرب فيها القيم والاتجاهات في بيئتها المحلية وبخاصة عن الاب بالنسبة للولد وعن الام بالنسبة للبنت . وله قيمة مهمة لكلا الفرد والمجتمع ولكنه يمكن ان يسلك الضلال اذا مااكتسب القيم الزائفة او اذا مابولغ في التقمص زيادة او قلة . وشكلان مَرضيّان للتقمص هما التقمص مع العدوان الذي يقود الى فقدان هوية الذاتية ، والتقمص مع نبذ الاغلبية الذي يؤدي الى فقدان قيمة الذات. واذا ما اكتسب التحيز فأنه يصعب تمييزه لان التمييز في التعامل قد يخدم وظائف كثيرة ويمكن ان يدعم بتعزيزات مختلفة. والعزل العرقي في المجتمع بسبب نقص ظني يؤدي الى زيادة الاغتراب والانسلاخ والى فقدان الثقة المتبادلة قد يحدث اختلافات ليس لها اصل.

ان فقدان قابليات تنظيم الذات ترى في التعلق النفسي او الجسمي على الكحول او فيهما معا والسكاير والمخدرات. وان مثل هذا الفقدان يعقب أرزاءً ونكبات جسمية ونفسية واجتماعية بسبب تعزيز قصير الامد. والمقامره القهرية يتعلمها المرء ويتمسك بها بالاسلوب نفسه

وفقدان البهجة في الحياة يتميز بعصابات عديدة. وفي عصاب الحصار anxiety neurosis قد لايكون للفرد ايه فكرة عما جعله قلقا هكذا . وفي الرُهاب Phobia (هلع مرضي من شيٍ ما) يكون لدى المرء خوف شديد من شيء معين او نشاط مما يرمز له بمعنى ، انه يتحقق له ان الخوف غير عقلاني ولكنه يشعر بفقدان قوته على تجاهله . وفي الاستجابات الوسواسية القسرية Obsessive-Compulsive reactions قد يكون الفرد غير قادر على أن يخلص نفسه من الفكرة او الشعور او قد يكون مضطرا ان يقوم بشعائر معينة لاجل ان يهدىء حصاره. والعصاب الهستيري يزود بميكانزمات للهرب من الحصار

من خلال الهستيريا التحولية - محنة جسمية من دون سبب جسمي - حالة منفصلة. والحالات المنفصلة تتضمن التجول الليلي (السير واداء بعض الاعمال المعقدة اثناء النوم Sleepwal.king) وفقدان الذاكرة والشرود (فقدان الذاكرة زائدا الهروب) Fugue. واشد الاشكال حدة للحالة الانفعالية هي الشخصية المتعددة multiple Personality وهي حالة نادرة حيث تصبح اقسام مختلفة من الشخصية منفصلة ومهيمنا عليها في اوقات مختلفة وغالبا مالايعرف احدها الاخر. وهذه الشخصية شكل من اشكال الاستجابة الانحلالية، يعيش بها المريض في اكثر من شخصية بطريقة متايزة ومنفصلة وقد يحسُّها المريض شعوريا او لاشعورياً ولعل أولى الشخصيات المتعددة شخصية سالى بوشامب التي كتب عنها مورتون برنس واشهرها حواء ذات ثلاثة وجوه لثيجبين وكليكلي. وفي توهم او وسواس المرض يكون الاهتام المستتر للمرء بأرجاع يظنها ولكنها وهمية تمنحه العذر لمكافحة المشاكل، وهوايضاً يتصرف بصورة يستجلب بها الانتباه والعطف. وفي العصاب الاكتئابي يستسلم الفرد الى غم وإكتئاب مفخماً عوامل سلبية من بين اشياء كثيرة.

ان جميع امراض العصاب انما هي ميكانزمات لاثبات العجز وبذلك يستجلب العطف ويتجنب الجهود التي قد تؤدي الى الاخفاق. وتقليص الحصار عن طريق يُمكِّن الفرد من ان لايواجه مصادره.

وفقدان الاتصال بالواقع يُدعى الذهان Psychosis وفي الاستجابات الهذائية Paranoid reactions تكون لدى الفرد اوهام اما وقتية سريعة الزوال كما هو الحال في الحالات الهذائية او منظمة وعنيفة كما هو الحال في الهذاء paranoia والاختلالات الوجدانية هي اختلالات المزاج قد يكون الفرد ذا هوس مرحي mania (الصحوة والانتعاش) او مكتئبا بشدة او قد يتناوب بين الحالتين وربما بفترات من الحالة السوية فيا بينهما. والسواد الانتكاسي Involutional melancholia اكتئاب ذهاني وعميق مؤثر. والفصام (الشيزوفرينيا) هو انهيار او ضعف القيام بالوظائف بصورة متكاملة حيث يوقف فيه الفرد التحقق تجاه التغذية الراجعة البيئية Enviromental feedback . وقد يحصل التشوّه في الاحساس والانفعال والفكر وانماط اللغة والمنظور الزمني (البعد الثالث من ابعاد حيزالحياة عند كورت ليفين صاحب نظرية المجال فالشيخ الطاعن في السن يعيش في منظور زمني اوسع من أن يشتمل على الماضى والحاضر والمستقبل وتتضمن انواع الفصام (الشيزوفرينيا) الفصام الطفولي والبسيط والهذائي والتخشبي والتدريجي والفصام المبكر او فصام البلوغ والفصام الارتكاسي وانواعا اخرى غير مصنفه.

ويحتل مرضى الفصام في الغالب نصف الأسرّة في المستشفيات العقلية وحتى اولئك الذين يبدو عليهم انهم بعيدون عن التأثر قد يستجيبون عقليا لتغيرات البيئة . والذي يبدو انه لايوجد سبب واحد للذهان . فالاستعداد الفطرى الوراثي والشذوذية البايوكيمياوية والقدوة السيئة والتفاعل الاجتماعي المَرَضي كلها قد تأخذ دورا في حالات معينة. والمدى العالي للعصابيين مابين الاغنياء ومابين الذهانيين من ذوى المستويات الاجتماعية والاقتصادية الواطئة يمكن ان يكون فرقا حقيقيا، ولكنه في بعض الاحيان يعرض مجرد فروق في التصنيف . والانماط الحضارية قد تساعد ايضاً في تحديد السلوك الذي ينظر اليه على أنه مرض.

وقد صنفت التصرفات الانتحارية الى انتحار رمزي، الذي يخرب فيه الفرد شيئا يرى انه امتداد لنفسه، والانتحار الطارئ وهو الذي تبدو فيه الحادثة الحقيقية طارئة ولكن الفرد قد وضع نفسه في وضع يمكن ان يُقتَل فيه ، من الناحية الظاهرية، ان الانتحار قصدى ولكنه انتحار غير موفق، وفيه يكون الفرد شعوريا او لاشعوريا دبر لانجاز القيام بالانتحار بهذه الطريقة ولكنه لم ينجح بها . واخيرا القصد الظاهري واكمال عملية الانتحار.

وطرق الانتحار تختلف في الجماعات الحضارية المختلفة، ولكن الانتحار في جميع الاقطار اكثر شيوعاً بين الرجال من النساء. ويقول باحث امريكي عن مجتمعه ان الانتحار في الولايات المتحدة اكثر ماينتشر بين من تخطوا الخامسة والثلاثين من العمر ، واغلب مايكون لدى المسنين وقد يكون لتفكك الاسرة وانعزال المسن وحرمانه من المعطف والحياة الاجتماعية الودية دور في هذا التصرف.

والذين يقبلون على الانتحار يجنحون الى العنف والقسوة والعزلة والى فقدان مغزى الحياة ومباهجها ويمتلكهم شعور بالخصومة والعداء تجاه انفسهم.

Chapter – 1 –

1 Hurlock, E.B. Personality development. Tata, McGraw Hill Co., New Delhi, 1974.

2 Eysenck, H.J. The structure human personality Methuen and Co., London, 1970

3 Pervin tawrence, A. Personality, Theory, assess and research. John Wiley & Sons, Ny, 1970.

4 Allport, G.W. Pattern and Growth in personality Holt, Ny, 1961.

5 Stagner, R. Psychology of personality, Mcgraw Hill, Ny, 1961.

6 Endler, N.S. and associate. Interactional psychology and personality. John WiLey & Sons, Ny,. 1976.

7 Freud, S. The history of the psychoanlytic movement. Hogarth Press, London, 1957.

8. Jung, C.G. Psychological types. Harcourt, Ny, 1933.

9. Alder, G. Studies is analitycal psychology. Norton Ny, 1948.

10. Hall, C.S. and Lindzey. G. Theories of personality, John Wiley, Ny, 1970.

Chapter – 2 –

1. Chard, S. Lazaraus, Adjustment and personality Mcgraw Hill Co., Ny, 1961.

2. Chanze, A. Fredenburgh. The psychology of personality and adjustment. Commings publishing Co., Phillipin Ny, 1971.

3. Dollard, J. and Miller, N.E. personality and psychotherapy. McGraw Hill, Ny, 1950.

4. Hall and Lindzey, G. Theories of personality (6th ed.) Wiley, Ny, 1968.

5. Kelly, G.A. The Psychology of personal constructs. North, Ny, 1955.

6. Lawin, K. Field theories in social sciences. Harper and Row, Ny, 1951.

Chapter - 3 -

1. Hilgerd, E.R. Introduction to psychology, Harcourt B.Conp, 1957.

2. Garrett, H.E. General Psychology.

3. Fredenburgh, F.A. The psychology of personal and adjustment. commings publishing Co., Californie, 1971.

4. Isaacson, R.L. and others. Psychology: The Science of behavior. Harper International, Ny, 1965.

5. Mc Mohan, F.B. Psychology: The Hybrid Science (2nd ed.) Prentice Hall, New Jersey, 1974.

Chapter – 4 –

1. Croanbach. Lee, J. Essentials of psychological testing. 3rd ed., 1970.

2. Mischel, W. Personality and assessment, 1971.

3. Vernon, P.E. Personality assessment, methew. London, 1964.

4. Cohen, R. and Dirk, L Schaeffer Pattern of personality Judgment. Academic Press Ny, 1973.

5. Butcher. James, N. Objective personal assessment. Academic Press, Ny, 1971.

6. Cohen, personality assessment, 1973.

Chapter – 5 –

1 Alexander, F., French, T.M., & Pollock, G.H. Psychosomatic specificity. Expenmental study and Results. Chicago: U on Chicago Press, 1968.

2. Allport, G.W. Personality: A psychological Interpretation New York: Holt,

3 Bandura, A Principlesof behavior modification. New york: Holt, 1969.

4. Banuazizi, A. & Movahedi, S. Interpersonal dinamics in a simulated prison. A methodological analysis. American psychologist 1975, 30, 152 – 160.

5. Barber, T.X. Hypnosis: A Scientific approach. New York: Van Nostrand.

6 Tobach, L.R. Aronson and E. Shaw, Biopsycholg of development, New York, Academic, 1971.

7. Bell R R. Premerital sex in achamging society. Englwood Chiffs, N.J: Pretice Hall, 1966.

8 Bell, R.R. & Gordon, M. The social dimension of human Sexuality. Boston Little, Brown, 1972.

9. Berkowitz, L. aggression: Socity Psychological analysis. New York McGraw – Hill, 1962.

10. Bermant, G., and Davidson, J.M. Biological basis of sexual behavior New York: Harper, 1974.

11. Breuer, H. & Freud, S. Studies in hysteria. Boston: Beacon Press, 1961.

12. Bridges, K.M.B. Emotional development in early infancy. child development, 1932, 3,324 – 344.

13. Burgess, E.W., and Wallin, P. Engagement and marriage. Philadelphia: Lippincott, 1953.

14. Cattell, R.B. Personality: a Systematic theoretical and factual study. New York McGraw Hill, 1950.

15. Dollard, J. & Miller, N.E., Personality and Psychotherapy : an analysis in terms of learning, thinking and culture. New York: McGraw – Hill, 1950.

16. Dunham, H.W. Epidemiology of Psychiatric disorders as a contribution to medical ecology. Archives of general psychiatry, 1960, 14, 1 – 19.

17. Ecclas, J.C. Brain and conscious experience New York: Springer – Verlag, 1966.

18. Feleky, A. Feelings and emotions. New York : Pioneer, 1922.

19. Franks, C.M. & Wilson, G.T. Behavior therapy. New York: Brunner/Mazel, 1979.

20. Freud, A. The mutual influences in the development of ego and id: Introduction to the discussion. Psycho – analysis of the child, 1925, 7, 24 – 50.

21. Gagnon, J.H. & Simon, W. Sexual conduct: The Social Sources of human sexuality. Chicago: Aldine, 1973.

22. Hartman, H. Ego Psychology and the problem of adaptation. Translated by D.Rapaport. New York : International Universitires Press, 1958.

23. Johnson, R.N. Aggression in man and animals Philadelphia: Saunders, 1977.

24. Lewis, H.R., & Lewis, M.F. Psychosomatic : How emotions can damage your health New York: Viking, 1972.

25. Lieberman, B. Human sexual behavior a book of readings. New York: Wiley, 1977.

26. Masters, W.H., & Johnson, V.E. Human sexual inadequacy, Boston : Little, Brown, 1970.

27. Milgram, S. Group pressure and action against a person. Journal of abnormal and social Psychology, 1964, 69, 137 – 143.

28. Miller, D.R. & Swanson, G.E. Inner conflict and defence. New York : Holt, 1960.

29. Rogers, C.R. on becoming a person : a therapist's view of psychotherapy. Boston : Houghton, 1970.

30. Paul, G.L. & Bernstein, D.A. Anxiety and clinical problems: Systematic desensitization and related Techniques Morristown, N.J. General Learning Press, 1973.

31. Schachter, S. Emotion, obesity and crime new york: Academic, 1971.

32. Thompson, R.F. Introduction to biopsychology. San Francisco: Abion, 1977.

33. Wason, P.C. Regression in reasoning. British Journal of Psychology, 1969, 60, 471 – 480.

34. Yalom, I.D. The theory and practice of group psychotherapy. New York: Basic Book, 1970.

35. Zuckerman, M. Physiological measure of sexual arousal in the human. psychological Bulliten, 1971, 75, 297 – 329.

Chapter - 6 -

1. E.H. Ackerkneck 1969 A short History of Psychiary New York.
2. G. Zilboorg 1941, A History of Medical Psychology, New York.
3. Basil Clarke, Mental disorder in Early Britan, 1975, cardiff Univ. of Wales.
4. R. Hunter & I. Macalpine, Three hundred years of psychiatry, 1535 - 1800, Oxford Press, 1963.
5. Leigh, The Historical Development of British Psychiatry. 1961: Volume 1.

Chapter – 7 –

1 Alexander, Franz 1939a Emotional Factors is Essential Hypertention. Psychosomatic Medicine 1:179.

2 Alexander, Franz 1939a Psychoanalytic study a case of Esential Hypertention. Psychosomatic medicine 1:139 – 152.

3. Alexander, Franz 1947 Treatment of a case of Peptic ulcer and personality disorder. Psychosomatic medicine 9:320:330.

4. Alexander, Franz 1950 Psychosomatic medicine: Its priciples and Applications: New York: Northor.

5 Alexandar, Franz et al. 1934 The influence of psychological Factors upon Gastro – intestine disturbances; A symposium. Psychoanalytic quarterly 3:501 – 588.

6. Alexandar, Franz et al 1948 studies in psychosomatic Medicine: An Approach to the cause and Treatment of Vegetative Disturbances. New York. Ronald Press.

7. Althschule, Mark D. 1953 Bodily physiology mental and Emotional Disorders. New York.

8. Benedeh, Therese; and pubenstein, Boris The sexual cycle in woman: The relation between ovarian Function and psychodynamic processes. Psychosomatic Medicine monograph Vol. 3. Nos. 1 – 2. Washington: National Research Counsil.

9. Cannon, Walter. B (1915) 1953 Bodily changes in Pain, Hunger, Fear and rage: An account Recent Researches into the functions of Emotional Excitment. 2nd Ed. Boston Brang.

10. Cannon, Walter B (1932) 1963 The Wisdom of Body. Rev. & Enl,ed. New York: Norton.

11. Deutsch, Flix 1949 Applied Psychonanalysis: Selected objectives of Psychotherapy. New York: Grune.

12. Deutsch, Flix 1953 The psychosomatic concept in psychoanalysis. New York International Universeties Press.
13. Dunbar, Helen Flanders 1943 psychosomatic Diagnosis, New York Hoeher.
14. Dunber, Helen Flanders 1947 Mind and Body: Psychosomatic Medicine. New York Random House.
15. DuNber , Helen Flanders, 1959. Psychiatry in the MEdical Specialties. New York McGraw Hill.

Chapter – 8 –

1 Alexander Franz 1930 The Neurotic Character. International Journal of Psycho – analysis 11:292 – 311.

2. Cleckley, Hervey M. (1941) 1964 the Mask of Sanity. 4th ed st. Louis, Mo.Mosly.

3. Cleckley, Hervey M. 1957 The caricature of Love. New York: Ronald.

4. Darling, Harry F. 1945. Shock treatment In psychopathic personality. Journal of Nervous and Mental Disease 101:247 – 250.

5. Head, Henry 1926 Aphasia and Kindred Disorders of Speach. Lvols Cambridge Univ. Press.

6. Jenkins, Richard L. 1960 The Psychopathic or antisocial personality. Journal of Nervous and Mental Diseare 131:318 – 334.

7. Johnson Adelaide M. 1959 Juvinile Delinquency. Volume 1.Pages 840 – 856. In American Handbook of Psychiatry. New York. Basic Books.

Chapter – 9 –

1. Alfred Adler: «Individual Psychology» in psychologies of 1930 PP.395 – 405.

2. Ernest Kritschmer Physique and Character.
(Harcourt, Brace and company, 1925).

3. T.L. Bolton, «The relation of Motor Power to Intelligence», American Journal of Psychology XIV (1903) 351 – 367.

4. J.N. Washburne, «Definition in Character Measurement», «Journal of social Psychology» 11(1931), 114 – 119.

5. V.E. Fisher, «Hyptonic suggestion and the conditioned Reflex», Journal of Eeperimental Psychology, XV (1932].

6. H.H. Anderson «The Dynamic Nature of Press» The National Elementary principal, XV (Jul, 1936), 245.

7. William McDouggall, «The Energies of man» (Charles Scribner's sons, 1933, PP. 128 – .

8. F.A.C. Perrin, «The Psychology of Motivation. Psychological Review, XXX (1923), (176.).

9. V.M. Sims, «The Relative Influence of two types of Motivations on Improvement. Jurnal of Educational Psychology, XXI, (1928) 480 – 484.

10. J. Haldane, «Organism and Environment as illustrated by the physiology (Yale University Press, 1917).

11. Tiffin. J. & Knight F.B. & Ashar E.D., «The Psychology of Normal People», 1946, P.119.

ولزيادة المعلومات راجع :

1 J B Morgan, «The Psychology of Abnormal People», (2nd Edition, Long man, Green and Compes 1936).

هو من الكتب الممتعة جداً وتحسن مطالعته وهو يعالج توافقات السلوك التي تؤديها العقول الشاذة .

2 D G. Paterson, «Physique and Intellect».

3. L F. Shaffer, «The Psychology of Adjustment» (Houghton Mifflin Company, 1936).

هو معالجة شاملة لأنواع كثيرة للتوافق وسوء التوافق ، وتأثيراتها على المجموع الكلي للشخصية

4. C S Shenngton, «The Integrative Action of the Nervous systems (Tale University press, 1972).

هو مسح واسع للعمل التساوقي للجهاز العصبي من وجهة نظر علماء الفسلجة وهو يفي الى حد ، بالنسبة للطالب المتدىء ، وهو دراسة مفيدة دب أهمية

5. K S. Lashley, Brain Mechanisms and Intellegence (University of chicago press, 1974).

وهو سلسلة من البحوث القيمة عن العلاقة بين أقسام من الدماغ والسلوك الذكي (أو السلوك التكيفي) . والكتاب تمكن متابعة معلوماته بسهولة نسبياً

فصول الكتاب

الفصل الاول	**الصفحة**
الشخصية	٩ـ٤٩
الهوامش	٥١ـ٦٧
الفصل الثاني	
مواصلة الشخصية ونظرياتها	٦٩ـ٩٢
الهوامش	٩٥ـ٩٦
الفصل الثالث	
محّددات الوراثة	٩٩ـ١٢١
الهوامش	١٢٣ـ١٢٧
الفصل الرابع	
تقويم الشخصية	١٣١ـ١٨٠
الهوامش	١٨٣ـ٢٠٣
الفصل الخامس	
الاختلالات النفسية الجسمية	٢٠٧ـ٢٢٤
الهوامش	٢٢٥ـ ـ
الفصل السادس	
طبيعة المريض	٢٢٩ـ٢٤٨
الهوامش	٢٤٩ـ٢٥٥

الفصل السابع

الذّهان	٢٥٩-٢٩٦
الهوامش	٢٩٧-٣٠٩

الفصل الثامن

الشخصية المعتلة نفسياً	٣١٣-٣٢٩
الهوامش	٣٣١-٣٣٣

الفصل التاسع

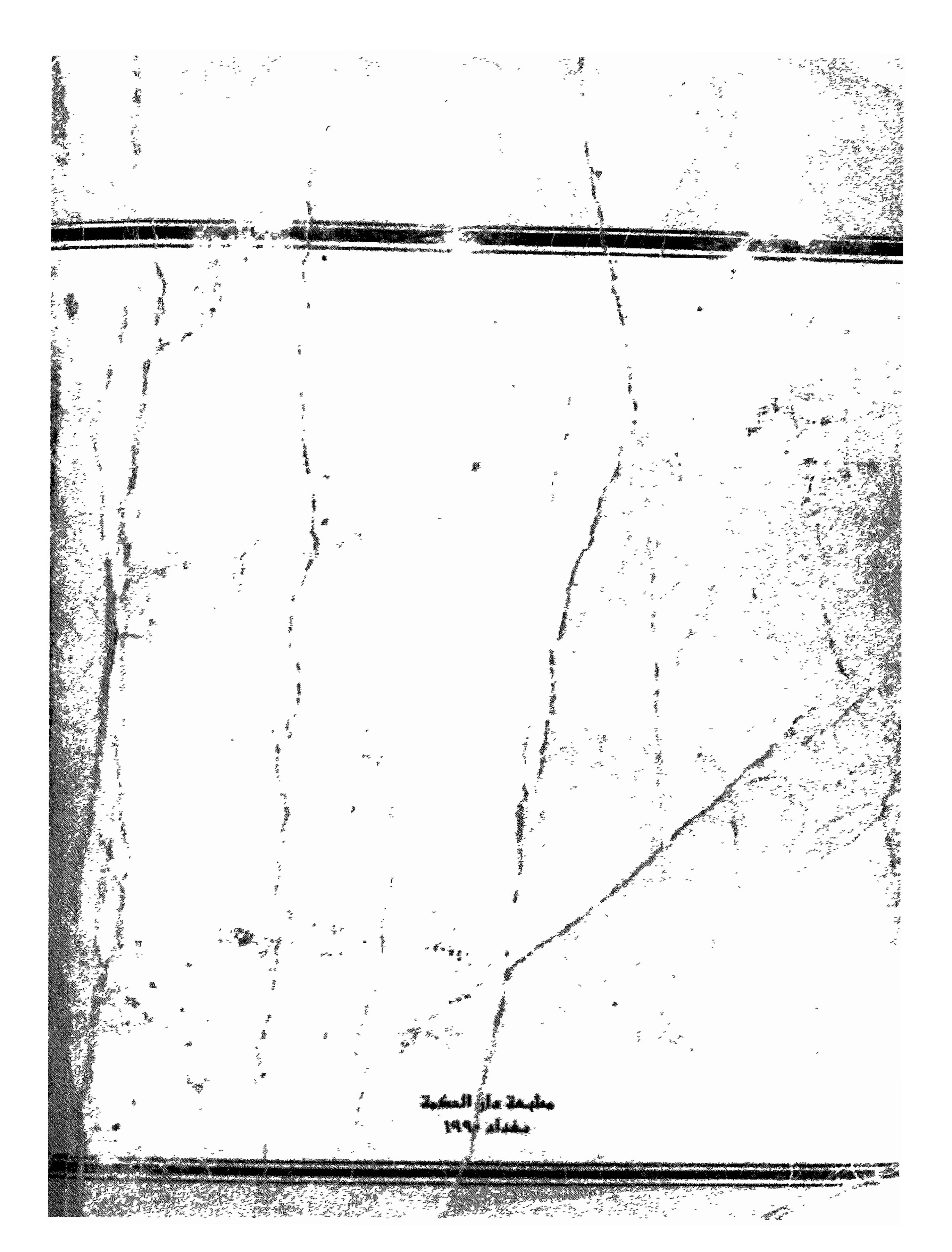
الشخصية والتوافق	٣٣٧-٣٧٦
الخاتمة	٣٧٧-٣٨٣

المراجع

الفصل	صفحة
الفصل الاول	٣٨٥
الفصل الثاني	٣٨٦
الفصل الثالث	٣٨٧
الفصل الرابع	٣٨٨
الفصل الخامس	٣٨٩
الفصل السادس	٣٩٢
الفصل السابع	٣٩٣
الفصل الثامن	٣٥
الفصل التاسع	٣٠٦
منى	

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٠١٣٠ لسنة ١٩٩٠

مطبعة دار الحكمة
بغداد ١٩٩٠



مطبعة دار الحكمة
بغداد ١٩٩٠